جند قنّسرين في العصر العباسي حتى قيام الدولة الحمدانيّة
(١٣٢ــ ٣٣٣هـ / ٧٤٩ ــ ٩٤٤م)

إعداد

المهدي عيد موسى الرواضية

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١٢

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (جند قنّسرين في العصر العباسي حتى قيام الدولة الحمدانيّة ١٣٢-٣٣٣هـ/٧٤٩-٩٤٤م)، وأجيزت بتاريخ ٢٠١٢/٥/١٣

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، مشرفاً أستاذ - التاريخ الإسلامي	....
الدكتور صالح موسى دراكة، عضواً أستاذ ـ التاريخ الإسلامي	....
الدكتور يوسف أحمد بني ياسين، عضواً أستاذ مشارك ـ التاريخ الإسلامي	....
الدكتور نعمان محمود جبران، عضواً أستاذ ـ التاريخ الإسلامي (جامعة اليرموك)	....

الإهداء

إلى سموّ الأمير الهاشميّ، العالِم، الأُستاذ الدكتور (مُكرَّرةً) غازي بن محمّد المعظَّم

بإيمانه العَميق، ومداركه الواسعة، ونَظَره البعيد، وحُبِّه ـ في الله ـ لهذه الأرض ومَن عليها، أُقدّم هذه الثّمرة التي هي جَنَي غَرْسه؛ حَماهُ الله

شكر وتقدير

بعد أن يسَّر الله وأعان على إنجاز هذا البحث، أتقدم ببالغ الشكر لأستاذي الدُّكتور محمّد عبد القادر خريسات، بما هو أهله، الذي أبدى اهتمامه بموضوع بحثي، وأشار عليّ بتصويباته وملاحظاته، ووجّهني إلى كثيرٍ من مصادر ومراجع الدراسة التي أعانتني على الإحاطة بجوانبها، بما هو ظاهر الأثر فيها.

والشكر الموصول لأستاذي الدكتور يوسف بني ياسين، رئيس قسم التاريخ بالجامعة الأردنية، الذي كانت لملاحظاته القيمة الصائبة التي مدّني بها أطيب الأثر وأنفعه.

كما أشكر كل الأساتذة والأصدقاء الذين قدموا لي المساعدة والعون، فأشكر الدكتور عصام مصطفى عقلة والأستاذ الدكتور محمود الرويضي الذين بالغا في الإكرام والمعونة بتزويدي ببعض المصادر والمراجع التي لم أتوصل إليها، وصديقي الدكتور إحسان ذنون الثامري الذي قرأ النص وفتح لي أبواب مكتبته العامرة، ولا يفوتني تقديم الشكر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بإداراتها المتعاقبة، وزملائي موظفيها، الذين أتاحوا لي الوقت للبحث والدراسة وقدموا مساعدات جليلة في الاستفادة من محتوياتها ومكتبتها؛ فلهم جميعاً الشكر الخالص.

فهرس المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

الفصل الأول

الجغرافية التاريخية لجند قنسرين

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في جند قنسرين

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جند قنسرين

الفصل الرابع

الحياة العلمية والعمرانية في جند قنسرين

قائمة الاختصارات

الرمز	المدلول
ت	توفي
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ن	دون ناشر
ص	صفحة
ع	عدد
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
ق	قسم، وإذا ارتبطت بتاريخ فتدل على القرن
م	ميلادي وإذا ارتبطت بمقياس فتعني متر
هـ	هجري
كم	كيلو متر
p	Page
pp	Page to page

جند قنّسرين في العصر العباسي حتى قيام الدولة الحمدانيّة (١٣٢ــ ٣٣٣هـ / ٧٤٩ ــ ٩٤٤م)

إعداد

المهدي عيد موسى الرواضية

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

ملخــــــــــــــص

تناولت الدراسة جند قنسرين والذي كان يمثل الواجهة الشمالية الغربية للدولة الإسلامية، وكان له دور هام في الصراع مع الروم، وذلك خلال القرنين الأوليين من العصر العباسي (١٣٢ــ ٣٣٣هـ / ٧٤٩ ــ ٩٤٤م).

وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بجند قنسرين وتحديد الإطار الجغرافي وبيان حدوده الإدارية والمدن التابعة له، وإبراز مساهمته في الحياة السياسية وما وقع فيه من ثورات خلال الحقبة مدار البحث ودوره في الصراع الإسلامي البيزنطي، ودراسة الحياة الاجتماعية بما فيها من فئات عرقية ودينية ورصد القبائل التي استقرت فيه، وإظهار مقوّماته الاقتصادية: زراعية وصناعية وتجارية، وبيان الحالة التي كان عليها الجند في الجوانب الحضارية والعلمية والعمرانية، ومدى تطوره هذه الجوانب خلال فترة الدراسة.

ولتحقيق هذا عمد الباحث إلى تتبع الإفادات التاريخية التي أوردتها المصادر حول هذه الجوانب، وجمع الروايات والمعلومات من المصادر الأولية، ثم دراسة النصوص والمعلومات وتحليلها ونقدها، واستخلاص الصورة التي كان عليها الجند في تلك الحقبة، ومحاولة تفسير بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي وقعت في جند قنسرين.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج لعل من أهمها أنها استطاعت رسم الحدود لجند قنسرين خلال العصر العباسي، خصوصاً في ناحية الشمال المواجهة للروم، وتحديد مواضع الثغور الجزرية والشامية، ولم يسبق أن تعرضت لهذا التحديد أي من الدراسات الحديثة التي تناولت بلاد الشام، وقد أظهرت خريطة الجند أنه من أكبر أجناد الشام مساحة.

وأظهرت الدراسة تقدم الجند في النواحي الاقتصادية من خلال الثروة الزراعية التي احتوى عليها، من الأشجار والزراعة الحقلية، بما انعكس على صناعته وتنوعها خصوصاً الصناعات النسيجية.

كما كشفت الدراسة عن العناية التي لاقاها الجند من الخلفاء بعكس بقية الأجناد، نتيجة لموقعه في مواجهة الروم، وقد طالت العناية مدنه الثغرية من خلال العمران والبناء والتحصين وإسكان المقاتلة في هذه المدن. وقد نشأت في مدن الثغور حركة علمية نشطة نتيجة لسكنى العديد من الفقهاء والمحدثين والمتصوفة والزهاد بالثغور.

المقدمة:

بالرغم من وجود عدد من المؤلفات التراثية التي تناولت بعض مدن الشام إلا أن جند قنسرين ومدنه وقراه لم تحظ بأي كتاب مستقل، ولم يصنف فيها كتاب مفرد قبل القرن الثامن الهجري، باستثناء بعض المؤلفات التاريخية المتأخرة التي تضمّنت جوانب من جغرافية الجند وتاريخه، ومنها كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) والقسم الذي أفرده ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) في كتابه الأعلاق الخطيرة، وكتاب عنوانه "تاج النسرين في تاريخ قنسرين"، من القرن الثامن الهجري وهو كتاب مفقود لم يصلنا، ولم ينقل عنه أحد، وضعه محمد بن علي ابن عشاير الحلبي (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)[1]. وكما استُثني الجند من كتاب مستقل في القرون السبعة الأولى فلم يسبق أن دُرِس مفرداً في أي جانب من جوانبه، باستثناء دراسة مصطفى الحياري التي تحمل عنوان: "توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، وهي دراسة تختص باستعراض القبائل التي سكنت مدن الجند وأنحاءه بالاعتماد على نقول أوردها ابن العديم من كتاب "ديوان العرب وجوهرة الأدب وإيضاح النسب"، لمؤلف اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله الأسدي (من أهل القرن الرابع الهجري ظناً). وفيما عدا هذه الدراسة فإن ذكر الجند لا يأتي إلا عرضاً من خلال بعض الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ بلاد الشام بشكل عام. ومن هنا برزت بعض الصعوبات التي واجهها الباحث في جمع المعلومات والإفادات المتناثرة والمتوزعة في المصادر التراثية المختلفة.

وقد حاولت الدراسة إعادة رسم صورة الجند خلال قرنين من الزمان، من خلال تناول كافة النواحي: الجغرافية والإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمرانية. وتم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول:

ففي الفصل الأول توسعت الدراسة في بحث جغرافية الجند بما فيها من تضاريس ومناخ وموارد مائية، لارتباطها الوثيق بالفصول الآتية وأثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، خصوصاً انعكاس الخصائص والظواهر الجغرافية على مزروعات الجند ومصنوعاته. كما تضمن الفصل الأول دراسة الحياة الإدارية فيه ورصد الولاة وبعض الوظائف الإدارية فيه.

([1]) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ٢ مج، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م. ج١، ص ٢٧٠، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: حاجي خليفة، كشف الظنون.

أما الفصل الثاني من هذه الدراسة فخُصص لبحث الأوضاع السياسية التي مرّ بها الجند واستعراض الثورات والفتن التي حدثت خلال الحقبة موضع الدراسة، بالإضافة إلى التعرض للصراع الإسلامي البيزنطي والذي كان جند قنسرين يشكل واجهته المباشرة، ومن خلاله كانت تنطلق أو تعبر الحملات العسكرية للغزو والجهاد.

وتناول الباحث في الفصل الثالث الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، ففي الجانب الاجتماعي تناولت الدراسة مكونات المجتمع وفئاته الدينية والعرقية وحاولت رسم الخريطة السكانية فيه من خلال استعراض القبائل التي استقرت فيه، أما في الجانب الاقتصادي فتم استعراض الأحوال الزراعية وأبرز معالمها وكذلك الحياة الصناعية والتجارية.

وخُصص الفصل الرابع لتناول الحياة العلمية والعمرانية في جند قنسرين، من خلال تتبع العلماء المنسوبين لمدن الجند ومن أقام فيها من علماء وفقهاء وأدباء وشعراء، وفي القسم الثاني من هذا الفصل عرضت الدراسة للمظاهر العمرانية فيه.

استعراض لأهم مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية إضافة إلى بعض الدراسات الحديثة التي تناولت بلاد الشام، وتفاوت مدى الاستفادة بين مصدر وآخر بحسب الموضوع الذي تبحثه الدراسة، ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة بشكل مباشر:

كتب التاريخ العام والفتوح:

ويأتي في مقدمتها تاريخ اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥م) وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وكتاب العيون والحدائق لمؤلف مجهول والكامل لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، فمن خلال هذه المصادر ــ بتفاوت فيما بينها ــ تمكنت الدراسة من متابعة علاقة الدولة العباسية بأجناد الشام بشكل عام وجند قنسرين على وجه خاص، من خلال رصد الأخبار التاريخية والأحداث السياسية والإدارية التي مرّ بها الجند، سواء داخلياً من خلال الثورات وتعيين الولاة وعزلهم، أو خارجياً بما تضمنته من معلومات عن الصوائف والشواتي ومسيرة الصراع مع الروم.

أما البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان فقد استفادت الدراسة من استعراضه لمسيرة فتح مدن الجند وما أورده من سردٍ لمسيرتها في الإعمار والبناء حتى زمنه (القرن الثالث الهجري)، وبيان ما تم عليها من تحصين وإنزال للناس فيها. وذات المادة التي أوردها البلاذري عن الأحوال العمرانية نجدها أيضاً عند قدامة (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) لكن قدامة ــ فضلاً عن إفاداته الجغرافية والاقتصادية ــ يمتاز عن سابقه بالمعلومات التي قدمها عن الطرق والدروب التي تربط

بين أقاليم الدولة خصوصاً بين الشام وبلاد الروم، وأيضاً انفراده بعرض تفاصيل الغزوات الإسلامية ومواعيد انطلاقها نحو بلاد الروم التي قسمت حسب المواسم والفصول: ربيعية وصوائف وشواتي، وكيفية تشكيل هذه الحملات.

وبالرغم من أن كتاب تاريخ الإسلام للذهبي متأخر زمنياً عن فترة الدراسة، إلا أن الباحث اعتمد عليه بشكل كبير فيما يتعلق بتراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمتصوفة، فاستخرجت منه ما يتصل بجند قنسرين من العلماء في الفترة موضع البحث، وكان السبب في التركيز على مادته أنه يجمع تراجم العلماء أياً كان تخصصهم، فأغنانا عن ملاحقة كتب تراجم المفسرين مثلاً، أو كتب تراجم المتصوفة أو تراجم المحدثين، فقد جمع الذهبي تراجمهم جميعاً دون تفضيل لفئة على أخرى، وميزة الذهبي الأخرى في تاريخه أنه يثبت أقوال من سبقه من المؤرخين ومؤلفي التراجم وأصحاب الطبقات، بما يتيح لنا معرفة مصادر كل ترجمة من التراجم التي أوردها. وإضافة لما قدمه في مجال حصر العلماء المنسوبين لجند قنسرين فقد تضمن إفادات تاريخية على حسب منهجه في إعطاء لمحة تاريخية مرتبة على السنين في طالع كل طبقة من طبقات كتابه. ولم تقتصر الدراسة في تناول الحياة العلمية على ما قدمه الذهبي بل رجعت إلى كتب التراجم المبكرة، لكنها فائدة محدودة؛ فابن سعد (٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) في طبقاته قدم إفادات مقتضبة عن عدد محدود من علماء الشام ــ وبضمنه جند قنسرين ــ وهو يتوقف عند سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م ولكنها تكشف مع ما قدمه خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) في تاريخه عن مراكز الحديث النبوي الشريف المهمة في القرون الثلاثة الأولى.

وقدم المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ــ بصفته مؤرخاً وجغرافياً في آن واحد ــ إفادات غاية في الدقة، مما وجدته في المتبقي من كتبه، وخاصة مروج الذهب، ووجهتني نظرته الخاصة في تفسير بعض الحوادث إلى تبني رأيه والأخذ به، كما قدم معلومات متناثرة خدمت فصول الرسالة، منها ما أورده في كتابه "التنبيه والإشراف" ويتعلق بملوك الروم الذين تزامن حكمهم مع حقبة الدراسة وشرح سيرة كل منهم وأبرز المشاكل التي واجهها وخصوصاً صراعهم في الشمال مع البلغار، وكذلك الجرد الذي قدمه عن الأفدية التي وقعت حتى زمنه (منتصف القرن الرابع الهجري). ومما يؤسف له ضياع كتابه "الأوسط" وضياع القسم الأكبر من تاريخه "أخبار الزمان، ومَن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران"، وهما الكتابان اللذان أحالَ عليهما

المسعودي كثيراً من الإفادات التي تخدم الدراسة[1]، خصوصاً وأن المسعودي أمضى سنوات عديدة متنقلاً بين الشام ومصر، وكان مقيماً بحلب من جند قنسرين بحدود سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، وزار أنطاكية والتقى ببعض العلماء فيها، وكان يختلف إلى كنيسة القسيان بأنطاكية ليطلع على مكتبتها ويستقي أخبار السريان وتاريخ ملوكهم من محتوياتها.

ومن الكتب التاريخية أيضاً كتب التاريخ المحلي، مثل تاريخ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) وما تضمنته تراجمه عن بعض الشخصيات التي ارتبطت سيرتها بجند قنسرين أو بالثورات التي وقعت على أراضيه.

أما أهم كتب التاريخ المحلي المتعلقة بجند قنسرين فكانا كتابا ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، وكتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب؛ فلقد جمع ابن العديم في كتابه بغية الطلب مادة جزلة عن حلب وجوارها، واستقصى كثيراً من أخبارها، وامتاز عن غيره بكمية النصوص التي حفظها من مصادر لم تصلنا، مثل: كتاب سير الثغور لأبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي (ت ٤٠١هـ/ ١٠١١م)، وهو يتضمن معلومات قيمة عن حال بعض المدن الثغرية مثل طرسوس والمصيصة وأذنة والعديد من الحصون، وقد استفادت الدراسة كثيراً من عمل الطرسوسي حيث كشف لنا جوانب عديدة من حياة أهل الثغور الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والعمرانية، ودوّن مادته ــ كشاهد عيان ــ عن مدن الثغور قبل أن يستولي عليها الروم في منتصف القرن الرابع الهجري. كما حفظ لنا ابن العديم جزءاً كبيراً ــ وربما النص كاملاً ــ من كتاب "ديوان العرب وجوهرة الأدب وإيضاح النسب"، لمحمد بن أحمد بن عبد الله الأسدي (ق ٤هـ/ ١٠م)، وأيضاً نص رحلة المعتضد لأحمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) والتي وثق فيها مسير المعتضد لقتال خمارويه ابن طولون في وقعة الطواحين سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م وقدم وصفاً دقيقاً للمواضع التي مرّ بها خصوصاً تلك المواضع الواقعة في جند قنسرين. وإضافة لهذه النصوص المهمة التي حفظها ابن العديم، فقد أورد نقولاً من مصادر جغرافية مبكرة وصلتنا بصورة غير كاملة، مثال ذلك أن كتاب البلدان لليعقوبي سقط منه القسم الخاص بقبائل جند قنسرين[2]، وما سقط من نسخته حفظه لنا ابن العديم، كما حفظ أبو الفداء بعضاً منه لكن بدرجة أقل من ابن العديم.

---

(1) كمثال على ذلك فهو لم يتعرض لخبر تبييض أبي الورد الكلابي واكتفى بالقول: "وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله في كتابنا الأوسط؛ فأغنى ذلك عن ذكره"، انظر: المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق) بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، (مراجعة) شارل بلا، ٥ج، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥ ــ ١٩٧٩م، ج٤، ص ٩١، وسيشار له فيما بعد: المسعودي، مروج.

(2) انظر: اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥م)، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م. ص ٣٢٤ ــ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: اليعقوبي، البلدان.

وإضافة للثروة التي جمعها ابن العديم في كتابه فقد استفادت الدراسة كثيراً من معلوماته الإدارية عن ولاة الجند وقضاته وعلمائه في سائر الحقول وأحوال الجند التاريخية والسياسية والعمرانية، كما استفاد الباحث من نظرته الناقدة لبعض نصوص الجغرافيين وتنبيهه على مواطن الخطأ والخلط عند بعضهم، بما هو ظاهر الأثر في هذه الدراسة.

كما اعتمدت الدراسة على المؤلفات السريانية التاريخية، ولعل ما غفلت عنه مصنفات المؤرخين العرب والمسلمين أوردته المصادر السريانية وتولت سد الخصاص، وعوضت ما غفلت عنه نظيرتها العربية، وكانت فائدتها كبيرة في تقديم التصور عن منطقة بلاد الشام الشمالية، لأنها موطن السريان، ولأن بعض المؤرخين كانوا ممن شهدوا كثيراً من أحداثها، فإذا ما خُلّصت إفاداتهم من العواطف والأهواء، فتكون من أهم المصادر التي يُعتمد عليها، ومنها: كتاب تاريخ الزوقنيني لمؤلف سرياني مجهول من أهل دير زوقنين بالجزيرة (كان حياً ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، وقد تضمن ــ رغم قصر المدة التي تناولها ــ معلومات سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية فريدة، كان المؤلف شاهداً عليها ومعاصراً لها، ويليه البطريرك ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) الذي يعد أهم مؤرخ لأخبار تلك المنطقة، لأنه معاصر لها، ومشارك في بعض أحداثها، فقد كان أحد الذين تمت محاصرتهم داخل الرها من قبل نصر بن شبث وأصحابه[١]، والتقى بعبد الله بن طاهر مرات عديدة، بل ولحقه إلى مصر عندما توجه إليها ابن طاهر سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م لمحاربة الجروي وابن السري[٢]، وقدم إلى بغداد سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م لمقابلة المأمون ومراجعته في قراره الذي أصدره ويتيح لأية مجموعة مكونة من عشرة أشخاص فأكثر أن ينصبوا رئيساً عليهم، والتقاه أيضاً سنة ٢١٦هـ/ ٨٣٢م أثناء وجوده في كيسوم، منصرفه من غزوته الثانية لبلاد الروم، واصطحبه معه إلى مصر في محرم ٢١٧هـ/ فبراير ٨٣٢م، وبعد وفاة المأمون قدم ديونيسيوس مهنئاً المعتصم بالخلافة. لقد شكلت مادة ديونسيوس وإفاداته التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي توقف فيها عند تاريخ وفاة المعتصم سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م أهم مورد اعتمد عليه مَن جاء بعده من مؤرخي السريان كالبطريرك مارميخائيل الكبير (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، وغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) خصوصاً في تأريخهما للقرون الثلاثة الأولى من عمر الدولة الإسلامية.

---

(١) ابن العبري، غريغوريوس جمال الدين بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦)، تاريخ الزمان، (ترجمه عن السريانية) الأب إسحق أرملة، (تقديم) الأب جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م. ص ٢٢، وسيشار له فيما بعد: ابن العبري، تاريخ الزمان

(٢) مارميخائيل السرياني، مار ميخائيل "بطريرك أنطاكية" (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ٣ج، (ترجمة) مار غريغوريوس صليبا شمعون، (تقديم) مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م. ج٣، ص ٢٥، وسيشار له فيما بعد: مارميخائيل، تاريخ

وثمة ملاحظة تتصل ببعض المصادر السريانية وهي اهتمامها بالظواهر الطبيعية من زلازل وجراد وثلوج تتلف الزروع، وما ينشأ عنها من مجاعات وأوبئة وكوارث؛ ربطوا وقوعها بغضب الرب لما يقع بين البطاركة من صراع وتنافس أو نتيجة الاختلاف بين المسيحيين وخطاياهم وآثامهم، في الوقت الذي نلمس فيه توجهاً من المصادر العربية نحو التأريخ لحياة البشر خاصة الخلفاء وطبقة الحكام وحركتهم في صناعة أحداث التاريخ أكثر من اهتمامهم ــ وإن لم يغفلوها ــ بالحوادث الطبيعية.

إن المعلومات الطبيعية التي قدمتها المصادر السريانية لا تستدعي الحيطة والحذر في أخذها والتسليم بها بالقدر الذي تحتاجه بقية الانطباعات والمواقف، فالمؤرخ الزوقنيني يظهر بوضوح موقفاً معادياً من سلطة الخلافة العباسية وبكل مَن يتصل بها من عمال وإداريين وأعوان، وجب معه تحري الحذر في بعض الأحكام التي أطلقها، ونجد كذلك موقفاً متحاملاً من ديونيسوس تجاه نصر بن شبث، فقد سمّاه اللعين والمتمرد، في المقابل كانت نظرته لعبد الله بن طاهر نظرة احترام وتعاطف، وسماه الرزين، ووصفه بالتواضع والوداعة، وأشاد برفقه بالنصارى.

وبالرغم من دقة التفصيلات التي تضمنتها المصادر السريانية، إلا أن اللافت اقتصارها ــ في الغالب ــ عند ذكر الأسماء على الاسم الأول، فيرد مثلاً ذكر اسم "نصر" فقط غفلاً من أي تابع، وأيضاً اسم "عمر" كأحد الخارجين على الدولة صحبة نصر بن شبث، وشخص آخر من أهل ملطية اسمه "عمر"، دبر الكمائن ضد الروم، و"عثمان" أسقف التغالبة، وغيرهم الكثير. كما حفلت الترجمة العربية بالكثير من الأخطاء، خاصة في ترجمة أسماء الأعلام والأماكن، فاسم نصر كتب "ناصر" حيثما يرد، وشرحه أيضاً اسم ابن طاهر حيث ورد "ابن ظاهر"، وعثمان بن ثمامة ورد "عثمان التميمي"، وفي موضع آخر "عثمان بن تمام"، وسميساط كتبت شميشاط، ولتدارك الخلل رجع الباحث إلى الترجمة الفرنسية للأصل السرياني، وهي على درجة بالغة من الدقة والتثبت، وأشرت إلى تلك الفروق في مواضعها.

ومن المصادر التاريخية المهمة، مصدر بيزنطي مبكر هو حولية الراهب ثيوفانس (Theophanes)، غطى فيها ٦٣ سنة الأولى من عمر دولة بني العباس، إذ تتوقف الحولية عند سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م وهي سنة حسم أمر الخلافة للمأمون، وقد قدمت حولية ثيوفانس وجهة النظر البيزنطية لكثير من أحداث الفترة، وتضمنت تفصيلات أوسع عن الحملات العسكرية بين جانبي النزاع: المسلمين والروم. لكن نزعته العدائية الظاهرة وكرهه للمسلمين كأمة وديانة اقتضت الحذر في التعامل مع مادته، وعدم التسليم بكل ما يقدمه دون إخضاعه للنظر والتحري.

المصادر الجغرافية:

قدمت المصادر الجغرافية المبكرة إفادات غاية في الأهمية ــ على اقتضابها ــ في رسم خريطة الجند وتثبيت حدوده الإدارية وتحديد مكوناته التي تضمنها من مدن داخلية وعواصم وثغور شامية وجزرية، وبرغم الخلاف الحاصل بينها في بعض الجزئيات وفي فهم كل منهم للإجراءات الإدارية التي وقعت على الجند إلا أن الدراسة اعتمدت عليها بشكل مباشر لأمرين: الأول قربها من الأحداث زمانياً ومكانياً، وثانياً: لأن أغلب مؤلفيها هم من موظفي الدولة، بمعنى أنهم على دراية كبيرة بتقسيمات الجند والمدن التي تتبع إليه، إضافة لفائدتها في الجانب الاقتصادي بما تضمنته من معلومات عن مزروعات وصناعات مدن الجند، وفي الجانب الاجتماعي باشتمالها على تعداد القبائل بالتفاته واضحة لفئات السكان وأخلاقهم وعاداتهم وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية، وكانت عوناً كبيراً في ملاحظة التطور العمراني لمدن الجند وموقع هذه المدن مقارنة بغيرها في أقاليم الدولة الأخرى.

وهذه المصادر الجغرافية المبكرة تتمثل في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) وكتاب البلدان لليعقوبيّ (ت بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) والأعلاق النفيسة لابن رسته (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة البغداديّ (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) و كتاب البلدان لابن الفقيه الهَمَذانيّ (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) وكتاب مسالك الممالك للإصطخريّ (ت بعد ٣٥١هـ/ ٩٦٢م) وكتاب صورة الأرض لابن حَوْقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م) وكتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب لمؤلف مجهول (من أهل القرن الرابع الهجري، كتبه سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م). وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسيّ البشاريّ (ت نحو ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) والكتاب العَزيزيّ أو: "المسالك والممالك" للمهلبيّ (ت بعد ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م).

كما اعتمدت الدراسة على مصنفات جغرافية ألفت بعد زمن الدراسة، وربما بعدها بعدة قرون، ذلك أن أغلبها أخذت تجتر أقوال من سبقهم اجتراراً، وبالتالي حفظت لنا مادة جزلة من نصوص الجغرافيين الأوائل التي لم تصلنا، ومنهم من أحال على مصدره في الأخذ والنقل، أو بيان ما إذا كانت إفادته عن مشاهدة ومعاينة، وقد تنبه الباحث عند تناول معلوماتها إلى مدى مصداقية محتوى النصوص ومدى موافقتها لحالة الجند قبل مطلع القرن الرابع الهجري، فمثلاً يقول مؤلف كتاب حدود العالم الذي صنفه سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م أن قنسرين "مدينة نزهة وعامرة"، يقول ذلك في زمن أصبحت فيه البلدة خراباً، وبالتالي اعتمدنا إفادته على أنها من مكنون ما قبل القرن الثالث الهجري. أما فيما يتعلق بالأوصاف الطبوغرافية للمواضع وما يتبع ذلك من مزروعات فقد أخذت معلوماتهم

بمزيد الاطمئنان، فهذا ما لا يتغير بسرعة، إذ أن حركة الزمان بطيئة، ويضاف لهذا ما لدى الجغرافيين العرب والمسلمين من أمانة في نسبة الأحوال العمرانية إلى أصحابها، ولم يكن لديهم ما يمنعهم من التأكيد على أن بعض المدن والقرى هي مواضع قديمة "أزلية" والإشارة إلى بناتها الأصليين من روم وغيرهم.

ومن المصادر الجغرافية المتأخرة أيضاً: كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، وهو معاصر لابن العديم وصديق له، وبينهما إفادات مشتركة، وقدم ياقوت مادة قيمة وجامعة لنصوص من سبقه من الجغرافيين واستعان ــ كما هو منهجه ــ بما ورد في كتب التاريخ والتراجم في التعريف بالكثير من المواضع التابعة للجند، واستفاد من إقامته الأولى في حلب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، ثم عودته إليها سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، وبقائه بها حتى وفاته بعد أن طوف في مواضع عديدة من أقاليم الدولة الإسلامية حتى انتهى به المقام بحلب وصنف فيها كتابه "المعجم"، وقد نسب تبعية أغلب مدن وقرى جند قنسرين إلى حلب، وهو لا يلام على ذلك لأن شهرتها في القرنين السادس والسابع الهجريين طغت على قنسرين التي خربت وتناقص عمرانها بينما تطورت حلب واتسعت، وثمة أمر اقتضى من الباحث الحذر في تناول مادة ياقوت، ذلك أن ياقوت كثيراً ما يستند في ذكره للمدن على أشعار قيلت في مدح أمراء بني حمدان وغيرهم وتخليد فتوحاتهم، وهذه فترة لاحقة على زمن الدراسة، فيصعب عندها البت في إرجاعها إلى الحقبة التي تتناولها الدراسة.

كما استفادت الدراسة من كتاب ياقوت المعنون بــ"الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة"، وساهم ــ إلى جانب معجم البلدان ــ في رصد الأديرة الواقعة في جند قنسرين، خصوصاً وأن كتاب الديارات للشابشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) لم يذكر من أديرة الشام سوى دير واحد هو دير البخت.

ومن المؤلفات التي جمعت بين الجغرافية والتاريخ كتاب الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة لابن شدّاد الحلبيّ (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وقد تضمنت مادته ــ برغم حداثتها مقارنة بالفترة موضع البحث ــ معلومات غنية في كافة النواحي التي تناولتها الدراسة.

كتب الأدب ودواوين الشعر:

اشتملت كتب الأدب على إفادات متنوعة لا يمكن حصرها في جانب معين، فهي تتضمن ــ إضافة إلى النصوص النثرية والشعرية ــ معلومات تاريخية قد لا توجد في غيرها من المؤلفات، ومن هذه المؤلفات أعمال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في رسائله وكتابه البيان والتبيين، وأيضاً كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، وغيرها الكثير.

ويكاد ديوان الشاعر الصنوبري الحلبي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) يكون الديوان الوحيد الذي ارتكزت عليه الدراسة بشكل كبير خصوصاً في الجانب الزراعي والعمراني، وبدرجة أقل في بعض جزئيات البحث، وقد جاء التركيز على أشعاره لثلاثة اعتبارات: أولاً لأنه من أهل حلب وعاش في أواخر الفترة التي تتناولها الدراسة، وثانياً: لدقة أوصافة ومباشرة ألفاظه بما قدم من صورة واضحة المعالم عن المواضيع التي تناولها وخدمت الدراسة، وأخيراً: لاهتمامه بذكر عناصر الطبيعة والبيئة، ثم إنه الوحيد من أهل حلب وساكنيها في تلك الفترة ممن وصلنا قسم كبير من مجموع أشعاره.

أما الدراسات الحديثة:

فقد استفاد الباحث من عدد كبير منها، كل واحدة منها خدمت جانباً من البحث، وأكثر الدراسات التي استأنس الباحث بها هي دراسة إحسان عباس بعنوان: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٢٥٥هـ/ ٧٥٠ ــ ٨٧٠م)، وهي دراسة شملت الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عموم بلاد الشام خلال تلك الحقبة، وقد أتاحت للباحث مواكبة الأحوال المذكورة في أجناد الشام وملاحظة ما تميز به جند قنسرين عن بقية الأجناد. وأيضاً دراسة عبد العزيز الدوري وعنوانها: العصر العباسي الأول "دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي".

كما استفاد الباحث أيضاً من الدراسات المختلفة التي تضمنتها أوراق وأعمال مؤتمرات لجنة تاريخ بلاد الشام، خصوصاً المؤتمر الدولي الخامس وكان موضوعه: "بلاد الشام في العصر العباسي"، إضافة إلى الدراسات والبحوث المنشورة في حولية دائرة الآثار السورية ومجلة عاديات حلب واللتين كان لهما اعتناء بالجهود الأثرية في سوريا بما أتاح للباحث الإطلاع على الحالة العمرانية في شمال الشام على امتداد العصور.

وساهمت المادة التي تضمنها كتاب "المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري" في معرفة المواضع التي كانت تتبع لجند قنسرين وتحديد موضعها على الخارطة الحديثة، ومعرفة المسافات فيما بينها.

الفصل الأول: الجغرافية التاريخية لجند قنسرين

مدخل:

كانت المنطقة الشمالية من بلاد الشام جزءاً من الإمبراطورية الرومانية قبل أن يتم للمسلمين فتح الشام وكانت تسمى سورية الأولى من أصل ثمان وحدات إدارية حسب التنظيمات والتقسيمات الرومانية أواسط القرن السادس الميلادي(١)، وكانت قنسرين هي عاصمة سورية الأولى هذه(٢)، وبلغت درجة عالية من الازدهار والتحصين في فترة ما قبل الإسلام، واكتسبت أهميتها من كونها تقع على ملتقى الطرق التجارية القديمة الواصلة بين بلاد ما بين النهرين والبحر الأبيض المتوسط، فكانت في القرن الرابع الميلادي مركزاً تجارياً هاماً يشتمل على أسواق مزدهرة(٣).

ويذكر ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) أن تاريخ بناء قنسرين وحلب قريب من بعضه في عهد البطالمة، ويجعل بناء قنسرين تالٍ لبناء حلب، ويرجع بناء حلب إلى فترة حكم الملك الإسكندر بطلميوس الأريب (ت ٢٨٣ ق. م)(٤)، وبناء قنسرين إلى عهد بطلميوس الرابع "المحب لأبيه" (ت نحو ٢٠٠ ق.م)، وأنه سماها "مدينة العسكر" ونقل الأسواق من حلب إليها(٥)، لكن الوطواط (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) يجعل قنسرين أقدم بناءاً من حلب، وأنها كانت قصبة الإقليم قبل حلب(٦).

وعندما دخل المسلمون قنسرين سنة ١٧هـ/ آب ــ أيلول ٦٣٨م كانت أكثر سكاناً من حلب، لأن صاحب حلب جار على أهلها وأخذ أموالهم وغلاتهم فتفرق أغلبهم ولم يبق بالبلد إلا الضعفاء، ولذلك التمس أهل حلب من أبي عبيدة أن يصالحهم على نصف ما صولح عليه أهل قنسرين(٧).

وكانت قنسرين وحلب في صدر الإسلام جزءاً من جند حمص أحد أجناد الشام الأربعة التي

---

(١) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، (تحقيق) محمد كمال، فالح البكور، دار القلم العربي، حلب، ١٩٨٩م. ص ٢٦، وسيشار له فيما بعد: أبو الفداء، اليواقيت والضرب، زيادة، نقولا، شاميات، دراسات في الحضارة والتاريخ، رياض الريس، لندن، ١٩٨٩م، ص ٩٤، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: زيادة، شاميات

(٢) زيادة، شاميات ص ٩٨

(٣) Elisseeff. N, Kinnasrin, The Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Leiden, Brill, ١٩٨٦, Vol V, p ١٢٤.

(٤) ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، (تحقيق) سهيل زكار، ٢مج، دار الكتاب العربي، دمشق ــ القاهرة، ١٩٩٧م. ج١، ص ٣٩، وسيشار له فيما بعد: ابن العديم، زبدة الحلب

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٢

(٦) الوطواط، جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، مناهج الفكر ومباهج العبر، مخطوط محفوظ بمكتبة السليمانية ــ إستانبول برقم ٤١١٦ (مجموعة فاتح)، ٢ مج، نشره بالتصوير فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت بألمانيا، ١٩٩٠م. ج١، ص ٣٦٢، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: الوطواط، مناهج

(٧) الواقدي، محمد بن عمر السلمي، أبو عبد الله (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، فتوح الشام (منسوب له)، (تحقيق) صالح درادكة، (٢ج في ١مج)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد (الأردن)، ٢٠٠٧م. ج٢، ص ٣٦٣، وسيشار له فيما بعد: الواقدي، فتوح الشام.

تتألف ــ إضافة لحمص ــ من جند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين، ثم وقع فصل قنسرين عن جند حمص وإفرادها في جند مستقل أثناء حكم بني أمية، الذين اتخذوا من بلاد الشام قاعدة لهم، ودمشق عاصمة لدولتهم، فاستأنفت الدولة الناشئة مسيرتها في الفتوحات والتوسع، واستمرت المواجهات أيضاً في شمال بلاد الشام مع الروم في حملات شبه منتظمة: شواتي وصوائف، وكانت قنسرين ــ عندما كانت جزءاً من جند حمص وبعد الفصل ــ منطلقاً ومعسكراً لتجييش المقاتلة.

١ــ التسمية

تسمية قنسرين:

أرجعت بعض المصادر التسمية إلى أصل عربي، وعرضت لمعناها، فالقِنَّسْر والقِنَّسْرِيّ: الكبير المُسِنّ الذي أتى عليه الدهر، استشهاداً بقول رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥هـ/ ٧٦٢م):

أطَرَباً وأنتَ قِنَّسْرِيٌّ والدَّهْرُ بالإنسان دَوّارِيُّ

وكل قديم قِنَّسْرٌ، وقد تقنسر وقَنْسَرَتْه السِّنُّ، ومن قولهم للشيخ إذا كبر: قد قَنْسَرَه الدهر[1].

وقيل في سبب تسميتها بهذا الاسم أن ميسرة بن مسروق العبسي الذي أرسله أبو عبيدة لتتبع فلول الروم، مرَّ على قنسرين فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قِنُّ نَسر، فسميت بذلك"[2].

وسيراً على منهجهما في إيراد كل الأقوال والروايات فقد ذكر ياقوت وابن العديم زعم من قال إن قنسرين لم يكن اسمها قديماً كذلك، وإنما كان اسمها بالعبرانية صوبا[3]، وهذا الرأي الأخير تبناه الوطواط وجعلها مدينة رومية قديمة وأنها كانت تسمى صوبا، وإنما العرب سمتها بهذا الاسم لما قدموا عليها؛ قالوا: كأنها قن نسر[4]. بينما أشار بنيامين التطيلي أن "آرام صوبة" المذكورة في التوراة هي حلب[5]. وقد وقع هذا الخلط لدى المتقدمين في جعل قنسرين هي صوبا نتيجة لكونها أصبحت في العهد الإسلامي قاعدة للجند (أي عاصمته ومركزه الرئيسي)، تماماً مثل صوبا عاصمة

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٠٣، ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، (تحقيق) سهيل زكار، (١٢ج)، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ج١، ص ٧٠، وسيشار له فيما بعد: ابن العديم، بغية الطلب، ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ٣ج، دار لسان العرب، بيروت، ٢٠٠٥م، مادة: قنسر، الزبيدي، تاج العروس، مادة قنسر

(٢) الأزدي، محمد بن عبد الله البصري (ت نحو ١٦٥هـ/ ٧٨٢م)، فتوح الشام، (صححه) وليم ناسوليس الإيرلاندي، بتست مشن، كلكتا، ١٨٥٤م، ص ٢١٤، وسيشار له فيما بعد: الأزدي، فتوح الشام، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٠٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٩.

(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٨٢، ٢٨٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٩

(٤) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢

(٥) التطيلي، بنيامين بن يونه النباري الأندلسي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، (تحقيق وترجمة عن العبرية) عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م. ص ٢٧٩، وسيشار له فيما بعد: التطيلي، رحلة. وانظر ذكر آرام صوبة في التوراة: سفر صموئيل الأول ١٤: ٤٧، صموئيل الثاني ١٠: ٨

المملكة الآرامية القديمة المعرفة بمملكة صوبا أو آرام صوبا، وصوبا هي بلدة عنجر في لبنان قرب الحدود السورية[١]. بينما يرى إليسف وجونز أن قنسرين هي ذاتها المدينة المسماة خالقيس (خالكيس) التي تأسست في الأزمنة القديمة على يد سلوقس نيكاتور[٢]. والكلام الفصل فيها ما ذكره سترابون (ت ٢١م)، يقول بعد ذكره للسهل الساحلي على البحر الأبيض المتوسط: "بعد سهل ماكراس يوجد سهل ماسيِّاس (سهل البقاع) الذي به بعض الجبال، حيث توجد خالكيس التي تعد أكروبوليس لماسيّاس، وبداية هذا الإقليم من لاوديكيا (اللاذقية) قرب جبل ليفانوس (لبنان)"[٣]، فتحديد سترابون لخالكيس يجعلها في سهل البقاع، وهو يتوافق مع الرأي الذي جعل صوبا هي عنجر في سهل البقاع. وأخيراً يجدر القول أن خالقيس اسم إغريقي معناه النحاس[٤] ومعنى صوبا: اللون الأحمر أو النحاس[٥] بما يؤشر إلى أن خالقيس هي ذاتها صوبا.

وليس من بين الأقوال المتقدمة ما يقطع الشك باليقين في أصل تسمية قنسرين أو في نسبتها للعرب أو مَن سبقهم من الأمم التي خضعت لها المنطقة، بل إن مؤرخاً مثل جونز يذكر أن قنسرين هي ذاتها خالقيس[٦]، بمعنى أن اسمها تغير في فترات لاحقة، لكنه يذكر في موضع آخر من كتابه أن قنسرين مذكورة باسمها هذا في التلمود وأنها معروفة به قبل الفتح الإسلامي[٧].

والغالب على أصل التسمية أنها لفظ سرياني مركب من مقطعين (قن) ومعناه: عش أو وكر، و(نسرين أو نشرين) ومعناه: النسور[٨]، وأن اسم قنسرين موجود قبل الفتح الإسلامي لها عام ١٧هـ/ ٦٣٨م، يعضد هذا ورود التسمية في الحديث النبوي الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن

---

(١) عبودي، هنري . س، معجم الحضارات السامية، طرابلس (لبنان)، جروس برس، ١٩٨٨م. ص ٣٨٥، ٥٥٢، ٦٢٤، وسيشار له فيما بعد: عبودي، معجم الحضارات

(٢) جونز، أ. هـ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية (ترجمة) إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧م. ص ٨، ١٧، وسيشار له فيما بعد: جونز، مدن بلاد الشام.. Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤

(٣) سترابون، (مؤرخ وجغرافي إغريقي ت ٢١م)، جغرافية سترابون، "الكتاب السادس عشر في وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية"، (ترجمه عن الإغريقية) محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي (ليبيا)، ٢٠٠٦م. ص ٥١، وسيشار له فيما بعد: سترابون، جغرافية.

(٤) عبودي، معجم الحضارات ص ٣٨٦

(٥) عبودي، المرجع نفسه ص ٥٥٢

(٦) جونز، مدن بلاد الشام ص ٨

(٧) جونز، المرجع نفسه، ١٨، ولم نجد أثراً لما قاله في التلمود، انظر الترجمة العربية للتلمود: التلمود، (ترجمة) أحمد إيبش، (تقديم) سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦م.

(٨) ساكا، إسحق، كنيستي السريانية، ط٣، (د.ن) (د.م)، ٢٠٠٧م، ص ٧٨، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: ساكا، كنيستي السريانية، زكرياء، أحمد وصفي، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م. ص١٧٥، وسيشار له فيما بعد: زكرياء، جولة أثرية، طلاس، العماد مصطفى، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ٥مج، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٩٠ــ ١٩٩٣م. ج٤، ص ٣٦٤، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: طلاس، المعجم الجغرافي، .Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤

الله عز وجل أوحى إليَّ أيَّ هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك: المدينة، أو البحرين، أو قنسرين"[١]. وقرأ ابن العديم في بعض كتب تواريخ القدماء أن سلوقوس، وهو الملك الأول بعد الإسكندر، بنى فامية وحلب وقنسرين[٢]. فهذا دليل على قدم التسمية قبل العرب وأنهم لم يستحدثوها، خصوصاً وأن العرب كانوا مقلين في إطلاق التسميات على المواضع والأماكن[٣]، خاصة تلك التي تحمل أسماءً وليست مجهولة، إلا بتخفيف لفظها إذا كانت لفظة صعبة النطق فيحصل أن تخفف أو يتم تعريبها ــ بمرور الزمن ــ بما يوافق سهولة النطق، كما كانوا أمناء أيضاً في نسبة المدن القديمة إلى أصحابها فيتكرر في كتب الجغرافيين الإشارة إلى المدينة أو القرية بأنها "أزلية" أو "من بناء الأول".

ويرى الباحث أن تسمية قنسرين لم تكن لمركز الجند الذي كانت على بقعته تقوم المدينة، وإنما كانت الشهرة لدير يقع في الجهة الشرقية من نهر الفرات، من نواحي جرابلس (كركميش حالياً)[٤]، ويبعد عن منبج اثنا عشر ميلاً[٥]، اسمه دير قنسرين، وبالسريانية: دير قِنّشرا، وسماه ياقوت: دير قِنسري، وكان له من الشهرة وذيوع الصيت منذ إنشائه عام ٥٣٠م القدر الكبير، لدوره في الحركة العلمية والتعليمية، ولمكانته الثقافية حتى أصبح مركز إشعاع للثقافة اليونانية والسريانية خصوصاً عند النصارى في التعاليم الكنسية الدينية والأسفار[٦]، وفيه كانت تدرس اللغة اليونانية على يد مترجم الكتب سابوخت تلميذ ساويرا[٧]، وتدرس الكتب اليونانية والسريانية ويتم قراءتها، وكان أغلب الأساقفة والقديسين في الجزيرة وجند قنسرين هم ممن تعلموا فيه وتخرجوا منه[٨]،

---

(١) الترمذي، الإمام محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، الجامع الكبير، (تحقيق) بشار عواد معروف، ط٢، ٦مج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م. ج ٦، ص ٢٠٦

(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٧٣، ٨٤

(٣) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، (ترجمة) بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت)، ص ٣٧، وسيشار له فيما بعد: لسترنج، بلدان الخلافة

(٤) برصوم، أغناطيوس أفرام الأول، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ط٣، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٦م، ص ٥١٣، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: برصوم، اللؤلؤ المنثور، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٦٤٩

(٥) الشمشاطي، الحسن بن علي بن محمد (من أهل القرن ٤هـ/ ١٠م)، كتاب الديرة، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م. ص ٣٨٣، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الشمشاطي، الديرة

(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٨

(٧) مارميخائيل، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٦٤

(٨) الزوقنيني، الراهب السرياني (كان حياً سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، تاريخ الزوقنيني، (ترجمه من السريانية) بطرس قاشا، المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠٦م. ص ١٠٩، وسيشار له فيما بعد: الزوقنيني، تاريخ، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٨ نقلاً عن ديونيسيوس

وكان البطريرك المؤرخ ديونيسيوس التلمحري راهباً فيه قبل أن يتم انتخابه بطريركاً سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م[١]، وعندما توفي سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م دفن فيه[٢]. ويدل على ضخامته أنه كان يضم ٣٧٠ راهباً[٣]، وذكر ياقوت أنه وُجِدَ في هيكله بيتان من الشعر يدلان على مدى استفاضة شهرته:

أيا دير قنسري كفى بك نزهة ... لمن كان بالدنيا يَلَذُّ ويطربُ
فلا زلت معموراً ولا زلــت آهلاً ... ولا زلت مخضراً تُــزار وتُعْجِبُ[٤]

والقاعدة عند العرب أن يسموا عاصمة إقليم ما باسم ذلك الإقليم[٥]، مثل إطلاقهم لفظ ســوريا على الشام الأولى، وكانت سوريا مدينة قديمة بها آثار بناحية الأحص[٦]، وإطلاق لفظ البلقاء علــى منطقة واسعة من جند دمشق، وإطلاق الرملة على فلسطين، وإطلاق الشراة على بقعة واسعة مــن جند فلسطين ــ وقيل من جند دمشق ــ، فالتسمية إذن لم تكن مستحدثة من ميــسرة بــن مــسروق العبسي، لكن لما كانت شهرة دير قنسرين غالبة في تلك النواحي أطلقوا على الجند أو الإقلــيم اســم قنسرين، واتخذوا موقع مدينة قنسرين مسلحة لهم في مواجهة الروم، ثم أخذت شهرتها تزداد وتعظم خصوصاً بعد فصلها في جند مخصوص.

وتقوم اليوم على أنقاض قنسرين بلدة العيص (العيس)، نسبة إلى جبل النبي عيص المطل على خربة مدينة قنسرين[٧]. وكان أهل العيص نقلوا الكثير من حجارتها لاستخدامها في بناء منازلهم[٨].

الأجناد:

حاول بعض المؤرِّخين والجغرافيّين تفسير هذا المصطلح الذي تفردَّت به بلاد الشام دون غيرها، قال البلاذري: "اختلفوا في الأجناد، فقيل: سمّى المسلمون كلّ واحد من أجناد الشام جُنداً، لأنه جمع كوراً، وقيل: سمّيت كل ناحية لها جُند يقبضون أطماعهم بها جُنداً"[٩]. وقال ياقوت:

---

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٢
(٢) مارميخائيل، المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٢
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠٩ (هامش المحقق رقم ٥)، ياقوت بن عبد اللّــه الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، (تحقيق) يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران، ٢ج، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م. ج٢، ص ١٦٤، وسيشار له فيما بعد: ياقوت، الخزل والدأل، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٢٩، برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ٥١٣
(٤) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٦٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٢٩
(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ٣٧
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٣٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٢٦
(٧) زكرياء، جولة أثرية ص ١٧٤ ــ ١٧٥
(٨) زكرياء، المرجع نفسه ص ١٧٨
(٩) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، (تحقيق) رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص١٣٨، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: البلاذري، فتوح، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٠٣، وفيه: أعطياتهم

"والتَّجنُّد على هذا: التجمُّعُ، وجَنَّدْتُ جُنْداً أي جمعتُ جمعاً. وقيل: سمّى المسلمون لكل صقع جُنداً بجُندٍ عُيّنوا له، يقبضون أعطياتهم فيه منه، فكانوا يقولون: هؤلاء جندُ كذا حتّى غلب عليهم وعلى النَّاحية ... ولم يبلغني أنّهم استعملوا ذلك في غير أرض الشَّام..."[١].

وأرجع بعض الجغرافيين العرب المتأخرين كالوطواط[٢] ومعاصره شيخ الربوة[٣] وابن الشحنة[٤] تقسيم الأجناد الرباعي (قبل أن يصبح خماسياً بفصل قنسرين) إلى الإرث الروماني؛ وأن الشام في أثناء حكم الرومان كانت مقسّمة إلى أربعة أقسام: قسم قصبته حمص، وقسم قصبته دمشق، وقسم قصبته طبرية ويسمى الأردن، وقسم قصبته إيليا ويسمى فلسطين، وكان لهم في كل عمل بطريق (قائد) يحفظه. فلما جاء الإسلام ووجه أبو بكر لفتح الشام، أرسل إلى كل عمل من هذه الأعمال أميراً، فسميت هذه الأعمال يومئذ أجناداً.

والمسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) وإن لم يربط بين تسمية الأجناد والتقسيم الإداري الرومي لكنه ذكر ذلك في إطار المقارنة، يقول: "أرض الروم أرض واسعة، مقسومة في قديم الزمان على أربعة عشر قسماً: أعمال مفردة تسمي البنود كما يقال: أجناد الشام كجند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين. غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد وأطول"[٥].

وتابع لسترانج وحتي ودافيز كلاً من الوطواط وشيخ الربوة في إرجاع فكرة التقسيم الرباعي إلى الإرث الرومي[٦]، أي إلى نظام البنود البيزنطي (Thema) القائم على أساس وجود وحدات

---

(١) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٨، وبالرغم من أن الإشارة إلى الأجناد غالباً ما تتعلق ببلاد الشام إلا أن التعميم الذي أطلقه ياقوت له ما يناقضه في الإشارة التي أوردها علي بن عيسى بن الجراح في قائمته المالية، وفصّل فيها "خراج المغرب وأجناده بعد الاحتسابات... وسوى مقاطعة برقة...". انظر: ابن الجراح، علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، قائمة علي بن عيسى بن الجراح المالية (٣٠٦هـ/ ٩١٨ ــ ٩١٩م). (تحقيق) يوسف أحمد بني ياسين وعصام مصطفى عقلة. المجلة الأردنية للتاريخ والآثار (عمان/ الأردن)، مج ٢، ع ٢، جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ/ حزيران ٢٠٠٨م، ص ٥٠، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: ابن الجراح، قائمة علي بن عيسى.

(٢) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١

(٣) شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى (د.ت). ص ١٩٢، وسيشار له فيما بعد: شيخ الربوة، نخبة الدهر

(٤) ابن الشحنة، محمد بن محمد الحلبي (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، (تحقيق) يوسف بن إليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م. ص ٩، وسيشار له فيما بعد: ابن الشحنة، الدر المنتخب

(٥) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، التنبيه والإشراف (باعتناء) م.ج دي غويه، بريل، ليدن، ١٨٩٣م، ص ١٧٦، وسيشار له فيما بعد: المسعودي، التنبيه

(٦) Le strange, Guy, Palestine Under The Moslem, Alexander Watt, London, ١٨٩٠. P ٢٦, Davies, C. Collin, DJUND, The Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Leiden, Brill, ١٩٦٥, Vol II, p ٦٠١ حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (ترجمة) جورج حداد وعبد الكريم رافق، (مراجعة) جبرائيل جبور، ط٣، ٢ج في مج، دار الثقافة، بيروت، (د.ت) ج٢، ص ٢١ ــ ٢٢، وسيشار له فيما بعد هكذا: حتي، تاريخ سورية.

عسكرية تحكم هذه المناطق[١]، وقسمت بموجبه سورية إلى سبعة أقسام أو وحدات هي: سورية الأولى ومركزها أنطاكية وسوريا الثانية ومركزها أفامية، وفينقية الأولى ومركزها صور وفينيقية الثانية ومركزها حمص، أما فلسطين فكانت مقسمة إلى ثلاث وحدات هي: فلسطين الأولى ومركزها قيسارية وفلسطين الثانية ومركزها بيسان وفلسطين الثالثة ومركزها البتراء[٢].

ويرى الباحث أن لا علاقة للتقسيم الروماني بالأجناد، ولو كان تقسيم الأجناد معتمداً على الأرث القديم لقسمت بلاد الشام إلى سبعة أجناد وليس أربعة، ولكن الأرجح أن التسمية اقترنت بالبعوث الأربعة الأولى التي أرسلها الخليفة أبو بكر لفتح الشام في السنة التي توفي فيها (سنة ١٣هـ)، فقد أرسل إلى كل عملٍ من أعمال الشام جنداً وجعل عليهم أميراً؛ فبعث إلى حمص أبا عبيدة بن الجراح، وإلى دمشق يزيد بن أبي سفيان، وإلى الأردن شرحبيل بن حسنة وإلى فلسطين عمرو بن العاص[٣] ومن هنا كانت الأجناد.

الثغور:

ومعنى **الثغر:** الموضع القريب من أرض العدو[٤]، مأخوذ من الثُغرة وهي الفرجة في الحائط، وقيل: الثغر ما يلي دار الحرب أو موضع المخافة من فروج البلدان، ومعناه في الاصطلاح هو: الموضع الذي يكون فاصــلاً بين بلاد المسلمين والكفار وموضــع المخافة من أطراف البلاد[٥].

وتقع الثغور الجزرية الشامية ضمن جند قنسرين، وهناك ثغور شامية أخرى تتبع لبقية الأجناد وتسمى الثغور الساحلية، أو الثغور البحرية؛ منها ما يقع ضمن جند دمشق مثل: عرقة وطرابلس وجبيل وبيروت، وثغور جند حمص: انطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة، وثغور جند فلسطين وهي: عسقلان، ويافا. وثغور جند الأردن: عكا وصفورية وصور التي كانت تصنع فيها المراكب، ومنها مخرج الأسطول لغزو الروم.

---

(١) خماش، نجدة، الإدارة ونظام الضرائب في الشام في عصر الراشدين، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، (تحرير) عدنان البخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٧م، مج٢، ص ٤١٤، وسيشار له فيما بعد: خماش، الإدارة. Shahid, Irfan, The Jund System in Bilad al-Sham, "in: Proceedings of the Symposium on Bilad al-Sham During the Byzantine Period", edt by: Bakhit and Asfour, Amman. ١٩٨٦, P ٤٦

(٢) حتي، تاريخ سورية ج١، ص ٣٨٨ ـــ ٣٨٩،. زيادة، نقولا، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنون: "بلاد الشام في العهد البيزنطي"، الندوة الأولى (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، عمان، ١٩٨٦م، ص ١١٨ ـــ ١١٩

(٣) البلاذري، فتوح ١١٥ـــ ١١٧، الطبري، تاريخ ج٣، ص ٣٩٠ـــ ٣٩٢، ٣٩٤، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٠

(٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، (تحقيق) إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٤٣، وسيشار له فيما بعد: الخوارزمي، مفاتيح العلوم.

(٥) ابن منظور، لسان العرب والزبيدي، تاج العروس، مادة: ثغر.

العواصم:

أما **العواصم** فهي من العصمة: أي المنع، والعواصم جمع عاصم وهو: المانع الحامي(١)، وهي تقع خلف الثغور كأنها تعصمها وتحميها(٢)، عبارة عن "حصون موانع قصبتها أنطاكية(٣)، وقيل: منبج(٤)، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال"(٥)، وسميت بهذا لأن المسلمين يعتصمون بها في ثغورهم فتعصمهم بما فيها من رجال(٦)، "وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر"(٧)، وأن أهل الثغور كانوا "يعتصمون بها إذا حزبهم (أصابهم) أمر من العدو"(٨). ويلاحظ الاختلاف في ذكر مركز العواصم بين منبج في أقصى شرق الجند على الفرات وبين أنطاكية في أقصى الغرب قريباً من البحر الأبيض. ولعل مركز العواصم كان يتنقل بين هاتين المدينتين وفقاً لظروف الحرب بين المسلمين والروم وحسب طبيعة الهجوم الرومي المفترض فربما كانت منبج هي المركز إذا تعرضت الثغور الجزرية للهجوم، وإذا كانت المستهدفة الثغور الشامية فتكون أنطاكية.

٢ــ الموقع الجغرافي والحدود

حدّد الجغرافيون العرب موضع جند قنسرين في الإقليم الرابع حسب التقسيم السباعي لأقاليم المعمورة، وجند حمص في الجنوب منه في الإقليم الثالث(٩)، وجعل المسعودي الشام في الإقليم

---

(١) ابن منظور، لسان العرب مادة: عصم، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥

(٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ١٤٣

(٣) الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت بعد ٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن ١٩٣٧م. ص ٦٢، ابن حَوْقل، مُحمّد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨ــ ١٩٣٩م، ص ١٧٩، ١٨٧، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٦، ج٤، ص ١٦٥

(٤) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٥

(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥

(٦) قدامة، الخراج ص ١٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥، ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الأول، القسم الأول (تحقيق) يحيى عبَّارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، والقسم الثاني (تحقيق) آن ماري إده منشور في مجلة المعهد الفرنسي (Buletin d'etudes Orientales, Tomes ٣٢-٣٣, Annees ١٩٨٠ -١٩٨١, Damas ١٩٨٢)، ج١، ق١، ص ٢٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣

(٧) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥

(٨) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق٢، ص ٨٤

(٩) ابن رستة، أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣م. ص ٩٧، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن رستة، الأعلاق، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٦٠، المهلبيّ، الحسن بن أحمد (ت بعد ٣٨٦هـ)، الكتاب العَزيزيّ أو: "المسالك والممالك"، (جمع) تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦م. ص ٨٤، البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، (تحقيق) أدريان فان ليوفن، أندري فيري، ٢مج، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة، ١٩٩٢م. ج١، ص ١٨٤، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣١، ١٣٣، ٢٦٦، ج٥، ص ١٤٥، ١٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٩، ٧٩، ٤٤٣.

الخامس[١]، وتدخل أغلب مدن العواصم ضمن الإقليم الخامس[٢].

إن الإطار الجغرافي لجند قنسرين، والذي ستتناوله الدراسة، يشمل جند قنسرين مضافاً إليه الثغور الجزرية والثغور الشامية وما أطلق عليه هارون الرشيد اسم العواصم، ذلك أن هذا الإطار هو الذي كان متَّبعاً في جباية الخراج، كما يدل على ذلك ما وصلنا من قوائم خراجية، منها قائمة عمر بن مُطَّرف الكاتب لسنة ١٧٠هـ/ ٧٨٧م[٣] وقائمة قدامة بن جعفر لسنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م[٤] وقائمة علي بن عيسى بن الجراح لسنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م[٥]، وأيضاً ما ورد عند ابن خرداذبة (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) واليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥م) في ذكرهما لخراج قنسرين والعواصم[٦]، والمسعودي عرّف أنطاكية[٧] وحلب وخساف بأنها من بلاد قنسرين والعواصم[٨]، ثم إنَّ هارون الرشيد لما فصلهما لم يخرجها عن الإضافة[٩] ولم يقم بتعيين والٍ مفرد لكل منهما، فبقيت تجمع لوال واحد، وقد اختلفت المصادر الجغرافية في نسبة المواضع إلى قنسرين أو إلى الثغور والعواصم، فابن خرداذبة يذكر بعض المدن من قنسرين ويجعلها في موضع آخر من العواصم أو الثغور[١٠]، وذكر أنطاكية مرة من العواصم، وأخرى من الثغور الشامية[١١]. وفي تقسيم الإصطخري وابن حوقل لأجناد الشام فقد أشارا إلى "جند قنسرين والعواصم والثغور" كوحدة إدارية واحدة[١٢]، وأشارا إلى أن الثغور "لا قصبة لها، وكل مدينة قائمة بنفسها"[١٣]. وتشكك ياقوت في زعم مَن قال بأن

---

(١) المسعودي، مروج ج١، ص ١٠٠

(٢) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٦، البكري، المسالك ج١، ص ١٨٤، سهراب (ت ق ٤هـ/ ١٠م)، عجائب الأقاليم السَّبْعة إلى نهاية العمارة، (تحقيق) هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا، ١٩٢٩م. ص ٣٤، وسيشار له فيما بعد: سهراب، عجائب الأقاليم، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ١٣١، ٣٦٢

(٣) الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، كتاب الوزراء والكتّاب، (تحقيق) مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م. ص ٢٨١، ٢٨٦، وسيشار له فيما بعد هكذا: الجهشياري، الوزراء والكتاب.

(٤) قدامة، الخراج ص ١٧٧، ١٨٤ وفيه: أعمال جند قنسرين والعواصم

(٥) ابن الجراح، قائمة علي بن عيسى ص٥١

(٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي، (تحقيق) خليل المنصور. ط٢، (٢ج في مجلد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م. ج٢، ص ١٦٣، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ

(٧) المسعودي، التنبيه ص ٤٩

(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص٢٨، ١٦٤، ١٦٤

(٩) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ٨٩

(١٠) مثل: مدينتي دلوك ورعبان جعلهما ابن خرداذبة مرة من قنسرين (المسالك ص ٧٥) ومرة أخرى من الثغور الجزرية (المسالك ص ٩٧)، وأيضاً مدينة قُوْرُس، وردت عنده مرة من العواصم (المسالك ٧٥) وأخرى من الثغور الجزرية. (المسالك ٩٧)

(١١) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، ٩٩

(١٢) الإصطخري، مسالك ص ٥٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٨

(١٣) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٦٧، ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٨٧

العواصم ليست من قنسرين، ودليلهم في ذلك هو قولهم "قنسرين والعواصم"، وأن الشيء لا يُعطف على نفسه[١]، ونجده على ذلك يذكر مثلاً قرية تدعى عَنَاذان بقوله "قرية من قرى قنسرين من كورة الأرتيق من العواصم"[٢]، وكان ابن شداد أكثر وضوحاً عندما عدد مدن الجند وجعل الثغور بضمنها[٣] ثم فصّل الحديث عن مدن الجند ومدن الثغور ومدن العواصم.

واستقر فيما بعد في مصنفات الجغرافيين كأبي الفداء[٤] نسبة المواضع إلى جند قنسرين دون الإشارة إلى صفتها: عواصم أو ثغور، وهذا يؤكد أن الوحدة الإدارية لجند قنسرين تشتمل على الثغور الجزرية والشامية والعواصم، وأن اختلاف المسميات لا يرتبط بفصل في التبعية الإدارية وإنما لغايات الوصف وتحديد وضعيتها، بل إن المعري (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) ذكر في رسالة ــ اطلع عليها ابن العديم ــ أن: "الشام خمسة أجناد: جند العواصم؛ منه: حلب وقنسرين، وجند حمص، وجند جِلق، والأردن، وفلسطين"[٥].

وحدود جند قنسرين من الشرق نهر الفرات، الذي يفصله عن أرض الجزيرة، ابتداءً من المجرى الأدنى لنهر شمشاط (نهر أرسناس)، أحد روافد نهر الفرات، والذي يشكل حداً طبيعياً تلتقي عنده حدود الجزيرة مع حدود أرمينية وحدود الشام، ثم يوالي نهر الفرات تحديده لجند قنسرين بالاتجاه نحو الجنوب، مروراً بسميساط وقلعة الروم ثم جسر منبج (قلعة النجم) وبالس (مسكنة حالياً) وصولاً إلى رصافة هشام الواقعة على حدِّ جند قنسرين[٦]، وهذه هي النقطة التي يبتدئ من ورائها جند حمص، ولهذا قيل: "ليس وراء الفرات من الشام غير كورة (جند) قنسرين فحسب، والباقي بادية العرب والشام من ورائها"[٧].

وفي الجنوب يمكن اعتبار الخط المستقيم المار من الرصافة مروراً بمعرة النعمان وصولاً إلى اللاذقية هو الحد الفاصل بين جند قنسرين وجند حمص، مع أنه وقع تنازع بين الجغرافيين في تحديد تبعية معرة النعمان فمنهم من جعلها من قنسرين[٨]، وآخرون عدوها من حمص[٩]، وهناك من

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥
(٢) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦٠
(٣) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ٣
(٤) أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩ ــ ٢٧١
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١
(٦) الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم، أبو زكرياء (ت ٣٣٤هـ)، تاريخ الموصل، (تحقيق) علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م. ص ٥٠، وسيشار له فيما بعد: الأزدي، تاريخ الموصل، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٢٩٥
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٢
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦١، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤، البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩، الإدريسيّ، الشريف مُحمّد بن مُحمّد (ت ٥٦٠ هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م. ج٢، ص ٦٥٢، وسيشار له فيما بعد: الإدريسي، نزهة.
(٩) ابن خرداذبة، المسالك ٧٥، اليعقوبي، البلدان ٣٢٤، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص١٥٦، أبو الفداء، تقويم ٢٦٤

سكت عن تحديد تبعيتها[١]، وحدد اليعقوبي نهاية عمل قنسرين عند مدينة تلمَنَّس[٢]، جنوب معرة النعمان قليلاً (نحو ٥كم) بانحراف إلى جهة الشرق، وجعل قدامة حد الجند ينتهي عند المرج الذي يقع بين قنسرين ومدينة صوران[٣]، ولعله عنى مرج الأحمر، المعروف بتل السلطان[٤] على بعد ٤٧كم جنوب حلب، أما ابن الشحنة فجعل حدود الجند تنتهي في الجنوب عند قرية تسمى القرشية بالقرب من اللاذقية ومنها حتى سلمية[٥]. أما من جهة الغرب فيمثل ساحل البحر الأبيض المتوسط حده الغربي[٦]، ويمتد هذا الساحل من شمال اللاذقية ــ وهي من جند حمص ــ حتى أنطاكية.

وتدخل في حده الغربي جزيرة قبرس إحدى الجزر التي افتتحها المسلمون، وهي تحاذي مدينة جبلة في وسط البحر الشامي، وكانت قسمين: نصف للروم ونصف للمسلمين لهم بها أمير وحاكم[٧]، ويدفع أهلها الجزية لكلا الطرفين[٨]، ويلفت النظر أن ابن خرداذبة ذكرها ضمن جزائر الروم[٩]، إذ أنها خضعت بشكل كامل للروم في منتصف القرن الرابع الهجري بعد أن استخلصها الروم واستصفوها[١٠]، وكانت لقبرس أهمية إستراتيجية وتجارية وفيها سعة لكثرة ما كان يحمل منها من الخيرات والثمار والثياب والآلات، والمسافة إليها في البحر يوم وليلة[١١]. وقد جمعت الجزيرة من الناحية الإدارية أحياناً لمن يتولى جند دمشق والأردن كما حدث في عهد المهدي والهادي والرشيد[١٢].

أما **الثغور الجزرية** فهي من الشام وليست من الجزيرة ــ كما تشي بذلك التسمية ــ إنما أطلق عليها لفظة "الجزرية" لأن جُلّ من يرابط فيها من المطوعة هم من أهل الجزيرة[١٣]، وهي

---

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤، الحميري، الروض ص ٥٥٥

(٢) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٣، وتلمنس من جند حمص. انظر: ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٤

(٣) قدامة، الخراج ص ١٢٧ ــ ١٢٨.

(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٥١٩

(٥) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٠، ١٥٨

(٦) ابن الشحنة، المصدر نفسه، ص ١٠

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (من أهل ق ٤هـ)، المنتخب من تاريخ المنبجي، (تحقيق) عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، طرابلس (لبنان) ١٩٨٦م. ص ٣١، ٧٨، وسيشار له فيما بعد: المنبجي، المنتخب، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٦

(٨) ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، ٩ج، مجلس المعارف العثمانية، حيدرأبادالدكن، الهند. ج٢، ص ١١٩، وسيشار له فيما بعد هكذا: ابن أعثم، الفتوح، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٦

(٩) ابن خرداذبة، المسالك ص ١١٢

(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٠٣

(١١) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ١٢٤، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٣

(١٢) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق) محب الدين عمر بن غرامة العمروي، ٨٠مج، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ ــ ٢٠٠٠م، ج ٦، ص ٤٤٦، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن عساكر، تاريخ.

(١٣) الإصطخري، مسالك ص ٥٥، ٧٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٨، مجهول (مؤلف من أهل القرن الرابع الهجري)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، (طبعة مزيدة ومنقحة)، (تحقيق) يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص ١٧٥، وسيشار له فيما بعد: مجهول، حدود العالم، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٤، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

تبتدئ من ملطية[١] في أعلى الثغور إلى شمشاط في الشمال الشرقي على حدود أرمينية نزولاً نحو سميساط ثم يمر بالنقطة التي ينعطف فيها نهر الفرات جنوباً من ناحية قلعة الروم، ثم جسر منبج (قلعة النجم)، وربما تدخل بضمنها مدينة بالس (مسكنة) في قول بعضهم[٢]، ثم باتجاه الغرب فوق مدن جند قنسرين حتى اتصالها بالثغور الشامية عند مدينة قُوْرُس، ثم شمالاً حتى حصن الهارونية، وينتهي حد الثغور الجزرية في جهة الشمال الغربي بحصن الحدث[٣].

وتشمل **الثغور الشامية** المواضع التي تقع إلى الشمال من جند قنسرين بانعطافة إلـى جهـة الغرب فوق البحر الشامي على هيئة الهلال، فتدخل من ناحية بلاد الروم على لسان ممتد في لحـف جبال طوروس، يعترضها نهرا جيحان وسيحان. وكان هذان النهران يمثلان في صدر الإسلام حـد بلاد الروم، وكان أقصى إيغال للعرب والمسلمين في ناحية الشمال حتى القرن الثالث الهجري هـو امتلاكهم شمشاط وملطية، وكانوا في القرن الأول قد وصلوا أبعد من ملطية بقليل، حيـث طُرَنْـدة (درندة) في الشمال الغربي من ملطية، ونزلوها بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملـك سـنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م، وابتنوا بها المساكن، وعندما ولي عمر بن عبد العزيز أشفق على الناس من البرد ــ وكـان أهل الجزيرة يقيمون بها حتى ينزل الثلج فيعودون إلى بلادهم ــ فأمرهم بالقفول عنها إلى ملطية في سنة ١٠٠هـ/ ٧١٩م، وملطية آنذاك خراب، فرحلوا عن طرندة وأخربوها[٤]. ثم عادت ملطية ثغـراً منيعاً في وجه الروم عندما أعاد المنصور بناءها سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م وجعل عليها سوراً وأسـكنها جماعة من العرب[٥]، وكانت لقربها من الروم كأنها وبلاد العدو في بقعة واحدة[٦].

لقد توغل العرب كثيراً في بلاد الروم في الصوائف والشواتي لكن العباسيين ــ برغم إقامتهم

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٧
(٢) الإصطخري، مسالك ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٠، المقدسي، أحسن التقاسيم ١٥٥، أبو الفداء، تقويم ٢٦٩
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٨٩، قدامة، الخراج ص ٣١٨ــ ٣١٩، ابن الأثير، علي بن محمد الجزريّ (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التَّاريخ، ط٧، ١٣ج، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٥م، ج٥، ص ٥٤، وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٣، النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (تحقيق) مجموعة من المحققين، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٤م، ج٢١، ص ٣٦٣، وسيشار له فيما بعد: النويري، نهاية الأرب، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (تحقيق) مجموعة من الباحثين بإشراف إبراهيم شبوح. ١٤مج، القيروان للنشر، تونس ٢٠٠٦ ــ ٢٠١٢م، ج٥، ص ٢٠٢، وسيشار له فيما بعد: ابن خلدون، العبر. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٧٢م. ج١، ص ٢٤٢، وسيشار له فيما بعد: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣، ١٦٣.
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩١، اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، قدامة، الخراج ص ٣١٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧١، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣
(٦) قدامة، الخراج ص ١٨٧

لرسم الجهاد ــ لم يظهروا رغبة في التوسع أكثر من الحدود التي ورثوها عن الأمويين، بينما تمكن الأمويون من ضرب حصار القسطنطينية لامتلاكها، وأقام جيش المسلمين بقيادة مسلمة بن عبد الملك في مدينة أبدس الواقعة على مضيق خليج القسطنطينية من غربيه، وبنوا فيها مسجداً(١)، وسمّاها مسلمة مدينة القهر أو القاهرة(٢).

أما أقصى ما امتلكه المسلمون في الناحية الشمالية الغربية من جند قنسرين، خلال القرون الثلاثة الأولى، فكان حصن أولاس، ويقع على ساحل البحر، وهو آخر ما على بحر الروم من العمارة في يد المسلمين(٣)، يليه موضع يدعى اللامس، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، يقع إلى الغرب من قَلَمْيَة (مرسين)، وفيه كان الفداء بين المسلمين والروم، يتم بقدوم مراكب الروم في البحر فيكونون في سفنهم والمسلمون في البر فيقع الفداء(٤). ثم يرد في سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م افتتاح حصن أنطالية، على يد الفضل بن قارن الذي غزا الصائفة في عشرين مركباً(٥)، لكن يبدو أنه لم يستمر طويلاً في أيدي المسلمين إذ يرد في حوادث سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م ذكر وصول المسلمين إلى مدينة أنطالية وكانت آنذاك تعادل(٦) القسطنطينية، وأن متولى الغزو غلام زرافة فتحها بالسيف عنوة وقتل نحو ٥ آلاف رجل وأسر مثلهم، وأطلق خمسة آلاف أسير مسلم، وصادر عدداً من مراكب الروم وحصل غنائم كثيرة(٧). ولم يرد ذكر أنطالية في غزوات المسلمين أو فتوحاتهم قبل هذا التاريخ.

ويمكن فصل الثغور الجزرية والشامية عن جند قنسرين برسم خط وهمي يصل بين منبج ــ وربما بالس (مسكنة) ــ في الشرق حتى أنطاكية على ساحل البحر، فيكون ما فوق الخط من الثغور الشامية، وما أسفله هو جند قنسرين. ويكون الحد الفاصل بين الثغور الجزرية والشامية برسم خط وهمي يمتد من مدينة قُورُس شمال حلب حتى الهارونية في الشمال(٨).

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٣ وسمى المدينة: أبدوس، ابن أعثم، الفتوح ج٧، ص ١٦٧ ــ ١٩٥، ٢٩٨ ــ ٣٠٦، وفيه تفصيلات موسعة حول الحصار، المسعودي، مروج ج٢، ص٤٤، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦١ وسماها: أندس.

(٢) ابن أعثم، الفتوح ٧، ص ١٩٥، المسعودي، التنبيه ص ٣٣٦

(٣) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ٦٩، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨٧

(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٩، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٠١، المسعودي، التنبيه ص ١٤٠، ١٧٧، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٨

(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٩٣ وفيه خطأ: أنطاكية.

(٦) في تاريخ الإسلام للذهبي ج٦، ص ٨٦٣: قريباً من

(٧) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٦٣

(٨) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥

٣ـ الجغرافية الطبيعية والتضاريس والمناخ

الجبال والشعاب:

يقع جند قنسرين، ومعه الثغور الجزرية والشامية والعواصم، أسفل **جبال طوروس**، التي تكتنف شماله بامتدادٍ من الغرب حيث نهر اللامس قرب مرسين على ساحل البحر المتوسط حتى شمشاط في جهة الشرق، وشكلت حاجزاً عظيماً بين الروم والمسلمين[١]، وأسفل هذه الجبال هضاب منحدرة باتجاه الجنوب، يغلب عليها طابع الصخور الكلسية[٢]؛ فيخرج من جبال طوروس جبال متشعبة، منها **جبال الأمانوس (اللكام)**[٣]، يفصلها عن سلسلة جبال طوروس وادي نهر جيحان الأعلى[٤] وهي جبال عالية ممتدة؛ يبلغ طولها نحو ٩٠كم[٥] من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، على هيئة جدار تضريسي شاهق يفصل خليج الإسكندرونة في الغرب عن سهل العمق وغور نهر الأسود (قره صو) في جهة الشرق[٦]. وتتكون هذه المرتفعات الجبلية من قطعتين هما: **جبل الكافر أو جبل النور** في الشمال، وإلى الجنوب منه **الجبل الأحمر**. ويفصل بين هذين القسمين ممر بيلان، وبآخر الجبل الأحمر من ناحية البحر جبل موسى الذي تشكل نهايته رأس الخنزير[٧].

وإلى جهة الشرق من جبال الأمانوس (اللكام) تقع سلسلتان جبليتان هما امتداد لمرتفعات عينتاب[٨] من جبال طوروس، يسمى الغربي منهما **جبل الكرد** ويسمى الآخر **جبل سمعان** (جبل لَيْلُون)[٩]، ويجري بينهما نهر عِفْرين، ويحدّ جبل الكرد من الغرب صدع (كسر) مواز لأطراف قوس

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٧

(٢) نصري، كامل، وخلدون الكناني، وخالد علي، جغرافية سورية "سورية الشمالية"، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٣٤م. ص ١٩، وسيشار له فيما بعد: نصري، جغرافية سورية

(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٣، ابن الفقيه، أحمد بن مُحمّد بن الهَمَذانيّ (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، كتاب البلدان، (تحقيق) يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م. ص ٨٢، ٥٩١، وسيشار له فيما بعد: ابن الفقيه، البلدان، الإصطخري، مسالك ص ٥٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٨، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٨، الإدريسي، نزهة ج١، ص ٣٥٣، ج٢، ص ٦٤٧. ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٣٩، الحميري، الروض ص ٥١٠.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، نصري، جغرافية سورية ص ٣٠

(٥) عبد السلام، عادل، الأقاليم الجغرافية السورية، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٠م. ص ٢٠٦، وسيشار له فيما بعد: عبد السلام، الأقاليم. وعند كامل نصري، جغرافية سورية ص ٣٠: يبلغ طولها ١٧٠ كم.

(٦) موستراس، س، المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية، (ترجمة) عصام الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٣٩٤، وسيشار له فيما بعد: موستراس، المعجم الجغرافي، عبد السلام، الأقاليم ص ٢٠٣

(٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٧٦، نصري، جغرافية سورية ص ٣١، دويدري، رجاء وحيد، جغرافية سورية والوطن العربي، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٨٢م. ص ٤٠٩، وسيشار له فيما بعد: دويدري، جغرافية سورية، عبد السلام، الأقاليم ص ٢٠٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٥٧

(٨) تسمى اليوم غازي عنتاب. موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٦٨

(٩) عند البلاذري، فتوح ص ١٦٦: سفح اللولون، وسماه ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٩: ليلون وقيل: جبل ليلول، وعند ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٠: جبل ليون وقيل: لولون

الأمانوس(١)، ومن مرتفعات جبل الكرد جبل اسمه هاوار، وهو الذي ورد عند البلاذري بلفظ "حوَّار"(٢)، أما جبل سمعان فيقع إلى الجنوب من جبل الكرد، غربي هضبة حلب، وينحدر سفحه الغربي بشدة نحو مجرى نهر عفرين(٣)، ويتصل بجبل سمعان من جهة الشمال الجبل الأعلى، ومن غربيه قرية أرمناز (من قرى إدلب)(٤).

وتغطي **هضبة حلب** المنطقة الممتدة من جبل سمعان حتى نهر الفرات شرقاً عند بلدة جرابلس (كركميش) وتنتهي جنوباً بنهايات جبل البشري والجبال الوسطى وتتخللها سهول واسعة وتلال كثيرة. ففي الشمال من هذه الهضبة ينحدر من مرتفعات عينتاب شريطان من الجبال المنخفضة هما: جبل جال الجرن الممتد شمال شرق حلب، وجبل أم ميال (الأقرع) الممتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي(٥)، ويطل على أنطاكية واللاذقية وجزيرة قبرس(٦)، وإلى الشمال من حلب يقع جبل برصايا، ويشرف على بلدة تل عزاز فيما بينها وبين قُورُس(٧)، ويطل على مدينة حلب من غربيها جبل جَوْشَن(٨)، أما جبل البشرى فهو جبل كبير في جنوب جند قنسرين في طرف عمل حلب من جهة البرية امتداداً حتى شمال شرق تدمر وصولاً إلى الفرات(٩).

ويقع ضمن هضبة حلب **جبل الحص** شرقي حلب وقبليها(١٠)، وهو جبل بركاني ذو أحجار سوداء(١١) بسطح منبسط وحواف شديدة الانحدار، ويطل في الشرق على سبخة الجبُّول، ويطل غرباً على منخفض المطخ، وفي الجنوب يشرف على منخفض الخرايج. وإلى الجنوب الشرقي من جبل الحص يقع **جبل شُبَيث**(١٢)، وهو يشبه جبل الحص من حيث انبساط سطحه وانحدار حوافه(١٣)، لكنه

---

(١) دويدري، جغرافية سورية ص ٤١٠، عبد السلام، الأقاليم ص ١٣٠، ٤١٧، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٥٤٤

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٦، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٥٤٤

(٣) نصري، جغرافية سورية ٣٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص٥٤٥، وانظر: ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص١٣٢

(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٢، زكرياء، جولة أثرية ص ٨٤، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٧٥

(٥) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٢٧، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٩٤

(٦) المسعودي، مروج ج ١، ص ١٠٧، ١٤٢

(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٣٧، وانظر: طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ١١٣

(٨) الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٦م)، الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، (تحقيق) حمد الجاسر، ٢مج، مركز الملك فيصل ودارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٤م. ج١، ص ٤٥٧. ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٨٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١١

(٩) عبودي، معجم الحضارات ص ٢٢٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٠٢

(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص٤٢٨، وعند ياقوت: بين القبلة والشمال من حلب. معجم البلدان ج١، ص ١١٤

(١١) زكرياء، جولة أثرية ص ٢٠٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٠٥

(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٣٢٣، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣، ولم يشر ابن العديم إليه إنما ذكر ماءً يدعى شبيث. انظر: بغية الطلب ج١، ص ٤٢٨

(١٣) عبد السلام، الأقاليم ص ٨١، وقال ياقوت: "الجبل مستدير وفي رأسه أرض بسيطة (أي منبسطة) فيها ثلاث قرى". انظر: ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٣٢٣

أصغر منه[١]، وحجارته سوداء خشنة[٢]، وتفصله أرض خناصرة عن جبل الحص[٣].

وإلى الجنوب من الأمانوس (اللكام) تقع **كتلة الباير والبسيط**، وهي امتداد لكتلة جبال الساحل السوري، ويفصلها عن جبال اللكام مجرى نهر العاصي، بينما يشكل ساحل البحر حدها من جهة الغرب، وفي جهة الجنوب يقع وادي نهر الكبير الشمالي ووادي نهر القنديل. وأعلى قمة في هذه الكتلة هي قمة جبل الأقرع إذ يصل ارتفاعه إلى ١٧٢٨م[٤] يليه جبل الزيارة بارتفاع ١٣٤٠م[٥].

ويقع **جبل بهراء وتنوخ** أسفل جبال الباير والبسيط، وربما يدخل في جزء منه جند قنسرين، إذ يبتدئ من ناحية الشمال من نواحي اللاذقية[٦]، وهو من الجبال الساحلية التي تمتد بطول ١٣٥كم من الشمال إلى الجنوب[٧].

وإلى الشرق من جبل بهراء وتنوخ يقع **جبل السُّمَّاق أو جبل بني عليم ويسمى الآن جبل الزاوية**، ويعرف قسمه الشمالي **بجبل الأربعين** لمقام معروف عليه[٨]، وجعلهما ابن العديم جبلين: جبل بني عليم مشرف على جبل السماق[٩]، وهو يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع[١٠]، وتسميته بالسماق لكثرته فيه وهو سماق أجود من غيره[١١]، ويشرف على سهول حلب الغربية[١٢]، وهو من أشد جبال الشمال السوري وعورة نتيجة لانتشار الصخور الكلسية والبركانية[١٣] المتباينة في الارتفاع والانخفاض، ويبلغ ارتفاع جبل الزاوية نحو ٨٠٠م، ويفصله عن جبل بهراء وتنوخ وادي نهر العاصي وسهل الغاب[١٤].

السهول:

تشكل السهول مظهراً طبيعياً من تضاريس جند قنسرين، ويمكن قسمتها إلى ساحلية وداخلية:

---

(١) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٥٥٠
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١١٤
(٣) وعدَّ ياقوت خناصرة قصبة الأحص. ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١١٤، وانظر: ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣، عبد السلام، الأقاليم ص ٢٣٣
(٤) طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٩٤
(٥) عبد السلام، الأقاليم ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٧٦
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٥٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٨، الإدريسي، نزهة ج١، ص ٣٥٣
(٧) عبد السلام، الأقاليم ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩
(٨) نصري، جغرافية سورية ص ٣٥، زكرياء، جولة أثرية ص ١٢٧، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٦٩
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٦
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٢
(١١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣، وانظر ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٢
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٢، نصري، جغرافية سورية ص ٣٥
(١٣) نصري، جغرافية سورية ص ٢٠، عبد السلام، الأقاليم ص ١٢٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٩٦
(١٤) عبد السلام، الأقاليم ص ١٢٩، دويدري، جغرافية سورية ص ٤١١ــ ٤١٢

فأما **السهول الساحلية** فهي تمتد من أقصى حدود الجند في جهة الغرب، من عند نهر اللامس غرب قلمية (مرسين) في إقليم قليقية (كليكية) حتى انتهاء أراضي الجند في الجنوب عند اللاذقية، وهذا الشريط السهلي الساحلي متباين في عرضه تبعاً لقرب الجبال والتلال أو بعدها، وهو يشكل أكبر عرض له في الشمال حيث سهول طرسوس وأذنة التي يخترقها أنهار جيحان وسيحان[١] واللامس، في الإقليم الذي يسميه الروم "خذقدونة أو خلقدونة"[٢]، وهذه السهول أحدثتها رمال البحر والمواد الركامية التي تجرفها أنهار وأودية السلسة الجبلية الملازمة للساحل من الشمال إلى الجنوب[٣].

ويتسع عرض السهل الساحلي بين رأس الخنزير واللاذقية، فهو يبتدئ شمالاً من جنوب جبل الأقرع بعرض قليل ثم يأخذ بالاتساع كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل إلى غاية اتساعه عند مجرى النهر الكبير الشمالي قرب اللاذقية. وقد تعرضت أجزاء من الجبال إلى الحت بفعل العوامل الطبيعية، وساعدت الزلازل في اتساع السهل الساحلي بين الجبال والبحر[٤]، وتربة هذه السهل تتكون من مجروفات السيول الجبلية، وتتركب من أراضٍ ركامية تنحدر نحو البحر، وتقطعها من الشرق إلى الغرب أخاديد ضيقة قصيرة أحدثتها فيها الأنهار الساحلية والسيول الجبلية، وتتخللها بعض الكتل البازلتية المنبعثة من السلاسل الغربية[٥].

أما **السهول الداخلية** فهي أقرب ــ نتيجة ارتفاعها النسبي ــ للهضاب منها للسهول، وهي ذات تربة مختلفة من مكان لآخر، وتمتاز بقلة مياهها، فأنهارها لا تكفي لسقيها، وأمطارها لا تسد حاجة أراضيها من الري اللازم، بعكس السهول الساحلية التي تمتاز بوفرة مياهها وغزارة أمطارها وكثرة أنهارها، كما أن أراضي السهول الساحلية متجانسة بشكل عام إذ هي أراضٍ طينية رملية[٦].

فإلى الشمال الغربي من حماة يبدو **سهل الغاب**، يبدأ من تل سلحب وينتهي قرب قرقور بين جبل بهراء وتنوخ غرباً وجبل الزاوية وهضاب إدلب شرقاً[٧]، ويمتد باتجاه الشمال بطول ٦٠كم وعرض يزيد عن ١٤كم، وتربته بازلتية في منتهى الخصوبة، وكانت مياه نهر العاصي والينابيع الأخرى التي ترفده تفيض فيه في فصل الشتاء[٨]. وإلى الشمال الشرقي من سهل الغاب، توجد

---

(١) موستراس، المعجم الجغرافي ص٣٤٠، نصري، جغرافية سورية ص٤٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص١٩٠
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٤٩، ج٤، ص ١٨٨
(٣) نصري، جغرافية سورية ص ٤٠
(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن العبري، غريغوريوس بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، (د.ت). ص١٤٣
(٥) نصري، جغرافية سورية ص ٩٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٩٢
(٦) نصري، المرجع نفسه ص ٤٠
(٧) انظر نصري، المرجع نفسه ص ١٢٥
(٨) نصري، المرجع نفسه ص ٤٢

انخفاضات تتصل بوادي العاصي بعتبات قليلة الارتفاع؛ منها سهل وادي الروج، ويسمى أيضاً سهل إدلب، ويقع غرب حوض قويق وسهل إدلب، وهو منخفض واسع، مشهور بمحاصيله الزراعية[١]. وإلى الجنوب من حلب يوجد سهل فيه عدد من القرى منها قرية تل ماسح[٢].

وشمال سهل الغاب يوجد **سهل العمق**، وموضعه بين جبل الكافر وجبل الأحمر من جهة وجبل الكرد من جهة أخرى، ويستمر صعوده باتجاه الشمال مع مجرى نهر الأسود، وتتراكم في هذا السهل المياه الغائضة فتؤلف بحيرة مستغدرة هي بحيرة العمق، وبين سهل العمق وسهل الغاب يجتاز نهر العاصي أخدوداً مشكلاً سهلاً قليل العرض، يمتاز بجمال منظره[٣]، وذكر ياقوت أن أكثر ميرة أنطاكية كان من سهل العمق[٤].

أما السهول الشرقية فهي تبدأ بسهل حلب، وهو سهل متسع يمتد حتى شاطئ الفرات، وتربته حمراء تصلح للزراعة، وتأخذ أرضه بالتصاعد حتى مدينتي عينتاب وكلّس **(قِلّز)**[٥]، ويتصل من جنوبه بسهول حماة وحمص الفسيحة الخصبة التي ينساب فيها نهر العاصي[٦].

الأنهار:

يشتمل جند قنسرين على مجموعة من الأنهار، تجعله من أكثر أجناد الشام اشتمالاً عليها، وتتنوع أنهار الجند في خصائصها بحسب الإقليم الذي تقع فيه، فأنهار السهول الساحلية ليست أكثر من أنهار سيلية[٧]، تتصف بقصرها وسرعة جريانها، وهي تتجه من الشرق إلى الغرب فتنصب في البحر، وتتصف أيضاً بكونها عرضة للجفاف في فصل الصيف عندما تنحبس الأمطار عن تغذيتها. أما أنهار حفرة الانهدام فهي تمتاز بطولها وبانتظام خط مياهها وبانتهاء مصبها في البحر[٨]. ونجد الأنهار في السهول الداخلية على عكس ذلك، باستثناء نهر الفرات، فهي متوسطة الطول، مستهلكة المياه بالسقي، وجميعها تغيض في بحيرات مستنقعة[٩].

---

(١) دويدري، جغرافية سورية ص ٤٢٩
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٧١
(٣) نصري، المرجع نفسه ص ٤٣، زكرياء، جولة أثرية ص ٦٤، وانظر: طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٩٦، ج٤، ص ٣٤٢
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٥٦
(٥) نصري، جغرافية سورية ص ٤٣
(٦) نصري، جغرافية سورية ص ٤٣، وانظر عن السهول في غربي جبل الحص: ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٨
(٧) طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٤٦
(٨) نصري، جغرافية سورية ص ٤٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٤٧ ــ
(٩) نصري، المرجع نفسه ص ٤٥

فأنهار السهول الساحلية:

- **نهر جيحان:** ويسمى نهر المصيصة[١]، مخرجه من بلاد الروم[٢]، وينصب في نهر التينات، وينتهي إلى البحر الشامي[٣]. ويرفده نهر يسمى **حُوريث**، ومنبعه من بحيرة الحدث، ويمر قريباً من مدينة الحدث، ثم يجري جنوباً حتى يرفد نهر جيحان[٤].
- **نهر سيحان:** ويسمى نهر أذنة، مخرجه من بلاد الروم[٥]، إذ ينبع من جنوب جبل خنزير طاغي[٦]، وينتهي مصبه في البحر الشامي[٧]، وهو أصغر من نهر جيحان[٨]، ويمر بمدينة أذنة[٩].
- **نهر البَرَدَان:** نهر يشق طرسوس[١٠]، مخرجه من ثلاثة فروع رئيسية تنبع من قمة جبل بولقار داغ (بلغار طاغ) ويصب في البحر الشامي[١١].
- **نهر اللامس:** يقع غرب طرسوس[١٢]، وكان الفداء بين المسلمين والروم يتم على ضفتيه[١٣].
- **نهر الأسود:** ذكره ياقوت في طرف بلاد المصيصة وطرسوس[١٤].
- **النهر الكبير الشمالي:** منبعه من سفح الجبل الأقرع ويبلغ طوله ٨٠كم، وينتهي في البحر جنوب اللاذقية[١٥].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، ابن الفقيه، البلدان، ص ١٦٥، المسعودي، التنبيه ص ٥٨، الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٣٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٧٣، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣

(٢) ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٢٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٩٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٠، ٣٧٣، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، الحميري، الروض ص ١٨٥

(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، قدامة، الخراج ص ١٥٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٢٢، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٩٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٧٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، الحميري، الروض ص ١٨٥

(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٢٠

(٥) ابن رستة، الأعلاق ٩١، ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٥، المسعودي، التنبيه ٥٨، ١٨٣، الإصطخري، مسالك ٦٣، المقدسي، أحسن التقاسيم ٢٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص٦٤٧، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص٢٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص١٧١، ٣٧٩، الوطواط، مناهج ج١، ص٣٦٢ (وفيه: مخرجه من ناحية ملطية).

(٦) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣١٢

(٧) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٢٢، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٩٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، الحميري، الروض ص ٣٣٣

(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧١، ٣٧٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٤

(٩) ابن الفقيه، البلدان ص ١٤٣، ٥١٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧١، ٣٨٠، أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩، الحميري، الروض ص ٢٠، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٤

(١٠) ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٥، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٨

(١١) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٥٠، زكرياء، جولة أثرية ص ٣٢

(١٢) اليعقوبي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٩، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٧، وفيه: على مسيرة يوم من طرسوس.

(١٣) المسعودي، التنبيه ص ١٤٠، ١٧٧، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٨

(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣١٧

(١٥) نصري، جغرافية سورية ٤٥، دويدري، جغرافية سورية ٤٣١، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٤٧

أنهار حفرة الانهدام:

- **نهر العاصي:** وهو نهر طويل يمتد مسافة ٤٥٠كم، مخرجه من نبعين هما: نبع اللبوة الواقع إلى الشمال الغربي من بعلبك، ونبع مغارة الراهب القريب من الهرمل، ويجتمع هذان النبعان ليؤلفا نهر العاصي، ويسير من الجنوب إلى الشمال ليصب في بحيرة حمص(١)، ولهذا سمي بالنهر المقلوب أو العاصي(٢)، ثم يتابع مجراه شمالاً بتعرجٍ فيصل إلى سهل الغاب، وينعطف شمالاً بين جبال بهراء وتنوخ غرباً وجبلي الوسطاني والزاوية شرقاً، فيوالي سيره باستقامة حتى جسر الحديد ويدخل بعدها في سهل العمق، فينحرف منه إلى ناحية الشمال الغربي حيث يرفده نهر العمق القادم من بحيرة العمق، والمتكونة من مياه نهري عِفْرين والأسود، ثم ينعطف نحو الجنوب الغربي ماراً بين جبل الأحمر من جبال اللكام (الأمانوس) وجبل الأقرع، ثم يندفع نحو البحر الشامي جنوب السويدية بعد أن يجتاز الصخور الصلدة والسدود الصناعية(٣).
- ومن الأنهار التي تنتهي في بحيرة العمق: **نهر عِفْرين**، وهو ينحدر من موضع يقع في الشمال الغربي من عينتاب، ويستمر سيره متعرجاً جنوباً ثم يتجه إلى الجنوب الغربي عند قرية شِلِتاح، وبعد خروجه من بلدة عفرين يميل كالقوس بانعطافة إلى الغرب حتى يصل سهل ومستنقعات بحيرة العمق(٤). وينصب في بحيرة العمق (بحيرة أنطاكية) **نهر يغرا**(٥)، و**نهر البراك**(٦)، و**النهر الأسود** ويجري بين جبل الكرد وجبل الأحمر، إلى الشرق من جبل الأحمر، فيمر بدربساك ويجري في سهل العمق وينصب في بحيرتها (بحيرة العمق)(٧).

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، المسعودي، التنبيه ص ٥٨، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٩٠، نصري، جغرافية سورية ص ٤٨، دويدري، جغرافية سورية ص ٤٣٣، عبودي، معجم الحضارات ص ٥٧٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٢٤٢ ــ

(٢) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٦، الإدريسي، نزهة ج١، ص ٣٧٤، ابن بطلان، يوحنا المختار بن عبدون (ت نحو ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، رحلة ابن بطلان، (تحقيق) شاكر لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٦م. ص ٧٨، وسيشار له فيما بعد: ابن بطلان، الرحلة، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٩٠، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٣

(٣) ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٨٢، نصري، جغرافية سورية ص ٤٨ ــ ٤٩، دويدري، جغرافية سورية ص ٤٣٣، وانظر تفصيلات موسعة عند: طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٤٨ ــ ٢٥٠

(٤) عبد السلام، الأقاليم ص ١٣٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٠، ج٤، ص ٣١٦ وذكره ياقوت (معجم البلدان ج٤، ص ١٣٢) من نواحي المصيصة

(٥) انظر: نصري، جغرافية سورية ص ١٢٤، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٥٠٩

(٦) انظر نصري، جغرافية سورية ص ١٢٥

(٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧، ٢٦١، نصري، جغرافية سورية ص ٤٣، ١٢٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٠، ج٢، ص ١٠١

الأنهار الداخلية:

نهر الفرات: من أهم أنهار منطقة جنوب غربي آسيا، وأكبرها مساحة، وأكثرها طولاً، فطوله من نقطة تشكله حتى التقائه بدجلة نحو ٢٣٣٥كم[١]، ومصادر مياهه تأتي من ذوبان الثلوج الساقطة في الشتاء فوق حوضه الأعلى الجبلي في تركيا، وهو ينبع من قاليقلا[٢] في الشمال الشرقي لتركيا، ويتكون الفرات من التقاء نهرين كبيرين، هما النهر الشمالي المعروف باسم نهر فرات (قره صو) الذي يجري في سهل أرضروم (أرزنكان)، والنهر الجنوبي وهو نهر مراد صو الذي ينبع من جبال آرارات، وملتقى النهرين في شمال مدينة كيبان التركية، فيحدثان نهر الفرات بعرض ١٠٠م، ويرفده بعد خروجه من كيبان نهر القباقب (طوخمه صو)[٣]، الذي ينبع من جبال طوروس، وينحدر الفرات ماراً بسهل ملطية نحو الجنوب الغربي على هيئة قوس، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي مخترقاً جبال طوروس الجنوبية الشرقية، وبعدها يتجه جنوباً فاصلاً أرض الجزيرة عن الشام، ويجري باتجاه الجنوب الشرقي نحو الرقة[٤]، ثم يوالي جريانه باتجاه العراق.

وترفده خلال مروره العديد من الأنهار وما يخرج من العيون، فينصبّ فيه:

- **نهر أرسَناس (شمشاط):** وهو يأتي من الجبال الواقعة شمال بحيرة وان[٥]، ويصب إليه نهر يقال له نهر الذئب[٦]، ويجيء إلى كمْخ ويخرج قريباً من ملطيّة[٧] فينصب فوقها في الجانب الشرقي منها[٨]، ويصل إلى سميساط فيحمل من هناك السفن والأطواف ويجيء حتى يبلغ السواد فتتشعب منه أنهار في سواد بغداد[٩]. واكتفى ياقوت بقوله: "اسم نهر في بلاد الروم"[١٠]. ويسمى اليوم باسم

---

(١) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٨٢، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٤٦٦

(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، البكري، المسالك ج١، ص ٢٣٣، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١١٩ قدامة، الخراج ص ١٥٥ المسعودي، مروج ج ١، ص ١١٧، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٢٩٥

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٩١، قدامة، الخراج ص ٣١٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٢، نصري، جغرافية سورية ص ٥٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٥

(٤) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، قدامة، الخراج ص ١٥٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٠٨، المسعودي، مروج ج ١، ص ١١٧، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١١٩، البكري، المسالك ج١، ص ٢٣٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٢٩٥، الحميري، الروض ص ٤٣٩، نصري، جغرافية سورية ص ٥٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٤٦٦

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٤٨

(٦) سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٣٧

(٧) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٢٠، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠

(٨) سهراب، عجائب الأقاليم ص١٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٢٦

(٩) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٣٧، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، ٨١٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٩

(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٥١

مراد صو، نسبة للسلطان العثماني مراد الرابع[١].

- **نهر القُباقب:** مخرجه من بلاد الروم، من شرقي مدينة عمورية[٢]، وغربي ملطية من الجبل الذي يخرج منه نهر جيحان[٣]، يمر بين جبال وحصون وصحارى[٤]، وينتهي في الفرات[٥]، وهو أهم روافده بعد نهر أرسناس، وكان اسمه قديماً نهر ملاس، ويسمى اليوم طوخمه صو[٦].
- **نهر سَنْجَة:** نهر صغير بالقرب من قرية سنجة[٧]، ويسمى نهر كيسوم لمروره قريباً منها[٨]، ما بين حصن منصور وكيسوم[٩]، وهو أحد روافد نهر الفرات[١٠]، حيث يصب فيه شمال مدينة سميساط على مسافة قليلة، ويسمى الآن نهر بُلَم صو[١١].
- **نهر الساجور:** وهو أحد روافد الفرات من ناحية جند قنسرين[١٢]، منبعه من منطقة عينتاب في جبال طوروس، وتجتمع إليه مياه من عدة عيون في عينتاب، ثم يمر بقرية النقَّاخ وتجتمع إليه عيون أخرى من بلد تل باشر[١٣]، ويجري في أراضي جند قنسرين ليصب في نهر الفرات جنوب جرابلس (كركميش) بنحو ٢٠كم، وطوله ١٠٨كم[١٤]. قال الإسكندري وياقوت: الساجور نهر بمنبج[١٥]، وأورده ياقوت أيضاً السواجير[١٦] بلفظ الجمع.
- **نهر المرزبان:** وسماه ابن العديم: "نهر البَرْسمان"[١٧]، يأتي من الجبال، ويصب في الفرات تحت قلعة الروم[١٨].

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٤٧
(٢) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٨٠٩، ٨١٥، ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج١، ص ١٣١
(٣) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٢
(٤) سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٢١
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩١، ابن الفقيه، البلدان ج١٦٣، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٢١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٠٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٢
(٦) لسترنج، بلدان الخلافة ١٥٢، خطاب، محمود شيت، بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٦، ج١، بغداد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٤٣، وسيشار له فيما بعد هكذا: خطاب، بلاد الجزيرة.
(٧) ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٦
(٨) ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص ٢١١، وظن ابن الفقيه أن نهر سنجة غير نهر كيسوم.
(٩) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢
(١٠) ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١
(١١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٦
(١٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص٣٥٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص٢٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٤٦٦
(١٣) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٢٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٦
(١٤) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٥٨٧
(١٥) الإسكندري، الأمكنة ج٢، ص ٣٧، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ١٧٠
(١٦) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٧١، ذكره الحميري، الروض ص ٣٢٨ بلفظ السواجير وقال: موضع بالشام
(١٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٨
(١٨) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩

– **نهر بهنسى ونهر رعبان:** وهما من الأنهار الصغيرة التي ترفد نهر الفرات[١].

ومن الأنهار الداخلية أيضاً:

– **نهر الجوز:** يقع إلى الشمال من مدينة الباب[٢]، بين حلب والبيرة (في الجزيرة)[٣].

– **النهر الأزرق:** بالثغور الشامية، بين بهنسى وحصن منصور[٤]، وينحدر إلى الشمال الغربي من حصن منصور[٥].

– **نهر قويق:** ويسمى نهر حلب[٦]، لأنه يعبر بها من الشمال إلى الجنوب[٧]، وأيضاً نهر العَوَجَان[٨]، منبعه من قرية تدعى سُنياب، بالقرب من عينتاب، ويسير باتجاه الجنوب فيمر على حلب ثم على قنسرين، وينتهي إلى مرج الأحمر (تل السلطان) وبحيرة المطخ (المتخ)[٩]، ويبلغ طول هذا النهر ١٥٠كم[١٠]، وهو كبير في الشتاء، صغير في الصيف[١١]، وكان شرب أهل حلب منه[١٢]، فيدخل البلد في قناة تجري في الشوارع والأسواق والديار[١٣].

– **نهر الذهب:** ينبع من عيون في بزاعة شرقي بلدة الباب وينحدر جنوباً ماراً بالعديد من القرى فيسقيها[١٤]، حتى يصل بحيرة (سبخة) الجبُّول المشهورة بملحها الجيد[١٥]، ويسميه أهل حلب نهر وادي بُطْنان، وجعلوه أحد عجائب الدنيا الثلاثة[١٦].

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٨
(٢) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٨٣
(٤) ياقوت، المصدر نفسه ج٥، ص ٣١٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٨
(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٦
(٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، سهراب، عجائب الأقاليم ص ١٤٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨، الإسكندري، الأمكنة ج ٢، ص ٣٨٤، الحميري، الروض ص ٣٥٧، ٤٨٦
(٧) ابن جُبَيْر، محمّد بن أحمد الأندلسي الكنانيّ (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير المسمّاة: "تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.ص ٢٢٨، وسيشار له فيما بعد: ابن جبير، الرحلة، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٥١
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٧
(٩) ابن خرداذبة، المسالك ١٧٧، ابن رستة، الأعلاق ٩١، سهراب، عجائب الأقاليم ١٤٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤١٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٧، ابن سعيد، بسط الأرض ٨٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، أبو الفداء، تقويم ٢٦٧، الحميري، الروض ٤٧٤، ٤٨٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب ١٣٥، زكرياء، جولة أثرية ص ١٧٨، Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤.
(١٠) نصري، جغرافية سورية ص ٥٢، دويدري، جغرافية سورية ٤٢٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٦٢٥
(١١) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦
(١٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٩
(١٣) الإدريسي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٤٩
(١٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٧، نصري، جغرافية سورية ص ٥٣، زكرياء، جولة أثرية ص ٢١٤، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٥٢
(١٦) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٢٠

الينابيع والعيون:

يشتمل جند قنسرين على العديد من العيون والينابيع والبرك التي تتشكل بفعل الأمطار، حيث توجد عدة عيون شمال حلب تجتمع مياهها فترفد نهر قويق قبل وصوله إلى حلب[١]، وفي قرية حَيْلان ــ شمالي حلب ــ أعين ماء فوارة كثيرة الماء[٢]، يجتمع ماؤها ثم يساق إلى المدينة عبر قناة تمر تحت المدينة إلى أن تتدخل من باب الأربعين وتنقسم منه في طرق متعددة إلى البلد[٣]، وتسقي بساتين البلدة[٤]. "ولحلب في قصبتها عين ماء حسنة"[٥]. وذكر ياقوت عين ماء بظاهر حلب من قبلتها تدعى "أشمونيت"، تسقي بستاناً يدعى الجوهري وما يزيد عنه يصب في نهر قويق[٦]، ويوجد بنواحي الجبل الأعلى (غربي حلب) قرى فيها أعين ماء[٧]، وفي شرق تل أعزاز نبع ماء في قرية إلبل[٨]، وترفد نهر عفرين بعض الينابيع المنبجسة شمال حلب كنبع قطمة ونبع الباسوطة[٩]، وكانت العرب تنزل عين سَيْلَم بنواحي حلب[١٠]، وفي جنوب حلب توجد عين ماء تدعى عين المباركة، تمد نهر قويق بعد خروجه من حلب فيقوى وتدور عليه الأرحاء[١١].

وأيضاً تكثر ينابيع المياه والعيون في قرى جبل السماق (جبل بني عليم)[١٢]، وفي قرية من قراه تسمى إصطمك خزان (صهريج) كبير لجمع الماء من بناء الروم[١٣]، وفي أعلى الجبل عين ماء تنحدر مع الجبل إلى قرية ريحا (أريحا الآن) وينتفعون بمائها للشرب والحمام[١٤]، وفيه شعابه (في قرية كفر لاثا) عين ماء تسقي ما تحتها من بساتين[١٥].

وفي الثغور شمال الجند تكثر المياه والعيون في عينتاب[١٦] ودلوك[١٧]، وإلى الشمال منهما تقع

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٧
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٣٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٦١
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٧
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص٦٦، نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي.
(٥) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٠٠
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٢
(٨) طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ١٢٦
(٩) طلاس، المرجع نفسه ج١، ص ٢٥١، ٢٦١، ج٢، ص ٢١٧، ج٤، ص ٣١٦
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٨
(١١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٧، أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥
(١٢) طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٥٤٦
(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ١١١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٦
(١٥) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٧٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٦
(١٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩
(١٧) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٦١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٢

مرعش والحدث وهما مدينتان ثغريتان فيهما مياه كثيرة[١]، وأيضاً عيون تل باشر التي تدفع في نهر الساجور[٢].

وتكثر في جند قنسرين عيون المياه المتفجرة خصوصاً فيما بين حلب وأنطاكية[٣]، فهناك خمس عيون بالسخنة من نواحي قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ينتفع السكان بها من البلغم والريح والجرب[٤]، ومنها "عيون ماء في الجبل المطل على أنطاكية من شرقيها، عُملت لها قنوات لتصل إلى المدينة والأسواق والمنازل"[٥]، وعين السَّلور بقرب أنطاكية[٦]، وفي كورة الجومة ــ من كور أنطاكية ــ عيون ماء كبريتية تجري إلى الحمة[٧]، وفي بغراس أعين ماء[٨]، وحارم بلدة صغيرة ذات أعين ونهر صغير[٩]، وأيضاً دربساك مدينة فيها أعين[١٠]، وفي قرية عِمّ بين حلب وأنطاكية عين ماء جارية[١١]، يدور عليها رحا، وفيها بركة ماء تعرف باسم بركة عم[١٢]، وعين ماء تخرج من تحت بَكّاس[١٣].

وتوجد عدد من عيون الماء في وادي بُطْنان التي تمدّ نهر الذهب في انحداره نحو سبخة الجبُّول[١٤]، بل إن معنى بُطْنان هي تلك المواضع التي يستقر فيها الماء من سيول وغيرها[١٥]، وبلدة بزاعة في وادي بُطْنان ذات عيون ومياه جارية[١٦]، وبقرب بطنان في كورة فايا قرى عامرة فيها مياه جارية[١٧]، وعيون أخرى في قرى نقرة بني أسد من نواحي سبخة الجبُّول[١٨]. وإلى

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٢ ــ ٦٣، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٣

(٢) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢

(٣) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧

(٤) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٣١

(٥) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٨٨ (نقلاً عن اليعقوبي)، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧، الحميري، الروض ص ٣٨

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١

(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٣١

(٨) أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩

(٩) أبو الفداء، المصدر نفسه، ص ٢٥٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٤٤، ج٣، ص ٧

(١٠) أبو الفداء، المصدر نفسه، ص ٢٦١

(١١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٥٧، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧

(١٢) زكرياء، جولة أثرية ص ٧٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٣٣٦

(١٣) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٧٤

(١٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢، وانظر: ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٤٧

(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٤٧

(١٦) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٩

(١٧) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٣٤

(١٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢

الجنوب منها فيما بين حلب وسلمية عدة عيون وينابيع للماء منها ماء البَدِيَّة[١] وعَوير[٢] والبُيَيضة[٣] والجباه[٤]، وكان شرب أهل الناعورة (قصر مسلمة بن عبد الملك) من ماء العيون[٥].

البحيرات: يوجد في جند قنسرين عدد من البحيرات، تجعله من أكثر أجناد الشام احتواءً لها، ومنها:

- **بحيرة العمق أو بحيرة أنطاكية (آق دكز):** تشبه المستنقع، ويصب فيها نهرا عفرين والأسود، وتتصل بمجرى نهر العاصي الأسفل[٦]، والبحيرة ذات مياه عذبة[٧].
- **بحيرة يَغْرَا:** وتسمى أيضاً بحيرة بغراس، وهي بحيرة كبيرة مستطيلة[٨]، تتكون من مياه عين السلور[٩]، بقرب أنطاكية من عمل حارم وناحية العمق[١٠].
- **بحيرة المطخ (المرج الأحمر قديماً):** مستنقع يقع إلى الجنوب من حلب وقنسرين، يكون أوطأ منخفض في شمال الشام، وهو مستوى أساس نهر قويق عندما كان نهراً[١١]، إذ كان ممره على قنسرين ثم إلى المرج الأحمر ثم يغيض في أجمة هناك[١٢]. وفي شرقيها تقع سبخة الجبُّول.
- **سبخة أو بحيرة الجبُّول:** وتقع إلى الجنوب الشرقي من حلب، عند نهاية نهر الذهب[١٣]، على بعد ٤٠كم من حلب[١٤]، وسماها ياقوت "ملاّحة حلب" وقرية الجبُّول بقربها[١٥]، فبعد جريان نهر الذهب في وادي بُطْنان تمده بعض عيون الوادي حتى يصل إلى الجبُّول[١٦]، وكانت مشهورة بملحها الذي يجمع ويتجر به[١٧]، وتبلغ مساحتها ١٥٠كم[١٨].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٦٠
(٢) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٧٠
(٣) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣٨
(٤) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٠
(٥) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٥٣
(٦) نصري، جغرافية سورية ص ٥٣
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٥١
(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٠٩
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٥٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٨
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١، ٤٠٩، ج٤، ص ١٧٨
(١١) نصري، جغرافية سورية ص ٥٣، زكرياء، جولة أثرية ص ١٧٨، عبد السلام، الأقاليم ص ٧٩، ٨١، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٥٤٩
(١٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٧، ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤١٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٧، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(١٣) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٧، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٣٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٦٣٤
(١٤) طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ١٨٠
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٧
(١٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢
(١٧) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢٣
(١٨) دويدري، جغرافية سورية ص ٤٣٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٢٠٤، وذكر في موضع آخر من كتابه (ج١، ص ٢٥٢) أن مساحتها تبلغ ٢٣٩ كم، وفي موضع ثالث (ج١، ص ٥٥١): ١٥٠٠ كم!؟.

- **بحيرة الحدث:** وتسمى عين زَنِيْثَا، ومنها منبع نهر حُوريث الذي يمر بالقرب من مدينة الحدث في أقصى الثغور، ويجري حتى يرفد نهر جيحان[١]، وجعل ياقوت موضع البحيرة بقرب مرعش[٢].

المناخ:

يظهر مما سبق مقدار التنوع الكبير في طبيعة وتضاريس جند قنسرين، ففيه من الجبال الشاهقة التي تكتنف شماله إلى الألسن المتفرعة منه في الجنوب كجبال الأمانوس (اللكام) وجبل الكرد وجبل سمعان إلى جبال وهضاب داخلية تتوزع في جهاته وأنحائه، ويتخلل هذه الجبال أودية على هيئة الممرات أو المنفذ، تكثر فيها السهول والأنهار العديدة التي تخترق أنحاءه وتغذيها هذه الأودية بانحدار المياه، وتوزعت أيضاً فيه السباخ والمستنقعات والبحيرات.

ويقع جند قنسرين حسب تقسيم الجغرافيين السباعي للمعمورة في الإقليم الرابع، واعتبروه أفضل الأقاليم السبعة وأوسطها وأخيرها، وأصحها هواء وأعذبها ماء[٣]، و"هو أعدلُ العمران"[٤]، وأبلغ الأقاليم في الاعتدال والتوسط[٥]، ونتيجة لتباين مناطق الشام الشمالية، بين بادية قارّية في الشرق، وبحرية معتدلة في الغرب، وجبلية باردة في الشمال، ومقفرة حارة في الجنوب، فقد تباين مناخها تبعاً لذلك، ويقع جند قنسرين ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية الحارة، وتتناوب فيها الجبال والسهول والتلال والسباخ فيختلف جوها تبعاً لذلك؛ فكلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق يأخذ الجو بالاشتداد وتناقص الرطوبة، بينما تزداد البرودة والرطوبة كلما اتجهنا من الجنوب نحو الشمال[٦]؛ فكل ما علا من الشام نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً وأبرد هواءً[٧]، وعلى هذا كانت حلب المدينة العظمى في جند قنسرين طيبة الهواء[٨]، وأنطاكية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء[٩]، ووصفت بلدة تل أعزاز بأنها "طيبة الهواء عذبة الماء صحيحة"[١٠]، وملطية شديدة البرد[١١]، وامتازت المناطق الشرقية من نواحي البادية بطيب الهواء وخلوها من الأوبئة والأمراض،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٢٠
(٢) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٥١
(٣) المسعودي، التنبيه ص ٥، ٣٤، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٧١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٤٣، مجهول (ق ٧ هـ ظناً)، غرائب الفنون وملح العيون، دار صادر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٢٩٤، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨، Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤.
(٤) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج١، ص ١٤٧
(٥) المسعودي، التنبيه ص ٣٥، ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج١، ص ١٥٠، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨
(٦) نصري، جغرافية سورية ص ٢٢ ــ ٢٣
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٧٩، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٧١
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٨٢
(٩) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٣، الحميري، الروض ص ٣٨
(١٠) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص ١١٨
(١١) أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥

ولذا كانت مقصودة من الخلفاء والأمراء للسكنى، كالرصافة ومنبج[١].

ومناخ السهل الساحلي الممتد من إسكندرونة حتى اللاذقية يتمتع بجو البحر الأبيض المتوسط الرطب، ذي الشتاء المعتدل والصيف الحار، لقربها من البحر ولكون الجبال تشكل حاجزاً بينها وبين مناخ الداخل، فيتراوح معدل الحرارة صيفاً بين ٢٨° ــ ٤٠°، وشتاءً بين ١٠° ــ ١٥°، والمعدل السنوي لحرارتها ٢٠°[٢]. وقد عبَّر الفاتحون الأوائل عن اعتدال مناخ المنطقة المحيطة بأنطاكية، يقول ميسرة بن مسروق العبسي بعد دخولهم أنطاكية صلحاً: نظرنا إلى بلد رطب طيب الهواء، كثير الماء والخيرات، فاستطابه المسلمون، ووددنا لو أقمنا فيه شهراً لنستريح، فما تركنا أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام[٣]. ومع ذلك لا تخلو بعض مناطق الجند من وخامة الهواء وفساده، نتيجة تشكل المستنقعات التي تتصاعد منها الأبخرة الفاسدة وتكثر على جوانبها البعوض وتنتشر الأوبئة، مثال ذلك بعض المستنقعات التي تحيط بالإسكندرونة[٤].

وتهب على السهول الساحلية رياح شمالية باردة تحذرها السفن، ورياح غربية وجنوبية غربية تجلب الأمطار الغزيرة، إذ يتراوح المعدل السنوي للأمطار في هذه السهول بين ٧٠٠ ــ ٩٠٠ ملم، وتشكل سلسلة الجبال الممتدة والمسايرة للساحل حاجزاً أمام الرياح الشرقية، إلا ما ينفذ منها بين الممرات والشعاب الجبلية فيؤثر في مناخ تلك المنطقة[٥].

وتشتهر المنطقة الشمالية بشدة البرودة وكثرة الثلج وغزارته، وقد عانى المسلمون الأوائل من برودة الشتاء، خاصة أثناء تتبعهم فلول القوات الرومية في جبال الأمانوس (اللكام) بعد فتح الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وكان البرد يشكل عائقاً أمامهم أكثر من وعورة المسالك الجبلية، خصوصاً لمقاتلة من جزيرة العرب واليمن اعتادوا على الجو الحار، وموطنهم "ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع إلا قليل"[٦]، لقد شكلت برودة المنطقة الشمالية عائقاً أمام تقدم المسلمين شمالاً في بعض غزواتهم لبلاد الروم حتى في فصل الصيف، إذ تسبب البرد في تعثر بعض الصوائف وعدم خروجها (تخرج الصائفة عادة في العاشر من تموز)[٧]، ففي سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م خرجت صائفة

---

(١) المسعودي، مروج ج٤، ص٢٧١، ابن جبير، الرحلة ص ٢٢٣
(٢) نصري، جغرافية سورية ص ٩٠
(٣) الواقدي، فتوح الشام ج٢، ص ٤٤٦
(٤) زكرياء، جولة أثرية ص ٥٢
(٥) نصري، جغرافية سورية ص ٩١
(٦) الواقدي، فتوح الشام ج١، ص ٢٨١
(٧) قدامة، الخراج ص ١٩٣

ولم يستطع المقاتلة المسير أبعد من نهر جيحان لشدة البرد فعادوا[١]، وفي سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م وصلت الصائفة إلى وسط بلاد الروم فأصاب الجند "برد شديد قطع أيديهم وأرجلهم"[٢].

٤ــ التنظيمات الإدارية:

- **بداية تكوين الجند:**

مرَّ جند قنسرين إدارياً ــ خلاف بقية الأجناد ــ بالعديد من المراحل التنظيمية، فقد كانت الشام مقسّمة في العهد الراشدي إلى أربعة أقسام سميت أجناداً: الأردن وفلسطين ودمشق وحمص[٣]. وكانت قنسرين تتبع جند حمص[٤]، ورستاقاً من رساتيقها[٥]، بل كانتا شيئاً واحداً[٦]، يتولى قنسرين عامل حمص[٧] أو ينتدب عليها مَن يقوم بأمرها تحت نظره[٨]، وهي بذلك كتبعية البلقاء أو بعلبك إلى جند دمشق، لكن سيف بن عمر (ت بعد ١٧٠هـ) يورد رواية مفادها أن عثمان لما مات سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م ومعاوية بن أبي سفيان على الشام كان عماله على الأجناد: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص، وحبيب بن مسلمة على قنسرين، وأبو الأعور بن سفيان على الأردن، وعلقمة الكناني على فلسطين[٩]. وحسب هذه الرواية فإن معاوية عامَلها من حيث الولاية كبقية الأجناد.

وهناك من يرى أن قنسرين قبل أن تصبح جنداً مستقلاً كانت تابعة للجزيرة[١٠] وقيل للعراق[١١]، وهذا القول مخالف لما عليه حال الجند من تبعيته لحمص أول الأمر، قبل أن يصبح جنداً مستقلاً عنها.

ثم مر الجند **بمرحلة تنظيمية ثانية**، إذ وقع فصل قنسرين عن حمص وإفرادها في جند مخصوص. ويتفق المؤرخون والجغرافيون على أن هذا الإجراء تم في عهد بني أمية، لكنهم يختلفون في تحديد الخليفة الذي أمر به. فسيف بن عمر يرجع هذا الإجراء لمعاوية بن أبي سفيان، وأنه جنَّدها وأسكنها أهل العراق ممن ترك الكوفة والبصرة في أعقاب الفتنة[١٢]، وتابعه على ذلك

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٤٨
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٤١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٢٢
(٣) ابن خياط، تاريخ ص ١٥٥
(٤) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(٥) الطبري، تاريخ ج٤، ص ١٦١، ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ٢٨
(٦) البلاذري، فتوح ص ١٣٧
(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٠٤
(٨) الطبري، تاريخ ج٤، ص ٦٧، والرواية من طريق سيف بن عمر تشير إلى وال مخصوص بسواحل الشام.
(٩) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٢١
(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩
(١١) ابن الفقيه، البلدان ص ١٤٣، ١٦٠
(١٢) الطبري، تاريخ ج٤، ص ١٦١، ابن عساكر، تاريخ ج١٨، ص ٦٦، ج٤٧، ص ٢٨٤

اليعقوبي في إفراد خراجها زمن معاوية مستقلاً عن خراج جند حمص[١]. وهذا الرأي هو الذي يميل إليه الباحث استناداً على قائمة اليعقوبي الخراجية.

ونسب كل من ابن رستة (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)[٢] وقدامة (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)[٣] وابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)[٤] وأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ٧٨٦م)[٥] وابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)[٦] هذا الإجراء ليزيد بن معاوية (حكم ٦٠ـــ ٦٤هـ)، وجاء في نسخة أخرى من كتاب ابن رستة أن معاوية بن يزيد هو من أجراه، ووهم ابن رستة ـــ بعد قوله هذا ـــ بأن جعل أجناد الشام أربعة: جند فلسطين والأردن ودمشق وقنسرين، مسقطاً منها جند حمص. أما نسبة هذا الفصل ـــ حسب النسخة الأخرى من عمل ابن رستة ـــ لمعاوية بن يزيد، والذي يقال له: معاوية الثاني فهو قول ضعيف، إذ لم يتولَ الخلافة سوى أربعين يوماً، وقيل شهرين[٧]، وهو من الضعف والعجز بحيث كنى ـــ لما تولى الخلافة ـــ بأبي ليلى؛ كنيةٌ تقال للمستضعف من العرب[٨].

أما البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ـــ ومتابعة للرواية السابقة التي جعلت قنسرين من الجزيرة ـــ فينسب إخراجها عن الجزيرة ليزيد بن معاوية[٩]، بينما يشير البلاذري إلى أن عبد الملك بن مروان (حكم ٦٥ ـــ ٨٦هـ) هو من أخرجها عن الجزيرة، بطلب من أخيه محمد بن مروان، فأفردها في جند مخصوص، يتقاضى جندها أعطياتهم من خراجها[١٠].

والإجراء الثالث: قام به الرشيد في أول سنة من خلافته (١٧٠هـ/ ٧٨٧م)، حيث جعل عدداً من مدن جند قنسرين كخطوط دفاع خلفية يرتد إليها الجند إذا ما دهمهم العدو، وسمّاها "العواصم"، وجعل بقية جند قنسرين بكورها جنداً واحداً، وقد وقع بين المؤرخين والجغرافيين خلاف في تحديد

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٦٣
(٢) ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، وانظر أيضاً: العاني، عبد اللطيف عبد الرزاق، إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف صالح أحمد العلي، جامعة بغداد، آب ١٩٦٨م، ص ٣٥، وسيشار له فيما بعد: العاني، إدارة بلاد الشام.
(٣) قدامة، الخراج ص ٢٩٩، وعنه أخذ ابن شداد ثم استدرك: "وقيل: معاوية". انظر: الأعلاق الخطيرة ج١، ق١، ص ٢٨
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٨، ٥٥، واستدرك: وقيل: أبوه معاوية
(٥) أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٤
(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٩، وانظر مجمل الآراء في عملية الفصل عند: الدعجة، مهند نايف، حمص منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة بإشراف شكران خربوطلي، جامعة دمشق، قسم التاريخ ٢٠٠٧م، ص ٨٩ ـــ ٩١، وسيشار له فيما بعد هكذا: الدعجة، حمص.
(٧) المسعودي، مروج ج٣، ص ٢٧٠، العظيمي، تاريخ حلب ٩٧، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٠٤
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف ج٥، ص ٣٧٩، المسعودي، مروج ج٣، ص ٢٧٠، المسعودي، التنبيه ص ٣٠٧، ابن منظور، لسان العرب، مادة: ليل
(٩) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩، ٤٩٨
(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٣٨

مدلول اللفظة بمعناها الإداري، فابن خرداذبة وابن الفقيه يحددان مدن العواصم بمواضع معينة هي: "كورة قُوْرُس، وكورة الجُومَة، كورة مَنبج، كورة أنطاكية، كورة تيزين، وبوقا، وبالس، ورُصافة هشام"[١]، وخالفهما في التعداد قدامة وياقوت وابن شداد وابن الشحنة[٢]، إذ أسقطوا منها "الجومة وبوقا وبالس" ــ وزاد قدامة بإسقاط الرصافة أيضاً ــ وأضافوا بدلاً منها "دلوك ورعبان". بينما اختزل المهلبي عواصم الثغور في ثلاث مدن فقط: "أنطاكية والجُومة وقُوْرُس"[٣]، لكن الجميع على وفاق في اعتبار المدن التي تقع أعلى هذا الحزام ومن أسفله هي من جند قنسرين. وظن ابن رستة أن العواصم موضع بعينه[٤]، مثلها مثل قنسرين أو حلب، ولا يعتد بما ذهب إليه.

وتجاوز الإصطخري وابن حوقل عن تحديد المدلول الإداري للعواصم، سوى ذكرهما أن العواصم "اسم للناحية وليس بمدينةٍ أو موضع يسمى بذلك؛ وأن قصبتها أنطاكية"[٥]. وبدا البكري أكثر خلطاً وعدم تمييز إذ عدَّد جميع مدن قنسرين تحت عنوان وضعه باسم "العواصم"[٦]، ثم في موضع آخر يعدد مدن الثغور الجزرية ومدن الثغور الشامية ويذكر العواصم كإحدى مدن الثغور الشامية[٧]؟!، وحدد ياقوت نطاق العواصم بين حلب وأنطاكية، ثم قال: "وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي، وزعم بعضهم أن حلب ليست منها وبعضهم يزعم أنها منها"[٨]، وذكر ياقوت في موضع آخر ما يدل على أن العواصم والثغور شيئاً واحداً، قال: "ويعد في الشام أيضاً الثغور وهي: المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك"[٩]، وهو ذات الفهم للمصطلح عند الوطواط الذي اعتبر الثغور والعواصم شيئاً واحداً[١٠].

وفهم الطبري تصرّف الرشيد على أنه عزلٌ للثغور عن الجزيرة وقنسرين، وأنه أراد جعل الثغور حيزاً واحداً اسمه العواصم[١١]، وفهمه الأزدي بطريقة مغايرة أيضاً "أفردت الثغور عن الجزيرة وقنسرين وسُمي ما دونها العواصم"[١٢]، بينما تناول البلاذري مدن العواصم ضمن جند

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، ابن الفقيه، البلدان ص ١٦١
(٢) قدامة، الخراج ص ٢٩٩، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٢٨، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٩
(٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٧
(٤) ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، أما أبو الفداء (تقويم ٢٣٣) فكان ناقلاً لبعض أراء من تقدم دون بيان الرأي.
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، ١٨٧
(٦) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩
(٧) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٩٨
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥
(٩) ياقوت، المصدر نفسه ج٣، ص ٣١٢
(١٠) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(١١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٣٤
(١٢) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٦٢

قنسرين، وتناول الثغور الشامية والثغور الجزرية كل على حدة[١].

وكانت مدن العواصم هذه، تشكل في عهد عمر وعثمان ثغور المسلمين، أي أنها حد أرض المسلمين، يغزون من ورائها[٢]. ويلفت النظر أن الواقدي والبلاذري وقدامة استخدموا مصطلح "العواصم" ملحقاً بقنسرين في كلامهم على أخبار فتوح الشام الأولى في عهد عمر بن الخطاب[٣]، بل أورده الواقدي أيضاً في خطاب "بطريق قنسرين والعواصم" الذي وجهه إلى أبي عبيدة في طلب الصلح لسنة واحدة ريثما تنجلي الأمور، وفيه: "وأنا أريد أن تجعل بيننا وبينكم علامة من حد بلادنا قنسرين والعواصم"[٤]. وحسب العلامة (صورة هرقل) التي اتفقوا على وضعها كحدٍ لقنسرين والعواصم فلم تكن حلب وأنطاكية والعمق داخلة فيها بل خارجة عنها[٥]. فهل كان مصطلح العواصم معروفاً ومتداولاً في أثناء المرحلة الثانية من فتح الشام والتي تمت في خلافة عمر بن الخطاب؟ أم أن كلمة "العواصم" تسربت إلى نصوص المؤرخين الثلاثة؟ أو أنهم أرادوا إسقاط مصطلح العواصم الحديث في زمنهم على فترة سابقة ليتضح للقارئ معرفة الأماكن التي سارت عليها الفتوح.

وذهب ابن شداد والوطواط إلى أن اعتبار العواصم جنداً مستقلاً عن قنسرين يعني وجود ستة أجناد في بلاد الشام[٦]، لكن الوطواط خلط بين فصل جند قنسرين عن حمص وبما قام به الرشيد من فصل العواصم، ونسب كل ذلك لمعاوية أو ابنه يزيد[٧]، وجعل الحميري العواصم كورة من كور الشام وأضاف: "اختزل الرشيد الثغور من الجزيرة وقنسرين وسماها العواصم"[٨]. فالعواصم عنده هي لفظ مرادف للثغور.

واختلف الجغرافيون أيضاً في نسبة المواضع إليها، فعلى سبيل المثال جعل بعض الجغرافيين مدينة الحدث من العواصم[٩]، وعدها آخرون من الثغور الجزرية[١٠]، ومثل هذا الخلاف نجده في

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، ١٦٨، ١٨٧
(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٦٨، ابن الفقيه، البلدان ص ١٦١، قدامة، الخراج ص ٣٠٧، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٨٠
(٣) الواقدي، فتوح الشام ج١، ص ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٦، ج٢، ص ٣٥٨، ٣٧٣، البلاذري، فتوح ص ١٥٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٣
(٤) الواقدي، فتوح الشام ج١، ص ٢٠٧، ٢٠٨
(٥) الواقدي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠٩
(٦) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٢٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(٧) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(٨) الحميري، الروض ص ٤٢٢
(٩) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧
(١٠) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١١٥، ١٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

كلامهم على: ملطية، وحصن منصور، والهارونية، والكنيسة السوداء (أو المحترقة)، والمصيصة، وعين زربة، وأذنة، وطرسوس، وغيرها.

ولما كان المقصود بالعواصم تلك المواضع التي تعصِم (تحفظ) المسلمين إذا طرقهم العدو فيلجأون إليها، فإن المراد منها أن تكون خطوط دفاع خلفية للمقاتلة، يتراجعون إليها وقت غلبة الروم على المدن المواجهة لهم، وأقدم من حدّد هذه العواصم كان ابن خرداذبة، وإذا نظرنا إليها فهي على صورة القوس أو الهلال الذي يحتضن بلاد الشام الشمالية، يبتدئ من الرصافة في أقصى الجنوب الشرقي من جند قنسرين حتى أنطاكية في جهة الغرب، مروراً ببالس ومنبج وقُوْرُس وبوقا، وما هو فوق هذا الخط وتحته يشكل مدن قنسرين(١)، وما إضافة دلوك ورعبان ــ حسب البلاذري(٢) وقدامة(٣) وياقوت(٤) وابن شداد(٥) ــ إلا استكمالاً لهذا القوس ومدّه قليلاً باتجاه الشمال.

- **أسباب استحداث الجند:**

تعزو بعض الدراسات الحديثة(٦) أسباب فصل قنسرين عن جند حمص وتصييرها جنداً قائماً بذاته، ثم استحداث العواصم بعد ذلك، إلى العامل الأمني والضرورة العسكرية المتمثل في التهديد البيزنطي للواجهة الشمالية الغربية للدولة العباسية، بينما سكتت المصادر الأولية عن بيان السبب الداعي لمثل هذا الإجراء.

وإذا كان العامل الأمني المتمثل بالتهديد البيزنطي للواجهة الشمالية مقبولاً في العهد الأموي، نتيجة لجدّيّة الحرب بين الطرفين، مما استدعى تنظيم الواجهة الشمالية بفصل قنسرين عن حمص، فإنه ــ أي العامل الأمني ــ لا يبدو مقبولاً أو مبرراً في حالة استحداث الرشيد للعواصم. فالمحاولات الرومية للنيل من الواجهة الشمالية لم تكن مؤثرة بما يستدعي هذا الاجراء، وكانت الهجمات الرومية التي واجهتها بعض المدن الثغرية في عهد والده وعهد أخيه الهادي ثم عهده هو محدودة للغاية، وهي قيام الروم في سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م بالإغارة على مرعش، فسبوا وقتلوا عدداً من أهلها(٧)، وأيضاً مهاجمتهم في سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م مدينة الحدث التي كانت قد بنيت بأمر والده

---

(١) انظر: ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، الإصطخري، مسالك ص ٦٥

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٣٨

(٣) قدامة، الخراج ص ٢٩٩

(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٥١، ج٤، ص ١٦٥

(٥) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٨٤

(٦) الحياري، مصطفى علي، جند الأردن "ملاحظات حول حدوده الجغرافية"، مجلة الأبحاث، السنة ٣٥، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤، خماش، نجدت، الشام في صدر الإسلام "من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية: دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية"، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م. ص ٢١٧، الدعجة، حمص ص ٩١

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٧

المهدي فنزل بها الروم في جيش كبير، وتفرق عنها من كان نازلاً بها[١]. فبالنسبة للحادثة الأولى التي تعرضت لها مرعش فقد كان السبب في توغل الروم هو تخاذل ثمامة العبسي متولى الصائفة عن مدافعتهم واستهانته بهم[٢]، وأما ما لحق بمدينة الحدث فقد تفرق عنها أهلها لأن المدينة بنيت من اللبن والطين فلم يكن بنائها متيناً فلما حل الشتاء ونزلت الأمطار تهدمت المدينة وتصدع سورها فهاجمها الروم وهرب عنها أهلها[٣].

أما المحاولات الرومية في عهد الرشيد فمنها ما بلغ الرشيد في سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م من نية الروم وتآمرهم للخروج إلى طرسوس[٤]، وهو أمر لم يحدث، وأيضاً محاولتهم التعرض لملطية فلم يقدروا عليها بل كانت محاولتهم وبالاً عليهم إذ غزاهم الرشيد "فأشجاهم وقمعهم"[٥].

وإذا ما تقيّدنا بالمعنى اللغوي لكلمة "العواصم" وأنها تحفظ المسلمين عند طروق العدو لهم، فربما كان هجوم الروم على مدينة الحدث وما جرى فيها من تفرق السكان وشتات شمل الجند قد دعاه لاتخاذ هذا الإجراء، فيعرف أهل الثغور أن ملجأهم ــ إذا ما طرقهم العدو وعجزوا عن المدافعة ــ التراجع إلى العواصم. لكن عملياً لم يحصل أن تم هذا الإجراء على أرض الواقع، ولم يحدث وأن تراجع المقاتلة إليه عند تعرضهم لهجمات الروم.

لقد كانت محاولات الروم للاعتداء على الواجهة الشمالية ــ خلال نصف قرن تقريباً (١٧٠هـ/ ٧٨٧م حتى ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م) لا تتجاوز أربع محاولات حسبما يأتي استعراضه في الفصل الثاني، وهذا ينفي الدوافع الأمنية في أسباب استحداث العواصم.

ومحاولةً لمعرفة دافع الرشيد لاتخاذ مثل هذا الإجراء الإداري والعسكري في آن واحد، وجب تتبع علاقته بجند قنسرين والبعوث العسكرية المرسلة لمحاربة الروم؛ وهذه العلاقة قديمة، إذ أرسله والده المهدي على رأس صائفة لغزو الروم سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م[٦]، وهو صبي لم يتجاوز

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٠٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٩٤

(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٣٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٢، Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٣

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، غريغوريوس جمال الدين بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، (ترجمه عن السريانية) الأب إسحق أرملة، (تقديم) الأب جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م. ص١٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠

(٤) البلاذري، فتوح ص ١٧٣ ــ ١٧٤

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٩٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٦

(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٧، البلاذري، فتوح ص ١٧٥، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٨، الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٥٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٣، مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، الجزء الثالث، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، والجزء الرابع، القسم الأول (بتحقيق) عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٢م. ج٣، ص ٢٧٨، وسيشار له فيما بعد: مجهول، العيون والحدائق. مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن عساكر، تاريخ ج٥٩، ص ٤٤٥، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٢٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق ١ ص ٥٤

عمره خمس عشرة سنة، وكان تعداد هذه الصائفة كبيراً جداً إذ بلغ عددهم ٢٠٨ آلاف مقاتل، تمكن الرشيد خلالها من فتح حصون كثيرة، منها حصن سَمَالو (أو صمالو) الذي حاصره مدة ٣٨ يوماً[١]، ووجهه أبوه بعدها بسنتين (سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م) في غزوة أخرى تعدادها نحو ٩٦ ألف رجل، فافتتح عدة حصون وقفل في المحرم من السنة التي تلتها بالكثير من الفئ والأنعام وعقد الهدنة لمدة ثلاث سنوات[٢]، فمن هذا يظهر معرفة الرشيد بطبيعة الثغور وبلاد الروم وصعوبة المنافذ إليها، حتى أنه ضمَّن شروط الهدنة أن توقر له الأسواق والإدلاء في طريق عودته، وخلال مدة حكمه الذي دام ثلاث وعشرين سنة[٣]، غزا بنفسه الصائفة عدة مرات.

ولما كانت نية الرشيد في الجهاد وشن الهجمات على الروم جدية ورغبته واضحة، لجأ إلى تنظيم الواجهة الشمالية وتحصين الثغور وشحنها بالمقاتلة والسلاح، فكان أول إجراء إداري وعسكري اتخذه بخصوص الثغور أن جعل العواصم حيزاً واحداً، ليس خوفاً واحترازاً من هجمات الروم بل رغبة في الهجوم والسيطرة على أراض رومية جديدة وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وهذا التفسير هو ما ارتضاه أندريه كلو[٤] في اعتباره إجراءً تخطيطياً للهجوم لا إجراء احترازياً، يدعمه رأي قدامة في العواصم من أنها بمثابة مستودع للجند المقاتلة والمؤن، ومراكز إمداد للجيش في أوقات النفير[٥].

- **النواحي الإدارية التابعة للجند في العصر العباسي:**

يعد جند قنسرين من أكبر أجناد الشام وأكثرها مدناً وحصوناً[٦]، وكانت قصبته (مدينته العظمى) هي حلب، وأشار المقدسي[٧] إلى أن اعتبار حلب هي المدينة العظمى بالرغم من وجود مدينة تسمى قنسرين، كان بسبب جلالتها وما آل إليه وضعها زمن بني حمدان واتخاذها داراً للإمارة، وعلى هذا فإن أي مدينة أو موضع وقعت نسبته إلى حلب في المصادر التراثية فإنما هو من جند قنسرين.

واختلفت المصادر الجغرافية في تحديد التبعية الإدارية لبعض هذه المواضع، خاصة في التمييز

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٨، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٢٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٢، ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ٥٤

(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٨، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٨، ٢٨٢ وفيه: "سنة ١٦٤هـ"، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٥٢ ــ ١٥٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٩، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٦، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٥٥

(٣) بويع في ١٤ ربيع الأول ١٧٠هـ/ ٧٨٦م ووفاته في جمادى الأولى ١٩٣هـ/ ٨٠٩م.

(٤) كلو، أندريه، هارون الرشيد ولعبة الأمم، (ترجمة) صادق الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٥، ص ٦٥، ١٢٩

(٥) قدامة، الخراج ص ١٨٦

(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٠

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٦

بين مدن الثغور ومدن الجند، مثاله حلب التي عرّفها الإسكندري بأنها "البلد المعروف من قنسرين من الثغور الجزرية"[١]، و"دلوك ورعبان" مدينتان من الثغور الجزرية ذكرهما ابن خرداذبة مرة تتبعان لقنسرين[٢] وأخرى من الثغور الجزرية[٣]، وجعلهما اليعقوبي[٤] من قنسرين، أما ابن رستة[٥] فجعلهما من الثغور الشامية، وعند ياقوت "من نواحي حلب بالعواصم"[٦]. ويجب أن نراعي أن ياقوت يتحدث في نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجري، في وقت أصبحت الشهرة في الشام كله تنحصر في حلب ودمشق، بتزامن مع انعدام ذكر قنسرين شيئاً فشيئاً، التي أصبحت منذ مطلع القرن الرابع الهجري "مدينة خربة صغيرة"[٧]، فورثت حلب إرث قنسرين في نسبة المواضع إليها، وعلى هذا فعندما أفرد ابن العديم باباً للحديث عن "فضل قنسرين" قال: "اعلم أن لحلب من هذه الفضيلة الحظ الأوفر والنصيب الأكثر، لأن ذكر قنسرين في الغالب عند الإطلاق ينصرف إلى جُند قنسرين، فيتناول ناحيتها، وحلب هي قصبتها ومدينتها العظمى"[٨].

وعلق الوطواط على الاختلاف الحاصل بين الجغرافيين في نسبة المواضع بسبب متاخمة المواضع بعضها لبعض وبسبب كون بعضها مضافاً إلى إقليم أو وحدة إدارية أخرى قريبة منه، وعلى هذا فإن "المعتنين بتحديد الأصقاع يضطربون في توزيع هذه البلاد وترتيبها"[٩].

وبعض المصادر سكتت عن تحديد التبعية واكتفت بذكرها في إطار التعداد العام لمدن بلاد الشام، وبالرغم من أن المقدسي شامي فقد أخطأ في نسبة عدد من المواضع لجند قنسرين وخاصة تلك التي تتفق بقية المصادر على تبعيتها لجند حمص، مثل: رفنيَّة وجوسية وحماة وشيزر.

وقد اقتصرت الدراسة ــ في إثبات المدن التابعة للجند ــ على تلك التي وردت في المصادر المبكرة حتى القرن الرابع الهجري. وسوف يتم استعراضها ابتداءً من مدن الجنوب صعوداً نحو الشمال، ولسهولة التمييز بينها سيتم تقسيم الجند إلى قسمين:

الأول: المدن والقرى والمواضع الداخلية.

الثاني: مدن وحصون الثغور: الجزرية والشامية.

---

(١) الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٣٠١
(٢) ابن خرداذبه، المسالك ص ٧٥
(٣) ابن خرداذبه، المصدر نفسه ص ٩٧
(٤) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٥٥
(٥) ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٦١، ج٣، ص ٥١.
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٦
(٨) البكري، المسالك ج١، ص ٤٦١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٧٥
(٩) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٥٠

أولاً: المدن والقرى الداخلية:

- **الرصافة:** تقع في أقصى جنوب شرق الجند في البرية، وتبعد عن حلب نحو ٢٠٠كم(١)، وعن الرقة نحو ٥٠كم إلى جهة الجنوب الغربي، وتسمى رصافة هشام، وهي قديمة من بناء الروم(٢)، منيعة ولها سور من الحجر، وشرب أهلها من مصنع (خزان) كبير في داخل السور ولا ماء عندهم من غيره(٣).
- وإلى الشمال الشرقي من الرصافة تقع **خُناصرة:** وهي تحاذي قنسرين وعلى حدّها(٤)، تقع في طرف البرية من جند قنسرين(٥)، شرقي حلب بميلة إلى الجنوب على بعد نحو ٧٠كم(٦)، سميت نسبة لخُناصرة بن عمرو بن الحارث الكلبي الكناني(٧)، وكانت في عهد بني أمية مسكناً لعمر بن عبد العزيز(٨)، وحصنها مبني بالحجر الأسود الصلد(٩). وتسمى اليوم خناصر.
- **معرة النعمان:** وتقع غربي خناصرة وجنوب قنسرين على بعد نحو ٧٠كم، ونحو ٨٤كم جنوب حلب(١٠)، وهي مدينة كبيرة عامرة(١١)، منسوبة للصحابي النعمان بن بشير، وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور(١٢)، بينما ذكر البكري أنها سميت بذلك لأن الجبل المطل عليها يسمى النعمان(١٣)، ووقع في نسبتها خلاف بين الجغرافيين فمنهم من جعلها من قنسرين(١٤)، ومنهم من نسبها إلى حمص(١٥)، وهي تمثل حد جند قنسرين من ناحية الجنوب.

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٧، خطاب، بلاد الجزيرة ص ٣٢
(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٢٠٧، وكانت تسمى: سيرجيوبوليس، أي مدينة القديس سركيس
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٣
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٩٠
(٥) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢١٤، الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٦، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢، وعدّها الإسكندري من جند حمص، انظر: الأمكنة ج١، ص ٤٦١
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢، عبودي، معجم الحضارات ص ٣٨٦
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٥
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٥
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص
(١٠) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٦٥، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٣٠٧
(١١) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢
(١٢) الهروي، الإشارات ص ٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧ ــ ١٢٨، ولكن ابن الشحنه جعل تسمية ذات القصور مختصة بمعرة مصرين. انظر: الدر المنتخب ص ١٦٥
(١٣) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩
(١٤) الإصطخري، مسالك ص ٦١، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤، البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢
(١٥) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٤، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٥٦، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٤

- **حصن بَرْزَوَيْه:** أو: برزية، مدينة وحصن من جند قنسرين[١]، تقع غربي معرة النعمان، في السفوح الشرقية لجبال اللاذقية، وتحيط بها الأودية من جميع جوانبها[٢]، وهي في طرف جبل الخيط من شرقيه، وتطل على بحيرة أفامية[٣]، وفيها قلعة صغيرة مستطيلة يضرب المثل بحصانتها فيقال: "كأنه في حصن برزية"[٤]. وتسمى اليوم "مرزا" وتبعد ٣كم عن قرية الصفصافة في محافظة حماة، ولا زالت بعض بقايا قلعتها إلى اليوم كبقايا السور والأبراج والباب المشرف على البلدة[٥].
- **بالس:** وتقع في جهة الشرق، وهي إحدى مدن العواصم[٦]، صغيرة على شط الفرات الغربي[٧]، ومنها ينعطف الفرات شرقاً بعد جريانه إلى الجنوب[٨]، وهي أولى مدن الشام من ناحية العراق[٩]، بين الرقة وحلب[١٠]، وتقع جنوب شرقي حلب على بعد ٩٠كم[١١]، وتبعد عن منبج نحو ٨٠كم في جهة الجنوب[١٢]، وتسمى اليوم: مسكنة[١٣]. وكانت مدينة عامرة[١٤].
- **خُساف:** وهي بالقرب من بالس بينها وبين حلب[١٥] تقع على الطريق بين الشام والعراق[١٦]، وتوجد في بريتها العديد من القرى الخراب[١٧]. وكانت تسمى أيضاً زراعة بني زُفَر، لأنها كانت مزرعة لبني زفر بن الحارث الكلابي[١٨].
- **الناعورة:** وهي أيضاً بلدة بين حلب وبالس[١٩]، على طريق السائر بين العراق والشام[٢٠]، وفيها

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٠
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٨٣
(٣) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٨٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٢٨
(٥) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٠٢
(٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥
(٧) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، سهراب، عجائب الأقاليم ص ٢٥، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٢٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩، موستراس، المعجم الجغرافي ص ١٦٩
(٨) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٩
(٩) الإصطخري، مسالك ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٠، المقدسي، أحسن التقاسيم ١٥٥، أبو الفداء، تقويم ٢٦٩
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٢٨
(١١) موسى، علي حسن، السياحة في سورية، (د.م)، (د.ن)، ٢٠٠٤م، ص ١٦٣
(١٢) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٤٩
(١٣) موستراس، المعجم الجغرافي ص ١٦٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٤٩
(١٤) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٩
(١٥) المسعودي، مروج ج٥، ص٢٨، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٧٠، ج٣، ص ١٣٥
(١٦) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨١
(١٧) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص٣٧٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص٦٤، نقلاً عن رحلة المعتضد للسرخسي.
(١٨) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٣، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٦٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٣
(١٩) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٥٣
(٢٠) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨١

قصر مسلمة بن عبد الملك، وهو مبني من الحجارة وليس بالكبير[١]، أدرك ابن العديم (ق ٧هـ/ ١٣م) قصرها المذكور ووجده مهدَّماً وشاهدَ بقايا حجارته السود الكبيرة المنحوتة[٢].

- **قنسرين** وهي تقع في وسط الجند وهي مركزه[٣] وأصغر المدن فيه[٤] وأضيق تلك النواحي بناءً[٥]، وبالرغم من ذلك فإن الجند ينسب إليها[٦]، لأن المقاتلة كانت تنزل بها في صدر الإسلام[٧]، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة حلب على بعد نحو ١٥كم[٨]، على الضفة اليمنى من نهر قويق[٩]، ويقال لقنسرين هذه قنسرين الأولى[١٠] وقنسرين الثانية هي حيار بني القعقاع[١١]، وكانت لقنسرين قلعة حصينة[١٢]. وقنسرين هي اليوم عبارة عن قرية صغيرة تسمى العيص تحيط بها الأطلال[١٣].
- **حيار بني القعقاع:** ويقع شمالاً من قنسرين ويعرف بقنسرين الثانية[١٤]، وأيضاً بحيار بني عبس[١٥]، بينه وبين حلب يومان[١٦]، وكان مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى، وأصبح بعدها برية ليس فيها غير الوحوش[١٧]، والحيار بلد مشهور قبل الإسلام، وبه كان مقيل ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء اللخمي، فنزله بنو القعقاع بن خليد من بني عبس ونسب إليهم، وقيل: إن عبد الملك بن مروان أقطع القعقاع وعمه العباس بن جزء قطائع به فسمي باسمهم[١٨].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص٦٤ نقلاً عن رحلة المعتضد للسرخسي
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٤
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص١٥٤، ووهم الحميري عندما ظن أنها هي الجابية ذاتها. انظر: الروض المعطار ص٤٧٣
(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦١
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧
(٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧
(٨) موسى، السياحة في سورية ص ١٥٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج٤، ص ٦٠٩ وفيه: بعدها عن حلب ٧كم.
(٩) Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤.
(١٠) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠
(١١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١
(١٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٧، الحميري، الروض ص ٤٧٤
(١٣) Elisseeff. N, Kinnasrin, EI٢, Vol V, p ١٢٤.
(١٤) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢
(١٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤١
(١٦) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٢٧
(١٧) الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٤٢٧، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٢٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢
(١٨) البلاذري، فتوح ص ١٥٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٣ ـــ ٣٠٤، الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٤٢٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٥

- **حاضر قنسرين:** وهو يقع إلى الشرق من قنسرين على بعد ٤كم(١)، ويسمى حاضر طيء نسبة لقبيلة من طيء سكنته(٢)، وكانت تنوخ قد نزلت به منذ أول نزولهم الشام(٣)، وكانوا في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل(٤)، وكان للحاضر سور وقلعة(٥)، وقد زار أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) حاضر قنسرين فوجد مدينتها وبيوتها وبساتينها خالية ليس فيها أحد، فقيل له إنه كان بينهم وبين أهل حلب قتال تفرقوا بعده(٦)، وقد آل أمر الحاضر في القرن السابع الهجري بأن أصبح قرية كبيرة يسكنها الفلاحون، وخربت القلعة وأصبحت تلاً(٧).
- **وادي بُطْنان:** وهو إلى الشرق من قنسرين(٨)، وكان عبد الملك بن مروان يعسكر فيه كل سنة حتى إذا دخل الشتاء رحل عنه، وكان نزوله على مرج قريب منه، وفي وادي بُطْنان يجري نهر الذهب ويمر على قرى فيسقيها حتى يصل سبخة الجبُّول(٩).
- **حلب:** وتقع شمالاً من قنسرين وهي قصبتها أو: مدينتها العظمى(١٠)، وجعلها ابن رستة إحدى كور الشام(١١)، وتقع إلى الشمال الشرقي من قنسرين على بعد ١٥كم(١٢)، وتبعد عن معرة النعمان ٨٣كم(١٣)، وهي مدينة جليلة عامرة(١٤)، وكانت مأهولة بالسكان(١٥)، وهي اليوم ثاني

---

(١) Whitcomb, Archaeological Whitcomb, Donald, Archaeological Evidence of Sedentarization: Bilad al- Sham in the Early Islamic Period. In: Stefan Hauser, Die Sichtbarkeit von Nomaden und saisonaler Besiedlung in der Archaologie Multidisziplinare Annaherungen an ein methodisches Problem, halle, ٢٠٠٦, p ٢٨

(٢) الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٤١٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٢

(٤) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٢

(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٧

(٦) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٨

(٧) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٧

(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٨٨، البلاذري، فتوح ص ١٥٤، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣

(٩) ابن أعثم، الفتوح ج٦، ص ٢٥٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢

(١٠) قدامة، الخراج ص ١٧٧، المسعودي، التنبيه ٤٣، الإصطخري، مسالك ٦١، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤، ١٥٦، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، البكري، المسالك ج١، ص ٤٦١، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢

(١١) ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧

(١٢) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٥١

(١٣) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٣٠٧

(١٤) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧

(١٥) الإصطخري، مسالك ص ٦١، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩

المدن السورية من حيث عدد السكان، وكانت فيها قديماً دار الإمارة[١]، ويحيط بالمدينة سور من الحجارة[٢]، والقلعة تقع اعلى رأس جبل ليس لها طريق إلا من جهة واحدة، ومسورة بسور حصين من بناء الروم[٣]، واعتبرت إحدى عجائب الدنيا الثلاث إلى جانب جب الكلب، ونهر الذهب؛ لعلوها وارتفاعها[٤].

- **حاضر حلب:** يقع إلى الجنوب الشرقي من حلب، وهو غير حاضر قنسرين (حاضر طيء)، لأن البلاذري وقدامة ذكرا الاثنين، وكان عبارة عن محلة كبيرة بظاهر حلب[٥]، تجمع قبائل عديدة من تنوخ وغيرهم[٦]. وكان فيه قصر لسليمان بن عبد الملك ابتناه أيام ولايته ولهذا سمي بالحاضر السليماني[٧]، وقد استغل أهل الحاضر الاضطرابات التي عمت الدولة الإسلامية أثناء الفتنة بين الأخوين فعمدوا لمهاجمة حلب، وتم صدهم وإخراجهم بمعونة العباس بن زفر الهلالي فتوجهوا إلى قنسرين وفشلوا أيضاً في التغلب عليها وتفرقوا بعد ذلك في البلاد[٨].
- **سرمين:** وتقع في ناحية الجنوب الغربي من قنسرين، وهي إحدى مدن الجند[٩] بطرف جبل السماق[١٠]، إلى الجنوب الغربي من حلب، وبينهما مسيرة يوم[١١]، وهي جنوب شرق مدينة إدلب على بعد ٩كم[١٢]، ويحيط بها سور من الحجر[١٣]، ولها أسواق ومسجد جامع[١٤].

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ناصر خسرو (كان حياً ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، سفر نامة، (ترجمة) يحيى الخشاب، ط٢، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٥٥، وسيشار له فيما بعد: ناصر خسرو، سفرنامة، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٨

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، التطيلي، رحلة ص ٢٨٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥١، ٥٨

(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٤٨

(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٥١، قدامة، الخراج ص ٣٠٣ ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٤

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩١، ابن الشحنة، الدر المنتخب ٥٨

(٨) البلاذري، فتوح ص ١٥١، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦

(٩) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، قدامة، الخراج ص ٣٠٤، وذكرها ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢١٥ (وفيه: من أعمال حلب)، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢

(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١

(١١) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، ٢٦٥

(١٢) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٩٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٦١٦

(١٣) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٢، وخالفه أبو الفداء في ذلك (تقويم البلدان ص ٢٦٥) وقال: ليس لها سور، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٩

(١٤) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٥

- **معرَّة مَصْرين:** وتقع إلى الشمال من سرمين والجنوب الغربي من حلب(١)، وتبعد عن إدلب ١٠كم إلى الشمال الشرقي منها(٢). وهي من مدن الجند(٣)، صغيرة نزهة(٤)، ولها سور قديم مبني بالحجر(٥)، وأصبحت في القرن السابع الهجري كورة تتبع إليها قرى وبلدات(٦).
- **مَرْتَحوان:** وهي إلى الشمال الغربي من معرة مصرين، من نواحي حلب(٧)، وتبعد عن معرة مصرين مسافة ٩كم، وعن إدلب نحو ١٧كم، وتسمى اليوم معارة الإخوان(٨).
- **قلعة الأثارب:** وهي في ناحية الغرب من قنسرين، وتقع بين حلب وأنطاكية(٩)، وتبعد عن حلب نحو ٣٠ كم، أو مسيرة يوم(١٠)، وعن أنطاكية يومان(١١)، وعن بلدة عفرين ١٠ كم، وكانت القلعة خراباً في زمن ياقوت (القرن السابع الهجري)(١٢). وهي اليوم مركز ناحية بمحافظة حلب وتسمى الأتارب بمثناة فوقية عوض المثلثة(١٣).
- **حارم:** وهي إلى الغرب من حلب وشمالاً من الأثارب وهي بلدة صغيرة ذات أشجار وأعين ونهر صغير(١٤)، ولها قلعة حصينة(١٥)، تقع إلى الشرق من بغراس(١٦) بين حلب وأنطاكية(١٧)، وتبعد عن حلب إلى جهة الغرب نحو ٥٣كم، وشرق أنطاكية على بعد نحو ٤١كم(١٨)، وكانت حارم قديماً حظيرة "صيرة" لجمع المواشي(١٩)، وهي اليوم مدينة عامرة ومركز ناحية في محافظة إدلب(٢٠).

---

(١) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١
(٢) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٦٥، زكرياء، جولة أثرية ص ١٣٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٣٠٤
(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، ١٥٤، قدامة، الخراج ص ٣٠٤، ووردت عند المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤: "معرة قنسرين"، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣
(٤) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٣
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٥٥
(٧)اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢ وفيه: من مدن كورة حلب، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٠٠
(٨) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٣٠٢
(٩) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨١، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٨٩
(١٠) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٩٠، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٥١
(١١) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٨٩
(١٣) طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٥١
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص٢٠٥، أبو الفداء، تقويم ص٢٥٩، وانظر: طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٧
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٠، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(١٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٩
(١٧) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(١٨) زكرياء، جولة أثرية ص ٨٠، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٤٨، طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٧
(١٩) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٣
(٢٠) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٧

- **تل أعزاز:** وهو حصن (قلعة) وعمل بالقرب من حلب إلى جهة الشمال بميلة إلى الغرب[١]، على بعد نحو ٤٧كم[٢]، أو مسيرة يوم[٣].

ثانياً: مدن الثغور:

الثغور الجزرية:

- **جسر منبج:** وهي أول مدينة ثغرية تقع في أقصى جهة الشرق من الجند، وهي مدينة صغيرة تقع غربي نهر الفرات[٤]، في سهول حلب الشرقية، وشمال شرقي مدينة حلب على بعد ١١٥كم، وتبعد عن منبج نحو ٣٠كم، إلى الشرق منها[٥]، وعن بالس أربعة أيام[٦]، وهي مدينة حصينة[٧]، وتسمى الآن قلعة النجم[٨].
- **منبج:** وهي تقع إلى الغرب من جسر منبج، وهي معدودة من العواصم[٩]، وجعلها البلاذري وياقوت قصبة العواصم[١٠] (مدينتها العظمى)، وذكرها قدامة مرة من جند قنسرين وأخرى من العواصم[١١]، وهي مدينة قديمة تقع قرب نهر الفرات[١٢]، إلى الشمال الشرقي من حلب على بعد نحو ٨٠كم[١٣]، وتبعد عن ملطية أربعة أيام[١٤]، وبقعتها في أرض منبسطة[١٥].
- **دلوك:** وتقع شمال عينتاب، وهي مدينة قديمة تقع قرب رعبان إلى جهة الغرب، وفيها قلعة عالية

---

(١) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢
(٢) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٧٧، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ١١٣
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١١٨
(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ٧٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، ٢٢٧، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٩١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٨، ١١١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١٠، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٩
(٥) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٦٩، زكرياء، جولة أثرية ٢٣٢، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٤٠٦
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢١٠
(٧) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٨١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٩١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١١
(٨) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٨، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٩، وقد ورد اسمها في كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي ج٢، ٤٥١: "قلعة نجم"، وهو ما يشكك في نسبة عدد من نصوصه للواقدي (ت ٢٠٧هـ)، إذ أن القلعة منسوبة إلى نجم غلام جني الصفواني وكان أميراً على الرقة سنة ٣١٦ هـ في خلافة المقتدر. انظر: المسعودي، التنبيه ٣٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١١١، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، زكرياء، جولة أثرية ٢٣٢، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٤٠٧
(٩) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣
(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٥
(١١) قدامة، الخراج ص ١٧٧، ١٨٧
(١٢) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٩٠، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، الحميري، الروض ص ٥٤٧، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٦٨
(١٣) زكرياء، جولة أثرية ص ٢١٧، موسى، السياحة في سورية ص ١٣٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٣٤٨
(١٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥، ١٨٧، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٧
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٥

مبنية بالحجارة من بناء الروم، تصلها المياه عبر قناة رُكِّبت على قناطر، وحول المدينة مباني جميلة مبنية من الحجر المشذب، وتحيط بها المياه والبساتين الكثيرة العامرة بالفواكه والكروم(١).

- **رعبان:** وتقع إلى جهة الشمال الشرقي من دلوك، وهي مدينة صغيرة قديمة البناء ولها قلعة حسنة(٢)، تقع في أسفل جبل، وقد خربتها الزلازل سنة ٣٤٠هـ فأعاد سيف الدولة عمارتها(٣).
- **كيسوم:** وهي في جهة الشمال من دلوك ورعبان، وهي مدينة قديمة حصينة(٤)، إذ كان لها خمسة أسوار وخندق(٥)، ثلاثة من أسوارها بناها نصر بن شبث العقيلي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م(٦)، واستمدت شهرتها من تحصن ابن شبث ــ الآتي ذكره في الفصل الثاني ــ فيها، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة أديامان (Adiyaman) التركية(٧)، وتسمى اليوم كيسون (Keysun)(٨).
- **سَنْجَة:** وهي مدينة صغيرة تقع قريباً من كيسوم(٩)، موضعها من نواحي بهنسى وكيسوم(١٠)، وجعلها كل من الإصطخري وابن حوقل ــ خطأ أو على التقريب ــ بقرب منبج(١١)، وعلى النهر المنسوب لها قنطرة من عجائب الدنيا يضرب المثل بها(١٢)، مبنية بالحجر المشذب، تسمى قنطرة سنجة(١٣)، ونهر سنجة يسمى الآن "بُلَم صو"(١٤).
- **سميساط:** وهي إلى جهة الشرق من سنجة وكيسوم، وهي صغيرة مطلة على الفرات من جهة الشام(١٥)، وهي قديمة حيث ورد ذكرها عند الجغرافي الإغريقي سترابون (ت ٢١م) وسمّاها

---

(١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٦١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٢

(٢) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٩

(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠١

(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ٢٥، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٤

(٥) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ١٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٥

(٦) مارميخائيل، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٥١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٠

(٧) Bosworth, Nasr b. Shabath, The Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Leiden, Brill, ١٩٩٣, Vol.VII, p١٠١٦

(٨) Bosworth, o.c. p ١٠١٦

(٩) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١

(١٠) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٦

(١١) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٦٥

(١٢) ابن الفقيه، البلدان ص ١٠٩، ١٥٦، ٥١٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، المسعودي، التنبيه ص ٦٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٦٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢

(١٣) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢

(١٤) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٦

(١٥) قدامة، المصدر نفسه، ص ١١٥، الإصطخري، مسالك ٦٢، ٧٦، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨١، ٢٢٧، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٤٢، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧، وذكرها الحميري، الروض ص ٣٢٣ من بلاد العجم!؟.

"ساموساتا"[١]، وهي محصنة ولها قلعة[٢]، وذكر المسعودي أن قلعة سميساط تسمى قلعة الطين[٣]، ويحتفّ بالمدينة جبال كثيرة[٤]، وسقيها من الفرات[٥]، وموضع المدينة أصبح محصوراً كالجزيرة بعد أن أحاطت به مياه الفرات عقب إنشاء سد أتاتورك[٦].

- **كَمْخ:** وتقع شمال سميساط، وهي مدينة حصينة على نهر الفرات من غربيه[٧]، تقع على الطريق بين ملطية وزبطرة[٨]، وبقي متنازعاً عليها بين المسلمين والروم طيلة العهد الأموي؛ يغلب عليها الروم فيفتحها المسلمون، واستمرت على هذه الحال إلى أن قامت دولة بني العباس، فتم فتحها في عهد المنصور سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، ثم أخذها الروم سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م وتمكن عامل شمشاط من استردادها، وبقيت في يد المسلمين إلى أن وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون، فهرب أهلها واستولى عليها الروم، فلما انتهت الفتنة وتمكن عبد الله بن طاهر من القضاء على الثورات التي وقعت في بلاد الشام استطاع فتحها من جديد[٩].
- **شمشاط:** تقع إلى الشمال من كمخ في أقصى شمال غرب الجند، وهي إحدى مدن الثغور الجزرية[١٠]، وقيل من أرمينية[١١]، وهي مدينة قديمة كبيرة[١٢]، تبعد عن حصن منصور يوم[١٣]، وهي تقع على نهر أرسناس القادم من قاليقالا[١٤] رافداً نهر الفرات. وفيها قلعة حصينة[١٥].
- **حصن منصور:** يقع في وسط الثغور الجزرية إلى الشمال الغربي من سميساط، وهو أحد حصون الثغور الجزرية[١٦]، منسوب إلى منصور بن جعونة العامري (ت ١٤١هـ/ ٧٥٨م)، وهو

---

(١) سترابون، جغرافية ص ٤٠
(٢) سترابون، المصدر نفسه ص ٤٠، قدامة، الخراج ص ١١٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٧
(٣) المسعودي، مروج ج١، ص ١١٧
(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٤٢
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١
(٦) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٠٦
(٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٨١٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥١
(٨) قدامة، الخراج ص ١١٥
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٨٨ ــ ١٨٩، قدامة، الخراج ص ٣١٦ــ ٣١٧
(١٠) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٦، قدامة، الخراج ص ١٨٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٧٧
(١١) ابن الفقيه، البلدان ص ٥٨٣، قدامة، الخراج ص ٣٢٢، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٣٦٢
(١٢) سترابون، جغرافية ص ٤٠ وسماها باسمها القديم: ساموساتا، الحميري، الروض ص ٣٤٥
(١٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧
(١٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٤٩
(١٥) الحميري، الروض ص ٣٤٥
(١٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١١٥، ١٨٦، ٣٢١، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ص ٢٠٣

الذي تولى عمارته أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية(١)، وهو حصن صغير(٢)، تقوم على أنقاضه اليوم مدينة أديامان التركية(٣)، وهي بين ملطية وسميساط(٤)، ولها عدة قرى تتبع إليها(٥)، ومع أنها قليلة السكان(٦) فهي ترقى لأن تكون بمنزلة المدينة لأن فيها منبر(٧).

- **مرعش:** وهي تقع في جهة الغرب من حصن منصور، وهي إحدى مدن جند قنسرين(٨)، من الثغور الجزرية(٩)، تبعد عن أنطاكية يومان(١٠)، وهي مدينة صغيرة عامرة(١١)، وكانت من مدن الروم التي فتحها المسلمون(١٢)، وتقع على نهر جيحان(١٣)، وفيها مرج تحيط به الجبال يسمى عمق مرعش(١٤)، وهي آخر ثغور المسلمين ليس وراءها إلا عمارات الروم(١٥).
- **الحَدَث:** تقع إلى الغرب من حصن منصور وشمالاً من مرعش، وهي من الثغور الجزرية(١٦)، كانت مدينة صغيرة عامرة(١٧)، وتسمى الحمراء لحمرة تربتها، وسميت أيضاً المحمدية والمهدية لأنها جدّدت وبنيت أيام المهدي سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م(١٨)، وتنسب إليها إحدى الطرق النافذة إلى

---

(١) البلاذري، فتوح ١٩٦، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ٢٤٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩، الحميري، الروض ص ٢٠٣

(٢) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٩، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٤١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩

(٣) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٥١، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٥

(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٤١

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١

(٦) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥

(٧) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤

(٩) البلاذري، فتوح ص ١٩٢، ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، ٣١٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨١، ١٨٧، ١٨٨، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، الإسكندري، الأمكنة ج٢، ص ٥١٢ وفيه: "ثغر بأرمينية"، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ص ٥٤١

(١٠) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧

(١١) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٣

(١٢) البلاذري، فتوح ص ١٩٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧، الحميري، الروض ص ٥٤١

(١٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٣

(١٤) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

(١٥) قدامة، الخراج ص ١١٥

(١٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١١٥، ١٨٦، ٣٢٠، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٧، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

(١٧) الإصطخري، مسالك ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨١، مجهول، حدود العالم ١٧٥، أبو الفداء، تقويم ٢٦٣

(١٨) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٩، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٩٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٤

بلاد الروم، وهي درب الحدث، وتبعد عن أنطاكية ثلاثة أيام[١]، وعن حصن منصور يوم[٢]، ويطل عليها جبل الأحيدب[٣]، وتشكّك لسترنج في موضعها الحالي لكنه رجح أن تكون بين مرعش والبستان على ضفاف نهر آق صو قرب أنكلي[٤].

- **زبطرة:** وهي إلى الشمال من حصن منصور، تقع على حد بلاد الروم[٥] بجوار ملطية[٦]، وهي من الثغور الجزرية[٧] وأقرب الثغور إلى بلاد الروم[٨]، وهي حصن عظيم[٩]، وقلعة قديمة من بناء الروم[١٠]، تبعد عن حصن منصور مسيرة يوم[١١]، وهي في أرض مستوية تحيط بها الجبال[١٢]، وقد تعرض الحصن للتدمير من قبل الروم أكثر من مرة. ورجّح لسترنج أن موضع زبطرة حالياً هو في مكان مدينة ويران شهر جنوب ملطية[١٣].
- **ملطية:** وشمالاً من زبطرة في أقصى الشمال تقع ملطية، وهي من أقرب الثغور الجزرية إلى بلاد الروم[١٤]، مدينة كبيرة[١٥] محصنة[١٦]، قديمة من بناء الروم[١٧]، وتحيط بها جبال كثيرة[١٨]، والطريق إليها صعبة تتخللها عقاب شديدة[١٩]، وتبعد عن منبج مسيرة أربعة أيام[٢٠]، والمدينة

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٧
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٨
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١١٨، ج٢، ص ٢٢٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٩، طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٣٢
(٤) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٥
(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ١٣١
(٦) مارميخائيل، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٣٥
(٧) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ١٠٧، البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٧، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ص ٢٨٥
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٤٠، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤
(٩) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣
(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص٣٢١، الحميري، الروض ٢٨٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٩٤
(١١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧ ــ ١٨٨
(١٢) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤
(١٣) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣
(١٤) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١١٥، ١٨٧، الإصطخري، مسالك ص ٧٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٧، الحميري، الروض ص ٥٤٥
(١٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢
(١٦) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢
(١٧) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، الحميري، الروض ص ٥٤٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٩٥
(١٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥
(١٩) قدامة، الخراج ص ١١٥
(٢٠) الإصطخري، مسالك ص ٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١ وفيه: "تبعد خمسة أيام".

ذاتها في مستوى من الأرض، وماؤها من عيون وأودية من الفرات، اشتراها الخليفة عمر بن عبد العزيز (حكم ٩٩هـ/ ٧١٨م ــ ١٠١هـ/ ٧٢٠م) من الروم بألف أسير وبناها[١].

الثغور الشامية:

- **قُورُس:** وهي أول مدينة ثغرية في غربي حلب من مدن الثغور الشامية[٢]، وذكرها ابن خرداذبة مرة كورة من العواصم وأخرى من الثغور الجزرية[٣]، وعند الوطواط من العواصم[٤]، وهي على الحد بين الثغور الشامية وقنسرين[٥]، تبعد عن حلب نحو ٣٣كم، أو مسيرة يوم[٦]، وهي مدينة رومية قديمة[٧] وكانت قليلة السكان[٨]، وكانت قُورُس في صدر الإسلام كالمسلحة لأنطاكية، تأتيها الطوالع في كل عام من جند أنطاكية ومقاتلتها، ويتبع إليها حصن نزله سلمان بن ربيعة الباهلي (ت ٢٩هـ/ ٦٥٠م)، أحد قواد أبي عبيدة فسمي حصن سلمان[٩]، وقد تعرضت المدينة لغزو الروم في ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م، فقاتلهم أهلها ولم يستطيعوا صدهم، ودخلوا المدينة، وأحرقوا مسجدها[١٠]. وهي اليوم قرية من قرى مدينة كيلر التركية.
- **نقابلس:** وتقع قريباً من قورس، وهي مدينة بالثغور الشامية[١١]، من جند قنسرين والعواصم[١٢]، وهي آخر حد قُورُس[١٣]، وموضعها اليوم مجهول ويبدو أن ذكرها توقف منذ القرون الثلاثة الأولى.
- **دربساك:** وتقع إلى الجنوب من قورس، وإلى الشمال من بغراس[١٤]، بقرب أنطاكية[١٥]، وتبعد عن بلدة قرق خان مسافة ٣كم بقرب ممر بيلان[١٦]، وهي قلعة مرتفعة[١٧]، ولها مسجد جامع ومنبر، وفي شرقيها مروج واسعة، يخترقها نهر الأسود[١٨].

---

(١) الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٤٨
(٢) ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، وجعلها ابن حوقل (صورة الأرض ص ١٨٧) من الثغور الجزرية.
(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، ٩٧
(٤) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥
(٦) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص٤١٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٣، الوطواط، مناهج ج١، ص ٣٦٣
(٨) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، وفيه: سليمان، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٧٧، ٢٢٥
(١٠) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٤٦
(١١) قدامة، الخراج ص ١٨٦
(١٢) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩
(١٣) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، قدامة، الخراج ص ٣٠٥
(١٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٩
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٠٠ وسماها: دير بساك
(١٦) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٣١٨
(١٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(١٨) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١

- **بوقا:** وتقع إلى الجنوب من قورس وإلى الشمال من حارم، وهي من العواصم[١]، وبلدة من عمل أنطاكية[٢]، بناها هشام بن عبد الملك، ثم جددت وأصلحت في زمن البلاذري (ق ٣هـ)[٣].
- **أنطاكية:** وتقع في أقصى الغرب قريباً من الساحل وهي مدينة قديمة ذكرها سترابون (ت ٢١م) وسماها المدينة الأم أي: عاصمة سوريا، وكان فيها القصر الملكي لحكام البلاد[٤]، تقع غرب حلب على بعد ١١٠كم[٥]، واعتبرها بعض الجغرافيين ــ على التقريب ــ على ساحل البحر المتوسط[٦]، لكنها تبعد عنه مسافة ٣٦كم[٧]، وهي في لحف جبل يطل عليها من شرقيها، ويحجب عنها الشمس عند الشروق لمدة ساعتين[٨]، وعليها سور من الصخر يعدُّ من عجائب البلدان[٩]، يدور بسهلها ويطلع إلى جبلها ثم إلى السهل ثانية[١٠]، والمياه تجري إلى دورهم وسككهم، وفيها مسجد جامع[١١]، وكان يتبع لأنطاكية عدة ضياع وقرى خصبة جداً[١٢].
- **بغراس:** وهوحصن يقع إلى الشمال من أنطاكية[١٣] في لحف جبال الأمانوس (اللكام)[١٤]، ويبعد عن أنطاكية ٣٨كم[١٥]، ومثله بينه وبين إسكندرونة، ويقع جنوب دربساك في الجبل المطل على عمق حارم، وحارم إلى جهة الشرق منه[١٦]، وهو على طريق الثغور[١٧].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٥، قدامة، الخراج ص ٣٠٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٠

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٩، الطرسوسي، أبو عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي (ت ٤٠١هـ/ ١٠١١م)، كتاب سير الثغور، (تقديم ودراسة) شاكر مصطفى، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٨م. ص ٦٣، وسيشار له فيما بعد: الطرسوسي، سير الثغور، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٥١٠، وسماها ياقوت "بوقاس".

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٩، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٠

(٤) سترابون، جغرافية ص ٤١

(٥) طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ١٨٤، موستراس، المعجم الجغرافي ص ١١١

(٦) ابن الفقيه، البلدان ص ١٩٠، الحميري، الروض ص ٣٨

(٧) عبودي، معجم الحضارات ص ١٣٧

(٨) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، المسعودي، التنبيه ص ٤٩، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، وفيه أن الجبل يستر الشمس فلا تطلع عليها إلا في الساعة الثانية.

(٩) ابن الفقيه، البلدان ص ١٠٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٢، الحميري، الروض ص ٣٨

(١٠) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥

(١١) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧

(١٢) الإصطخري، مسالك ص ٦٢

(١٣) ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٤، البكري، معجم ما استعجم ج١، ص ٢٠٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩، والحصن لا يزال قائماً إلى اليوم. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٣٤٠

(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٦٧، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٣٤٠

(١٥) موستراس، المعجم الجغرافي ص ١٦٦، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٣٤٠، وعند المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٩، والإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢: تبعد أنطاكية عن بغراس ١٢ ميل، وعند الإصطخري، مسالك ص ٦٧، وابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧: بينهما مسيرة يوم.

(١٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩

(١٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩

- **الجومة:** بقرب أنطاكية، ينفر أهلها إلى الثغور وقت الغزو[١]، وسماها البلاذري "الجرجومة"، وسمى أهلها الجراجمة[٢]، أما ياقوت فأورد ذكر الاثنتين، الجرجومة التي نقل خبرها بنصه عن البلاذري[٣]، والجُومة التي اكتفى بالقول إنها من نواحي حلب[٤].
- **تيزين:** وهي من نواحي أنطاكية، وتوجد اليوم في سوريا ثلاث قرى تحمل الاسم، واحدة في حماة، والثانية خربة مندرسة في منطقة حارم بمحافظة إدلب، والأخيرة ــ ولعلها المعنية ــ تقع على السفح الجنوبي الغربي لجبل سمعان[٥].
- **جندارس:** وهي إلى الشرق من أنطاكية بميلة نحو الشمال، وتسمى اليوم جنديرس أو جين دارس[٦]، تقع غرب حلب على بعد ٨٠كم وجنوب غرب عفرين على بعد ٢٠كم[٧]، ولها تاريخ قديم ذكرها سترابون (ت٢١م): غينداروس وأنها أكروبوليس (مدينة محصنة أو عالية) إذ كانت محصنة طبيعياً ضد اللصوص[٨].
- **القُرشيَّة:** ورد ذكرها كإحدى كور أنطاكية[٩]، وجعلها ياقوت قرية من جند حمص، من آخر أعمال سواحله مما يلي حلب وأنطاكية، وذكر أن جماعة من أعيانها يقال لهم بنو القرشي يقيمون بحلب[١٠]، وحدد ابن الشحنة موضعها بقرب اللاذقية[١١].
- **السويدية:** تقع إلى الغرب من أنطاكية على بعد ١٨كم[١٢]، وهي حصن[١٣] ومدينة على ساحل البحر الشامي[١٤]، وهي فرضة أنطاكية ومرساها[١٥]، وكانت تسمى سلوقية[١٦]، وعندها ينتهي نهر العاصي إلى البحر الشامي[١٧]. وهي اليوم داخل الحدود التركية وتسمى صمَّان داغ[١٨].

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٦
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٣
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٢٣
(٤) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨٩
(٥) طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٥٨٧
(٦) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٢٣٦، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٧٠٣
(٧) طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٧٠٣
(٨) سترابون، جغرافية ص ٤٣
(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٦، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٨٦
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٢٣
(١١) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٠، ١٥٨
(١٢) زكرياء، جولة أثرية ص ١١٣، طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٦٩٠
(١٣) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(١٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٩٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٨٦، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣١١
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، الحميري، الروض ص ٣٣٠
(١٦) البلاذري، فتوح ١٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص٢٦٩، ج٣، ص٢٤٢، عبودي، معجم الحضارات ٤٨٢
(١٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٣، الحميري، الروض ص ٣٣١، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣١١
(١٨) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣١١

- **الإسكندرونة:** تقع إلى الشمال من بغراس وأنطاكية، وهي من مدن قنسرين[١]، في الثغور الشامية[٢]، وسماها اليعقوبي: باب إسكندرونة[٣]، وكانت عبارة حصن[٤] صغير[٥] ومدينة على ساحل البحر الشامي قرب أنطاكية[٦]، تقع في الجزء الجنوبي للخليج الذي يسمى باسمها، بناها أحمد بن أبي داود الإيادي في خلافة الواثق[٧]، وقيل: إنها من بناء زبيدة أم الأمين وأن ابن أبي داود جدد بناءها[٨]. واليوم تشكل الإسكندرونة إحدى ولايات الجمهورية التركية.
- **بياس:** تقع شمال الإسكندرونة، وهي مدينة صغيرة على البحر الشامي[٩]، قرب جبل اللكام[١٠]، وهي فرضة مدينة سيس على ساحل البحر[١١].
- **أيَاس:** وهي بقرب بياس، مدينة من الثغور الشامية، تقع في سفح جبل اللكام[١٢] على شاطئ البحر الشامي[١٣].
- **التينات:** وهو حصن منيع[١٤] من جند قنسرين[١٥]، على شاطئ البحر[١٦]، قرب المصيصة[١٧] بينها وبين بياس[١٨].
- **المُثقَّب:** وهو حصن يقع إلى الغرب من التينات عند انعطافة ساحل البحر نحو الغرب، وهو على ساحل البحر من بناء عمر بن عبد العزيز[١٩]، وموضعه اليوم غير معروف على وجه التحديد،

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٤
(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٨
(٣) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣
(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، الحميري، الروض ص ٥٦
(٥) الإصطخري، المصدر نفسه ص ٦٣
(٦) اليعقوبي، البلدان ٣٦٣، الإصطخري، مسالك ٦٣، المسعودي، مروج ج ١، ص ١٤٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص١٨٢، أبو الفداء، تقويم ٢٥٥، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٦٦
(٧) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٥
(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٠
(٩) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٨، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٥١٧، وعنده: "قريبة من البحر"، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢
(١٠) الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ١٩٤
(١١) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٥١٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢، موستراس، المعجم الجغرافي ٢٠٩
(١٢) المسعودي، مروج ج ١، ص ١٤٢
(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٢
(١٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦
(١٥) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٤
(١٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٦٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧
(١٧) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٦٨
(١٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧
(١٩) الإصطخري، مسالك ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص٦٤٦، الإسكندري، الأمكنة ج٢، ص ٤٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧

لكنه في لحف جبال طوروس الداخلية قرب المصيصة[١]، ويبدو أن موضع هذا الثغر كان مسكوناً أيام الروم إذ أن المهندسين حين شرعوا في البناء وجدوا عظم ساق مفرط الطول[٢].

- **المصيصة:** مدينة تقع في أعلى الثغور الشامية[٣] واسمها بالرومية مامسترا[٤]، موضعها إلى الشرق من مدينة أذنة على بعد نحو ٣٠كم[٥]، على نهر جيحان، وهي إلى جهة الغرب منه، ويفصلها النهر عن مدينة كفر بيا[٦]، وعند ابن خرداذبة والمهلبي أن نهر جيحان يشق المصيصة[٧]، وهي مدينة حصينة من بناء الروم[٨].
- **كفر بيا:** وهي إلى الشرق من المصيصة على نهر جيحان من شرقيه[٩]، مدينة حصينة[١٠].
- **حصن ذي الكلاع:** وهو بقرب المصيصة[١١]، وقيل إن تسميته محرفة من "القلاع"، لأنه كان حصن من ثلاث قلاع[١٢]، ويبدو أن الحصن تعرض للخراب والتدمير فهجر منذ وقت مبكر، فلم يرد ذكره ضمن الحصون أثناء الغزوات أو مهاجمة الروم للمنطقة.
- **أذنة:** تقع إلى الغرب من المصيصة، وهي مدينة من مشاهير مدن الثغور الشامية[١٣]، وهي قديمة من بناء الروم[١٤]، تقع على نهر سيحان من غربيه[١٥] وهي تبعد ٣٠كم عن ساحل البحر الأبيض

---

(١) المسعودي، مروج ج ١، ص ١٤٢، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧١، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٥٤، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٩، وسماها: "مابْسُبَسْتِيَا"، وتقابل التسمية البيزنطية عند ثيوفانس: (Mopsuestia)، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٨، المسعودي، التنبيه ص ٥٨، البكري، معجم ما استعجم ج٢، ص ١٢٣٥، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٣، الحميري، الروض ص ٥٥٤
(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦
(٥) زكرياء، جولة أثرية ص ٣٩
(٦) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، ابن رستة، الأعلاق ص ٩١، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٢، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ص ٥٥٤، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣
(٧) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٩، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤، والإصطخري، مسالك ص ٦٣
(٨) ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٧٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(٩) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٩٦، ج٤، ص ٤٦٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٢، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(١١) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٥
(١٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٨، البلاذري، فتوح ص ١٧٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٦
(١٣) ابن خرداذبة، المصدر نفسه ص ٩٩، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٨، جعلها ابن حوقل مرة من ثغور الجزيرة وأخرى من ثغور الشام، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٨، المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨، المسعودي، التنبيه ص ٥٨، ١٨٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(١٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٩، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨١
(١٥) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٢٢، المسعودي، التنبيه ص ٥٨، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩، الحميري، الروض ص ٢٠ وجعلها خطأ على نهر جيحان.

المتوسط[١]، وكانت تسمى أدَانُم[٢]، وتسمى اليوم أضنة وأطنة، وأدنة.

- **طرسوس:** وهي إلى الغرب من أذنة والمصيصة، وهي أشهر مدن الثغور الشامية[٣] وأجل مدينة بينها وأكثرها أهلاً وأغصها أسواقاً[٤]، وهي مدينة كبيرة عليها سوران من الحجارة[٥]، بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من جبال اللكام كالحاجز بينهما[٦]، وتقع على بعد ٤٠كم غرب أذنة[٧] على نهر طرسوس (البردان)[٨]، وعلى بعد ١٥كم شمال شرق قلمية (مرسين)، وهي كأذنة قديمة من بناء الروم، وكانت تسمى قديماً بارسين[٩]، ولطرسوس حصون عديدة منها: **حصن عُجَيف**، نسبة لعجيف بن عنبسة أحد قادة المأمون[١٠]، **وحصن شاكر**، وهو منسوب لشاكر بن عبد الله أبي الحسن المصيصي، أحد الغزاة المشهورين[١١]، و**حصن تل جبير** الواقع على بعد ثمانية أميال من طرسوس[١٢]، وهو منسوب لرجل من فُرس أنطاكية كانت له وقعة عندها[١٣].

- **البَذَندون:** بلدة تقع شمال طرسوس على مسيرة يوم[١٤]، وقد أخذت شهرتها من كون المأمون توفي فيها سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[١٥]، وهي طيبة الموضع كثيرة الخضرة، وفيها عين ماء تسمى عين العشيرة[١٦]، ويبدو أن هذه القرية لم تكن معمورة في القرون الثلاثة الأولى.

---

(١) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٧

(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٩

(٣) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٨، المسعودي، التنبيه ص ٤٤، ٥٨، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٧

(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٦، وفيه وصف دقيق للسورين، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠، الحميري، الروض ص ٣٨٨

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣

(٧) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٤٨

(٨) ابن سعيد، بسط الأرض ٨٤، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٥٠

(٩) ابن خرداذبة، المسالك ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٥، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٤

(١٠) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٠٩

(١١) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٦، ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٢١١

(١٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠، البلاذري، فتوح ص ١٧٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤١

(١٣) البلاذري، فتوح ص ١٧٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨٧

(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٦١ـــ ٣٦٢

(١٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٤٦، ابن البطريق، البطريرك افتيشيوس المكنى "سعيد" (ت ٣٢٠هـ)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م. ص ٥٩، وسيشار له فيما بعد: ابن البطريق، التاريخ المجموع، المسعودي، مروج ج٤، ص٢٩٩، ٣٤٠، ٣٤٣، المسعودي، التنبيه ص ٣٥١، العظيمي، تاريخ حلب ص ١١٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٢٨، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥١، الحميري، الروض ص ٨٥

(١٦) المسعودي، مروج ج٤، ص٣٤١، وسماها الحميري، الروض ص ٨٥: القشيرة.

– **حصن أولاس:** ويقع في أقصى الغرب، وهو حصن منيع بالثغور الشامية[١] على ساحل البحر[٢]، يبعد عن طرسوس مسيرة يومين[٣]، وهو آخر ما بيد المسلمين من المواضع المعمورة على بحر الروم[٤].

– **حصن الجَوْزات:** ويقع فيما بين طرسوس والبذندون، ويرد ذكره في وصف الطريق النافذ إلى بلاد الروم، بين البذندون وطرسوس[٥]، ويبعد عن طرسوس مسيرة يومين[٦]، ويبدو أن هذا الحصن ــ وإن كان في حوزة المسلمين حتى مطلع القرن الرابع الهجري ــ إلا أنه قليل الأهمية لقلة ذكره في المصادر. ولعل تسميته نسبة إلى شجر الجوز الذي يكثر في الجبل المشتمل على الحصن[٧].

– **عين زَرْبَة (زربى):** مدينة إلى الشمال من المصيصة من الثغور الشامية[٨]، وتقع على أحد روافد نهر جيحان[٩]، وهي تشبه المناطق الغورية[١٠].

ــ **سيس:** وتقع بقرب عين زربة، وهي مدينة تعد قاعدة الثغور الشامية[١١]، ويقال لها "سيسية"[١٢]، وتبعد نحو ٦٥كم إلى الشمال الشرقي من مدينة أذنة[١٣]، وتبعد عن المصيصة ٢٤ ميلاً[١٤].

– **الهارونية:** حصن صغير[١٥] بالثغور الشامية[١٦] يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سيس، يقوم

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، ١٨٨

(٢) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، ١٨٨، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ٦٥٢ وقيده بالشين المعجمة "أولاش"، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٩٢، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١ ص ٣٦

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٨٢

(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١ ص ٣٦

(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٦

(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٨، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٨ وفيهما: "الحوزات"، وفي نسخة أخرى من مسالك الإصطخري "حورات"، والمثبت ــ بالجيم المعجمة ــ موافق للطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨، والإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٣، وابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٢

(٧) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٦

(٨) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠، اليعقوبي، البلدان ٣٦٢، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٧، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ص ٤٢٢

(٩) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٦٨

(١٠) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧

(١١) أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٢٥٧

(١٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٥، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٩٧، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧

(١٣) زكرياء، جولة أثرية ص ٣٨

(١٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٤، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣١٣

(١٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥

(١٦) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ص ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

على قمة جبل[١]، في آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالثغور الجزرية[٢] وهو في غربي جبل اللكام في بعض شعابه[٣]، بناه هارون الرشيد سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م فنسب إليه[٤]، وموضعه اليوم غير معروف لكنه في الجبال بين مرعش وعين زربة[٥]، وربما كان أقرب لمرعش اعتماداً على قول ياقوت إن الهارونية ربضٌ لمرعش[٦].

- **الكنيسة السوداء:** وتقع قريباً من حصن الهارونية[٧] وهي مدينة من الثغور الشامية[٨]، رومية قديمة، سميت بذلك لأنها مبنية من الحجارة السوداء[٩]، ويقال لها أيضاً الكنيسة المحترقة، لأن الروم أغارت عليها وأحرقتها[١٠]، وهي ثغر بعيد عن ساحل البحر[١١]، وموضعها اليوم غير معروف على وجه التحديد، لكنها ــ مثل الهارونية ــ في الجبال بين مرعش وعين زربة[١٢].
- **حصن لؤلؤة:** ويقع في ناحية الغرب من الكنيسة السوداء والهارونية، وهو إلى الشمال من طرسوس، وكان في أيدي الروم، ومن أكثر حصونهم ضرراً على المسلمين، لما فيه من الرجال الأشداء المقاتلة والسلاح، ففتحه المأمون سنة ٢١٧هـ بعد جهد وأسكن المسلمين فيه[١٣].
- **سَلَغُوس:** وهي بقرب حصن لؤلؤة، وورد اسمها عند البلاذري وديونيسيوس بالعين المهملة "سلعس وسلعوس"[١٤]، وعدها البلاذري من الثغور الجزرية[١٥]، لكنها أقرب لأن تكون من ثغور

(١) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٢) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥
(٣) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ٣١١، الإصطخري، مسالك ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٩، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٦، لسترنج، بلدان الخلافة ١٦١
(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦١
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٠٧، ٣٨٨
(٧) سماها صاحب حدود العالم ص ١٧٥: "كنيس"، مدينة صغيرة في سفح جبل.
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠، ابن رستة، الأعلاق ص ١٠٧، قدامة، الخراج ١٨٦، الإصطخري، مسالك ص ٦٨، وعدها ابن حوقل (صورة الأرض ص ١٦٥، ١٨٢) من الثغور الجزرية
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ص ٣١١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٦، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٣٦
(١١) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣
(١٢) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦١
(١٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٦، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٢١
(١٤) البلاذري، فتوح ص ١٨٥ وفيه أنها قرية بالجزيرة كانت لعبد الملك وهشام، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤١
(١٥) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٧، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٨

الشام لأنها واقعة فيما بين حصن لؤلؤة وأذنة[١] أي غرب نهر سيحان، وقد غزاها المأمون[٢]، وأقام فيها مدة ثلاثة أشهر من سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[٣].

- وإضافة لما تقدم فقد أورد المهلبي عدداً من المواضع التي لم أهتد لمعرفتها أو أتمكن من تحديد موضعها، لكنه جعلها كوراً من كور أنطاكية وهي: كورة **الفارسية والعربية**[٤]، وكورة **يدابيا**[٥]، وكورة **الدقس**، وكورة **قرصيلي** ووصفها المهلبي بأنها "ضياع جليلة"[٦].

إدارة جند قنسرين:

الولاة: كان جند قنسرين عند دخول العباسيين إلى بلاد الشام يشكّل وحدة إدارية واحدة، بمعنى أنه يمثل وحدة عسكرية واحدة لها قائدها[٧] وأن خراجه يجبى بشكل مستقل ومنه يُنفق على أعطيات الجند المحاربين، ولم يطرأ عليه أي تغيير سوى إفراد الرشيد للعواصم والثغور، وهو إجراء لم يترك أثراً في بُنية الجند الإدارية، وإنما أُريد منه أن تكون العواصم ملجأً وعُمقاً استراتيجياً يرتد إليه الجند المقاتلة إذا ما دهمهم العدو، وقد تبيّن ــ مما سبق ــ عدم تطبيقه على أرض الواقع ولم يحصل أن أدى الغاية التي من أجلها تم تخصيصه.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر كثيراً ما تُغفل ذكر ولاة أغلب أجناد الشام، بل وتتجاوز ــ غالباً ــ عن ذكر الشام كلها عند ذكر الولاة في المصادر الحولية التي دأب مؤلفوها على ذكر ولاة الأمصار في آخر حوادث كل سنة[٨]، بخلاف بقية الأمصار كمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان وغيرها؛ فخليفة بن خياط إذ يعدّد الولاة والعمال في أمصار وأقاليم الدولة في عهد كل خليفة فإنه لا يذكر عمال الشام[٩]، لكنه يذكر ولاة الجزيرة، بينما نجد عند البلاذري والطبري والأزدي (صاحب تاريخ الموصل) وابن الأثير وغيرهم ذكراً عارضاً لبعض الولاة والعمال على

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٥
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣٠، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٣٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٢٢
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤١
(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٦، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٨٦
(٥) المهلبي، المصدر نفسه ص ٦٦، ابن شداد، المصدر نفسه ج١، ق١، ص ٨٦
(٦) المهلبي، المصدر نفسه ص ٦٦
(٧) الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب المصري، أبو عمر (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ولاة مصر، (تحقيق) حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ت). ص ١٥٢، وسيشار له فيما بعد: الكندي، الولاة، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢١٨
(٨) انظر كمثال: الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤١٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢١٤ــ ٢١٥
(٩) انظر تسمية عمال أبي العباس السفاح عند ابن خياط، تاريخ ص ٤١٢ ــ ٤١٥، عمال أبي جعفر المنصور ص ٤٣٠ ــ ٤٣٦، عمال المهدي ص ٤٤٠ ــ ٤٤٣، عمال الهادي ص ٤٤٦ ــ ٤٤٧، عمال الرشيد ص ٤٦١ ــ ٤٦٦، عمال المأمون ص ٤٧٥ ــ ٤٧٦.

الأجناد والمدن في بلاد الشام، ولا يرد ذكرهم ــ في الغالب ــ على سبيل التقرير فنعرف تاريخ توليتهم وعزلهم، لكن هذه المصادر تذكرهم في إطار ما يتصل بهم ــ كأشخاص ــ من أحداث سياسية وعسكرية، فيرد ذكر والي حمص مثلاً عندما يتعلق الأمر بوثوب أهل الجند به.

وسبب غياب اسم والي جند قنسرين ــ وبقية الأجناد ــ من التشكيلات والتنقلات التي يجريها الخلفاء يرجع إلى أن التقسيم الإداري لا يقتضي بالضرورة أن يفرد لكل جند والي واحد، بل قد تجمع للوالي الواحد عدة أجناد[١]، أو تكون الأجناد تحت إمرة والي الجزيرة، وقد تمتد الولاية لتشمل المغرب كله من الأنبار ــ أو بغداد فيما بعد ــ حتى إفريقية، وإن اقتصار ابن خياط على ذكر ولاة الجزيرة فقط يؤشر لشيء من قبيل هذا في مطلع دولة بني العباس، أي أن الوالي على الجزيرة كان يتولى أيضاً نظر بعض أجناد الشام باستثناء جند فلسطين الذي كان غالباً تحت نظر والي مصر[٢]. وعليه فإن الإدارة في جند قنسرين ــ وغيره من أجناد الشام ــ لم تتخذ نمطاً واحداً بل تختلف حتى في عهد حكم الخليفة الواحد. والأمثلة التي تؤكد هذا الرأي كثيرة، ففي أول سنة من حكم العباسيين (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) كان عبد الله بن علي والياً على الشام[٣]، وعند الزوقنيني أنه كان أميراً على الجزيرة[٤]، ثم في السنة التي تلتها ضُم إليه أخاه صالح في الولاية على أجناد الشام[٥]، وأخرجت منه ولاية الجزيرة التي أعطيت لأخي الخليفة السفاح أبي جعفر المنصور مضافاً إليها أرمينية وأذربيجان[٦]، والبلاذري يجعل تولى المنصور الجزيرة كان في السنة الأولى من حكم العباسيين (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)[٧].

وتبدو العلاقة الرابطة بين الجزيرة وجند قنسرين، فإن لم يكن لجند قنسرين وال مخصوص فإن الوالي على الجزيرة غالباً ما يكون والياً على قنسرين؛ فقد ولى المهدي علي بن سليمان العباسي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م قنسرين والجزيرة حرباً وخراجاً وصلاة[٨]، ووجهت في السنة التي تلتها صائفة بقيادة عبد الكبير بن عبد الحميد وكان على جند أهل قنسرين وأهل الجزيرة عبد الرحمن بن يزيد

---

(١) عباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٢٥٥هـ/ ٧٥٠ــ ٨٧٠م)، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ١١٦، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عباس، تاريخ بلاد الشام.
(٢) الكندي، الولاة ص ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٤ــ ١٤٥، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٤٨، ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٥٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٣
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠٧
(٥) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٥٩
(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٤، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٦٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٠
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٩٨
(٨) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٠

الكندي[١]. كما تظهر علاقة التلازم في نواح أخرى، فعندما أمر المأمون ابنه العباس ببناء الطوانة كتب إلى أخيه المعتصم بأنه فرض على بعض الأجناد عدداً معينا لينزلها فكان فرض قنسرين مع فرض الجزيرة، يقول الطبري: "كتب إلى أخيه أبي إسحاق بن الرّشيد؛ أنه قد فرض على جُند دمشق وحمْص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل، وأنه يجري على الفارس مائة درهم، وعلى الرّاجل أربعين درهماً، وفرضَ على مصر فَرْضاً، وكتب إلى العباس بمَنْ فرض على قِنَّسرين والجزيرة، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألف رجل"[٢]، وعندما تسلم المعتضد جند قنسرين من بني طولون ولاها ابنه علياً فكان أميراً على قنسرين والعواصم والجزيرة[٣].

كانت الولاية في السنوات الأولى من عمر الدولة (خلافة السفاح ١٣٣ ــ ١٣٦هـ/ ٧٥١ــ ٧٥٣م) على النحو التالي:

- عبد الله بن محمد، أبو جعفر (المنصور فيما بعد) والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان[٤].
- عبد الله بن علي بن عبد الله العباسي والياً على قنسرين وحمص ودمشق والأردن (البلقاء)[٥]، ويذكر الكلبي وابن حزم والي قنسرين للسفاح واسمه عبيد الله بن العباس بن يزيد الكندي[٦].
- صالح بن علي بن عبد الله بن العباس والياً على فلسطين ومصر[٧].

ولما آلت الخلافة لأبي جعفر المنصور، الذي امتدت سنوات حكمه نحو ٢٢ سنة، تقلبت الولاة على جند قنسرين، وكانوا أحياناً تحت نظر والي الجزيرة، أي عمالاً تحت يده، وأحياناً ولاة معينين من قبل الخليفة. وتولى الجزيرة عدة ولاة في عهد المنصور، كان أولهم مقاتل بن حكيم العكي[٨]، وهو رجل خراساني من أهل مرو[٩] له قدم سابقة في دولة بني العباس، استخلفه المنصور على الجزيرة لما أمره السفاح قبل وفاته أن يُقيم الحج، فقتله عبد الله بن علي عندما ادعى الخلافة

---

(١) الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١ ص٢١٨، وعند ابن عساكر، تاريخ ج٥٣، ص٤٨ أن الكندي على أهل حمص
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٧١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٥
(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٤، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٥٠، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٠، ١٥٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٥٤
(٥) ابن خياط، تاريخ ص ٤١١، البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٥، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧، الأزدي ١٦٣، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٥٤، ٤٦٣
(٦) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، نسب معد واليمن الكبير (تحقيق) ناجي حسن، ٢ج في ١مج، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١، ص ١٥٥، وسيشار له فيما بعد: الكلبي، نسب معد، ابن حزم، أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق) عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م. ص ٤٢٧، وسيشار له فيما بعد: ابن حزم، جمهرة أنساب.
(٧) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٦٠، الكندي، الولاة ص ١٢٢، ١٢٣
(٨) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٣، الأزدي، تاريخ الموصل ١٦٤، ابن عساكر، تاريخ ج٦٠، ص٩٩ (نقلاً عن ابن خياط)
(٩) ابن عساكر، المصدر نفسه ج٦٠، ص ٩٩

وخرج على المنصور، فلما هُزم عبد الله ولى المنصور على الجزيرة سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م مخارق بن الغفار الضبابي[١] ولم تستمر ولايته أكثر من أشهر فخلفه حميد بن قحطبة[٢] (تولاها ١٣٧ ــ ١٤٠هـ/ ٧٥٤ ــ ٧٥٧م)، وبعده عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام[٣] (١٤٠ ــ ١٤٢هـ/ ٧٥٧ ــ ٧٥٩م)، ثم جعل المنصور ولايتها لأخيه العباس بن محمد[٤] فبقي والياً عليها نحو اثنتي عشرة سنة (١٤٢ ــ ١٥٣هـ/ ٧٥٩م ــ ٧٧٠م)، فعزله المنصور وعيّن على الجزيرة موسى بن مصعب بن سفيان الخثعمي[٥]، وعلى قنسرين موسى بن سليمان فاستمرا حتى وفاة المنصور.

ويرد ذكر بعض الولاة على قنسرين خلال عهد المنصور، لكن من الصعب تحديد تبعية بعضهم الإدارية إن كانوا عمالاً لوالي الجزيرة أم تم تعيينهم من قبل الخليفة نفسه، والأغلب أن تعيين الولاة في العصر العباسي الأول كان من الخليفة مباشرة للنهج الذي اتبعته الدولة في مركزية السلطة واستمر ذلك حتى عهد المأمون الذي أعطى صلاحيات واسعة لنوابه في المشرق والمغرب[٦]، ويذكر الطبري أن المنصور لما ولى أخاه العباس إمرة الجزيرة ضم له عدة قواد[٧]، ويُستثنى من هذا الولاة الذين عينهم عبد الله بن علي لما ادعى الخلافة، حيث عين على قنسرين زفر بن عاصم بن عبد الله الهلالي سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م[٨].

ويظهر ابتداءً من عهد المهدي اتجاهٌ في قسمة الدولة إلى جناحين: المغرب والمشرق؛ يُعقد لكل منهما بالولاية لأحد ولاة العهد أو القادة الكبار ممن لهم حظوة ومنزلة لدى الخليفة، وإذا كان ولي العهد صغيراً في السن فيعيّن الخليفة إلى جانبه من ينوب عنه ويدبّر أمره. وكانت ولاية المغرب تمتد من الأنبار حتى إفريقية[٩]. ولارتباط جند قنسرين بالجهاد ضد الروم فقد خصّ الخلفاء

---

(١) ابن خياط، تاريخ ٤٣٣ وفيه: مقاتل بن العقار، الأزدي، تاريخ الموصل ١٦٤، ابن عساكر، تاريخ ج ١٥، ص ٢٩٠

(٢) ابن خياط، المصدر نفسه ص ٤٣٣، البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٦، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٦، ابن عساكر، تاريخ ج ١٥، ص ٢٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٢ ــ ٤٨٣

(٣) ابن قتيبة، المعارف ٣٧٦، البلاذري، فتوح ١٩١، قدامة، الخراج ٣١٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٥

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٣٧٩، ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٣، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤١٥، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧٧، ابن عساكر، تاريخ ج٢٦، ص ٣٩٤ــ، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥١١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٧٧٥

(٥) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٤، ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٦، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٢٥، ٢٢٦، ابن عساكر، تاريخ ج ١٥، ص ٢٩٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١١

(٦) خماش، نجدة، التنظيم الإداري في الشام (١٣٢ ــ ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ ــ ٩٦٨م)، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العصر العباسي، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٠٨، وسيشار له فيما بعد: خماش، التنظيم الإداري.

(٧) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥١٤

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٦، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٤٧

(٩) خماش، التنظيم الإداري في الشام ص ١٠٥

أبناءهم بولايته، طلباً لشرف الجهاد في سبيل الله، فعقد المهدي لابنه الرشيد سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية[١]، أو من الأنبار حتى إفريقية[٢]، وأمر المهدي كاتبه يحيى بن خالد بن برمك بأن يتولّى لهارون ذلك كله[٣]، ولما آلت الخلافة للرشيد عقد سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م لجعفر بن يحيى بن خالد على المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية[٤]، ثم قسم الرشيد الملك بين أبنائه فكانت حصة ابنه القاسم المؤتمن ــ وكان صبياً ــ ولاية الجزيرة وقنسرين والثغور والعواصم[٥]، فاستعمل على الجزيرة خازم بن خزيمة التميمي الخراساني[٦]. وولى المأمون المغرب كله لطاهر بن الحسين الخزاعي سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م ووجّهه للقضاء على المتغلّبين في الشام[٧]، ثم عقد المأمون لعبد الله بن طاهر بن الحسين بولاية ما كان لأبيه[٨]، وفي عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م ــ أو في السنة التي تلتها ــ عقد المأمون لابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم (قنسرين)، وجعل لأخيه المعتصم ولاية بقية أجناد الشام ومصر[٩]. أما المعتصم ــ مع ما عُرف عنه من تقريبه للأتراك ــ فقد جعل لأشناس التركي سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م ولاية المغرب: الجزيرة والشام جميعه ومصر[١٠]، وأقرّه الواثق على ما كان عقد له المعتصم من "بابه حتى آخر عمل المغرب"، وكان المدبر له أحمد بن الخصيب[١١]، وبقي أشناس على ذلك حتى وفاته سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م فجعلت أغلب أعماله السابقة لإيتاخ التركي[١٢].

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٨، ١٨٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٨٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٥٠

(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٠٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩١، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٩٠

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٧٦، ٣٠٢، ٣٧٣، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٠٣، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٠٤، ٣١٥، ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، (تحقيق) قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية، لايدن، ١٩٧٣م. ص ٧٩، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٧٣، ١٨٩، ٢٢٦، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢ ــ ٧٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٥٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٨٣، ٧٨٩

(٦) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٦٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٧٣، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣١٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٣

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٩، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٢٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٣٢، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٤

(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٠، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠، ٦١٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٤٤، ٣٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٣، ٤٠٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٥

(٩) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٨٥، ٤١٢، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧١، ٣٧٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٤

(١٠) الكندي، الولاة ص ٢١٩ــ، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٥٧

(١١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣٧، ٣٣٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٥٥

(١٢) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣٣٨، الكندي، الولاة ص ٢٢١، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٨، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٨

واعتمد خلفاء بني العباس في الولاية على أمراء من البيت العباسي، أو من أقرب دعاتهم الموثوق بهم، واستمرت سياسة الاعتماد عليهم بشكل واضح حتى أواخر العصر العباسي الأول؛ وأشار اليعقوبي إلى حرص المنصور على "تولية أهل بيته البلدان... فكان ينقّل هؤلاء في أعماله لثقته بهم واعتماده عليهم"[١]، فمن العباسيين الذي تولوا الجزيرة أو جند قنسرين، إضافة لمن تقدّم ذكرهم: إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي ولاه المنصور الثغور الشامية سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م وهو أول من جُمعت له[٢]، ثم ولاه المهدي الجزيرة سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م[٣]، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس، عم أبي جعفر المنصور، ولاه المهدي الجزيرة سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م ثم عزله بعد سنتين[٤]، وعلي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ولاه المهدي قنسرين سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م[٥]، أو ١٦٣هـ/ ٧٨٠م[٦]، وولاه المهدي الجزيرة وقنسرين ثانية سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م صلاتها وحربها وخراجها[٧] وبقي والياً عليها حتى عزله الهادي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م[٨].

ويبرز من بين ولاة قنسرين من البيت العباسي اسم صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، الذي تولى ـــ بعد ولايته على فلسطين ومصر ـــ قنسرين وحمص ودمشق في خلافة المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م[٩]، ويذكر ابن العديم أن ولاية صالح على جندي قنسرين وحمص كانت في سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م[١٠]، ومما يدعم كلامه ما ذكره البلاذري من أن المنصور كلفه سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م ببناء مدينة ملطية في الثغور[١١]، واستمرت ولايته على قنسرين حتى وفاته سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م[١٢] فخلفه عليها ابنه الفضل، مع أن الطبري يذكر أن ابنه الفضل كان والياً على قنسرين سنة ١٤٥هـ/

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٦٨

(٢) الصولي، محمد بن يحيى، أبو بكر (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، الأوراق "قطعه منه"، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م. ص ٤٠٥، وسيشار له فيما بعد: الصولي، الأوراق (قطعة منه)، ابن العديم، بغية الطلب ج٣، ص ١٤٦٧

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٣٩، وفيه: "ولاّه الموصل"، وقد نبه الأزدي إلى أن أهل الموصل يجعلون الموصل هي الجزيرة. انظر: تاريخ الموصل ص ٢٢٦

(٤) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٧٤، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٠، ١٤٣، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٠، ٢٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٦، ٥٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٣

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٤

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١

(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٦٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٧٨

(٨) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠

(٩) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٦٨، ٢٧٣، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥١١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٧٧٤

(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٨

(١١) البلاذري، فتوح ص ١٩١، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٢٥

(١٢) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١٣٩، ابن قتيبة، المعارف ص٣٧٥، ابن عساكر، تاريخ ج٢٣، ص ٣٥٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٤

٧٦٢م[١]، ويدحضه وجود نقود مضروبة بأمر صالح بن علي في حلب سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م[٢]. وتولى قنسرين بعد وفاة صالح ابنه الفضل وبقي والياً عليها حتى سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م عندما استبدله المنصور بموسى بن سليمان الخراساني[٣]، وتكرّرت الولاية على قنسرين والجزيرة لأولاده من بعده كابنه الفضل الذي ولاه المهدي إمرة الجزيرة سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م[٤]، وعبد الله بن صالح الذي ولاه المهدي الجزيرة سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م[٥]، وإبراهيم الذي تولى الجزيرة في عهد الهادي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م[٦]، وكان قبلها والياً على فلسطين[٧]، وعبد الملك الذي تولى الجزيرة وبعض الشام في عهد الرشيد سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م[٨] وولاه قنسرين قبل أن يعزله ويسجنه سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م[٩]، ثم في عهد ابنه الأمين سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م[١٠]، وآخر أبنائه واسمه إسماعيل ولاه الرشيد قنسرين سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م[١١] وسنة ١٨٨هـ/ ٨٠٤م[١٢]. وينفرد ابن العديم بذكر ولاية بعض أولاد بني صالح منهم: عيسى بن علي بن صالح الهاشمي، وأنه تولى جند قنسرين نيابةً عن العباس بن المأمون لما عقد له والده عليها سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م[١٣]، وعبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمي ولاه المعتصم سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م قنسرين حربها وخراجها وضياعها[١٤]، وتولاها في عهد الواثق أيضاً[١٥]، وأصبح جند قنسرين موطن بني صالح بن علي وأقاموا في عدد من مدنه.

أما القادة والولاة من غير البيت العباسي الذين جرى توليتهم الجزيرة وجند قنسرين، فيتكرّر ذكر جماعة منهم، ممن كان له إسهام كبير في إقامة الدولة، وأغلبهم من الفرس لمكانتهم عند بني العباس، وقيام دعوتهم على أكتافهم، إلا أن تقليدهم الولاية على الأمصار لم يكن ظاهراً في بداية

---

(١) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٦٢٣
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٩
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٠، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٩
(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢١، ١٢٣، ١٣٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠
(٥) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٧٦
(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤٤٦
(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٥٧٦
(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٨، البلاذري، فتوح ص ١٨٩، قدامة، الخراج ص ٣١٧
(٩) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢
(١٠) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٠٤، ٣٠٩، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١١٥٩
(١١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢
(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٨
(١٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٦
(١٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٧٧
(١٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٧٨، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٨

الدولة بقدر ما كان الاعتماد عليهم في إدارة الأزمات ومحاربة المناوئين للدولة، ومنذ عهد المهدي بدأ يظهر توجّه الدولة في تولية عناصر فارسيّة، والمسعودي يجعل مساهمتهم الإدارية منذ عهد المنصور: "كان أبو جعفر المنصور أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه في أعماله وصرّفهم في مهماته وقدّمهم على العرب، وسار بقية خلفاء بني العباس على هذا النهج، فسقطت قيادات العرب وزالت رئاستها وذهبت مراتبها"[١]. وكان أغلب ولاة الشام هم من الفرس، إذ عقد المهدي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م لابنه هارون الرشيد على المغرب كله؛ من الأنبار حتى إفريقية، وأمر يحيى بن خالد بن برمك أن يتولى لهارون ذلك كله، فكانت إليه عماله ودواوينه[٢]. واستمرت ولاية يحيى على المغرب زمن الهادي، وكان يحيى وأبوه خالد بن برمك قد توليا الجزيرة في أول عهد المهدي[٣]، وجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الذي ولاه الرشيد سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م الجزيرة والشام[٤]، ثم ولاه الرشيد سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م المغرب كله[٥]، وأرسله سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م لإصلاح الشام بعد هيج العصبية فيها بين القيسية واليمانية[٦].

ويلي أسرة البرامكة في اعتماد الدولة العباسية عليهم في عصرها الأول أسرة: طاهر بن الحسين الخزاعي (بالولاء) الذين كان له دور كبير في حسم الخلاف بين الأخوين، فولاه المأمون المغرب كله سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م[٧]، ثم ابنه عبد الله الذي لعب دوراً في القضاء على المتغلّبين بالشام ومصر، وولاه المأمون سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م من الرقة حتى مصر[٨]، وبقي والياً عليها حتى سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م[٩]، ثم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، وهو ابن عمّ طاهر بن الحسين؛ ولاه المأمون سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م جند قنسرين[١٠]. ومن الأسماء الأخرى: محمد بن فروخ أبو

---

(١) المسعودي، مروج ج٥، ص٢١١، ونقله عنه الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٠٩

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٨٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٨٢، ٢٨٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٨٨، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١

(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٥٤ ــ ٥٥، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٣

(٤) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٩٠

(٦) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٨٩، الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ٢٠٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١ وفيه: موسى بن يحيى بن خالد، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٢، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢٢٧

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٩، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٢٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٣٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٤٤

(٨) ابن خياط، تاريخ ص ٤٧٢، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٠، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٤٤، ٣٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٥

(٩) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦١٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠٢

(١٠) ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٢٨

هريرة الخراساني ولاه الهادي الجزيرة سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م[١]، وتولاها ثانية في عهد الرشيد سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م[٢]، ومن الولاة وال اسمه يحيى بن معاذ، سكتت المصادر عن التعريف به، ويبدو أنه من أهل خراسان، ولاه الرشيد سنة ١٩١هـ/ ٨٠٧م الشام[٣]، ثم ولاه المأمون الجزيرة سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م[٤]. كما سكتت المصادر العربية عن ذكر أحد ولاة المعتصم على الجزيرة وقنسرين ولم يرد ذكره إلا عند ديونيسيوس الذي كناه بأبي سعيد، بالرغم من مشاركته في غزو الروم أكثر من مرة واعتماد المعتصم عليه في مقارعة الروم حتى ولاه أمر الشام والجزيرة[٥]، ولعل أبا سعيد هذا هو محمد بن يوسف الثغري الطائي، الذي مدحه أبو تمام وله معه أخبار[٦]، وهو الذي ابتنى حصناً بساحل أنطاكية في خلافة المعتصم[٧]، وكان في عهد المتوكل يقيم في طوانة في أقصى شمال الثغور قائداً للجيوش المرابطة هناك، فقتلته عساكر الروم والأرمن سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م[٨].

وكان خلفاء بني العباس يعزلون الولاة إذا ما استشعروا منهم خطراً على السلطة، أو خشية الانقلاب على الخلافة كما حدث في صدر الدولة، حتى ولو كان من أقرب أبناء البيت العباسي، وقد يكون قيام بعض الخلفاء بعزل إخوتهم من ولاية العهد وأخذ ما بيدهم من الولايات مرتبطاً برغبتهم في تهيئة أبنائهم وتوليتهم العهد، وانفرد المنصور سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م بعزل أخيه العباس بن محمد عن ولاية الجزيرة لأمر آخر، وحبسه مدة وأغرمه مالاً، واستعمل عليها موسى بن مصعب الخثعمي[٩]. ولم تقدم المصادر العربية سبباً لذلك، بينما أغرقت بعض المصادر السريانية[١٠] في شرح السبب، وأرجعته إلى رأفة العباس بالناس وتخفيفه عليهم في الجباية، مما وجده المنصور انتقاصاً من الخراج، مع ما عرف عن المنصور من حب المال فلما مرّ بالجزيرة ووجد الناس في رخاء عزله لهذا السبب وضاعف الضرائب على الناس، وفرض ضرائب أخرى.

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٤٦
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٣٥، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١١٢، ١١٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٥٦٩
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٣٢٣، ٣٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٠٥
(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٥٨٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٥٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٥، ٢٢٧
(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٦٢ ــ ٦٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤ نقلاً عن ديونيسيوس
(٦) الصولي، محمد بن يحيى، أبو بكر (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، أخبار أبي تمام (تحقيق) خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، المكتب التجاري، بيروت (د.ت). ص ١٠٥، ١٨١ــ ١٨٢، ٢٢٧ــ ٢٢٩
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٧١
(٨) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٨
(٩) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٤، ص ١١
(١٠) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٦ نقلاً عن ديونيسيوس

ووصف شاهد عيان من أهل الجزيرة وهو المؤرخ الزوقنيني (كان حياً ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، والي الجزيرة المعزول العباس بن محمد بأنه "رجل هادئ مسالم شفوق رحوم كريم فاضل صاحب أخلاق رفيعة وطباع رقيقة"(١). وشرح بإسهاب تفاصيل ما جرى وسببه، وهو أن الخليفة المنصور وصل إلى الجزيرة في شهر أيار سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، فوجد البلاد عامرة معطاءه، وشعر بأن أخاه العباس يخفف الخراج على الناس، وعندما خرج العباس إليه لاستقباله باحتفالٍ يليق بمقامه طرده من مجلسه وأمر أن لا يراه ثانية، وعزله عن الولاية وصادر كل أملاكه(٢).

أما عن عزل الولاة خوفاً من مطامع سياسية، فمن الأمثلة في جند قنسرين عزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (ت نحو ١٥١هـ/ ٧٦٨م) وكان يتولى جند قنسرين للمنصور، فبلغ المنصور كثرة رجاله وأتباعه ومواليه، فخافه، وكتب إليه بالقدوم، ورفض منه عذر المرض ــ إذ كان صالح مسلولاً ــ فقدم عليه ومات بعد أن صرفه من الولاية(٣). وكذلك فعل الرشيد مع ابنه عبد الملك بن صالح الذي حبسه سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م وبقي مسجوناً حتى وفاة الرشيد سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م لسعاية فيه من أنه يؤهّل نفسه للخلافة، وأنه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشام والجزيرة(٤). وكان عبد الملك والياً للرشيد على الجزيرة وبعض الشام منذ سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م(٥)، وربما استمر في ولايته هذه حتى السنة التي سجن فيها، إذ كان فيها (سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م) على الصائفة(٦). وعزل المعتصم ابن أخيه العباس بن المأمون عن ولاية الثغور سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، وكان العباس والياً على الجزيرة والثغور والعواصم منذ عقد له والده عليها سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م(٧)، بل كان إجراء المعتصم هذا هو أول تصرّف إداري اتخذه عند وصوله إلى الرقة في طريق عودته من الثغور إلى بغداد، واستبدله بغسان بن عباد(٨)، ثم حبسه بعد خمس سنوات من خلافته وبعد الانتهاء من فتح عمورية سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م لما بلغه من عيونه وصاحب خبره من أن العباس ينوي القيام بحركة ضده فصادر أمواله وقيّده وحمله فمات في الطريق بمنبج ودفن بها(٩).

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٥٧
(٢) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١٥٧ ــ ١٥٨
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٦٨
(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤٥٨، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٩٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٥، ابن عساكر، تاريخ ج ٣٧، ص ٢١، ٣٠، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢٣٦
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٨٩، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٨
(٦) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٠٣
(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٥
(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣١
(٩) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣٥، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٧١ــ ٧٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٢٧، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٩٦ ــ ٣٩٨، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٩٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٣، وجعل وفاته بسروج وليس منبج. ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٧

وقد وُصِفَ المهدي بأنه "كثير العزل والولاية بدون سبب"(١)، ولم يظهر ذلك بوضوح على الشام وأجنادها، سوى الجزيرة التي كان عليها الهيثم بن سعيد فعزله المهدي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م واستعمل عليها الفضل بن صالح(٢) وبقي والياً عليها حتى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م فعزله واستبدله بعبد الصمد بن علي(٣)، ثم عزله في سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م أثناء مرافقته للصائفة التي جعل عليها ابنه هارون الرشيد، وكان سبب عزله عدم تلقيه للمهدي أثناء مروره وعدم إعداده منزلاً له، فعزله وحبسه(٤)، واستعمل على الجزيرة زفر بن عاصم لكنه لم يلبث أن عزله أيضاً في ذات السنة واستعمل عليها عبد الله بن صالح بن علي(٥)، وعزل أيضاً أثناء زيارته لبيت المقدس إبراهيم بن صالح الوالي على جند فلسطين ثم رده على عمله(٦)، وينفرد الزبيري بذكر والٍ على أنطاكية دون أن يحدد زمن توليه، وهو عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن من ذرية عمر بن الخطاب(٧)، وقدر الباحث زمن ولايته ــ إن صحت ــ في زمن المهدي اعتماداً على توليه للصائفة في عهده أيضاً.

ولا يتوقف الأمر عند عزل الولاة أو حبسهم بل يمتد إلى القتل، إذ أمر الرشيد في سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م بقتل أمير الجزيرة أبي هريرة محمد بن فروخ(٨). وانفرد الجهشياري بذكر سبب قتله من أن أبو هريرة وجماعة من القواد ــ عدّدهم الجهشياري ــ اجتمعوا عند موسى الهادي يطالبونه بخلع هارون ومبايعة ابنه جعفراً، تقرباً إليه ورغبة فيما يصل إليهم من الأعطيات(٩)، فما لبث أن مات الهادي وتولى الرشيد الخلافة فأمر بقتله. وقيل إن ذلك كان بأمر الخيزران أم الرشيد(١٠).

وعزل الأمين أخاه القاسم المؤتمن عن جميع ما كان ولاه أبوه الرشيد من أعمال الشام وقنسرين والعواصم والثغور، وجعل مكانه عامل المؤتمن خزيمة بن خازم(١١)، وقد رأى المأمون في هذا التصرّف محاولة لخلعه وعزله من الخلافة، وتولية لابنه موسى ولياً للعهد(١٢).

---

(١) الأزدي، تاريخ الموصل ٣١٨، المسعودي، التنبيه ٣٤٣، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص٢٨٠، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء (تحقيق) شعيب الأرناؤوط وآخرين، ٢٥مج، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٧، ص ٤٠٢، وسيشار له فيما بعد: الذهبي، سير أعلام النبلاء.
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٩
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٥٦
(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٠
(٥) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١
(٦) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦١
(٧) الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، نسب قريش (تحقيق) ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣٦٤، وسيشار له فيما بعد هكذا: الزبيري، نسب قريش.
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٥٦٩
(٩) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٧٤
(١٠) الجهشياري، المصدر نفسه ص ١٧٨
(١١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٧٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٢٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٣، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٢٤٣
(١٢) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٢

والمأمون عندما ولى يحيى بن معاذ الجزيرة سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م[١] وبقي فيها حتى وفاته في السنة التالية، فقد كان مطمئناً له، إذ كان إلى جانبه بمرو لما توفي الرشيد، فانضم إليه ولم يلحق بالأمين في بغداد كما فعل بعض جند المأمون[٢]، لكن المأمون عزل ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي عن الثغور، لأنه خشي معصيته، وجعل عوضه نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي، فتسلمها منه[٣].

وارتبط أمر عزل الوالي على الثغور بمدى قدرة الوالي على دفع العدو وإدامة الصوائف وحفظ الثغور، فقد عزل الواثق سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي عن الثغور والعواصم لجبُنه عن مواجهة الروم، وجعل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي[٤].

الولاة في العصر العباسي الثاني:

أما في العصر العباسي الثاني فقد أصبح الاعتماد بشكل واضح في التولية على العنصر الأعجمي، خصوصاً الأتراك الذين بدأ يتعاظم دورهم منذ عهد المتوكل، وتزامن ذلك مع ضعف سلطة الخلافة بشكل تدريجي، فأصبح تعيين الولاة ــ فضلاً عن الخلفاء أنفسهم ــ منوطاً بيد هؤلاء.

ونتيجة لضعف الخلفاء وتغلّب الأتراك، فقد تقلّص الاتجاه في اعتبار الدولة جناحين: المشرق والمغرب، يُعقد لكل منهما لأحد أبناء الخليفة أو أكابر قواده، فلم يقع ذلك في العصر العباسي الثاني إلا في حالات محدودة، الأولى: عندما عقد المتوكل سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م لأولاده الثلاثة وجعلهم نواباً عنه في أقاليم الدولة، ولكل منهم نواباً في هذه الأعمال، ولهم أن يضربوا السكة فيها[٥]. فأسند لابنه محمد (المنتصر فيما بعد) الولاية على جند قنسرين[٦]، وقيل على المغرب جميعه ومصر، وكان عمره وقتها ١٣ سنة، فجعل معه كاتبه أحمد بن الخصيب[٧]، والحالة الثانية عندما ولى المعتمد سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م ابنه جعفراً ولاية العهد ولقّبه "المفوض إلى الله"، وولاه المغرب والشام وأرمينية، وضمّ إليه موسى بن بغا[٨]. والحالة الثالثة: لما قلد المقتدر سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م ابنه أبا العباس محمد أعمال المغرب ومصر، وكان عمره وقتها ٤ سنوات فاستخلف له عليها مؤنس

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٢ ــ
(٢) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٠
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٩
(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٢، ١٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٤ــ ٢٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٥٩
(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج١٠، ص ٣١٤، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٦١٦
(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٧٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩ ــ ٥٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٧
(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٤٣
(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥١٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٧٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٢

الخادم[١]، وعندما صار شاباً أقطعه في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م بلاد الغرب والشام ومصر، وجعل مؤنس الخادم المظفر يخلفه فيها[٢]، وكان مؤنس يعيّن الولاة على المدن منذ سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م حتى سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م[٣]. وفيما عدا هذه الحالات الثلاث فقد كانت الولاية تختص بجند قنسرين وأحياناً مدمجاً مع الجزيرة.

وممن تولى جند قنسرين من أبناء البيت العباسي: أبو طالب علي بن إسماعيل بن صالح بن علي العباسي، تولاها في أول أيام المتوكل (نحو ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)، وأقام على ولايته حتى تاريخ وفاته المجهول[٤]، فخلفه عليها عيسى بن عبيد الله بن الفضل بن صالح بن علي الهاشمي[٥]، وتولى قنسرين سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م الحسين بن محمد بن صالح بن عبد الله العباسي مدّة يسيرة[٦]، ثم خلفه عليها صالح بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح العباسي[٧]. وتولاها في عهد المعتز أبو تمام ميمون بن سليمان بن عبد الملك بن صالح، وبعده صالح بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمي، وهو آخر من تولى جند قنسرين من بني صالح الهاشميين[٨].

ومرّ جند قنسرين بفترة ناهزت ٢٢ سنة أغلبها في عهد المعتمد، خضع خلالها لحكم الدولة الطولونية، ولأول دخول ابن طولون للشام فقد استبقى على بعض الولاة الذين تلقوه بالطاعة والولاء، وأقرّهم في أعمالهم، وقضى على مَن خالف منهم مثل سيما الطويل الذي حاصره بأنطاكية وقتله[٩]، واستمرّت توليتهم للولاة طيلة المدة دون تدخل من الخليفة العباسي في صلاحيات وأعمال الولاة[١٠]، حتى بدأت بوادر الضعف تظهر في دولة بني طولون، وذلك في عهد هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، عندما ترك راغب مولى الموفق العباسي الدعاء لهارون في الثغور

---

(١) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (تحقيق) سيد كسروي حسن، ٧مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م. ج٥، ص ٢٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٨

(٢) مسكويه، تجارب الأمم ج٥، ص ١١٥، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٢٣، الكبيسي، حمدان عبد المجيد، عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ ــ ٩٣٢م)، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٣١٦.

(٣) مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق ١، ص ٢١٠، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠٠ ــ ١٠١

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٠

(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٨٠، أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٦٠

(٦) ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص٢٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٢

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١

(٨) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٨٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٢

(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٣، المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٠، البلوي، عبد الله بن محمد المديني (ت بعد ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م)، سيرة أحمد بن طولون، (تحقيق) محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ٩٤ ــ ٩٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٥، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٨، ١٥٣

(١٠) خماش، التنظيم الإداري ص ١٠٩، وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ ج٦، ص ٦١، ٩٣

ونشبت فتنة لأجل ذلك سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م(١)، وطرد أهل طرسوس عامل ابن طولون منها، فراسلهم هارون يستألفهم ويعدهم بالإحسان في المعاملة فرفضوا "وأبوا أن يتركوا له غلاماً يدخل بلدهم وقالوا: مَن جاءنا من قِبَلك حاربناه"(٢)، ثم قيام أهل طرسوس بإرسال وفد للمعتصم يسألونه أن يولي عليهم والياً له، فأرسل ابن الإخشيد(٣)، وبعد أن خرجت قنسرين من يد ابن طولون أرسل هارون ابن خمارويه إلى المعتضد يسأله الإبقاء على ما في يده ويد نوابه من مصر والشام على أن يسلم قنسرين إلى المعتضد ويحمل كل سنة ٤٥٠ ألف دينار، فأجابه لذلك، ووصل المعتضد إلى قنسرين والعواصم فتسلمها من أصحاب هارون سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م(٤) وولاها ابنه علياً المكتفي(٥)، فقلدها علي لكاتبه الحسين بن عمرو النصراني، وجعل له النظر في هذه النواحي(٦). وبهذا عادت السلطة على قنسرين إلى الخليفة مباشرة بعد أن تقلب فيها ولاة ابن طولون منذ سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م. لكن يبدو أن الأجزاء الجنوبية من جند قنسرين كانت خارج سلطة الخليفة، إذ إن الإدارة، أثناء سيطرة القرامطة على الشام في سني ٢٨٩ ــ ٢٩١هـ/ ٩٠١ــ ٩٠٤م، كانت موزعة بين القرامطة وبين عمال هارون بن خمارويه بن طولون، فكان للقرامطة عمال في المدن التي وقعت تحت سيطرتهم ضمن ثلاثة أجناد من أجناد بلاد الشام وهي دمشق وحمص وقنسرين، ورد ذكر بعض أسماء عمّالهم في الكتب التي تبودلت بينهم وبين داعية القرامطة أبي شامة، منهم: جعفر بن حميد الكردي، وعامر بن عيسى العنقائي(٧)، ولم تمتد سيطرة القرامطة أبعد من حلب، فبقيت الإدارة على الثغور الشامية والجزرية على حالها. أما بقية أجناد الشام فقد عادت لسلطة الخليفة مباشرة في سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م بعد أن قويت الخلافة بالقضاء على القرمطي، وبعد أن ضعفت سلطة هارون بن خمارويه الذي أنهكته الحروب مع القرمطي(٨).

ويُلاحظ في العصر العباسي الثاني بوضوح غياب سلطة الخليفة مقابل تعاظم سلطة الأتراك، وعليه فلم يعد اختيار الولاة يخضع لاعتبارات القُرب من البيت العباسي أو الوثوق بمدى الإخلاص لهم بقدر ما كان ملبياً لمصالح الأتراك في إمساكهم بكل مفاصل الدولة خصوصاً ما يرتفع من

(١) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٥١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٤
(٢) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٥٣
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٥٢، ٦٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٥
(٤) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٧٠، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق ١، ص ٩١، ابن عساكر، تاريخ ج١٧، ص ٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩١، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٣٢٢
(٥) الطبري، تاريخ ج١٠، ص٧١، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص٩١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص٤٩٥
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٧٣
(٧) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٠٥ ــ ١٠٦
(٨) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ١١٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٢

الأطراف من مال، فأصبحت تولية الولاة والعمال بيد الوزراء، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة، نكتفي منها ما يتّصل بجند قنسرين، ففي سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م وقع خلاف بين الوزير أحمد بن الخصيب ووصيف التركي، فأشار الوزير على الخليفة المنتصر أن يُبعد وصيف إلى الثغور، فجهّزه إلى الروم للغزو في عشرة آلاف، ثم أرسل له أن يقيم بالثغر أربع سنين[١]. وفي سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م ـــ أو بعدها بقليل ـــ تولى أحد الأتراك تعيين الوالي على جند قنسرين، حدث هذا أثناء الفتنة بين أبناء العمومة المستعين والمعتز التي افتعلها الأتراك بخلعهم للخليفة ونصب المعتز مكانه سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م، فقد كان موسى بن بغا إلى جانب المعتز، وكان مقيماً بأطراف الشام لوأد الفتنة بحمص، فأرسل أحمد المولد لأخذ البيعة للمعتز من أهل جندي حمص وقنسرين، وتولى السفارة بينه وبين أهل جند قنسرين أحد أبناء العباسيين واسمه الحسين بن محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح، ولما أخذت البيعة للمعتز من أهل قنسرين بعد حصار وحروب عديدة، كوفئ هذا بأن جعل والياً على جند قنسرين[٢]. وفي سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م ولّى صالح بن وصيف ـــ وكان متغلّباً على المعتز ـــ ديوداد بن ديوداست الأسروشني، ولاه ديار مضر وقنسرين[٣]، وفي سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م تولى الوزارة حامد بن العباس وضم معه الوزير علي بن عيسى، وبقي الربط والحل والدست لعلي بن عيسى، فعزل والي جند قنسرين والعواصم وهو علي بن أحمد بن بسطام، وقلد الشام ومصر أبا علي الحسن بن أحمد المادرائي، وقرّر عليه الخراج عن الإقليمين ثلاثة آلاف دينار سوى نفقات الجيش وغيرهم تُحمل إلى المقتدر[٤]. وأيضاً في سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م في خلافة المقتدر فإن الوزير ابن الفرات خاف من مؤنس الخادم الذي ذكر للخليفة مصادرات ابن الفرات للناس وما يفعله ابنه من تعذيبهم وضربهم فأراد إبعاده وخوّف المقتدر من مؤنس الخادم، وأشار عليه بأن يسيّره عن بغداد إلى الشام ليكون هناك، فسمع المقتدر كلامه، وأمره بالمسير فخرج[٥]. وفي سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م استوزر المقتدر أبا العباس الخصيبي، فلما تولى الوزارة أقر علي بن عيسى على الإشراف على ديار مصر والشام، واستعمل العمَّال في الأعمال[٦].

وثمة ملاحظة تقتضي التوقف خلال العصر العباسي الثاني، وهي أن التولية أصبحت على المدن وليس الإقليم، خصوصاً المدن الثغرية كطرسوس وملطية، وأصبحت الإشارة إلى جند قنسرين

---

(١) الطبري، المصدر نفسه ج٩ ص٢٤٠ـــ، ابن الأثير الكامل ج٧، ص١١١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥،ص ٩٨٩
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج٦، ص٢٧٥٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص٨١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص٦٢
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٣٨١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٨٩
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٤
(٥) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٤٣
(٦) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١٥٩

كوحدة واحدة تكاد تختفي تلازماً مع ضعف الدولة وطروق الخلل إليها، وبرزت التولية على بعض مدن الثغور أو على الثغور جميعها دون بقية الجند(١). ولعل السبب في ذلك هو عجز سلطة الخلافة مقابل كثرة مطالبات الأتراك فاضطرت إلى تفتيت الأقاليم لتولية أكبر عدد منهم وإرضائهم. كما أصبح لأهل المدن رأي في إبقاء الولاة أو في رفض قرار عزلهم، فقد تمسّك أهل طرسوس في واليهم يازمان الخادم حين قدم ابن طولون ليتسلّمها منه، فحالوا دون ذلك، وفيما بعد (سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) حاول خلف الفرغاني عامل ابن طولون في الثغور الشامية الوثوب بيازمان وحبسه، فاستنقذه أهل طرسوس ولعنوا ابن طولون على منابر الثغر، وهرب خلف إلى دمشق(٢)، وبعد أن أنهى ابن طولون تمرد ابنه العباس في مصر سار إلى المصيصة لإخضاع يازمان فتحصن يازمان بطرسوس وفتح على ابن طولون وجيشه نهر طرسوس ــ وكان الوقت شتاءً ــ فهلك غالب عسكره ورحل عنهم(٣). وأيضاً طردوا سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م أبا العباس بن الموفق من طرسوس لخلاف وقع بينه وبين يازمان(٤)، وربما تمسّكوا بيازمان لحسن سيرته فيهم ونكايته في العدو(٥)، خصوصاً وأن لأهل طرسوس تجارب سيئة مع بعض من سبقه من الولاة حتى اضطروا إلى شكايتهم للخليفة، فبقي يازمان عاملاً على طرسوس حتى وفاته سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م(٦)، ووقعت بطرسوس فتنة وتقلّب عليها عدد من الولاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون، وحدثت بينهم منازعات أفضت لخلو طرسوس من الولاة الذين أساءوا معاملة الطرسوسيين، واضطر أهل طرسوس في سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م لإرسال جماعة منهم إلى الخليفة المعتضد ببغداد يسألونه تعيين وال عليهم، فعيّن ابن الأخشيد أميراً عليهم وقدم إلى طرسوس بصحبتهم(٧).

وحدث أحياناً أن قام أهل المدينة باختيار واليهم، فبعد وفاة ابن الإخشيد والي طرسوس سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م وكان قد استخلف عليها قائداً يدعى أبا ثابت، فأسره الروم في السنة التي تلتها ومات، اجتمع أهل الثغر ليتراضوا بأمير يتولّى أمرهم، واتفق رأيهم على علي بن الأعرابي(٨).

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٩
(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١٣، الكندي، الولاة ص ٢٥١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٦، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٥٨
(٣) الكندي، الولاة ص ٢٥٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥٤
(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٩، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤١٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥١، ٤٦٨، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٦١
(٥) المسعودي، مروج ج٥، ص ١٢١
(٦) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٤٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٧٣
(٧) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٥٢، ٦٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٥
(٨) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٧٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٧

وبالرغم من أن حالة طرسوس لا يمكن تعميمها على بقية المدن في تعيين الولاة إلا أن تصرّفهم قد يكون مدفوعاً بحاجتهم إلى أمير لمواجهة الروم الذين وصلت طلائعهم إلى أحد أبواب طرسوس.

ومن خلال ذكر المصادر للغزوات التي يتم إرسالها: صوائف وشواتي، وذِكر قادتها؛ فقد توفرت لدينا صورة شبه كاملة عمّن تولى الثغور، ومَن كان والياً على المدن الثغرية الرئيسية مثل: طرسوس وأذنة والمصيصة، وأصبح الاختيار والعزل في العصر الثاني يخضع لاعتبارات تتعلّق بقدرة الوالي على حماية الثغور وترديد الغزو ومدافعة الروم وإدامة الصوائف: "لم يزل هذا الثغر وهو طرسوس وأذنة والمصيصة وما ينضاف إليها بأيدي المسلمين والخلفاء مهتمّين بأمرها لا يولونها إلا شجعان القواد والراغبين منهم في الجهاد والحروب بين أهلها والروم مستمرة والأمور على مثل هذه الحال مستقرّة حتى ولي العواصم والثغور الأمير سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان فصمد للغزو وأمعن في بلادهم.."[١]. ولهذا فقد تم عزل بعض الولاة عن الثغور لسوء قيادتهم للصوائف والشواتي أو لعجزهم عن صد الروم أو تخاذلهم في الجهاد، ففي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م ولى الواثق أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي الثغور والعواصم، فقاد شاتية مؤلفة من سبعة آلاف فارس، فأصابهم ثلج شديد ومطر ومات منهم مائتا نفس، وأسر نحوهم، وسار نحوه بطريق من عظماء الروم فجبن أحمد عن مقابلته، فاستفزه وجوه الناس للمواجهة "إن عسكراً فيه سبعة آلاف لا تتخوّف عليه" حتى واجه الروم وانتصروا عليهم، فلما عادت الحملة عزله الواثق[٢]. وفي سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م عزل الخليفة المكتفي أبا العشائر عن الثغور وولاها لرستم بن بردوا لأن الروم أغارت على مرعش ونواحيها وأُصيب فيها جماعة من المسلمين[٣]. واشترط المقتدر على سعيد بن حمدان سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م أن يغزو الروم وأن يستنقذ ملطية منهم، مقابل أن يوليه الموصل وديار ربيعة وكانت ملطية قد سقطت بيد الروم لما ضعف أهلها فاضطروا إلى مصالحة الروم وسلموهم مفاتيح البلد فحكموا المسلمين، ولهذا فعندما سارت عساكر الروم سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م إلى سميساط وحاصروها، فإن أهلها استصرخوا بسعيد بن حمدان الذي استطاع طرد الروم عن سميساط ثم سار إلى ملطية واستنقذها وجعل عليها أميراً من عمّاله[٤]. وكان ثمل الخادم الذي تولى ثغر طرسوس لمدة طويلة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م حتى وفاته سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م) "عظيم الهيبة في قلوب النصارى، كثير الإقدام عليهم لا يهوله أن يحمل على خمسة آلاف بخمسمائة من المسلمين"[٥].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٨٠
(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٤ـــ ١٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص٢٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٩
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ١١٨، ١٢٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٧
(٤) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٣٥
(٥) مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ق ٣، ص ٣١٨

الإداريون في الجند:

لا يختلف النظام الإداري في جند قنسرين عن بقية الأجناد، سوى ما تميزت به الثغور من حاجة إلى موظفين يؤدون واجبات تقتضيها خصوصية المناطق الثغرية، فكانت بذلك أشبه بالتنظيم العسكري منها للمدني.

الوالي: ويقع على عاتق والي جند قنسرين ــ سواءً على الجند لوحده أو مع غيره من الأقاليم خصوصاً الجزيرة ــ إدارة الجند كاملاً، وكانت بيده صلاحيات واسعة، إلا إذا انقسمت الولاية بين اثنين فيكون لأحدهما الصلاة وللآخر الخراج، وفي حالة جند قنسرين ومكانته العسكرية فتضاف لأحدهما أو تفرد ولاية الجند حرباً، وقد تجمع الثلاثة جميعها لوال واحد(١)، وينقل ابن العديم عن اليعقوبي قولاً لم يحدد زمنه وهو أن: "خراج بالس إلى عامل ديار مضر، وحربها وصلاتها إلى عامل جند قنسرين والعواصم"(٢).

ومن وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله نلمس مدى ما بيد الوالي من مسؤوليات وواجبات، "من الحياطة للرعية وأمور الأولياء والنظر في حوائجهم ... واستصلاح الرعية وعمارة البلاد والتفقد لأمورهم وتفريق الأموال في العمارة وعدم احتجانها، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وإعطائهم الأرزاق، وإقامة العدل بتولية القضاة.. والنظر لأمر الخراج... واختيار أحد الأمناء في كل كورة لينقل له الأخبار عن العمال وسيرتهم وأعمالهم"(٣). ويدلّ على سعة صلاحيات الوالي ما ذكره ابن العديم من أنه رأى فلوساً عتيقة كُتب على أحد وجهيها "مما أمر به الأمير صالح بن علي أكرمه الله"، وتاريخه على الوجه الثاني "ضرب هذا الفلس بمدينة حلب سنة ست وأربعين ومائة"(٤)، ووجدَ نقوداً مضروبة في قنسرين سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م باسم الأمير موسى بن سليمان (الخراساني) الذي تولى قنسرين بعد الفضل بن صالح(٥).

وإذا حدث أن غادر الوالي مركز الجند فإنه يستخلف عليها من طرفه نائباً حتى يعود، وغالباً ما يكون أحد أولاده(٦).

ولكي يؤدي الوالي ما عليه من واجبات ويتمكن من السيطرة على كامل ما بيده من ولاية، فإنه محتاج إلى اتخاذ عمال في المدن الرئيسية ينوبون عنه في إدارة شؤونها، إضافة إلى تعيين

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١، ٧٧، وانظر المزيد من التفصيل: خماش، التنظيم الإداري ص ١١٧ــ ١١٩
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣
(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٢ ــ ٥٩١
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٩
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٧٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٩
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٧٩، ٩٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٠، ٧٦

كُتَّاب إلى جانبهم؛ فلأول ولاية عبد الله بن علي على الشام قلد أخاه عبد الصمد بن علي حلب وقنسرين[١]، وعندما نصب نفسه خليفة بعد موت السفاح سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م وجه عماله إلى المدن، فكان زفر بن عاصم عاملاً على حلب[٢]، وقيل: قنسرين[٣]، وسعيد البربري عاملاً على رصافة هشام[٤]، ولما قدم عبد الله بن طاهر إلى الشام كان برفقته كاتبه أحمد بن نهيك[٥]، وكان الشاعر عمرو بن هوبر الكلبي عاملاً على مدينة معرة مصرين في عهد المتوكل[٦]، وأبو تمام ميمون بن سليمان بن عبد الملك بن صالح على مدينة حلب سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م[٧]، ومعاذ بن سعيد عاملاً على معرة النعمان للإخشيد سنة ٣٢٥هـ. ويتخذ الولاة أيضاً كتَّاباً ومعاونين لهم، فقد كان ذكا بن عبد الله الأعور أبو الحسن يتولى جند قنسرين للمكتفي والمقتدر (تولاها من نحو ٢٩٤ ــ ٣٠٢هـ/ ٩٠٧ ــ ٩١٤م)، وكان وزيره وكاتبه أبا الحسن محمد بن عمر بن يحيى النفري الكاتب[٨]، وكان لوالي حلب وصيف البكتمري الخادم من قبل مؤنس المظفر كاتب اسمه عبد الله الشامر المعروف بكاتب البكتمري، وكان وصيفاً قد تولى حلب من سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م حتى وفاته ٣١٨هـ/ ٩٣٠م[٩].

القاضي: وهو يلي الوالي في الرتبة والأهمية، فهو يؤدي وظيفة دينية وإدارية في نفس الوقت، فيقيم العدل ويفصل بين الناس في المنازعات وأحياناً يتولى القاضي الشرطة والصلاة، وكان تعيين القاضي منوطاً بالوالي، وعلى هذا كان من مهام الوالي ــ حسب الماوردي ــ الإشراف على القضاة وتنفيذ أحكام القضاء[١٠]، ويشير مصعب الزبيري أن الولاة أو الأمراء هم الذين يولّون القضاة معلقاً على إسناد والي المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي وظيفة القضاء لأحد القضاة في عهد المنصور[١١]، إلا أن اليعقوبي يذكر أن "المنصور هو أول من ولّى القضاة الأمصار من قِبله، وكان يوليهم أصحاب المعاون"[١٢]، وبالرغم من عدم القطع بمن يتولى تعيين القضاة: الخليفة أم الوالي، إلا أن هذا الأمر أصبح مخصوصاً غالباً بقاضي القضاة منذ استحداث الرشيد لهذا المنصب[١٣].

---

(١) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٦٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٤
(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٧
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٦
(٤) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٦
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٦٠
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٨ ــ ٧٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٩
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٨١
(٨) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٨، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٧٩
(٩) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٨١
(١٠) الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٣٠، وانظر: خماش، التنظيم الإداري ص ١٢٣
(١١) الزبيري، نسب قريش ص ٢٨٤
(١٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٣
(١٣) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢١

وكان مقر قاضي جند قنسرين بحلب، ولهذا كان يشار إلى القاضي بأنه قاضي حلب، ويراد به قاضي الجند كله، فكان من قضاة حلب: حفص بن عمر (ت بعد ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)[١]، وأبو سعيد عبيد بن جناد بن أعين الرقي الحلبي مولى بني كلاب (ت٢٣١هـ/ ٨٤٦م)[٢]، تولى القضاء في عهد المأمون سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م وبقي قاضياً عليها في عهدي المعتصم والواثق حتى وفاته[٣]، وكانت توليته لقضاء حلب بطلب المأمون أثناء السنوات التي أمضاها يتردد على جند قنسرين لترتيب الغزو، يقول القاضي عبيد بن جناد: "قال لي المأمون: ما مهنتك، قلت: قلاء، وما قلوت شيئاً، لي غلمان قلاؤون، فقال: وهل تضع المهنة أحداً؟ فولاني القضاء"[٤]. وقد تعرض ابن جناد للهجاء من شاعر معري اسمه عمرو بن هوبر الكلبي الذي نظم فيه أبيات يهجوه فيها[٥].

ويذكر الأزدي أن القاضي ابن جناد كان يجمع بين قضاء الرقة وحلب[٦]، وجُمعت أيضاً لمن خَلَفه على القضاء، فقد ولي القاضي أبو الفضل عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر الأسدي الرقي (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) قضاء الرقة وحران وقضاء حلب، ثم ولي قضاء بغداد في أيام المتوكل، وحُمد في القضاء[٧]. ويرد ذكر أحد أولاد الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) واسمه أبو عثمان محمد (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وأنه تولى قضاء قنسرين والعواصم[٨]، دون أن يحدد تاريخ توليها. ويذكر السبكي أنه بقي متولياً القضاء بحلب سنين طويلة[٩].

وكان قاضي حلب في أيام أحمد بن طولون القاضي عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله أبو بكر العمري (من أحفاد الخليفة عمر بن الخطاب) واستمر على قضائها حتى وفاة ابن طولون سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م[١٠]، وجعله ابن عساكر قاضياً على حمص وقنسرين وأنطاكية والثغور الشامية[١١]، وبعده ــ في ظن ابن العديم حتى نحو سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م ــ تولاها القاضي حفص بن عمر[١٢]، وهو ــ بالتأكيد غير المتقدم ذكره المتوفى في نهاية القرن الثاني الهجري إلا أن يكون ابن

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٣٧، ج٥، ص ٥٩
(٢) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٦
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٧٨، أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٥٨
(٤) الأزدي، تاريخ الموصل ٤٠٤ـــ ٤٠٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص٧٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص٦٢٧
(٥) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٨، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٨
(٦) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٠٤
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١١٧٠
(٨) ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٧٣
(٩) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق) عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط٢، ١١مج، دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢م. ج٢، ص ٧٢
(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٥
(١١) ابن عساكر، تاريخ ج ٣٨، ص ١٠٢
(١٢) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٢، ونقله عنه أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٢

العديم قد خلط في الأمر ــ، وبعده ولى هارون بن خمارويه قضاء حلب وقنسرين أبا زرعة محمد بن عثمان الدمشقي(١)، ويذكر ابن عساكر أن القاضي أبا زرعة كان يستخلف على دمشق القاضي أحمد بن المعلى بن يزيد الأسدي (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) وبقي عليها حتى وفاته(٢)، بما يؤشر أن أبا زرعة ربما كان على قضاء الشام وليس قنسرين لوحدها. وفي سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م كان على قضاء حلب محمد بن محمد الجدوعي، ثم ولي القضاء بحلب وقنسرين محمد بن أبي موسى عيسى الضرير الفقيه سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م وصرف عنهما سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م وتولى عوضه أبو حُفَيص عمر بن الحسن بن نصر الحلبي القاضي، وعزل أبو حفيص عن القضاء في حلب سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م ووليها أبو عبد الله محمد بن عبده بن حرب، وتوفي أبو حفيص القاضي سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م وكان أبو عبد الله محمد بن عبده بن حرب قاضياً بها سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م(٣). ثم في سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م جمع قضاء حلب وحمص لقاض واحد هو إبراهيم بن جعفر بن جابر أبو إسحاق الفقيه(٤). وتولى القضاء بحلب سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن جابر، وقال المسعودي إنه كان قبل ذلك في بغداد يعاني الفقر ثم لقيه بعدها في حلب سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م وعليه سيماء الغنى(٥)، ولعله يغمز في أمانته، ثم ذكره في وفيات سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م(٦)، وكان قاضي حلب في حدود سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م عبيد الله بن عبد الرحمن ابن أخي الإمام الحلبي(٧)، ويقول ابن العديم في حدود سنة ٣٢٩هـ: "وأظن أن قاضي حلب في هذا التاريخ كان أبا طاهر محمد بن محمد بن سفيان الدباس أو قبل هذا التاريخ"(٨)، ويذكر العظيمي قاض اسمه ابن مالك وأنه عُزل عن قضاء حلب في السنة التي ملك فيها سيف الدولة حلب سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م(٩).

ويرد في المصادر ذكر قضاة في المدن الثغرية خصوصاً مدينتي طرسوس والمصيصة، ويظهر ذلك بشكل أوضح في العصر العباسي الثاني، وعندما يذكر قاضي الثغر فإن المراد قاضي طرسوس، وكان أقدم من تولى قضاءهما القاضي بشر بن المنذر قاضي المصيصة، وهو ممن عاصر وجود المتصوف إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ/ ٧٧٨م) في المصيصة ورآه(١٠). ثم القاضي

(١) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٩٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٣
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ١٩ ــ ٢١
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٩ ــ ٨٠
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٠٠، أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٨٠
(٥) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٤
(٦) المسعودي، المصدر نفسه ج٥، ص٢٠٧
(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠٢
(٨) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٠٥
(٩) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٩١
(١٠) أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠مج، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٢م. ج٨، ص١١، وسيشار له فيما بعد: أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٩٧

موسى بن داود الضبي، أبو عبد الله الطرسوسي الخُلقاني، أصله من الكوفة وسكن بغداد، وولي قضاء طرسوس وقيل المصيصة، وكانت وفاته بطرسوس سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م(١). ويذكر ابن سعد قاضياً للمصيصة ولم يسمه، وكنيته أبو المنذر (ت سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)(٢)، وولي قضاء طرسوس أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)؛ تولاها مدة ثماني عشرة سنة(٣)، والقاضي عبد الجبار بن سعد بن سليمان المُساحقي الفقيه المدني، صاحب مالك (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤١م وقيل: ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م) ولي قضاء المصيصة(٤)، والقاضي هارون بن عبد الله بن محمد بن كثير، ولاه المأمون قضاء المصيصة، ثم صرفه عنها وولاه قضاء العسكر ببغداد ثم قضاء مصر فبقي فيها قاضياً حتى صرفه المعتصم في آخر خلافته(٥)، والقاضي أحمد بن خالد أبو جعفر البغدادي الخلال (ت نحو ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) وكان على قضاء الثغر(٦)، والقاضي علي بن محمد بن علي بن أبي الضياء (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) كان يتولى قضاء المصيصة(٧)، والقاضي الحسين بن الحسين، أبو عبد الله الأنطاكي ابن الصابوني، قاضي الثغور الشامية (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) وهو محدث ثقة(٨)، وأيضاً القاضي أبو الطيب بن جهور، قاضي طرسوس (في مطلع القرن الرابع الهجري) ويذكر الطرسوسي أن سلفه كانوا قضاة طرسوس وأن هذا آخرهم وهم بيت مشهور(٩)، والقاضي العباس بن أحمد بن الخواتيمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) كان قاضياً على طرسوس(١٠).

وفيما عدا طرسوس أو المصيصة فلم يرد ذكر لقضاة في بقية المدن سوى ما ذكره الذهبي في ترجمته لأحد المحدثين من أنه قاضي شمشاط وهو الحسن بن محمد بن يحيى العقيلي (ت بعد ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)(١١)، وما ذكره ياقوت عن القاضي علي بن الحسين بن بندار بن عبيد الله بن جبر

---

(١) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٧ وفيه: "قاضي المصيصة"، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٢٣، ج٥، ص ٤٦٨، الذهبي، سير اعلام النبلاء ج١٠، ص ١٣٦

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، ٨ج، بيروت، دار صادر، (د.ت). ج٧، ص ٤٩١، وسيشار له فيما بعد: ابن سعد، الطبقات الكبرى

(٣) ابن قتيبة، المعارف ص ٥٤٩، النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، كتاب الفهرست، (تحقيق) أيمن فؤاد سيد، ٤ق في ٢مج، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م، ج١، ق١، ص ٢١٥، وسيشار له فيما بعد هكذا، النديم، الفهرست، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٥٠١، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢٤، ص ١٢٣، الحميري، الروض ص ٣٨٨

(٤) الزبيري، نسب قريش ص ٤٢٨، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ١٦٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦١٣

(٥) الزبيري، المصدر نفسه ص ٢٧٢

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٩٨

(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ١٢٩

(٨) ابن عساكر، تاريخ ج ١٤، ص ٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٣٥٣

(٩) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٩

(١٠) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٨

(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٣٢٢

أبو الحسن الأذني (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) قاضي أذنة[١]، والأخير بعيدٌ عن فترة الدراسة إلا إذا تقلد القضاء في سن شبابه.

وكان يرافق الغزوات والصوائف قاضٍ يسمّى **قاضي العسكر**، يتولى ما يجتمع من الفئ، ولعله هو ذاته الذي يكون إلى جانب متولي الفداء مع الروم، ويرد أن صالح بن علي العباسي الذي قاد العديد من الصوائف في عهد المنصور، حشد الناس بدابق في إحدى الصوائف فجعل على كل جند قاضياً[٢]، وممن تولى قضاء العسكر القاضي حفص بن عامر السلمي وكان مرافقاً للصائفة المرسلة سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م بقيادة الحسن بن قحطبة الطائي[٣]. وفي غزوة حميد بن معيوف لقبرس سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م بعد نقضهم العهد تم سبي نحو ١٦ ألف أسير من أهلها فأقدمهم الرافقة وتولى بيعهم القاضي وهب بن وهب أبو البختري (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٦م)، وبلغ ثمن أسقف قبرس ألفي دينار[٤]. وكان إلى جانب المعتصم في فتح عمورية قضاة من قِبَل القاضي أحمد بن أبي دؤاد؛ تولوا إحصاء الأموال والغنائم والسبي وتولوا بيعها في مدة خمسة أيام[٥].

وحضر القاضي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القرشي (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)[٦] الفداء الذي وقع بين المسلمين والروم بموضع اللامس في خلافة المتوكل سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م، وكان القيم به شنيف الخادم وعلي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية[٧]. وكان المتولي لفداء سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م بين المسلمين والروم والي طرسوس أبو العشائر أحمد بن نصر العقيلي صحبة قاض اسمه ابن مكرم[٨].

أما بقية الوظائف ضمن الجهاز الإداري للجند فيمكن التماسها من خلال النموذج الذي ذكره ديونيسيوس لمدينة الرقة في أواخر العصر العباسي الأول، إذ جرى تعيين حاكم للمدينة، وجابي للضرائب (أي عامل الخراج)، وعامل لمراقبة عابثي الفساد (لعله المحتسب)، وعامل لمراقبة الناس وإرسال أخبار المنطقة إلى الخليفة (أي صاحب خبر وعامل على البريد)، وعامل آخر على غلات

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٨، ص ١٠٠
(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٣
(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٣٢٠، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٣
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨٨
(٦) الربعي، محمد بن عبد الله بن زبر أبو سليمان (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، (تحقيق) محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٠م. ص ٢٣٧، وسيشار له فيما بعد: الربعي، تاريخ مولد العلماء
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠٣، المسعودي، التنبيه ص ١٩١
(٨) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ١٢٠، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٧

الصوافي، وآخر للنظر في تظلم الناس[١]، وهذه الفئة من الموظفين التي ذكرها ديونيسوس لمدينة الرقة يمكن تعميمها بالقياس على مدن جند قنسرين الرئيسية، وهؤلاء الموظفين هم:

عامل على الخراج: ويكون في كل جند من أجناد الشام صاحب خراج، وقد يُجمع أكثر من جند لعامل واحد، ويتم تعيينه من قبل الخليفة أو من ينوب عنه كالوالي مثلاً[٢]، ويذكر الزوقنيني ــ وهو شاهد عيان ــ جانباً من النظام الإداري الذي قرّره المنصور عند زيارته للجزيرة (بحدود ١٥٥هـ/ ٧٧٢م) وعدَّد الموظفين الذين عيّنهم لذلك؛ ومنهم العامل على الخراج، يقول الزوقنيني: "زار المنصور الجزيرة فأرسل أناساً وأقامهم عمالاً وأرسلهم إلى أطراف البلاد لتسجيل كل الأفراد الخاضعين لضريبة الجزية. وعيّن أناساً على جباية الأعشار (ضريبة العشور) وكان القائم على جبايتها مجوسيّاً، فتجوّل في جميع مدن الجزيرة وسجّل أسواقها، وما يباع فيها من البضائع، كما سجّل الحوانيت التي فيها، وقيّد كل ما لم يكن مسجلاً قبل التعديلات التي أجراها الخليفة، وهكذا صنع في كل مدن الجزيرة والغرب (أي غرب الفرات ومنها: قنسرين) التي تجوّل فيها حتى أرمينية، وقد أعطى هذه الأماكن للناس بمبلغ مقطوع (أي: الضمان أو الإيغار). لقد عيّن الخليفة أيضاً عاملاً آخر على الأعشار (المعشر)، يدخل المدن ويمر على الأسواق والحوانيت ويسجّل ما فيها من البضائع"[٣].

ولم تورد المصادر ذكر من تولى خراج جند قنسرين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وأول من وصلنا اسمه فكان الحسن بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، ولي الخراج بجند قنسرين من قبل المكتفي وبقي عليها في عهد المقتدر بالله حتى وفاته بحلب سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م[٤]، فولي الخراج بعده علي بن أحمد بن بسطام، وتولى الإنفاق عبد الله بن محمد بن سهل ثم توفي ابن بسطام سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م وتولى مكانه محمد بن الحسن الناظري[٥]، وفي ديوان الصنوبري قصيدة يمدح فيها صاحب خراج اسمه أبا عبد الله جعفر بن محمد الكرخي[٦]، ممن لم يذكره ابن العديم ضمن عمال الخراج. ويتخذ عامل الخراج في المدن نواباً عنه يقومون بمهمة جباية الخراج وتأمينه لديوان الجند.

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٦٨

(٢) خماش، التنظيم الإداري ص ١١٩، وانظر أيضاً: عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢٠

(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٦١ ــ ١٦٣

(٤) الصولي، محمد بن يحيى، أبو بكر (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، أخبار المقتدر بالله العباسي من كتاب الأوراق (تحقيق) خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م. ص ١٦٨، وسيشار له فيما بعد: الصولي، أخبار المقتدر بالله، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٨٠.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص١٠٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٨٠، ولعل الناظري هو ذاته الذي عزّاه الشاعر الصنوبري وكناه أبا الفتح. انظر: ديوانه ص ١٠٠

(٦) الصنوبري، ديوانه ص ٥٠

المحتسب: ولم ترد إشارات لوجود المحتسب سوى في عهد المهدي، الذي كلّف أثناء زيارته لجند قنسرين سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م المحتسب ويدعى عبد الجبار بجلب من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعهم وأتاه بهم وهو بدابق فقتل جماعة منهم وصلبهم[١]. ويذكر ديونيسيوس أن المهدي عند توليه مقاليد الحكم "أرسل رجلاً يدعى المحتسب ليهدم الكنائس التي شيّدت في عهد الإسلام، فهُدمت عدّة كنائس منها كنيسة الخلقيدونيين (الروم) في حلب، واضطهد المانوية حيثما وجدوا، وقبض على العديد من المسلمين لاعتناقهم هذه الهرطقة المانية ولم يرتدّوا عنها، كما قبض على بعض المسيحيين المتّهمين بهذه البدعة"[٢]. ولعل المحتسب هو ذاته ما عناه ديونيسيوس بعامل مراقبة عابثي الفساد، وترجم الذهبي لأحد المحدّثين المنسوبين للمصيصة وسمّاه المحتسب، وهو سنيد بن داود المصيصي، أبو علي المحتسب (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤١م)[٣]، دون أن يقدم الذهبي أي تفاصيل عن مكان توليه الحسبة. وفي ثنايا كلام الطرسوسي على كيفية النفير لغزو بلاد الروم فيذكر أن من يُعلن النفير هو المتولي لعمل الحسبة "فيركب في أي وقت وقع النفير من ليل أو نهار، ورجالته بين يديه ينادون بأعلى أصواتهم أجمع، صوتاً واحداً: النفير يا أصحاب الخيل والرجاله، النفير حملكم الله إلى باب الجهاد. ويطوف المحتسب ورجالته الشوارع كلها، فإن كان ذلك نهاراً إنضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان، وساعدوهم على النداء بالنفير، وربما احتاجوا إلى حشد الناس لشدة الأمر وصعوبة الحال، فأمر أهل الأسواق بالنفير وحضّهم على المسير في أثر الأمير"[٤].

وربما جُمعت وظيفة المحتسب في العصر العباسي للقضاة فيتولى النظر في الحسبة للإشارة التي ذكرها ابن الأثير وابن كثير في عهد المقتدر بالله سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م من أن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول[٥].

صاحب الخبر والبريد: وله من المنزلة عند الخليفة بحيث لا تكون بينهما واسطة، وليس لأحدٍ من العمال أو الولاة أو القادة عليه سلطة ولا حكم[٦]، ومهمته نقل الأخبار إلى الخلافة مهما كانت صغيرة أو كبيرة[٧]، وكان أبو جعفر المنصور ــ بما عرف عنه من تفقده للعمال ومتابعته لهم حتى

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٠، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١

(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٦٨، ج٥، ص ٥٠٠، ٥٨٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٦٢٧

(٤) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٨

(٥) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية ج١١، ص ١٦٦

(٦) التنوخي، القاضي المحسن بن علي أبو علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، (تحقيق) عبود الشالجي، ٥مج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م. ج١، ص ٣٠٣ (شروح المحقق)، وسيشار له فيما بعد: التنوخي، الفرج بعد الشدة، خريسات، صاحب الخبر ٢٥

(٧) خريسات، صاحب الخبر ٣١ ــ ٣٤، عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢٣

استثقلوا ذلك منه، بل وطلبوا من طبيبه أن يزين له شرب النبيذ ليتشاغل عنهم[١] ــ فقد كان يرسل من يتجسس له الأخبار، وكان يدسُّ قوماً على هيئة التجار ويرسلهم في البلدان يتعرفون الأخبار[٢]، وأبدى لأصحابه بأنه لا يلوم نفسه لما أذكى العيون على الناس، حتى جاءته أخبارهم وهم في منازلهم[٣]، وبوسيلته هذه كشف العديد من الحركات التي كانت تحاك ضده كما حدث مع بعض الطالبيين وشيعتهم في المدينة[٤]، وكان لصاحب الخبر دورٌ في ملاحقة الزنادقة عندما شرع الخليفة المهدي في تتبعهم بحلب وغيرها من المدن في أقاليم الدولة[٥]. وتوسعت في عهد المأمون مهام صاحب الخبر، وأصبح للنساء مشاركة في هذه الوظيفة، وكان الرجال والنساء يتنكرون في زي التجار أو المسافرين لجلب الأخبار حتى من بلاد الروم[٦].

ولا تقتصر مهمة صاحب البريد على تتبع أخبار العمال والولاة بل يتعدى ذلك إلى نقل كل الحوادث التي قد تحدث ضمن منطقة اختصاصه، نستدل على هذا من خبر الشاعر علي بن الجهم بن بدر (٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) الذي قتله بنو كلب في خساف، حيث "ورد على المستعين كتابٌ من صاحب البريد بحلب أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجّهاً إلى العراق، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من بني كلب فقتلوه"[٧]. وانفرد المسعودي بذكر تولية المعتضد للشاعر "علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام"[٨]. كما أن أخبار الثغور وما يستجد فيها من اعتداء للروم يطيره صاحب البريد إلى الخليفة من ساعته[٩].

العامل على المظالم: ويكون لكل ولاية أو أكثر عامل على المظالم، فقد ولى المأمون محمد بن حسان الضبي مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية، وفي سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م ولاه المعتصم مظالم الرقة وبقي عليها حتى وفاة

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٣٩
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ج٣، ص ٣١٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٣٤
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١
(٤) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥١٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٤٩، خريسات، صاحب الخبر ص ٢٢٦
(٥) خريسات، صاحب الخبر ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠
(٦) خريسات، المرجع نفسه ص ٣١٤
(٧) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق) إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م، ج٣، ص ٣٥٦، وسيشار له فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١١٨٥ وخبر مقتله عند الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٦٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٢٤
(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص٢٠٢
(٩) ابن العمراني، الإنباء ص ١٠٥

المعتصم فأقره الواثق عليها[١]، ويُفترض أنه يتخذ له نواباً في المدن والأقاليم لتعذر القدرة على القيام بهذه المهمة لوحده[٢]، إذ كان بطرسوس سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م عامل على المظالم يكنى أبا وهب، اشتكاه أهلها للواثق فعزله عنهم[٣]. وعَهد المتوكل بهذه الوظيفة (نحو سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) لطاهر بن محمد بن إسماعيل بن صالح؛ ولاه المظالم بجند قنسرين والعواصم والنظر في أمور العمال، ولكن الموت حال دون توليه إياها إذ جاءه الرسول في مرضه الذي مات فيه[٤]. وكان على مظلم حلب في أواخر القرن الثالث الهجري رجلٌ يعرف بابن الضُّبعي[٥]. ويمدح الصنوبري (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) في قصيدة أحد أحفاد هارون الرشيد وهو أبو الحسن أحمد بن محمد الرشيدي ممن كان يقيم بحلب، ويستفاد من بعض أبياتها أنه كان يتولى النظر في المظالم[٦]، ولعل ولايته هذه كانت في مطلع القرن الثالث الهجري.

صاحب الشرطة: ولا ترد أي إشارة له سوى في الثغور، التي يقف صاحب شرطتها إذا وقع النفير مع رجالته الموسومين به عند الباب الأول الذي يلي مدينة طرسوس ويكون منه خروج الناس إلى النفير[٧]. و**السجن** وإن كانت غايته تقييد حرية مرتكبي الجرائم والخارجين على الدولة، فإن في اتخاذه إقامة لهيبة الدولة وفرض لسطوتها، ومثلما اتخذ بنو العباس الرقة (أو الرافقة) سجناً[٨] ومكاناً للنفي[٩]، إذ توفي في حبسها الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م[١٠]، فقد اتخذ بنو طولون عند تملكهم للشام سجناً بأنطاكية[١١]، ويرد ذكر سجن طرسوس الذي يصرف على خبازه المتولي إطعام المساجين مما يفضل من غلات ضياع طرسوس[١٢].

أما المدن الثغرية والحصون ذات الطبيعة العسكرية والدفاعية فيختلف تنظيمها الإداري قليلاً حسبما تقتضيه مثاغرة العدو، وقد حفظ لنا الطرسوسي في كتابه "سير الثغور" ما يُجعل برسم بعض مدن الثغور والحصون والأبراج خاصة بنواحي طرسوس، ولعل ما أورده بالتخصيص ينسحب على

---

(١) ياقوت بن عبد اللــه الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم الأدباء (أو: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، (تحقيق) إحسان عباس، ٧مج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م. ج٦، ص ٢٤٨٥، وسيشار له فيما بعد: ياقوت، معجم الأدباء، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢، ص ٣٣٢

(٢) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢٢

(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤١

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٠

(٥) الصولي، أخبار المقتدر بالله ص ١٧٢

(٦) الصنوبري، ديوانه ص ٣٧٩ وانظر البيت رقم (٧)

(٧) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٨

(٨) مارميخائيل ج٢، ص ٤٤٥، ج٣، ص ١٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٤

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٧٣، ج٧، ص ٢٠٨

(١٠) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٤١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢١٠

(١١) ابن عساكر، تاريخ ج ١٣، ص ٣٩٢

(١٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١

الباقي بالتعميم، فيقول عن إدارة حصن عجيف (نسبة لعجيف بن عنبسة) من حصون طرسوس والأبراج التابعة له: "رَسْمُ هذا الحصن أمير وأربعة فرسان، وثلاثة حراس، وثلاثة رجالة وخطيب. رزق الأمير عشرة دنانير، ورسم كل فارس ديناران، والرجالة والحرس دينار دينار، والخطيب ديناران. ورسم برج الوصيفي: ثمانية رجال، للرئيس دينار وسدس، وللرجالة دينار دينار. وبرج المنشا ستة نفر، رئيس بدينار وسُدس، ولكل راجل دينار. وبرج المَقْطع خمسة عشر رجلاً، الرئيس دينار وسُدس، ولكل راجل دينار. وبرج الجزيري سبعة نفر، الرئيس بدينار وسُدس، ولكل راجل دينار"[١]. ويقول الطرسوسي عن حصن الجوزات: "رسم هذا الحصن أمير وخليفة ينوب عنه، وخطيب وقيم للدار، وصاحب الحمام، وكاتب، ومطرديان، وبوقي، وبوّاب"[٢].

---

(١) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٦
(٢) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٦

الفصل الثاني: الأوضاع السياسية في جند قنسرين

أولاً: موقف أهل جند قنسرين من سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية:

يظهر دور أهل جند قنسرين منذ خلافة مروان بن محمد، فقد اجتمعوا حول سليمان بن هشام بن عبد الملك في خلعه لمروان في السنة الأولى من خلافته (١٢٧هـ/ ٧٤٥م)، وكان سليمان قد بايع لمروان وشاركه في القضاء على انتقاض أهل حمص[١]، واستتم أمر الشام لمروان سوى تدمر، فسار إليهم ونزل بالقسطل قريباً منهم، فدعاهم للبيعة فأطاعوه[٢]، وقرر على أهل الشام تجهيز بعثة لإمداد يزيد بن عمر بن هبيرة الذي يقاتل الضحاك الخارجي، واستأذنه سليمان بن هشام في البقاء في تدمر أياماً للراحة، فأذن له، ثم سار مروان إلى الرصافة، وبمسيره رجع عشرة آلاف رجل ممن أرسلهم مروان لقتال الضحاك، واجتمع هؤلاء الجند المتخلفون عن أوامر الخليفة حول سليمان بن هشام وزينوا له خلع مروان، وقالوا: "أنت أرضى عند الناس من مروان وأولى بالخلافة"، فوافقهم سليمان بما أشاروا، وسار بإخوته ومواليهم وعسكروا في قنسرين، وكتب إلى أهل الشام فاجتمعوا عنده من كل ناحية[٣].

أما موقف جند قنسرين من قيام دولة بني العباس فكان متقلباً، فبالرغم من إخلاص أهل الشام لبني أمية، وتفانيهم في خدمتهم إلا أنهم سرعان ما سودوا أمام جحافل الجيوش التي كان يقودها عبد الله بن علي، بل ووثبوا بمروان أثناء هروبه إلى مصر عبر الشام، فعندما اجتاز بخناصرة وقدم إلى قنسرين وثَبَت به طيء وتنوخ وانتهبوا ما تبقى من فلول جيشه، وكان قد تعصّب عليهم وجفاهم أيام حكمه وقتل منهم جماعة. ووقع له مثل ذلك عند مروره بباقي أجناد الشام: حمص ودمشق وفلسطين والأردن[٤]. فكان مسير عبد الله بن علي في أجناد الشام أشبه ما يكون بالتجوال السريع[٥].

وأرجع الأزدي والمسعودي سبب انتقاض أهل الشام بشكل عام على مروان إلى العصبية بين النزارية واليمانية، إذ "ثارت العصبية في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مَروان، وتعصّبُه لقومه من نزار على اليمن، وانحراف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم"[٦]، وهذه العصبية ــ برأي المسعودي ــ هي التي سهّلت أمر عبد الله بن علي

---

(١) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٣١٣، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٣٢٨
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١
(٣) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٣١٤، ٣٢٤، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٣٣١
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ٩٦، البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٣، ج٩، ص ٣١٩، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٣٨ ــ ٤٤٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٣٦، المسعودي، مروج ج٤، ص٩٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٤، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٤٧
(٥) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٠
(٦) المسعودي، مروج ج٤، ص٧٠، المسعودي، التنبيه ص٣٢٨، وانظر الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٣٥ــ ١٣٦

في السيطرة على دمشق عند وصوله إليها ومحاصرته إياها[١]، ولم ينفع مروان تعصبه للنزارية شيئاً، بل غدروا به وخذلوه[٢].

ولعل الحال في جند قنسرين مشابه لما وقع في دمشق، فيقاس عليه، إذ وجد القيسية من أهل الجند أنفسهم أمام قوة قادمة من الخارج مزهوة بالنصر بعد هزيمة مروان في وقعة الزاب، "انتشرت في الأرض كذئاب الليل أو النسور الجائعة"[٣]، وأيضاً أمام مساندة داخلية من اليمانية، الذين كانت لمروان سوابق سيئة معهم بانحرافه عنهم وميله للقيسية وتوليته لهم وتقديمهم في الأعطيات[٤]، "فسودت اليمانية من دمشق وقاتلوهم من الأبواب، وبعثوا بالطاعة، ووثب مَن بها من اليمن على مضر فقتلوهم مقتلة عظيمة"[٥]، وفعلت المسودة عند افتتاح دمشق أقبح مما فعلت التتار[٦].

ويبدو أن مروان بعد هزيمته كان يستشعر الحالة في بلاد الشام وانقسام أهله فيما بينهم، يظهر ذلك من التفكير الذي خطر له بأن يهرب إلى بلاد الروم فيستوطن مدينة من مدنها ويكاتب ملك الروم ويستوثق منه، ويجعل من إقامته هناك مقراً لجمع الهاربين والخائفين فيعاود بهم طلب المُلك[٧].

ويُضاف لما تقدم عامل طبيعي لا بد وأنه ترك أثره على سكان الجند، هو الطاعون العظيم، الذي تسبب مع الجفاف والمجاعة التي حلت منذ سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م واستمرت ثلاث سنوات متتالية في إفناء عددٍ كبيرٍ من السكان ودوابهم؛ لقد أفرد المؤرخ الزوقنيني ــ الشاهد على هذه الأحوال ــ مساحة كبيرة من تأليفه[٨] للحديث عن هذه الكارثة التي عمّت الجند وأجزاء أخرى من بلاد الشام[٩]. وذكر استشراء مرض الطاعون وتزايد عدد الوفيات حتى عجز الناس عن دفن الموتى الذين وصل عددهم أحياناً إلى ٥٠٠ حالة وفاة في اليوم؛ واكتمل الضيق على سكان منطقة غرب الفرات بزلزال عنيف مدمر ضرب منطقتهم[١٠]، مات فيه خلق كثير، وقدم المنبجي رقماً مبالغاً فيه لعدد الموتى قدّره في طبرية لوحدها أكثر من ١٠٠ ألف إنسان[١١]، لكنه يدل على حجم الكارثة، وفي سنة

(١) المسعودي، المصدر نفسه ج٤، ص٨٦، وانظر: عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٠
(٢) المسعودي، مروج ج٤، ص٩٢، وانظر المزيد عند: خريسات، العصبية ص ٥٥٦ ــ ٥٥٨
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ٩٦
(٤) الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٣٦
(٥) الأزدي، المصدر نفسه ص ١٣٥
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٧٦٣، ٩٠٨، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢٠٢
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف ج٩، ص٣١٩، الدينوري، الأخبار الطوال ص٣٦٥، المسعودي، مروج ج٤، ص٩١
(٨) الزوقنيني، تاريخ ص ٩٠، ١٠١ ــ ١٠٦
(٩) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ٩٠
(١٠) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ٩٥
(١١) المنبجي، المنتخب ص ١٠٦، ويذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أن الطاعون وصل أيضاً إلى صقلية وانتشر منها إلى القسطنطينية، انظر: Theophanes, The Chronicle, p ٥٨٥

١٣٢هـ/ ٧٥٠م تسبب الثلج الكثيف والصقيع الشديد والانجماد إلى إبادة المواشي والحيوانات والطيور، وأدى إلى إتلاف الأشجار والحقول، ويذكر ديونيسيوس أن ارتفاع الثلوج وصل في بعض المناطق إلى خمسة أشبار ودام على أسطح المنازل نحو ثلاثة أشهر[١].

وبعد أن قامت دولة بني العباس، لم يُبد أهل جند قنسرين أي موقف متحمس للانحياز إلى أي طرف من البيت العباسي، يظهر هذا في أثناء المحك الأول بعد قيام دولتهم، فبعد وفاة السفاح خرج عبد الله بن علي على أبي جعفر المنصور، وكانت تحت يده قوة كبيرة من أهل الشام والجزيرة وخراسان متجهة لغزو بلاد الروم، فلما بلغه موت السفاح طلب المُلك لنفسه بوعدٍ من السفاح لمن يخرج من أبناء البيت العباسي لمقاتلة مروان بن محمد فإنه ولي عهده[٢]، فبايعه قواد الشام وغلب على الشام والجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور[٣]، بل إن شعور عبد الله بالاطمئنان لأهل الشام ــ خاصة اليمانية منهم ــ كان أكثر من ارتياحه للخراسانيين، إذ تذكر إحدى الروايات أنه قتل الجند الخراساني وتخلّص منهم[٤]، وعندما توجه أبو مسلم الخراساني إلى الشام ــ وكان عبد الله بن علي ومن معه في حران ــ أصرَّ أهل الشام على الرجوع لمواطنهم "كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمُنا فيقتل مَن يقدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا"[٥]، فرحلوا إلى الشام وانتقلت بذلك المواجهة من حران إلى موضع بالشام سكتت المصادر عن تحديده، إلا من إشارة عابرة عند يعقوب البسوي تجعله برصافة هشام[٦]، ولم تظهر قبائل الشام انحيازاً لأي من الطرفين، إذ كانت هذه المواجهة التي استمرت ستة أشهر[٧] بين جيشين لذات الدولة، أحدهما كان متجهاً لغزو الروم، والأخر قادم من مركز الخلافة، وربما لم يكن لدى مقاتلة الشام في جيش عبد الله بن علي أي فارق في أن يقاتلوا الروم أو يقاتلوا جيش أبي مسلم الخراساني.

ولكون أغلب سكان جند قنسرين هم من القيسية فقد كان الشعور العام لديهم ضد بني العباس،

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٥، ٢٣٩، ٢٥٠، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٤، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٦٣، المسعودي، مروج ج٤، ص١٣٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢١٧، ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٥٤، ٦١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٦٤، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٦٧، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢٠٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٤٩

(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٩٠٨

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٨، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٥، ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٦٠، وانظر: فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل (١٣٢ ــ ٢٤٧هـ/ ٧٤٩ ــ ٨٦١م)، ٢مج، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣م. ج١، ص ١٢٣، ١٢٦، وسيشار له فيما بعد: فوزي، العباسيون الأوائل.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ١٤٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢١٨، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٦٨، وعند ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٥٠: "سر بنا إلى الشام لنمنع نساءنا وأبناءنا".

(٦) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١١٩، ونقله عنه ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٦٠

(٧) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢١٨، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٥٠

ويظهر هذا من عمليات التبييض التي أعقبت قيام الدولة، حسبما يأتي تالياً، وهذا الشعور يظهره أحد قادة بني أمية من أهل جند قنسرين، وهو منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي، الذي قبض عليه أبو جعفر المنصور وقتله سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م[١]، وكان سبب قتله أن المنصور كان يقول: "إن الله تعالى قد رفع الطاعون عن الشام ببركتنا ويُمن ولاتنا"، فقال ابن جعونة: "ما كان الله ليجمعكم والطاعون في بلد"[٢].

ثانياً: موقف الدولة العباسية من جند قنسرين:

لا يمكن فصل نظرة خلفاء بني العباس لجند قنسرين عن نظرتهم إلى الشام بشكل عام، وهي نظرة سلبية لسوابق دعمهم لبني أمية، فأهل الشام في نظر بني العباس أهل ثورات وانتقاض، وشاع بين الناس مقولات في أن الشام موطن الفتن؛ وكان كره بني العباس لأهل الشام ظاهراً قبل أن تقوم دولتهم، فقد قال محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لدعاته لما أراد بثهم في الأمصار: "أما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم"[٣].

ولم يُخْفِ اليعقوبي نزعته ضد أهل الشام، بما يوافق رأي خلفاء بني العباس الذين عمل في دواوينهم، فيقول عن الشام وأهلها مبرّراً توجّه السلطة نحو العراق التي "ليست كالشام الوبيئة الهواء، الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتَّصلة الطواعين، الجافية الأهل"[٤]، وتابعه في ذلك ابن الفقيه الهمذاني بالقول: "خلق الله المكر وخلق معه الجفاء فأسكنه الشام"[٥]. ووصفهم بأنهم أهل غفلة[٦]، وأن فيهم غباوة[٧].

وفي رواية أوردها أبو نعيم الأصفهاني تكشف موقف المنصور من أهل جند قنسرين المرابطين في الثغور، ورفضه مفاداة الأسرى، وفيها أن المنصور طلب من أهل الثغور أن يعينوه في القبض

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩٦، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٠٤، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن عساكر، تاريخ ج٦٠، ص ٣١١، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠

(٢) ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، (تحقيق) محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ج١، ص ١٠١، ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ٢٤٦، الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، (تحقيق) سليم النعيمي، ٤ج، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م. ج١، ص٦٨٨، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (تحقيق) رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١، ص ٣٧٧، الحميري، الروض ص ٢٧٠.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الأخبار، (٤ج في ٢مج)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت). ج١، ص ٢٠٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٦٠٤

(٤) اليعقوبي، البلدان ص ٢٣٦

(٥) ابن الفقيه، البلدان ص ١٢٩

(٦) ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٤٣٦

(٧) ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٤٨٢

على إبراهيم وأخوه محمد النفس الزكية[١] الخارجين عليه، فرفضوا ذلك، فوقع في يد ملك الروم ألوف من المسلمين أسرى، وكان ملك الروم يطلب الفداء بهم والمنصور يرفض، وبقي على موقفه حتى كتب إليه الأوزاعي رسالة يستشفع فيهم ويستنقذهم من أيدي العدو[٢]. ويصعب القبول بهذه الرواية وتصديقها لولا أن راويها صدوق وهو أبو السائب سالم بن جنادة (ت ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، القاضي والمحدث الثقة المأمون[٣] وهو يرويها عن المحدث محمد بن أسعد الكوفي التغلبي الذي وثقه ابن حبان[٤]، ومتنها ــ وإن كان غريباً ــ لكنه موافق لما يكنه المنصور لأهل جند قنسرين والشام بشكل عام. وكان المنصور قد خطب في أهل الشام مهدداً ومتوعداً: "مهلاً مهلاً روايا الإرجاف، وكهوفَ النفاق عن الخوض فيما كُفيتم، والتخطّي إلى ما حُذِّرتم، قبل أن تتلف نفوس ويقلّ عدد ويدول عزّ، وما أنتم وذاك؛ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقاً، والجد .. الجد، ولكن خب كامن، وحسدٌ مكمد، فبُعداً للقوم الظالمين"[٥].

ومع ذلك فإن جُند قنسرين امتاز بخصوصية عن بقية أجناد بلاد الشام، فهو البوابة التي ينفذ منها الخلفاء وقادتهم لإقامة رسم الجهاد في صوائفهم وشواتيهم باتجاه الروم، و"كان خلفاء بني العباس يمرون على الشام أو يَرَونها ويعودون"[٦]. وقد فكر الرشيد بسكنى أنطاكية والمقام بها، لكن أهلها كرهوا ذلك، فقال له شيخ منهم: "يا أمير المؤمنين: ليست من بلادك ولا بلاد مثلك، لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع منها بكبير شيء، والسلاح يصدأ فيها ولو كان من قلعة الهند"، فصدَّقه الرشيد[٧]. وكلام الشيخ يخالف ما وصفت به مدينة أنطاكية من حسن الموضع وجمال الأبنية[٨]، حتى قيل ليس بعد دمشق أنزه منها[٩]، بل قيل: "ليس في أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها"[١٠]، لكنهم فضلوا البقاء دون إزعاج الجند لهم، كما حدث مع المأمون عند نزوله الرافقة

---

(١) ابراهيم بن عبد الله بن حسن خرج على المنصور بالبصرة سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وأخوه محمد النفس الزكية خرج بالمدينة (الطبري، تاريخ ج٧، ص ٦٢٢)، وعند الطبري ما يفيد نزول إبراهيم ــ خلال تقلبه في الأمصار ــ على بني القعقاع بالحيار. انظر: الطبري، تاريخ ج٧، ص ٦٢٣

(٢) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ج٦، ص ١٣٥ ــ ١٣٦، ونقلها عنه الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٢٦

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص ١٦١

(٤) ابن حبان، محمد بن حبان التيمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، كتاب الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ــ الهند، ١٩٨٣م، ج٩، ص ٦٨

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٤، ص ٩٧

(٦) الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٩٨

(٧) ابن رستة، الأعلاق ص ٥٩، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٥، الحميري، الروض ص ٣٨

(٨) ابن الفقيه ١٦٤، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٦

(٩) الحميري، الروض ص ٣٨

(١٠) البكري، المسالك ج١، ص ٤٦١

بجنوده سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[١]، وهو ذات الأمر الذي دفع المعتصم لينتقل بجنده خارج بغداد، بعد أن تأذى أهلها من جواره وعيث جنده الأتراك وغيرهم، فنزل القاطول ثم ارتأى استحداث سامراء[٢].

ثالثاً: الفتن والثورات في جند قنسرين خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ــ ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ ــ ٨٤٧م):

ترتبط الأوضاع التي مرّ بها جند قنسرين منذ انتقال الحكم من يدي بني أمية إلى العباسيين بكافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وانعكست آثارها على حياة سكان الجند، وبالرغم من أن الدولة الناشئة كانت في عزها ومجدها فإن ذلك لم يمنع من ظهور ثورات وحركات اختلفت قوتها من وقت لآخر، وكانت أكثر هذه الثورات قد وقعت أثناء الفتنة بين الأخوين، وسيتم تتبّع هذه الثورات والفتن تالياً على أزمنتها.

- **ثورة أبي الورد الكلابي (١٣٢هـ/ ٧٤٩م):**

كان أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، أحد القادة الولاة في دولة بني أمية، وكان من أصحاب مروان وفرسانه وقواده[٣]، وجهه سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م للقضاء على ثورة أهل الغوطة بدمشق فأخمدها، ثم توجه بعدها للقضاء على ثورة ثابت بن نُعيم بفلسطين فهزمه[٤]. وهو من بيت رئاسة، فوالده كوثر كان عاملاً لمروان بن محمد على قنسرين[٥]. وجده زفر فارس وشاعر[٦]، وهو سيد قيس[٧]، من التابعين سمع عائشة ومعاوية، وشهد صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين[٨]، وشهد وقعة مرج راهط إلى جانب ابن الزبير[٩]، توفي نحو سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م.

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٢

(٢) المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥١، التنبيه ٣٥٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٨١، الآبي، نثر الدر ج٣، ص ١٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٥، الحميري، الروض ص ٣٠٠

(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٧، ص ٤٤٣، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٧، ابن عساكر، تاريخ ج٥٧، ص ٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٤

(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٣٧٢، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٣١٣ ــ ٣١٤، المنبجي، المنتخب ص ١٠٣، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٨٧، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٢٩١

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٦

(٦) له بعض الأبيات عند البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٤٢ ــ ٥٢، والمسعودي، مروج ج٣، ص ٢٨٧، وابن العديم، بغية الطلب ج٨، ص ٣٧٩٩ــ ٣٨٠٣، وقد جُمع ديوانه، انظر: النجار، رضوان، ديوان زفر الكلابي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ١١، العدد ٣٣، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٢١٥ ــ ٢٨٢

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٤٦، ابن ماكولا، علي بن هبة الله، أبو نصر (ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، (تحقيق) عبد الرحمن المعلمي اليماني، ١٠ج، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٩٦٢م، ج٧، ص ٢٧٣، وسيشار له فيما بعد: ابن ماكولا، الإكمال

(٨) ابن خياط، تاريخ ص ١٩٥، الدينوري، الأخبار الطوال ص ١٧٢، المسعودي، مروج ج٣، ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨، التنبيه ٣٠٧، ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ٣٤

(٩) البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٤٨ ــ ٥٠، ابن أعثم، الفتوح ج٦، ص ٢٦١، المسعودي، مروج ج٣، ص ٣٠٧، ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ٣٤، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٧، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٠٦

ولما قامت دولة بني العباس، بعد هزيمة مروان بالزاب، ودانت لهم بلاد الشام بالطاعة، قدم عبد الله بن علي والياً على أجناد الشام، فتلقاه أهلها بالطاعة، وقدم على جند قنسرين فبايعه أبو الورد الكلابي، وكان والياً على قنسرين لبني أمية، ودخل فيمَن معه من الجند في الطاعة. لكن سرعان ما بدأت تظهر بوادر الثورة في بعض أنحاء الشام، خصوصاً ممن كانوا من قبل قادة لبني أمية، وكان أسبقهم إلى ذلك حبيب بن مرة المري، وهو من قواد مروان أيضاً، وكان مقيماً بحوران والبلقاء، ويذكر الطبري أن سبب تبييض حبيب كان نتيجة الخوف على نفسه وعلى قومه[١]، وبايعته قيس ومن حولهم من القبائل، فتوجه عبد الله بن علي لقتاله، وجرت بينهم وقعات، وفي الأثناء وردت الأخبار بتبييض أبي الورد الكلابي ومعه أهل قنسرين.

ويرجع سبب تبييض أبي الورد إلى الإساءة التي تعرض لها بعض ولد ونساء مسلمة بن عبد الملك من قبل قائد خراساني من قواد عبد الله بن علي، وكان أهل مسلمة مقيمين ببالس والناعورة، قريباً من أبي الورد المقيم بخساف (زراعة بني زفر)، فاستنجدوا واستجاروا بأبي الورد الذي سارع لإنجادهم، فهجم على القائد الخراساني وهو مقيم بحصن مسلمة، واستطاع قتل ذلك القائد وقتل مَن معه، ثم أظهر التبييض والخلع لوالي الشام عبد الله بن علي، ودعا أهل قنسرين فبيضوا جميعهم[٢].

ويذكر البلاذري أن الذي قام بمهاجمة ذلك القائد هو أبو الوازع أخو أبي الورد، وأنه خرج في جماعة إلى بالس فدخلوا على القائد الخراساني وقتلوه في الحمام، ثم بعد ذلك لحق بهم أبو الورد ودعا الناس للانتقاض على بني العباس، وكان عدة من استجاب له نحو ٧ آلاف أكثرهم من قيس[٣].

ويبدو أن أبا الورد لم يكن ينوي الخروج على الدولة والتبييض أول الأمر، إنما كان هدفه حماية الحرم الذين استنجدوا به، خاصة وأن بينهما روابط دم ونسب، إذ كان مسلمة بن عبد الملك متزوجاً من الرباب بنت زفر بن الحارث الكلابي[٤]، عمة أبي الورد، فلجأوا بدالة "الحق والحرمة"[٥]، وحق الجوار، لكنه لما وجد أن مهمة تأديب القائد الخراساني نجحت بسهولة تامة وتم إبادة مَن معه وعددهم نحو مائة وخمسين فارساً، استشعر في نفسه القوة فأبطل العمل بشعار بني

---

(١) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٣، ٤٤٦، وعنه: مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٨، ابن عساكر، تاريخ ج١٢، ص ٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣٢

(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٣٣، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٨، ابن عساكر، تاريخ ج٣٤، ص ٦٦، ج٥٧، ص ٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٥، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٥٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣٣

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤

(٤) الجاحظ، الرسائل ج٢، ص ٧٧، البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٥١، ج٨، ص ٣٦٣، النويري، نهاية الأرب ج٢١، ص ١٣١

(٥) مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٨

العباس "السواد"، ووجد قبولاً من أهل جند قنسرين من القيسية وغيرهم للانتقاض على الدولة.

وأدرك عبد الله بن علي ــ وهو مشتغل بحرب حبيب المري ــ خطر تبييض أبي الورد على الدولة، وقدَّر أن الضرر المتأتي من ثورته أعظم مما يمكن أن يُحْدثه المري، فقرر مصالحة حبيب بن مرة وأمنه ومَن معه(١)، فضمن بذلك التفرغ لحرب الخارجين على الدولة في شمال الشام.

ويذكر المؤرخ الزوقنيني أن تبييض العرب كان نتيجة للعذاب الذي سببه لهم الفرس ــ ويقصد العباسيين ــ "الذين شرعوا بالتنكيل فيهم وقتلوهم كالأغنام ونهبوا ما بأيديهم من أموال"(٢)، وزاد من خطورة ثورة أبي الورد حصولها على الشرعية عبر تبنّيها لفكرة السفياني، حيث استغل أحد بني أمية بالشام هذه الفرصة ليقدم نفسه على أنه "السفياني الذي كان يُذكر"، واسمه: أبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، وحاول استغلال الظروف السياسية المتمثلة في تبييض أجناد الشام واضعاً يده في يد أبي الورد الكلابي للثورة على الدولة الناشئة.

وربما زادت العصبية في قوة الانضمام لأبي الورد من القبائل القيسية، إذ إن اليمانية كانوا إلى جانب العباسيين في صد مَن خرج على دولتهم، فكان من اليمانية القائد عبد الحميد بن ربعي الطائي الذي تركه عبد الله بن علي على دمشق فانتقض عليه أهل دمشق وبيضوا وقاتلوه حتى انهزم(٣)، وأيضاً حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي(٤).

توجه عبد الله بن علي لمواجهة أبي الورد وأهل قنسرين الذين كاتبوا أهل حمص وتدمر فتجمع لديهم جيش تعداده أربعون ألفاً، تزعّمهم السفياني، بينما تولى أبو الورد تدبير أمر العسكر وإدارة القتال، ووقعت المواجهات بمرج الأخْرَم (إلى الغرب قليلاً من سلمية)، انهزم في أولها الجيش العباسي وتمكن في آخرها من الانتصار على أبي الورد وأهل قنسرين، وقُتل أبو الورد ومَن معه، بينما هرب السفياني ومَن معه من الكلبية إلى تدمر، وذلك في آخر ذي الحجة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م(٥)، فدخل أهل قنسرين في الطاعة وبايعوا لبني العباس بعد أن أمنهم عبد الله بن علي(٦).

---

(١) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٤، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٨، ابن عساكر، تاريخ ج٣٤، ص ٦٦، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٣، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٥٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣٣

(٢) الزوقنيني، تاريخ ص ٩٧

(٣) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٤، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٨، ابن عساكر، تاريخ ج٣٤، ص ٦٦ــ ٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٣، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣٣، خريسات، العصبية ص ٥٦٠

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٢٢٤، ابن عساكر، تاريخ ج٥٧، ص ٤٨، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٥٢

(٥) عند الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٥: في آخر يوم من ذي الحجة سنة ١٣٣هـ، ونقل عنه ابن عساكر، تاريخ ج٥٧، ص ٤٨ وابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٨٦٧، وأورد الأزدي (تاريخ الموصل ص ١٤٠) خبر تبييض أبو الورد مختصراً في حوادث سنة ١٣٣هـ، والأقرب للصواب ما أثبت في الأعلى عن البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٢٢٤.

(٦) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٤٤، البلاذري، أنساب ج٤، ص ٢٢٤، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ١٩، ابن عساكر، تاريخ ج٥٧، ص ٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٣٤، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٤٥، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٥٣، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣٤

لقد كانت عوامل نجاح ثورة أبي الورد أكثر من عوامل الفشل، وبالرغم من ذلك فقد تم القضاء عليها سريعاً؛ وتتمثل العوامل التي كادت أن تؤدي إلى نجاحها في حصولها على الشرعية عبر تبنيها فكرة السفياني، وهو عامل يمنح الثورة بعداً دينياً وفكرياً له أتباع ومؤيدون، وثمة عامل آخر يتصل بالنزعة القبلية ويتمثل في استقطاب الثورة للقبائل القيسية مقابل اليمانية المحسوبين على سلطة بني العباس، وعامل النجاح الأخير يرتبط بالظروف السياسية بشكل عام وما صاقب تلك الفترة من كثرة الانتقاض على الدولة في عموم أقاليمها والذي كاد أن يكون عامل تدمير للدولة الناشئة في مهدها.

ومحاولة لتلمس سبب فشل هذه الثورة فيمكن إرجاعه لغياب الوحدة والتنسيق بين الثائرين والمناوئين للدولة[١]، مما جعل القائد العباسي المزهو بتتبع بني أمية وقتلهم لا يجد صعوبة في القضاء على الثورات المتفرقة في أرجاء بلاد الشام، بل إنه استطاع ــ بحنكة وحكمة ــ أن يقرر مدى الخطر المتأتي من كل واحدة منها، فيبدأ بالأكثر خطورة ويؤخر ما عداها.

- **خروج الراوندية بحلب سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م:**

الراوندية جماعة أصلهم من أهل خراسان، كانوا من أتباع أبي مُسْلم الخراساني، فهم من شيعة بني العباس، ومناصري الدعوة[٢]، وجعلهم ثيوفانس من المجوس الزرادشتية[٣]، وكانوا يؤمنون بالحلول والتناسخ، ويقولون بأن الله حلَّ في أبي جعفر المنصور، وأنه ربهم الذي يسقيهم ويُطعمهم[٤]. وقد وافق قيام دولة بني العباس معتقدهم القائل بأن "أحقَّ الناس بالإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عمُّهُ العبّاس لأنه وارثهُ وعاصِبُهُ، ويذهبون إلى البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، ويجيزون بيعة عليٍّ لأنّ العبّاس قال له: يا ابن أخي! هلُمّ أبايعك فلا يختلفُ عليك اثنان! ولقولِ داود بن علي على منبر الكوفة يوم بُويعَ السفاح: يا أهل الكوفة إنه لم يقم فيكم إمامٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علي بن أبي طالب، وهذا القائمُ فيكم، يعني السفاح![٥].

ولتأليه الراوندية للمنصور واعتقادهم بأنه ربّهم فقد كانوا يأتون قصره بمدينة الهاشمية من الكوفة ويطوفون به ويقولون: "هذا قصر ربنا"، وحاول المنصور القضاء عليهم وحبس بعض رؤسائهم، مما

---

(١) بيضون، إبراهيم، تاريخ بلاد الشام، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٣٤

(٢) مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٥٨، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣١، ٤٦٠، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ١٤٠، وانظر للمزيد: فوزي، العباسيون الأوائل ج١، ص ٧٢ ــ ٧٣

(٣) Theophanes, The Chronicle, p ٥٩٥

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٣١٥، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٧، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٥٨، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٦٠، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ١٤١

(٥) ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٣١ ــ ٤٣٢

أغضب البقية فكانت لهم معه وقعة كاد أن يُقتل فيها[١]، وتشير أغلب المصادر إلى أن ظهورهم كان في سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م، وجعلها البلاذري وثيوفانس سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م[٢]، وأرخه الدينوري سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م[٣]، لكنها تختلف في تحديد مكان نشاطهم، فالبلاذري والطبري يذكران مكان ظهورهم في الكوفة وتابعهما على ذلك ابن الأثير وابن العبري وابن خلدون، بينما أشارت مصادر أخرى[٤] إلى أن ظهورهم في السنة المذكورة كان بحلب وحران، وأن الراوندية عند ظهورهم بحلب زعموا أنهم بمنزلة الملائكة، فصعدوا تلاً بحلب وهم يلبسون الحرير وطاروا منه فتكسروا وهلكوا. وألمح الطبري إلى أن البعض يرى أن حادثة الراوندية مع المنصور وقعت في أول خلافته (سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م أو ١٣٧هـ/ ٧٥٤م)[٥]، فإذا ما صدق هذا الرأي فيكون ظهورهم بحلب بعد ذلك ببضع سنين (١٤١هـ/ ٧٥٨م) عن طريق انتقال بقايا الراوندية أو صغار تابعيهم الذين لا زالت المعتقدات فيهم، فانتقلت بعض أفكار الجماعة بانتقال بعضهم صحبة الجند المقاتل إلى جند قنسرين.

الثورات في جند قنسرين خلال الفتنة بين الأمين والمأمون:

كانت فترة الخلاف العاصف داخل البيت العباسي بين الأخوين الأمين والمأمون حافلة بالفتن والثورات في كافة أقاليم الدولة[٦]، وكانت فرصة مناسبة لكل طامع في الخلافة، أو راغب في الخروج على السلطة في أن يحقق مبتغاه في ظل انشغال الدولة، وانقسامها إلى قطبين لكل منهما أعوان وبطانة داعمة.

وبالنسبة لقبائل بلاد الشام بشكل عام وبضمنهم قبائل جند قنسرين، فقد كانوا إلى جانب الأمين في صراعه مع المأمون، وكانت استجابتهم سريعة لندائه، وينفرد الطبري[٧] بذكر رواية وحيدة، تتناول انحيازهم للأمين أثناء المرحلة الأخيرة من الفتنة وذلك في سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م، وهي السنة التي خُلع فيها الأمين وبويع للمأمون، فبعد أن ضيَّق طاهر بن الحسين على الأمين بهزيمة قواده

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٣١٥، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٠٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٧، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٥٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٢، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٢، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٦٠

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٣١٦، و Theophanes, The Chronicle, p ٥٩٥

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال ص ٣٨٤

(٤) الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٩، مجهول، كتاب في تاريخ حلب (قطعة منه)، نسخة مخطوطة محفوظة في جامعة الملك سعود برقم ٥٥٩٨. الورقة ٤ ب، وسيشار له فيما بعد: مجهول، تاريخ حلب، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٨، Theophanes, The Chronicle, p ٥٩٥

(٥) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٠٥

(٦) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٢٤

(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٧، ونقل عنه هذه الرواية مسكويه وابن الأثير باختصار وتصرف. انظر: تجارب الأمم ج٣، ص ٣١١ــ ٣١٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٩

وجيوشه التي أرسلها إلى خراسان، كثُرت مطالبات الجُند وطمعهم في الأمين، كما أن الهزائم المتلاحقة أنهكتهم وأضعفتهم، "وملأت قلوبهم هيبة لعدوهم، ونكولاً عن لقائهم ومناهضتهم"(١)، واقترح عليه عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي، أن يوجّهه لطلب المدد من أهل الشام، الذين "ضرّستهم الحروب، وأدّبتهم الشدائد"(٢)، وأنهم ــ بزعم عبد الملك ــ يطيعونه وينقادون إليه، فقبل الأمين النصيحة وولاه الشام والجزيرة، وأصحبه مجموعة من الجند والأبناء، فسار إليهم ولما وصل الرقة راسل رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة، في جمع الرجال لحرب طاهر، فأجابوه "ولم يبقَ أحدٌ ممّن يرجَى ويُذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له في أمله وأمنيته"(٣)، وتوافدت عليه جموع وافرة من أهل الشام ورؤسائهم واجتمع إليه خلق كثير من الزواقيل والأعراب من كافة نواحي الشام.

ثم وقعت بين الجند الخراسانيين والزواقيل حادثة(٤) أدت إلى نشوب قتال شديد بين الطرفين، وكان أكثر القتل في الزواقيل، وعجز عبد الملك بن صالح عن إطفاء جذوتها، وشعر بانكسار العرب مقابل الخراسانيين فقال: "واذلاه! تُستضام العرب في دارها ومحلّها وبلادها"(٥).

وبالرغم من أن الأمين أراد من عبد الملك إنجاز مهمة سريعة، وكان قد "استحثه بالخروج استحثاثاً شديداً"(٦)، إلا أنه فشل في جمع الرجال للنفرة التي حصلت، وتصاقب ذلك مع مرضٍ أصابه وأشفى منه على الموت، فبقي في الرقة ومات في نفس السنة(٧). وبالرغم من أن عبد الملك بن صالح من أبناء البيت العباسي، وفيهم رئاسة، إلا أن موقفه من الفتنة يكاد يكون موافقاً لموقف أهل الشام، وكان من الداعين والمحرضين للأمين على خلع أخيه، وتنسب له المقولة المشهورة "لا يجتمع فحلان في هجمة"(٨).

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٥

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٥، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٤٠

(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٨، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٨

(٤) كان سببها أن أحد الجند الخراسانية وجد فرسة التي أخذها أحد الزواقيل منه أثناء محاصرة أبي العميطر ومعه الزواقيل لعامل الأمين على دمشق وحمص سليمان بن أبي جعفر، فطالب بها، وتضاربوا بالأيدي وانحاز كل طرف إلى جماعته فكانت سبباً في إفشال مهمة عبد الملك بن صالح لجمع أهل الشام معونة للأمين. انظر عن هذه الحادثة: الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٤٠

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٦، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٤٠

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٨، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١١

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٠٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٢٥، المسعودي، مروج ج٤، ص٢٧١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٤٠

(٨) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٩٩، المسعودي، مروج ج٤، ص٢٦٣، ونسب الدينوري هذا القول لعبد الملك بن مروان. انظر: الأخبار الطوال ص ٣٩٤

أما طرفا القتال فقد انسحب الأبناء الخراسانيون إلى الرافقة يتزعمهم الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان منتظرين رد فعل القبائل ومتخوفين من أن يُساندهم طوق بن مالك، وأما جمع الشام فقد انسحب أهل جند حمص بعد أن نادى فيهم أحد رجالهم "الهرب أهْوَنُ من العطب... إن المنايا في شوارب المسوِّدة وقلانسهم، النفيرَ النفيرَ"[١]. ومثله أيضاً رجل من كلب ذكَّر قومه بموضع سيوف الخراسانيين من رقابهم، وقال: "اعتزلوا الشرّ قبل أن يعظم، وتخَطّوْهُ قبل أن يضطرم: شأمكم شأمكم، داركم داركم؛ الموت الفلسطينيّ خيرٌ من العيش الجزريّ"[٢]، فانصرف الكلبي ومعه عامة أهل الشام.

ولم ينحسم الأمر للمأمون إلا وقد استقل كل منازع أو طالب رئاسة بمكانه وغلب عليه[٣]، ففي الشام والجزيرة ــ باستثناء جند قنسرين التي سيتم إفراد كل ثورة وحركة فيها على حدة ــ استقل حبيب بن الجهم بكفر توثا[٤] ورأس عين[٥]، وبدمشق محمد بن بيهس، وبالرملة ابن الشرح[٦]، وكان بمعرة النعمان وبتل منس وما والاها من إقليم حمص الحوازي بن حنطان التنوخي، وبحماة حراق البهراني، وبشيزر بنو بسطام، وبمدينة حمص بنو السمط[٧].

ومثل حال الشام والجزيرة كانت حال العراق: في الكوفة والبصرة وواسط، وأيضاً اليمن والحجاز، ونصيبين وما والاها والموصل وميافارقين وأرمينية وأذربيجان، ومصر: بالفسطاط والصعيد، وجنوب مصر، والحوفين والإسكندرية[٨].

ولعل حالة التغلب على البلدان هذه هي ملءٌ للفراغ في ظل غياب السلطة وانشغال الدولة بالحرب والتنازع أثناء الفتنة بين الأخوين، وتلبية لمشاعر قبلية أو انفصالية في كل مكان، كل بلد حسب أهوائه وعصبيته. ويعلق البطريرك ديونيسوس التلمحري على حالات التمرد التي بدأت تظهر "بأن الناس في دولة المسلمين يجتمعون حول أي رجل يركب فرساً وينادي بصوت عال"[٩]، وفي هذا القول إفراغ لهذه الثورات من أي مضمون سياسي، وربطها بالزعامة القبلية. والباحثُ يميل إلى هذا التقدير الذي ارتآه ديونيسيوس ــ كشاهد عيان ــ وهو ينطبق على أكثر الثورات التي حدثت في

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٨، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٨

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١٣

(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٢، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٣

(٤) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣١٢

(٥) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣١٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٠

(٦) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٣، (وفي نسخة أخرى: ابن السرح).

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢١

(٨) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣١٢ ــ ٣١٣

(٩) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٥٠

جند قنسرين، نستثني منها ثورة أحد أفراد البيت العباسي وهو يعقوب بن صالح حسبما يأتي فيما بعد.

أما **جند قنسرين:** فقد تقسّم بين عدد من المتغلبين، استقل كل واحد منهم بجزء منه، وجبى خراجه، وجميع حركات هؤلاء الذين تغلبوا على الجند لا ترقى لمستوى الثورة، إنما هي انتزاءٌ في ناحيةٍ ما استغلالاً لحالة الفراغ التي عمت أقاليم الدولة، وهذا يفسر خمول ذكرها في المصادر، وسرعة إخمادها حتى بدون مواجهة أحياناً كما سيأتي بيانه تالياً:

١. ثورة نصر بن شَبَث العقيلي (١٩٦ــ ٢٠٩هـ/ ٨١٢ــ ٨٢٤م):

وهو نصر بن شَبَث بن أبي بكر بن كعب بن حبيب بن عامر بن خويلد بن الأصم بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[١]؛ رجلٌ من قيس غيلان من بني عقيل[٢].

أسباب الثورة:

أرجع البعض سبب الثورة للبيعة التي في عنقه للأمين، وأن له فيه هوىً، فأغضبه مقتل الأمين[٣]، وأظهر الوفاء له بالبيعة[٤]، بل ذهب البعض إلى أن نصر من خاصة الأمين ومريديه[٥]، وهناك من أرجع السبب لازدياد نفوذ الفرس على حساب العرب، وأن ثورته لم تكن موجهة ضد الحكم العباسي[٦]، ومنهم من أورد الاحتمالين دون ترجيح أحدهما على الآخر[٧]. بينما أشار البعض إلى الجو السياسي العام في الدولة عقب وفاة الرشيد واضطراب الدولة، وبُعد الخليفة عن عاصمته، مما أتاح الفرصة لأعداء المأمون خاصة وأعداء العباسيين بشكل عام للخروج على الدولة[٨].

ويستند الآخذون بفكرة الدفاع عن العرب في مقابل ازدياد نفوذ الفرس كسبب رئيسي لثورة نصر، على الرواية التي تذكر مفاوضة نفر من شيعة الطالبيِّين لنصر في أن يبايع أحداً ليقوى أمره،

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٢٩١

(٢) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣١٢

(٣) ابن أعثم، المصدر نفسه ج٨، ص ٣١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ١٩٠، كرد علي، محمد، خطط الشام، ٦ج، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨م، ج١، ص ١٨٧، وسيشار له فيما بعد: كرد علي، خطط الشام. الموصلي، سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ٢مج، المطبعة السلفية، ١٩٢٣م، ج١، ص ٧٥، وسيشار له فيما بعد: الموصلي، تاريخ الموصل، الألوسي، عادل محي الدين، الرأي العام في القرن الثالث الهجري (١٩٨ ــ ٢٩٥هـ/ ٨١٣ ــ ٩٠٧م)، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٧م. ص ١٥٤

(٤) ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٩٢

(٥) الموصلي، تاريخ الموصل ج١، ص ٧٥

(٦) الدوري، العصر العباسي الأول ص ١٦٩، بينما يرى بوسوورث ــ عكس مذهب الدوري ــ أنها ثورة ضد السلطة المركزية للعباسيين. انظر: Bosworth, Nasr b. Shabath, ES٢, Vol; VII, p. ١٠١٦

(٧) الألوسي، الرأي العام ص ١٥٤، المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٤٣، محمد، نبيلة حسن، تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م. ص ٢٠٥، أيوب، إبراهيم، التاريخ العباسي: السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩م، ص ٨٤، المشهداني، محمد جاسم، حركة نصر بن شبث العقيلي، ضمن كتاب بحوث مهداة إلى الدكتور صالح درادكة (تحرير) محمد خريسات، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٩م، ص ٢٨٢ــ ٢٨٣

(٨) رفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، ط٢، ٣ج، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م. ج١، ص ٢٧٣

فسألهم من يرون، قالوا: "نبايع لبعض آل علي بن أبي طالب فقال: أُبايعُ أولادَ السوداوات، فيقول: إنه خلقني ورزقني! قالوا: فبعض بني أُميَّة؟ قال: أولئك قد أدبرَ أمرُهم، والمدبرُ لا يُقْبِلُ أبداً، ولو سلَّمَ عليَّ رجلٌ مدبرٌ لأعداني إدباره، وإنما هوايَ في بني العبّاس، وإنّما حاربْتُهُم محاماةً عن العرب لأنهم يقدِّمون عليهم العجم"[١].

أما القائلون بأن السبب يرتبط بمقتل الأمين، فإن القسم الكبير من الرأي العام في الشام أثناء الفتنة كانوا مع الأمين، بدليل الاستجابة الكبيرة لأهل الشام لما دعاهم عبد الملك بن صالح، ولولا الحادثة التي وقعت بين الزواقيل والجند الخراسانيين سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م، لتشكلت منهم جبهة مساندة قوية داعمة للأمين ولانقسمت دولة بني العباس قسمين: بلاد الشام مع الأمين وبقية الأمصار مع المأمون، ولطال أمد الفتنة، وحتى بعد حادثة الزواقيل ووفاة عبد الملك بن صالح، اضطرب أهل الشام والجزيرة بعده وانقسموا حزبين: حزب مع المأمون وحزب مع الأمين[٢]، أو جماعة محمدية وأخرى مأمونية[٣]، ولما اشتد الحصار على الأمين في بغداد، اقترح عليه بعض قواده بأن يحمل رجاله ليلاً ويلحق بالجزيرة والشام، "فيفرض الفروض، ويجبي الخراج، وتصير مملكة واسعة، ومُلك جديد"[٤]. ووافقهم الرأي وكاد أن يتم الأمر لولا اتّصال الخبر بطاهر بن الحسين وما قام به لإبطال هذا السعي. لقد لمس أعداء نصر الخراسانيين التعاطف المتبادل بين أهل الشام والأمين، ولمس الحسين بن علي بن ماهان عواطف الأمين تجاه العرب فقال لأصحابه: "إن الأمين يعضد العرب ويعاديكم"[٥]، و"أنه صاحب الزواقيل"[٦]. لكن بالرغم من التعاطف الذي أظهره الشاميون للأمين ووقوفهم إلى جانبه، إلا أن ثورة نصر لا ترتبط بمقتله، إذ كان خروجه ــ حسب ابن العبري[٧] ــ قبل قتل الأمين بنحو ثلاث سنين.

ويرتبط مقتل الأمين من جانب آخر بنظرة العرب إلى تنامي نفوذ الفرس، فهو قُتل بيد فارسية ــ وإن كان لها الولاء في خزاعة ــ، حتى لكأن السببين يرتبطان ببعض فيكونان حافزاً واحداً. لقد

---

(١) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٣٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٠٨، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ١٩٠، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٩٢، باختلاف بسيط في الرواية بين هذه المصادر

(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٠٩

(٣) المسعودي، مروج ج٤، ص٢٧٦، ٢٨١

(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٧٨، المسعودي، مروج ج٤، ص٢٩٣ (باختلاف في الرواية)، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٣٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٥٠، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٨٩

(٥) ابن العبري، تاريخ الزمان ص٢١

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٩

(٧) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٩

شكل مقتل الأمين حالة من الامتعاض عند العرب، والسعي للحد من نفوذ العجم وسيطرتهم(١)، مع تنامي ظاهرة الشعوبية بين العرب والعجم، وعبّر ابن شَبَث بعبارات قليلة عن احتقاره للعنصر الأعجمي المدبِّر لأمر المأمون: "وَيْلي عليه هو لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه (يعني الزط) يقوى على جلبة العرب"(٢).

ولا يمكن بحال من الأحوال إغفال العامل الاقتصادي؛ المحرك للكثير من الثورات، حتى وإن لم يكن هو السبب المباشر في اشتعالها، يذكر اليعقوبي أن عبد الله بن طاهر لما قبض على نصر سار "يستقري الشام بلداً بلداً... ونظر في مصالح البلدان، وحط عن بعضها الخراج، فلم يبق مخالف ولا خالع إلا خرج من قلعته وحصنه"(٣).

ومن الصعب الميل إلى أحد الأسباب المتقدمة والتشبث به كداع وحيد لقيام الثورة، مهما مالت المصادر في ترجيحه، بل إن سبب الثورة لم يكن معروفاً لدى مؤسسة الخلافة ومطالب نصر لم تكن واضحة، وقد بدى هذا جلياً في نصّ كتاب الأمان وفيه سؤالٌ لنصر عن مُراده مما فعل، وحدد الكتاب ما يمكن أن يكون عليه أمره في أحد ثلاثة أسباب: "إما طالب دين، أو ملتمس دنيا، أو متهوراً يطلب الغلبة ظلماً"(٤). وتعهد كتاب الأمان بتلبية مطلبة إذا ما كان طالب دنيا أو دين، أما إذا كان أمره قائماً على الخروج والتشغيب دون وجه حق فإن الخلافة تتعهد بإخماد ثورته والقضاء عليه.

إن ثورة بهذا الحجم وكثرة الأتباع، واشتراك العرب والزواقيل وحتى بعض العباسيين، لا يمكن أن تقوم على سبب واحد، وعامة الناس والبسطاء منهم لا يعنيهم أحَكَمَ العرب أم العجم بقدر ما تعنيهم لقمة العيش، والزواقيل لا يهمهم شيء بقدر ما يكسبونه من مال، من جباية خراج أو تلصّص أو قطع طريق، فهذا دليل على تضافر جملة من الأسباب في قيامها، بين خسران ملك عربي له ميل لأهل الشام ويميلون له؛ قُتل بسيف أعجمي، ووصول سلطة إلى الحكم بدعم خراساني، وظروف اقتصادية تلامس أهل الشام دون غيرهم.

وبالتالي، فإن أسباب الثورة مرتبطة بالظروف السياسية في الدولة بشكل عام، وفي أجناد بلاد الشام بشكل خاص، وشعورهم بانحراف السلطة عنهم، وميلها ــ مجاهرة ــ إلى عنصر أجنبي

---

(١) Bosworth, Nasr b. Shabath, EI٢, Vol; VII, p ١٠١٦

(٢) ابن طيفور، بغداد ص ٩٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٩٩، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٩٧، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق) محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (مراجعة) نعيم زرزور، ١٩مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ ــ ١٩٩٣م. ج١٠، ص ٢١٠، وسيشار له فيما بعد: ابن الجوزي، المنتظم، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٨٨

(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٣

(٤) ابن طيفور، بغداد ص ٩٥، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٠٠

"الفرس"، لا يلتقون معهم في شيء، سوى إسلامهم الحديث، بل إن عوامل الاختلاف تَغْلب على أوجه الالتقاء، وخاطب هرثمة بن أعين المأمون بكلام أودعه بسببه السجن فمات فيه: "قدمت هذه المجوس على أوليائك وأنصارك"(١)، وهم "المجوس أبناء المجوس"(٢)، وكانوا بالأمس موالي لهم، واليوم قادة ورؤساء عليهم، وأخيراً فلا ينسى العرب "مواقع سيوف أهل خراسان في رقابهم، وآثار أسنَّتهم في صدورهم" عند قيام دولة بني العباس(٣).

محاربة طاهر بن الحسين لنصر (١٩٩ ــ ٢٠٤هـ/ ٨١٥ــ ٨١٩م):

اتّجهت عناية المأمون ــ وهو مقيمٌ بخراسان ــ إلى أن يوجه طاهر بن الحسين لمحاربة نصر، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م(٤)، لكنه لم يخرج إلى الرقة إلا في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م. وعن دور طاهر بن الحسين في مواجهة نصر فقد أوردت المصادر المبكرة رأيين تجاه ذلك:

ــ **الرأي الأول:** يمكن تتبّعه والتماسه من الأخبار التي أوردها الطبري مقسّمة ــ حسب منهجه ــ على السنين، فقد كان طاهر من أكبر أعوان المأمون، ولما بدأت بوادر الخلاف بين الأمين والمأمون تولى طاهر محاربة الأمين وتصدى لجيوشه حتى تمكن من القبض عليه وقتله(٥). وبعد أن دخل الناس في طاعة المأمون سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م جعل المأمون كل الكور والأعمال التي افتتحها طاهر للحسن بن سهل، وشمل ذلك كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن، وطلب المأمون من طاهر أن يسلم جميع ما بيده من الأعمال إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يرحل عن ذلك كله إلى الشام والجزيرة لمحاربة نصر بن شَبَث، فوصل إليه أحد خلفاء الحسن بن سهل فلم يسلمه طاهر إلا بعد أن أعطاه الخراج، ووزّع على الجند أرزاقهم(٦).

لم يُخف طاهر تبرمه من هذا القرار، وبقي في نفسه شعور بحرمانه من ثمار فتوحاته في العراق(٧)، إذ نُقل عنه قوله للحسن بن سهل لما أمره بالذهاب لمحاربة نصر: "حاربتُ خليفةً، وسُقتُ

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٦

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٤٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٢٣

(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧

(٤) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٨٧، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٥٥

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٤٥

(٦) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٥٢٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٤٤، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٢٧٢

(٧) رفاعي، عصر المأمون ج١، ص ٢٧٣

الخلافة إلى خليفة، وأؤمر بمثل هذا! وإنما كان ينبغي أن توجّه لهذا قائداً من قوادي"[١]. وفي رواية مقتضبة عند اليعقوبي أنه قال:"ما أنصفني أمير المؤمنين"[٢].

وكان المأمون مقيم بمدينة مرو فأخبره علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي بحال الأمصار وما عليه الناس من الفتنة والاقتتال منذ مقتل أخيه الأمين، وأن الناس يتّهمون الفضل بن سهل في ستر الحال عنه، وأخبره أيضاً بالحال التي أصبح فيها طاهر بن الحسين بعد الخدمات التي قدمها للمأمون. وكلامه يلخص أحوال طاهر منذ أن غادر بغداد إلى الرقة سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م حتى سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، فـــ "صُيِّر في زاوية من الأرض بالرقَّة، قد حُظرت عليه الأموال حتى ضعف أمرُه، فشغب عليه جنده"[٣]. ويبدو أن المأمون فكر فيما نُقل إليه من حال طاهر، فكتب إليه وهو في طريقه إلى بغداد أن يلاقيه في النهروان، فلاقاه ـــ بعد أن استخلف على الرقة ابنه عبد الله[٤] ـــ ودخل معه بغداد يوم السبت ١٤ صفر ٢٠٤هـ/ آب ٨١٩م[٥]، وولاه في السنة التي تلتها (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م) من بغداد حتى أقصى عمل المشرق[٦]. وخرج طاهر إلى خراسان وهو لا يكلم الحسن بن سهل، وعبر عن استيائه منه بقوله "ما كنت لأحل عقدة عقدها لي في مصارمته"[٧]، أي: معاداته.

ومحصَّلُ ما تقدم، فإن الرأي المتكون من الروايات التي أوردها الطبري يُظهر حال الضعف الذي أصبح عليه طاهر خلال مدَّة ولايته على الجزيرة وقنسرين، من قلة المال وفساد الجند، ولم يذكر الطبري أي نشاط لطاهر طيلة هذه المدة التي نافت على خمس سنوات، سواء في محاربة نصر أو في غيره، بما يُشكل موقفاً سلبياً وعزوفاً من طاهر، يوافق ما ذهب إليه الطبري في رواياته من شعور بالغبن وانتقاص لحقه والتضييق عليه. ولخَّص ابن خلدون دور طاهر في مواجهة نصر بقوله: "لما سار إليه طاهر نزلَ الرقة، وأقام بها، وكتب إليه يدعوه إلى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبْهُ"[٨].

وإن صحّت مرويات الطبري فإن هذا أتاح لنصر التحرّك بسهولة في المنطقة الشمالية من

---

(١) ابن طيفور، بغداد ص ٢٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٢
(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣
(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٥٦٥، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٥٦، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٧٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٤٧، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦١١
(٤) طيفور، بغداد ص ٤، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦١، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٧٩، ٣٨٣ ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٥٧، ٣٦٢
(٥) ابن طيفور، بغداد ص ٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٧٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٥٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٥٧،
(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٧٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦١، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٨١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٠،
(٧) ابن طيفور، بغداد ص ٢٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠
(٨) ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٩٣

الثغور الجزرية، خاصة في كيسوم ونواحيها، وأنه استطاع ــ بسيطرته على خراجها ــ استقطاب فئة من المتكسبين بالقتال وتكوين جيش منهم.

وتُظهر مرويات الطبري أيضاً أن المواجهة مع ابن شَبَث لم تبدأ إلا بعد أن ولي عبد الله بن طاهر الجزيرة، وبالتحديد منذ منتصف سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م.

ــ **الاتجاه الثاني:** يخالف خلاصة ما عند الطبري، وفيه أن طاهر بن الحسين لم ينعزل في الرقة، ضعيفاً، مشغباً عليه من الجند كما تقدم، بل قام بمواجهة نصر وجرت بينهما مواجهات قوية وحروب كانت الغلبة فيها لنصر، ويمثل هذا الاتجاه روايتين، تتفقان في النتيجة وتختلفان في الوقائع، الرواية الأولى أوردها ابن أعثم، وتخللتها الرسائل والأشعار المعبّرة عن الثقة والاعتزاز بالنفس وبسوابق الشجاعة لكلٍ منهما، أما الرواية الثانية فمصدرها سرياني، أوردها ابن العبري نقلاً عن البطريرك ديونيسيوس التلمحري، الذي كان مقيماً بالرها، وطاله شرر هذه المواجهات.

وتقول رواية ابن أعثم إن نصر بن شَبَث لما "تغلب على البلدان، وكسر الخراج، واجتمع إليه أهل الدعارة"، وبلغ المأمون ذلك، أمر طاهر بن الحسين بالخروج إليه. فسار إليه في عسكر كبير؛ حتى إذا قرب من بلده كتب إليه وإلى وزيره العبّاس بن زُفَر: "أما بعد؛ فإن الله تعالى ولي مَن والاه، وعدو من عاداه، وقد علم الله تعالى أنكما من أعدائه، ولستما من أوليائه، وبالله أحلف قسماً صادقاً لأوردنكما ونساءكما وذريتكما موارد الهلكة، أو تذهب نفسي قبل ذلك! وقد عرفتماني ولم يخف عليكما ما نزل بالمخلوع محمد ابن زبيدة مني".

فأجابه نصر بأبيات كذبه فيها، فغضب طاهر وبلغ قريباً من مدينة كيسوم، وكتب إليه: "أما بعد؛ فاقبل الأمان ترى خيراً، وإياك من الضراب والطعان"، فأجابه نصر على ذلك شعراً يتضمن مواصلته الحرب وعدم الاستسلام. فسار طاهر في جيشه، والتقى مع نصر واشتد بينهما القتال، وكان نصر يقاتلهم بسيفه، واقتتلوا قتالاً شديداً، أظهر فيه نصر ورفاقة شدة وقوة حتى وقعت الهزيمة على طاهر بن الحسين وأصحابه، وانهزموا من كيسوم إلى الرقة، فلم يزل نصر بن شَبَث يضاربهم بالسيف إلى أن مات طاهر بن الحسين(١).

وفي آخر رواية ابن أعثم، خلل واضح من استمرار الحرب بينهما حتى وفاة طاهر (أي حتى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، والأمر على غير ذلك بإجماع المصادر، ويخالف ما ذكره ابن أعثم نفسه ــ فيما بعد ــ من تولية طاهر خراسان من قبل المأمون ووفاته فيها سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. وقريب من

---

(١) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣١٢ ــ ٣١٤

رواية ابن أعثم ما أورده ابن الأثير ملخصاً ومخلّصاً من الرسائل المتبادلة والأشعار المذكورة، من أن طاهر لما سار سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م إلى قتال نصر، راسله في نبذ الخلاف والعودة للطاعة، فلم يجبه نصر، مما حدا بطاهر للسير نحو كيسوم، وأنهم اقتتلوا قتالاً شديداً استبسل فيه نصر وكان النصر حليفه، فعاد طاهر "شبه المهزوم إلى الرقة"، وأن غاية ما في استطاعة طاهر هو حفظ تلك النواحي[١].

وأرى أن الدمج بين الاتجاهين يمثل واقع حال طاهر ونصر، فالذي أورده ابن أعثم وابن العبري وابن الأثير وأغفله الطبري يمثل المواجهة الوحيدة التي دارت بين طاهر ونصر، وهزم فيها طاهر، وأن هذه المواجهة حصلت في أول وصول طاهر إلى الرقة، قبل أن يضعف حاله ويشغب عليه الجند، وأُقدّر أن هذه المواجهة تمت قبل سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م، وأن طاهر ــ بعدما عجز عن هزيمة نصر ــ انكفأ في الرقة قانعاً بحفظ ما حوله دون أدنى رغبة في تكرار الحملة، مع ازدياد قوة نصر، وضعف طاهر، خاصة وأن الحكمة التي يتمتع بها طاهر ونظرته لأسلوب القيادة الحكيمة تمنعه من أن يكرر تجربة قد تتسبب بفناء كل أصحابه وجنده، وهو الذي أوصى ابنه بقوله "لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثرَ عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة"[٢]؛ وما كان لناصح بمثل هذا أن يلقي برعيته في التهلكة وحالته من الضعف ما تقدّم. ولما انكفأ في الرقة قام ببناء سور بين الرقة والرافقة وتحصن فيه، "وانقطع إلى المطالعة والتفسير والتحدث مع الفلاسفة"[٣].

إن الانتصار الذي حققه نصر بن شبث على قوات طاهر جعله يواصل مهاجمة المدن الكبيرة، ويبدو أن "عمرو" رفيق نصر في غزواته عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م، والذي استقر في سميساط وحصنها بقلعة منيعة، عاد لمشاركة نصر في حروبه ضد قوات طاهر، وبعد أن تمكنا من إلحاق الهزيمة به، توجها إلى الرها، وحاصراها حصاراً شديداً، واستبسل أهالي المدينة في الدفاع عنها، وتسلق الأهالي سورها وقاتلوا نصر ورفيقه، وكانت النساء تمدهم بالحجارة، وتزودهم بالماء لشربهم، بينما انقطع ضعفاء النصارى وصغارهم إلى الصلاة، ــ وكان أحدهم البطريرك ديونيسيوس التلمحري، راوي الخبر ــ وكانت النتيجة أن فشل نصر في اقتحام المدينة وأصيب رفيقه عمرو[٤].

محاربة عبد الله بن طاهر لنصر (٢٠٦ ــ ٢٠٩هـ/ ٨٢٢ ــ ٨٢٤م):

وولى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة، وعهد إليه محاربة نصر، "بعد أن استحكم أمره،

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٨، وانظر: ابن قتيبة، المعارف ص ٣٨٧
(٢) ابن طيفور، بغداد ص ٢٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٤
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٦٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٣
(٤) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٦٤، ابن العبري، المصدر نفسه ص ٢٢

واشتدّت شوكته"[١]، وأمر بأن تسهّل لابن طاهر كل العوائق التي يمكن أن تعترض طريقه[٢]. وحدد الطبري تاريخ خروجه لقتال نصر "على الصحيح بعد خروج أبيه إلى خراسان بستة أشهر"[٣]. وعقد له لواءً مكتوباً عليه بصفرة ما يُكتبُ على الألوية وزاد فيه المأمون: "يا منصور"[٤]. ولما كان أبوه غادر بغداد في يوم الجمعة من نهاية شهر ذي القعدة ٢٠٥هـ/ ٨٢١م[٥]، فيكون ــ على ذلك ــ خروج عبد الله في شهر جمادى الأولى ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م.

وبخروج عبد الله بن طاهر إلى الجزيرة، تبدأ أول مواجهة مع نصر حسب الطبري، وثاني مواجهة حسب ابن أعثم وابن العبري وابن الأثير، ولم تورد المصادر العربية تفاصيل شافية عن هذه المواجهات خلال الفترة التي قضاها عبد الله بن طاهر، سوى ذكر الطبري وابن الأثير ــ عرضاً ــ لابن طاهر في حوادث سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م وأنه "مقيم بالرقة على حرب نصر"[٦].

ثم يرد بعد ذلك في حوادث سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م خبر الظفر بنصر، بعد أن أُعطي الأمان، فخرج من حصنه بكيسوم، وانتقل إلى الرقة، حيث عبد الله بن طاهر، وأُرسل ذويه إلى قرية صغيرة قرب سروج كان نصر قد ابتناها على أنقاض قرية ديميتير[٧]، وتم تخريب حصن كيسوم وتهديمه، وحصون غيره حتى لا تكون ملجأ للخارجين على الدولة، مثل حصن حُناك بمعرة النعمان[٨]، وحصن الكفر وغير ذلك من الحصون، وهدم سور معرة النعمان[٩]. ولما قدم نصر على عبد الله دخل في أمانه، وأحسن إليه، ثم وجهه إلى المأمون فوصل بغداد يوم الاثنين ٧ صفر ٢١٠هـ/ ٢٩ أيار ٨٢٥م[١٠]، فأنزل في مدينة أبي جعفر المنصور، وخصص المأمون له من يقوم بحفظه[١١].

فانتهت ثورة نصر بعد أن استنفدت جهد الدولة، وبذل المأمون في سبيل إخمادها أموالاً كثيرة،

---

(١) ابن طيفور، بغداد ص ٩٣

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨١، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٨٥

(٣) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٥٨٢.

(٤) ابن طيفور، بغداد ص ٢٤، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٢، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٢، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣٨٥

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص٥٧٩، الشابشتي، علي بن محمد، أبو الحسن (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، الديارات، (تحقيق) كوركيس عواد، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م. ص ١٤٦، وسيشار له فيما بعد: الشابشتي، الديارات، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦١٥، بينما يذكر اليعقوبي (تاريخ ج٢، ص ٣٢٠) أن خروجه كان في أول ٢٠٦هـ

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٨٣ في خبر وفاة أبيه طاهر بن الحسين

(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٧

(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٠٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٥، الجندي، محمد سليم، تاريخ معرة النعمان، (تحقيق) عمر رضا كحالة، ٣مج، ط٢، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤م، ج٢، ص ١٣٥

(٩) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٤ ــ ٧٥

(١٠) ابن طيفور، بغداد ص ٩٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٠٢، ابن الجوزي، المنتظم ج١٠، ص ٢١٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٩٠، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ١٩١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٩

(١١) ابن طيفور، بغداد ص ٩٧، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٢٣، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٠٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٩

يقول المأمون لرجل شامي التمس منه العطف لأهل الشام: "والله ما أنزلتُ قيساً عن ظهور الخيل إلاّ وأنا أرى أنه لم يبقَ في بيتِ مالي درهم واحد"[١].

٢. ثورة العباس بن زفر الهلالي (نحو سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م):

هو العباس بن زفر بن عاصم الهلالي[٢]، من القيسية، كان هو والده وبعض إخوته من قادة بني العباس، وكان العباس بن زفر أحد جلساء الرشيد[٣]، واستعمله عبد الملك بن صالح ــ والي الشام للرشيد سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م ــ على الثغور[٤].

ويلفت النظر أن يكون العباس بن زفر وذووه من ولاة وقادة بني العباس، وهم قيسية، والسبب في ذلك أن لهم خؤولة في بني العباس، فأم عبد الله بن العباس بن عبد المطلب هلالية، وهي لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن عبد الله بن هلال بن عامر[٥].

وبرز دوره في الخروج على السلطة منذ وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون، فكان ــ إلى جانب نصر بن شبث ــ على حامية الزواقيل، الذين تصدوا للجند الخراسانيين في واقعة الرقة سنة ١٩٥هـ/ ٨١١م[٦]. فعادا إلى الشام واستقل كل منازع منها بجانب[٧]. ولعل هذه بداية أمره، إذ لم تُشر المصادر إلى سوابق له في الخروج على الخلافة قبل هذا.

وتغلب العباس بن زفر على مدينة قورس[٨] وما يجاورها من كور العواصم[٩]، ويذكر مؤلف العيون والحدائق أنه تغلب على قنسرين[١٠]، ولعل الكلمة تصحفت عنده، إذ إن المتغلب على قنسرين وما يحيط بها هو عثمان بن ثمامة العبسي[١١] الذي سيأتي الكلام على ثورته فيما بعد.

وفي الوقت الذي استقر فيه العباس بن زفر في قورس، تعرض أهل حلب للغزو من التنوخيين

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٥٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٣٢

(٢) ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ٤٠، ج٣٣، ص ٣٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج٨، ص ٣٨٠٣، ووهم ابن الأثير (الكامل ج٦، ص ٢٥٩) فنسبه بالكلابي، بسبب تشابه اسم أبيه مع اسم قيسي آخر اسمه زفر بن الحارث الكلابي، جد أبي الورد الكلابي (ت ٧٥هـ) وقد تقدم ذكره. وليس من أبنائه من اسمه العباس، وحتى لو وجد، فإن المدة بينهما تكفي لدفع الشبهة.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١٠٤

(٤) الآبي، نثر الدر ج١، ص ٤٤٤، ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، التذكرة الحمدونية، (تحقيق) إحسان وبكر عباس، ١٠ مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٤٢٤

(٥) الزبيري، نسب قريش ص ٢٧، البلاذري، فتوح ص ١٥١، ابن عساكر، تاريخ ج٣٣، ص ٣٨٤، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢٤، ص ٣٩٤

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٩

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٠٩

(٨) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣١٢، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٥١ نقلاً عن ديونيسيوس التلمحري

(٩) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣١٢

(١٠) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٣

(١١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١١، ١٥

أهل حاضر حلب القريب منهم، بزعامة منيع التنوخي(١)؛ وأرادوا إخراج أهلها منها، والحلول مكانهم، فاستنجد من بحلب من بني هاشم بمن حولهم من القبائل(٢)، وكان زفر بن الحارث العائد من وقعة الخراسانيين أول من تصدى لأهل الحاضر، للخؤولة التي تربطه بالهاشميين، فلم يتردد في إنجادهم، وخاطبنه هاشميات من أهل حلب: "يا خال: نحن بالله ثم بك. فقال: لا خوف عليكم إن شاء الله؛ خذلني الله إن خذلتكم". فاستطاع العباس بن زفر صد أهل الحاضر، وطردهم من حلب والحاضر، فانتقلوا إلى قنسرين حتى أجلاهم أهلها عنها فتفرقوا في البلاد(٣). بينما يذكر اليعقوبي أن المتولي لحربهم كان يعقوب بن صالح الهاشمي، وأنه لم يُبق منهم أحداً، وتشتتوا فصار أكثرهم إلى مدينة قنسرين(٤).

ولا تقدم المصادر تفسيراً لسبب خروج ابن زفر على دولة بني العباس، لكن الظروف التي عصفت بأقاليم الدولة إبان الفتنة، وجعلت كل نازع يستقل بما تحت يده، تشير إلى رغبة واضحة لدى كل المتغلبين في تحصيل الملك والرئاسة بمعناها الضيق وليس طلباً للخلافة، وربما يشترك ابن زفر في أهدافه مع أسباب خروج نصر بن شبث، الذي نسبت له المصادر والدراسات الكثير من التفسيرات، التي أوردتها عند الحديث على ثورته، الداعي لهذا الربط تلك العلاقة المتينة التي ربطت بينهما، حتى وصفه ابن أعثم بأنه وزير نصر بن شبث، ولما قدم طاهر بن الحسين إلى الرقة في جمادى الأولى ١٩٩هـ/ ٨١٥م لمواجهة نصر كتب إليهما رسالة واحدة وخاطبهما مجتمعين: "وقد علم الله تعالى أنكما من أعدائه ولستما من أوليائه، وبالله أحلف صادقاً لأوردنكما ونساءكما وذريتكما موارد الهلكة أو تذهب نفسي قبل ذلك، وقد عرفتماني، ولم يخف عليكما ما نزل بالمخلوع محمد بن زبيدة مني"(٥).

وأغفلت المصادر الحديث عنه بعد سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م، ونقدّرُ أن طاهر بن الحسين لما أرسله المأمون لمحاربة نصر، لم يقم بأي مواجهة مع ابن زفر، خاصة بعد عجزه عن السيطرة على نصر، إذ تذكر المصادر أنه عكف في الرقة قانعاً بحفظ ما في يده، ويذكر المؤرخ ديونيسيوس أن طاهر بن الحسين تواطأ مع نصر بن شبث والعباس بن زفر، وغض النظر عن تحركاتهما حتى لا تستقر أوضاع الجزيرة ويتم إرساله لمصر(٦). وربما استمرت سيطرة ابن زفر على المنطقة الواقعة

(١) لم تُعن المصادر، خاصة كتب التراجم، في معرفة منيع هذا.
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٥١، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦
(٣) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٥١ ــ ١٥٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦
(٤) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣
(٥) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣١٣
(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٦٤

إلى الجنوب الغربي من تلك التي تغلب عليها نصر بن شبث حتى تمكن عبد الله بن طاهر من أخذ بالس من يد نصر بن شبث سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، أو حتى القبض على نصر في سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، وبالرغم من طول مدة تغلبه إلا أن أثرها بقي ضعيفاً مقارنة بثورة نصر، حسبما تقدم بيانه في خبر ثورته.

٣. ثورة عثمان بن ثُمَامة بن الوليد العبسي (نحو سنة ١٩٦ ــ ٢٠٨هـ/ ٨١٢ ــ ٨٢٣م):

وهو من بيت رئاسة، فقد كان جده الوليد والياً على قنسرين في عهد بني أمية ومن قوادهم(١)، وكان والده ثمامة على الصائفة في خلافة المنصور(٢)، ومن صحابته(٣)، وصحب المهدي من بعده(٤)، وجعله على صائفة سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م(٥)، وقيل: ١٦٢هـ/ ٧٧٩م(٦)، وكان ثمامة شيخاً كبيراً في عهد الرشيد، وعلى اتصال به، وأورد ابن أصيبعة رواية تفيد بأن علة أصابت ثمامة، فاستفقده الرشيد، وعاتب أخاه أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) في عدم عيادته له، مذكراً إياه بأن ثمامة "رجل غريب من أهل الشرف، قد رغب في مصاهرة أهله عبد الملك بن مروان، وقد ولدت أخته خليفتين: الوليد وسليمان ابني عبد الملك، وقد رغب أبوك في مصاهرته فتزوج أخته، ورغبت أنا أخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته، وهو مع ذلك صحابي لجدك وأبيك، ولأختك وأخيك، فلا توجب على نفسك عيادته؟"(٧).

ويبدو أن ما عرَّفه به الرشيد لم يكن دقيقاً، فالعبسيَّة التي تزوجها عبد الملك بن مروان، وأنجبت له الوليد وسليمان، هي: ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث(٨)، والعباس بن جزء هو عم القعقاع بن خليد، الذي نسب الحيار له، وقيل إن ولادة هي بنت القعقاع(٩)، وبالتالي فهي عمة ثمامة وليست أخته.

---

(١) البلاذري، فتوح ص ٢٠٨، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٢٣٧، قدامة، الخراج ص ٣٣١، ابن عساكر، تاريخ ج٦٣، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤١

(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٠، ٤٣٧، البلاذري، فتوح ص ١٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٦، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٢٤، الحميري، الروض ص ٥٤١

(٣) الأصفهاني، الأغاني ج٣، ص ٥٨

(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه ج٢٣، ص ٢٠

(٥) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٠، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٦

(٦) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١٥٠

(٧) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق) نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م. ص ٢٢٦

(٨) ابن خياط، تاريخ ص ٣٠٩، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٩٧، ٢٠٥، البلاذري، فتوح ص ١٥٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، المسعودي، التنبيه ص ٣١٧، ٣١٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٤، ص ٤٢١، العظيمي، تاريخ حلب ص ٩٩، ابن عساكر، تاريخ ج٦٣، ص ١٦٥، ١٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢٧، ص ٤٥٣

(٩) ابن عساكر، تاريخ ج٦٣، ص ٢٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٩

ويذكر ديونيسيوس مبدأ أمر عثمان في التمرد، وأنه كان مقيماً بحيار بني القعقاع، وكان طاهر بن الحسين قد اعتكف بالرقة يطالع كتب الفلسفة، غاضاً الطرف عن تصرفات المتمردين والعصاة، خاصة نصر بن شبث والعباس بن زفر، وقد قرر هذان الأخيران أن يهاجما عثمان بن ثمامة، فقابلهما بحشد كبير، وأبطل مسعاهما، ثم قدم عثمان على طاهر بن الحسين في الرقة وطالبة بمقاتلة المتمردين، أو أن يمده بجيش ليقاتلهم، ولما كان طاهر راغباً في بقاء التوتر في الجزيرة والشام ــ حسب ديونيسيوس ــ لئلا يُنقل إلى مصر لمحاربة المتغلبين فيها، فقد كان يفشي هذه الأخبار لابن شبث وابن زفر، وعندما علم عثمان بهذا وجه رسولاً للمأمون يخبره بتواطؤ طاهر مع المتمردين، وقبض طاهر على الرسول قبل أن يغادر، فلما عرف عثمان بهذا وأن عداوته لطاهر ونصر والعباس قد انكشف أمرها، تمرد وشرع في النهب والسلب. وقد عاتبه ديونيسيوس التلمحري على أفعاله للمودة التي بينهما ــ وكان عثمان يحبه ــ وقال له: "كيف تخرج للنهب والسلب وأنت شيخ عاقل؟"، فأطلعه عثمان على ما جرى، وما كان من أمر طاهر مع نصر والعباس[1].

وكانت سيطرة عثمان بن ثمامة العبسيّ قد شملت حيار بني القعقاع وما يجاوره والمنطقة الممتدة بين قنسرين وأنطاكية وأفاميا[2]، أي على هيئة المثلث، وهناك من جعل سيطرته تشمل جند حمص[3]، وربما كانت الإشارة تعني أفاميا وهي من جند حمص وليس الجند كله.

وكان ابن ثمامة على علاقة طيّبة بالنصارى في شمال الشام، فعندما قدم إلى دير قنسرين على طريق الفرات، زار الكنيسة الضخمة التي طالها الحريق والتخريب، فطلب إليه أهلها إذناً بإعادة بنائها، فاستجاب لهم، بل وأعطاهم رسائل لكل أتباعه من الحكام الذين استخلفهم في المدن للمساعدة في ترميم الكنائس والأديرة وإعادة بناء ما تهدم منها. والتقاه البطريرك ديونيسيوس التلمحري في زيارته هذه، وأخبره بتمرد رهبان دير أوسيبونا بأنطاكية وموالاتهم لإبيرام (إبراهيم) الخارج عليهم، فكتب ابن ثمامة لأحد أمراء العرب يأمره بطرد أتباع أبيرام وتسليم الدير إلى أتباع البطريرك ديونيسيوس المنصوب رسمياً[4].

وبقي عثمان بن ثمامة العبسي متغلباً على قنسرين وجوارها حتى حوالي سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، إذ لم يستسلم إلا بعد أن سقطت بالس في يد ابن طاهر، وكانت في يد أصحاب نصر بن شبث، فهاجمها ابن طاهر، وقذف سورها بالحجارة، وسيطر عليها، وقبض على أصحاب نصر، فأوثقهم

---

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٦٢، Le Syrien, Michel, Chronique de Michel le Syrien, Vol: III p.٣٦,
(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٥١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٠
(٣) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٦٣، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١١، ١٥
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١١

بالسلاسل وأرسلهم إلى بغداد(١). فلما علم ابن ثمامة بذلك قدم إلى ابن طاهر وأدى الطاعة ونبذ الخلاف(٢).

٤. ثورة يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله العباسي (نحو ١٩٨ــ ٢٠٠هـ/ ٨١٤ــ ٨١٦م):

وهو شاعرٌ مقلّ، وفارس من فرسان البيت العباسي الشجعان(٣)، وكان أحد جلساء هارون الرشيد(٤)، تولى والده صالح بن علي وإخوته الولايات في أكثر من بلد، وكان والده والياً على مصر والشام والحجاز(٥)، وكانت أخت يعقوب أم عبد الله تحت الخليفة المهدي؛ تزوجها سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م(٦)، وكانت منازل صالح وبنيه في الشام بحلب ومنبج وسلمية(٧).

ويذكر اليعقوبي أن يعقوب بن صالح هو من حارب أهل حاضر حلب لما اعتدوا على أهل حلب في أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، فهرب أغلبهم إلى قنسرين، وأنه "خرب الحاضر حتى ألصقه بالأرض"، وكان يضم قبل تدميره عشرين ألف مقاتل، وبقي خراباً حتى زمن اليعقوبي(٨) (نهاية القرن الثالث الهجري). وقد تقدم في خبر العباس بن زفر استنجاد الهاشميين من أهل حلب لما طرقهم أهل الحاضر، والاستجابة السريعة التي أبداها ابن زفر، ولعل يعقوب وابن زفر كانا سوية في إنجاد أهل حلب.

وانفرد المرزباني بالترجمة ليعقوب بن صالح كشاعر، وذكر ثورته وأنه قد همَّ بالخروج على المأمون، ولم يحدد تاريخ خروجه، لكن ربط الخروج بالمأمون يجعلنا نقدر أن ذلك كان في أعقاب الفتنة، وبعد مقتل الأمين والبيعة للمأمون، أي في حدود سنة ١٩٨هـ، وهي السنة التي كثر فيها الخروج على الدولة من كل الأقاليم، واتصل يعقوب برؤساء الجزيرة والشام الذين تغلبوا عليها، وخاصة نصر بن شبث فتواطأ يعقوب معهم في الخروج على الدولة، وعرض عليهم التعاون والمساندة لأخذ الحكم على أن يبايعوا له بالخلافة، فمات قبل أن يتم له ذلك(٩).

فخروج يعقوب هذا يختلف عن بقية الثورات التي تقدمت، من حيث الهدف الواضح المتمثل في

---

(١) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ١٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٤
(٢) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ١٥
(٣) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، معجم الشعراء، (تحقيق) ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م. ص ٥٠٥، وسيشار له فيما بعد: المرزباني، معجم الشعراء.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٢، ص ١٨٢
(٥) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥١١، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٢٠
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٥، ص ١١٥
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٢٠، ٣٦، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦
(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣
(٩) المرزباني، معجم الشعراء ص ٥٠٥

طموحه السياسي لأخذ الخلافة، وقد عبر في أشعاره التي هجا فيها الرشيد والمأمون عن رغبة أكيدة في القضاء على خلافتهم، وهو القائل في المأمون:

لئن ساعد المقدار حزمي ونجدتي ... لأبعثه جيشاً إليك عرمرماً
سحائب يغشى الطرف من لمعانها ... تصوبكم سماً وتحلبكم دما
إلى أن يقر الحق في مستقره ... ويذهب جور منكم قد تحكما[١]

وفي البيت الأخير إشارة إلى الجور والظلم، ويتوافق مع ما قاله نصر خلال مواجهته لجيش طاهر بن الحسين، حيث يقول:

إذا ظلمت حكامنا وولاتنا ... خصمناهم بالمرهفات الصوارم[٢]

فكلاهما ــ يعقوب ونصر ــ يشيران إلى الظلم في عهد المأمون، ويتفقان على أن الوسيلة لإزالة الظلم هي بالقتال والسيف، لكن هل الظلم مختص بهما فقط؟ أم أنهما أرادا شعوراً عاماً طال العرب جميعاً بتحكم العجم في رقابهم؟. كما يشير يعقوب في قصيدة أخرى إلى غياب العدل في دولة بني العباس، يقول:

لقد زال الأمر من مستقرِّه ... وألف فيه بين حق وباطل
ودارت رحا الإسلام في غير قطبها ... وطالت يد الباغي بها المتطاول
فلا لوم في حث الكتائب نحوه ... كرجل جراد في الضحى متواصل
تطيف بميمون النقيبة رابط ... على الهول جأشاً فائض الخير عادل
تضيء سيوف العدل فيها وتنتحي ... على كل رواغ عن الحق مائل[٣]

ولولا وفاة يعقوب بن صالح في حدود سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م، لشكل مع نصر بن شبث خطراً كبيراً على مؤسسة الخلافة، خصوصاً بما وصل إليه نصر بعد سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م من القوة وكثرة الأتباع[٤]، وما ليعقوب وذويه من المكانة بين أهل الشام[٥]، ولأعيت المأمون الحيلة في القضاء عليهم.

٥. ثورة عمرو بن عبد العزيز السُّلَمي (نحو ١٩٥هـ/ ٨١١م):

وهو فارس وشاعر، لكن أخباره عزيزة، وورد ذكره في المصادر السريانية كرفيق لنصر بن شبث في الخروج على الدولة، فيذكر ديونيسيوس التلمحري أن عمرو كان مسجوناً في سجن الرقة

---

(١) المرزباني، المصدر نفسه ص ٥٠٥
(٢) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣١٤
(٣) المرزباني، معجم الشعراء ص ٥٠٥ــ ٥٠٦، وفيه أن القصيدة طويلة لكنه لم يورد إلا الأبيات الخمسة المذكورة.

(٤) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٩٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ١٩٠
(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٧

نتيجة إفحاشه في القتل لما كان بسميساط(١)، وأنه استطاع الخلاص من سجنه بعد حصوله على سيف وفرس، فقتل الحارس المكلف بحفظ السجن ومَن معه، وحطّم القيود والسلاسل التي أوثق بها، وركب فرسه متوجهاً إلى سميساط، فقتل أميرها الذي تسبب بسجنه، ثم شرع في السلب والقتل ونهب التجار، وحشد العسكر وتوجه إلى فلسطين في مجموعة من أصحابه، يسلبون وينهبون ويقتلون، فأرسل الأمين قائداً اسمه سليمان(٢) إلى حمص ودمشق وفلسطين، والتقى مع عمرو، فتمكن عمرو من هزيمة القائد سليمان وفل عسكره، فرجع إلى بغداد خائباً(٣).

وأثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، تحالف عمرو مع نصر بن شبث، ولعل ذلك كان عقب انتهاء واقعة الزواقيل بالرقة، التي كان فيها عمرو إلى جانب نصر، وكان أحد قادته الأشداء(٤)، فأضرموا النار في الطريق الواصل بين الرقة والرافقة، وأحرقوا ديراً للنصارى يسمى دير العمود(٥)، ثم امتد نطاق نشاطهما إلى أرمينية، يمارسون القتل والفتك بالناس، وخرجا بجيشهما إلى الجزيرة، فجمعا أموالاً طائلة وعاثا فيها حرقاً وتدميراً، وفي السنة التي تلتها (١٩٦هـ/ ٨١٢م) توجها إلى حران فحاصراها واحتلاها، وحرقا القرى والكنائس والأديرة، وسرب إليهما بعض سكان الرها من المسلمين، بأن يرسلا من يسعى في تدمير كنيستها، فإن سكانها النصارى سيفدونها بكل ما يمتلكون، وتدخل في الأمر شيخ اسمه يحيى بن سعيد، أقنع نصر وعمرو بأخذ مبلغ خمسة آلاف درهم(٦) من أهلها عوض ما سيفعلانه(٧).

وفي السنة التالية (١٩٧هـ/ ٨١٣م) واصل عمرو ومعه ابن شبث الهجوم على قرى الجزيرة، ينهبون ويحرقون، ثم افترقا؛ فذهب نصر إلى سروج، واتجه عمرو شمالاً إلى سميساط فبنى حصنها وأقام فيه(٨). ثم فتح موضعاً يدعى "تللا"(٩).

---

(١) في تاريخ مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٥: شميشاط، والمثبت موافق لما في الترجمة الفرنسية Le Syrien, Michel, Chronique de Michel le Syrien, Vol: III p ٢١، وابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٩

(٢) لعله ابن المنصور، سليمان بن عبد الله، كان أميراً على دمشق من قبل الرشيد والأمين من بعده. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات ج١٥، ص ٣٩٤

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٩

(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٩

(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٥١

(٦) عند ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٠: خمسمائة ألف درهم، والمثبت من تاريخ مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٦، والنشرة الفرنسية للكتاب Le Syrien, Michel, Chronique de Michel le Syrien, Vol: III p ٢٢

(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، وانظر: ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢١

(٨) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٥٠

(٩) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٥١، هكذا وردت اللفظة فيه، ولم أهتد للتعريف بها، وفي الترجمة الفرنسية: "de Tella". انظر: Le Syrien, Michel, Chronique de Michel le Syrien, Vol: III p٢٧

ولا نجد سبباً واضحاً لخروجه على الدولة ــ بخلاف نصر بن شبث الذي كثرت حول ثورته التفسيرات والدواعي ــ لكن مشاركته لابن شبث في العديد من مراحل ثورته تجعلنا نلتمس لهما ذات الأسباب والدوافع، ويلفت النظر ما وصفه به ابن الجراح، عند ترجمته له كشاعر، بقوله: "صاحب العصبية في فتنة محمد الأمين على مثل ما كان خرج عليه أبو الهيذام"[١]. وثورة أبي الهيذام، زعيم القيسية، ــ على اختلاف مسبباتها ــ كانت بين القيسية واليمانية.

ويبدو أن لحركة عمرو السلمى وتمرده أثراً كبيراً في المنطقة، وكان له صيت بعيد في القتال والحروب، جعلت عبد الملك بن صالح يسأله "يا عمرو: لقد تناهى إليّ من خبر ظفرك بأعدائك في حروبك ما يُعْجب منه، فهل تعرف سبباً تخبرني به؟ قال: لا والله، إلا ما قال الشاعر:

فما إن قتلناهم بأكثر منهمُ   ولكن بأوْلى بالطعانِ وأصبرا

ويدل شعره على الإقدام والمخاطرة، والاعتزاز بقبيلته بني سليم، يقول:

دعوت بني عمّي فكان جوابهم   بلبيكَ فعلَ السادةِ النُّجبِ الغُرِّ

فما لمتُهم في النَّصرِ حين دعوتُهم   ولا لامني قومي لدى النَّهي والأمرِ

وقوله:

يَطلُب الثأر من إذا هَمَّ أمضى   همُّه كان مخطئاً أو مُصيبا

ليس يخشى عواقبَ الأمر يغشا   هُ إذا نـــــاله وإنْ كــــانَ حُوبا[٢]

رابعاً: جند قنسرين في العصر العباسي الثاني (٢٣٢ ــ ٣٣٣هـ/ ٨٤٧ ــ ٩٤٤م)

يسمي المؤرخون المحدثون العصر العباسي الثاني بعصر "نفوذ الأتراك" أو "عصر الدول المستقلة"، أو "عصر الضعف"، نتيجة اعتماد الدولة على العنصر التركي وتفضيلها لهم على غيرهم، ووصلت قوة الأتراك وسيطرتهم على الحكم مبلغاً كبيراً حتى أصبح عزل وتولية الخلفاء بيدهم؛ "كانوا قد استولوا ــ منذ قتل المتوكل ــ على المملكة، واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا خلعوه، وإن شاؤوا قتلوه"[٣]. وترتب على ذلك أيضاً جوانب اقتصادية في استنزافهم لمالية الدولة ومقدراتها، "واستأثروا بالفيء"[٤]، فدب فيها ــ نتيجة لذلك ــ

(١) ابن الجراح، محمد بن داود، أبو عبد الله (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م)، من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام، (تحقيق) محسن غياض عجيل ومصطفى عبد اللطيف جياووك، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ١٩٩٩م، ص ١٢٩، وسيشار له فيما بعد: ابن الجراح، من اسمه عمرو من الشعراء

(٢) ابن الجراح، المصدرل نفسه ص ١٢٩

(٣) ابن الطقطقا، الفخري ص ٢٤٣

(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ٤٦٩

ـــ الضعف، وفقدت سيطرتها على الأطراف، وظهرت الدول المستقلة، ولم يتول المهتدي الخلافة سنة ٢٥٥هـ/ ٨٧٠م إلا "والدنيا مفتونة"[١]، وكان المهتدي يدور في الأسواق يطلب النصرة على الأتراك ويقول: "هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ويثبون على أموالهم"[٢]. ثم خلفه المعتمد بالله وكانت أيام خلافته متصلة الحروب والفتن، وعم الفساد جميع الأمصار، وكثر المتغلبون في جميع النواحي[٣].

وقد وصل الخلل إلى جند قنسرين والثغور المواجهة للروم، وبدأ ـــ مذاك ـــ تهديدٌ حقيقي للدولة من الجهة الشمالية الغربية، وبالرغم من أن الدولة شهدت بعض الهجمات الرومية خلال العصر العباسي الأول، إلا أنها كانت تجابه بقوة واقتدار سرعان ما تفشلها، أما وقد ضعفت الدولة العباسية في عصرها الثاني، فقد بدأ الروم يوجهون أنظارهم نحو استرداد مجدهم القديم، وإضافة لهذا الخطر الرومي فقد تعرض الجند إلى عدد من الثورات والفتن التي سيتم تناولها تالياً:

- **وثوب الفُصَيْص في المعرة وقنسرين سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م:**

في ظل الأوضاع التي شاع فيها تغلب الأتراك على الخلفاء ـــ حسبما تقدم ذكره ـــ برزت في عهد المستعين بعض محاولات التغلب في الأطراف، وكثر الوثوب بالولاة، خصوصاً في جند حمص الذي تكرر فيه طرد الوالي وإخراجه من الجند. وامتد ذلك إلى جند قنسرين في حادثة تغلب واحدة تزعمها أحد رؤساء بني الفُصَيْص.

وبنو الفُصَيْص يمانية من تنوخ، وهم سادة تنوخ ومعكودهم[٤]، وفيهم أمراء وكتاب ووزراء[٥]، نسبتهم إلى يوسف بن يعقوب بن إبراهيم، والفُصَيْص لقب، وقيل إن الملقب بالفُصَيْص هو أبوه يعقوب، وكانت مساكن بني الفُصَيْص في مواضع عديدة من بلاد الشام، في قنسرين وحلب وحمص واللاذقية وجبلة[٦].

وذكر اليعقوبي اسم صاحب الثورة هذا باسم يوسف بن إبراهيم التنوخي، ولعله ذاته المتقدم: يوسف بن يعقوب، وأن اسم "يعقوب" سقط من نسخة اليعقوبي، كان وثوبه في معرة النعمان من جند

---

(١) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ٤٠٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٠٣

(٢) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ٤٦٩

(٣) ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٨، ابن العمراني، الإنباء ص ١٣٧، وعقد ابن خلدون (العبر ج٦، ص ١٤٥) فصلاً جامعاً عدد فيه حالات الانتقاض والاستقلال عن الدولة في عهد المعتمد.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، لسان اليمن (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، (تحقيق) محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٤م، ص ٢٧٥، والمعكود: هو المتحدث باسمهم.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦٤

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦٤

قنسرين، ثم جمع جموعاً كثيرة من تنوخ، وتوجه بهم إلى مدينة قنسرين، فتحصن بها[١].

وإلى الجنوب من قنسرين وثب أهل حمص وقوم من كلب بعاملهم كيدر بن عبد الله الأشروسني في خلافة المستعين (سنة ٢٤٨/ ٨٦٢م)، فهرب إلى حماة[٢]، وكان زعيم كلب يدعى عُطيف بن نعمة الكلبي[٣]. وأرسل المستعين والياً عليهم الفضل بن قارن الطبري، فوثبوا به بعد مدة وقتلوه وصلبوا جثته على باب الرستن[٤] في رجب سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م[٥].

وبقي القُصَيْص وعُطَيف الكلبي متغلبين على قنسرين وحمص أثناء الفتنة بين المستعين والمعتز، وبادر المعتز بإرسال أحد مواليه من الأتراك ويدعى محمد المولد[٦] لإنهاء حالة التغلب في جندي حمص وقنسرين وأخذ البيعة له، ثم التوجه منهما إلى فلسطين التي تغلب عليها عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني، وتغلب أيضاً على دمشق وأعمالها واحتجن مالها لنفسه ولم يرسله للخليفة[٧]. واستطاع المولد استمالة القُصَيْص وعُطيف، واستأمن عُطيف على نفسه فصار إلى المولد فغدر به وقتله[٨]، وأرسل برأسه للمعتز بسامراء[٩]، أما القُصَيْص فهرب إلى ناحية الشمال الغربي حيث غابات الجبل الأسود، أحد أطراف سلسلة جبال الأمانوس.

ولم يستتم الأمر للمولد في حمص بعد قتل عُطيف الكلبي، إذ اجتمعت قبائل كلب وامتنعت عليه ــ ربما مطالبة بثأر عطيف ــ فسار إليهم بعساكره وهزمهم، ثم أعادت كلب ترتيب أمورهم ووثبوا به ثانية فهزموه، وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله، فاتجه بمن تبقى من جيشه إلى حلب.

وبعد هزيمة كلب للمولد رجع القُصَيص إلى قنسرين، وجرت بينه وبين كلب حروب[١٠]، ولعل السبب في محاربتهم للفصيص لتخليه عنهم في مواجهة المولد وهروبه إلى الجبل الأسود.

ويظهر موقف جند قنسرين من الفتنة بين أبناء العمومة منحازاً إلى المستعين، من خلال رفضهم البيعة للمعتز، وعصيانهم عليه، وبالتالي موقفاً معادياً للأتراك الذين خلعوا المستعين ونصبوا المعتز

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٠ــ
(٢) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣٤٨، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٥٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١١٩
(٣) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص ٣٤٩ (وفيه بالمعجمة: غطيف)، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٧٦
(٤) اليعقوبي، المصدر نفسه ج٢، ص٣٤٩، الطبري، تاريخ ج٩، ص٢٧٦، العظيمي، تاريخ حلب ٢٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٣٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ٣٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٩٢
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص٢٧٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص٣٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٩٢
(٦) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٢
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٣٧٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٧٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١
(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٠
(٩) ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٢٧
(١٠) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٠

مكانه، وقد سعى المولد لإجبار أهل جند قنسرين ليبايعوا المعتز، وجرت بينهم مفاوضات تولاها أحد العباسيين واسمه الحسين بن محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح، دون أن يغيروا موقفهم، فجرى حصارهم ــ وكان أحمد المولد هذا سفاكاً للدماء ــ فأذعنت له بعض مدن الجند باستثناء حلب ومنبج وأنطاكية التي بقيت في طاعة المستعين فقاتلهم المولد حتى أعطوا البيعة مجبرين[١].

ثم لجأ المعتز إلى كسب ودّ الفصيص وكتب إليه كتاب أمان، وولاه خفارة الطريق والبذرقة (أي حماية القوافل)، ثم جعله والياً على اللاذقية ونحوها، وعزل الخليفة المولد وولى مكانه أبا الساج الاشروسني[٢]. وبذلك استطاع الخليفة استمالة الفصيصيين التنوخيين، وكسب ودهم، وقد بقيت قنسرين في يد بني الفصيص لمدة طويلة، إذ يذكر ابن الطيب السرخسي أثناء مروره بقنسرين سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م مرافقاً للمعتضد في رحلته إلى الشام أن "قنسرين مدينة لأخي الفُصَيْص التنوخيّ"[٣]، وكانت لهم في نهاية القرن الثالث الهجري مساهمة واضحة إلى جانب الدولة في محاربة القرامطة بالشام، وأشارت إحدى الرسائل التي أرسلها أحد عمال أبي شامة القرمطي ــ واسمه عامر بن عيسى العنقائي ــ إلى سعيهم للقضاء على بني الفصيص وزعيمهم دُحيم[٤]. واستمرت الزعامة في بني الفصيص على بعض المناطق الساحلية كاللاذقية وجبلة، وكانت ولايتها سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م لإسحاق بن يوسف الفصيصي وأخيه إبراهيم[٥]، ولكشاجم قصائد يمدح فيها بعض رجالهم[٦]، ويذكر ابن العديم أن والي حلب طريف بن عبد الله السبكري غلام مؤنس المظفر تولى محاربة بني الفصيص عند ولايته عليها سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، فحاصرهم في حصونهم باللاذقية وغيرها وحاربوه بكل شدة إلى أن نفد جميع ما كان عندهم من الماء والغذاء فنزلوا على الأمان فأكرمهم طريف ودخلوا معه حلب مكرمين[٧].

جند قنسرين في دولة بني طولون (٢٦٤ ــ ٢٩٢هـ/ ٨٧٨ ــ ٩٠٤م):

عانى جند قنسرين وأهله، كما بقية أقاليم الدولة، من اضطراب الحالة العامة التي سبقت قيام الدولة الطولونية، ولخّص ابن الأثير هذه المعاناة وأسبابها بقوله: "كان الناس في البلاد التي تحت حكم

---

(١) ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٢٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١
(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٠
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٧٤، ١٣٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٨
(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٠٧
(٥) همام التنوخي، تاريخه ص ٩٨
(٦) ديوانه كشاجم، محمود بن الحسين الكاتب (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، ديوانه، (تحقيق) مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٦٢ ــ ١٦٥، ١٦٩، وسيشار له فيما بعد: كشاجم، ديوانه.
(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٨٢

الخليفة جميعها في شدة عظيمة بتغلب القواد وأمراء الأجناد على الأمر وقلة المراقبة والأمن من إنكار ما يأتونه ويفعلونه لاشتغال الموفق بقتال صاحب الزنج ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك"(١).

ونتيجة لعجز الدولة عن مدافعة الروم في الثغور الشامية، وانشغالها بالصراع مع الصفاريين في مشرق الدولة (خراسان وسجستان ونيسابور والأهواز)، ومحاربة الزنج التي أشغلت الدولة مدة ١٥ عاماً، ومحاولة إخماد الفتن الداخلية، فقد وجد الخليفة المعتمد في أحمد بن طولون المستقل بمصر القدرة على حماية الشام والثغور فعقد له عليها سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م(٢).

كان ابن طولون شديد الرغبة في ولاية جند قنسرين والثغور، إذ كان مرباه في طرسوس يجاهد منها ويلازم النساك والعباد(٣)، وكان قد "أدمن الغزو بطرسوس قبل ولايته لمصر" وطلب من الموفق أخي المعتمد أن يوليه الثغور ليغزو منها فلم يجبه لذلك(٤)، فحدث بينهما خلاف كبير ووحشة مستحكمة(٥)، واستغل المعتمد انشغال أخيه الموفق بمحاربة الزنج فعقد لابن طولون على الشام أجمعه سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م(٦) "ليقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر"(٧)، فتوجه من مصر سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م ــ بنية الغزو والجهاد ــ في عساكر كثيرة وانضم لحملته عدد كبير من المطوعة الذين لاقاهم في طريقه، ووصل إلى دمشق فأخذ جميع ما في خزائنها واتجه شمالاً إلى حمص ومنها إلى جند قنسرين فتنقل في نواحيه(٨)، وقابله ولاة الأجناد وعمال المدن بالطاعة فأقرهم على أقطاعهم وأعمالهم(٩)، باستثناء سيما الطويل، أحد قادة بني العباس والوالي على جند قنسرين من قبل الموفق، فحاصره ابن طولون في أنطاكية وتمكن من التغلب عليه وقتله في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م(١٠)،

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٣٦، وانظر: ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٨
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٦
(٣) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٣٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٦٨
(٤) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٨
(٥) ابن ظافر الأزدي، علي بن منصور (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، (تحقيق) عصام هزايمة وآخرين، ٢ج، مؤسسة حمادة ودار الكندي، إربد، ١٩٩٩م، ج٢، ص ١٢٤، وسيشار له فيما بعد: ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٥، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٥، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٢٦، ١٥٢، ١٥٩
(٦) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة ج٢، ص ١٢٢، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٨
(٧) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٩
(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٠، الكندي، الولاة ص ٢٤٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨
(٩) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٢ ــ ٩٣، الكندي، الولاة ص ٢٤٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٦، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٨
(١٠) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٣، المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٠، البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٤ ــ ٩٧، الكندي، الولاة ص ٢٤٦، العظيمي، تاريخ حلب ٢٦٥، ابن عساكر، تاريخ ج٧١، ص ٢١٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٥، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٨، ١٥٣

وامتنع عليه أيضاً يازمان الخادم العامل على طرسوس لتمسك أهلها به فأبقى عليه[١].

وكان قدوم ابن طولون لجند قنسرين بمثابة المخلص لأهله من الأذى الذي تسبب به سيما الطويل، إذ كان المعتمد قد عقد لأخيه أبي أحمد الملقب بالموفق على حلب وقنسرين والعواصم، في سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م[٢]، فولى أبو أحمد الموفق سيما الطويل حلب والعواصم. وكان سيما سيئ السيرة مع أهل الجند[٣]، فعمّ أذاه أهل البلد من قتْل وأخذ مال[٤]، ولم يسلم من أذاه حتى أبناء البيت العباسي من ولد صالح بن علي المقيمين في جند قنسرين، واستولى على أملاكهم، وأودع بعضهم السجن[٥]، وقبض على الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح فدفنه مع ابنه في صندوق وهما أحياء[٦]، فكاتب أهل أنطاكية ابن طولون ودلوه على أيسر الطرق لإخضاعه[٧].

ثم اضطر ابن طولون المغادرة إلى مصر قبل أن يغزو الروم، وذلك سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م لما بلغه عن ابنه العباس ــ الذي استخلفه على مصر ــ من العصيان والانقلاب عليه، فخشي ضياع مصر من يده[٨]، وترك ابن طولون مملوكه لؤلؤ الخادم والياً على حمص وقنسرين وحلب وديار مضر من الجزيرة[٩].

وفي آخر سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م خرج على الخليفة العباسي المعتمد وعلى ابن طولون في الشام أحد أحفاد عبد الملك بن صالح الهاشمي، ويدعى بكّار العباسي الصالحي، ودعا إلى أبي أحمد الموفق، أخي الخليفة، وكانت المنطقة التي خرج فيها تشمل وسط وجنوب جند قنسرين، وتمتد بين حلب وسلمية وحمص[١٠]، فتولى لؤلؤ الخادم عامل ابن طولون محاربته، فأرسل إليه قوة عسكرية بقيادة محمد بن العباس الكلابي، واستطاع بكار هزيمته، فأعاد لؤلؤ إرسال قوة أخرى تتكون من

---

(١) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢١، الكندي، الولاة ص ٢٥١
(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٤٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٥٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٣
(٣) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧
(٤) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٠
(٥) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٥
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٣٠
(٧) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٥، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٨
(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٠، الكندي، الولاة ٢٤٧، ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص٩٣، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة ج٢، ص١٢٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧، ٣٢٤ــ، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٩
(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٦، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٢٨
(١٠) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٢٧، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٦

جيش كثيف عليها أحد قواده ويدعى بودن[١]، ففشلت الحملة وعاد القائد وقد خسر معظم جيشه[٢]، ويذكر العظيمي وابن العديم أن لؤلؤ تمكن من الظفر به والقبض عليه، دون أن يفصلا كيفيه وقوع ذلك أو يحددا زمنه[٣]. لكن تاريخ القبض عليه لا يتجاوز سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م لأن لؤلؤ الخادم خرج في هذه السنة على مولاه ابن طولون ودعا للموفق[٤].

ولا تسعف المصادر في تلمس سبب فشل حركة بكار وسرعة إخمادها بالرغم من تمكنه من صد حملتين كبيرتين أرسلهما لؤلؤ لمحاربته، ويبدو أن دوافع خروج بكار ودعوته لأخي الخليفة ترتبط بضعف الخليفة وانشغاله باللهو والعبث، بينما كانت الدولة تعاني من الاضطراب وكثرة الفتن والثورات، وبكار من أفراد البيت العباسي، يهمه عدم زوال ملكهم بضعف الخليفة وانشغاله عن الحكم، ولعله دعا للموفق بطلب ومراسلة من الموفق نفسه، إذ تمكن الموفق من التضييق على أخيه الخليفة المعتمد، الذي لم يكن له من الخلافة إلا اسمها[٥]، ففكر سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م بالهرب إلى ابن طولون بمصر فاكتشف الموفق ذلك وقبض عليه ومن معه وحمله مقيداً إلى سامراء[٦]، وتمكن أيضاً ــ في سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م ــ من استمالة لؤلؤ عامل ابن طولون، فأظهر الخلاف على مولاه وانضم إلى عدوه السابق أبي أحمد الموفق[٧]، والتحق به في محاربة الزنج[٨] في جنوب العراق.

- **الفتن في طرسوس (الأولى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، والثانية سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):**

لقد تأثر جند قنسرين بالأحداث التي رافقت استقلال ابن طولون بالشام، وبحركة بكار الصالحي التي أفنت الجيش الذي دُفع لمحاربته، وتأثر الجند أيضاً بعصيان عامل الشام لؤلؤ على مولاه وانضمامه إلى الموفق، فانتهب بالس وأسر سعيداً وأخاه محمد ابنا العباس بن سعيد الكلابي[٩].

ويلفت النظر موقف أهل طرسوس ــ أكبر مدينة ثغرية في مواجهة الروم ــ من كل الأحداث

---

(١) هكذا ورد اسمه عند الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١١، وسماه ابن الأثير (الكامل ج٧، ص ٣٧٢): يوذر، وفي نسخه الأخرى: بودر، يوذن، وابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٦: أبو ذر

(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٧٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٦

(٣) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٦

(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٧٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥١

(٥) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٤، ٤٥٥، ابن العبري، تاريخ مختصر ١٤٨، ابن خلدون العبر ج٦، ص ١٤٥

(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٢٠ ــ ٦٢١، الكندي، الولاة ص ٢٥١، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق ١، ص ٥٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٥، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٩، ١٥٨

(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١١، ابن عساكر، تاريخ ج٧١، ص ٢١٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٧٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥١، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٢٨، ١٥٨

(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١٤، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق ١، ص٥٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٧، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٢٨، ١٥٨

(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١٤، ٦٥٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٩٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥١

التي مر بها الجند، ومحاولة إبداء رأيهم وموقفهم سواء من الخلافة العباسية أو من ابن طولون المتغلب على الشام ومن عماله، فلأول قدوم ابن طولون إلى الشام سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م تمسك أهل طرسوس بعاملهم يازمان[١]، واضطر ابن طولون إلى إبقائه والياً عليهم، واستمر موقفهم المتقلب تجاه الولاة، ووصفهم البلوي ــ المُنحاز لبني طولون ــ بأن فيهم غلظة أهل الثغر[٢]، وتعرضت طرسوس لفتنة كبيرة أرخها الطبري في جمادى الأولى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م ووصفها "بالملحمة"، وجعلها ابن زولاق وابن الأثير سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، وتحديد الطبري لزمن وقوعها هو الأقرب، وبينهما في الرواية بون واسع.

وفي مقدمات الفتنة فإن خمارويه بن أحمد بن طولون استطاع سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م استمالة الوالي على طرسوس يازمان فدعا له على المنابر بطرسوس[٣]، بعد أن امتنع من قبل على طاعة أبيه أحمد بن طولون[٤]، وغزا يازمان سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م صحبة أحمد بن طغان العُجيفي، وتوفي في طريقه من شظية حجر منجنيق أصابته، واستخلف العجيفي على الثغور فأقره خمارويه ومده بالسلاح والمال، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه محمد بن موسى بن طولون المعروف بالأعرج[٥].

ولما توفي الموفق سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م أراد أحد خدامه واسمه راغب التنسك والإقامة بالثغر للجهاد، فأذن له المعتضد بذلك، وسار نحو جند قنسرين. وعند وصوله إلى حلب التقاه أمير دمشق طغج بن جف وأعلمه أن خمارويه بن أحمد يحب لقاءه، فخرج راغب من حلب متوجهاً إلى مصر، وأرسل متاعه ودوابه مع خادمه مكنون إلى طرسوس. فكتب طغج إلى الوالي على طرسوس محمد بن موسى بن طولون الأعرج يعلمه بأنه أرسل راغب إلى مصر، وأن كل ما معه من مال وسلاح وغلمان متوجه مع غلامه مكنون إلى طرسوس، وطلب منه أن يقبض على مكنون عند وصوله، فلما وصل مكنون وثب به الأعرج وقبض عليه. وتنبه أهل طرسوس للحيلة فوثبوا بالأعرج وقبضوا عليه وحبسوه، وجعلوا الموكل بحبسه مكنون. وكتبوا إلى خمارويه بن أحمد يعلمونه بما فعل الأعرج وأنهم حبسوه، وقالوا له: اطلق راغباً وارسله إلينا حتى نطلق الأعرج، فأطلقه خمارويه وأنفذه إلى طرسوس وأنفذ معه أحمد بن طغان العجيفي وجعله والياً على الثغور وعزل عنهم الأعرج، فلما وصل راغب إلى طرسوس أُطلق محمد بن موسى الأعرج ودخل طرسوس أحمد بن طغان والياً عليها وعلى

(١) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢١، الكندي، الولاة ص ٢٥١
(٢) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٧
(٣) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٨، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٣٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٧٠
(٤) ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٣٩
(٥) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٤٩، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٣٩ ــ ١٤٠

الثغور ومعه راغب يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ٢٧٩هـ/ تشرين الأول ٨٩٢م[١].

أما رواية ابن زولاق وابن الأثير ــ وتابعهما فيها ابن خلدون ــ فتشير إلى سوء فهم من قبل أهل طرسوس، وأن ما حدث مع راغب يخالف ظنهم، وهو أن راغب عند وصوله إلى الشام أرسل ما معه من دواب ومتاع إلى طرسوس، وذهب لزيارة خمارويه بدمشق ــ وليس بمصر كما تشير رواية الطبري ــ ليعلمه بما عزم عليه من المقام بالثغر، فلقيه بدمشق وأكرمه خمارويه وحصلت بينهما مودة ومحبة وأنس، واستحيا راغب أن يطلب الرحيل إلى طرسوس، فطالت إقامته بدمشق، وظن أصحاب راغب أنه محبوس عند خمارويه، وأذاعوا ذلك بين الناس، فاستبشعوه "يعمدُ إلى رجل قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه"، ثم شغبوا على أمير طرسوس الأعرج، ابن عم خمارويه، ونهبوا داره وتعرضوا لحرمه، وحبسوه ليقايضوا به راغب، فلما علم خمارويه بهذا أطلع راغب عليه وأذن له في المسير إلى طرسوس، فوصلها وأطلق الأمير المحبوس، الذي خاطب أهل طرسوس بقوله: "قبح الله جواركم" ورحل عنهم إلى القدس[٢].

وليس ثمة كبير فائدة في محاولة إثبات أي الروايتين أدق وأوجه، لكن التدقيق يجب أن ينصرف لبيان مدى قوة هذه الفتنة وأثارها، ويبدو من متابعة تفاصيلها أنها لا ترقى إلى مستوى الفتنة، فضلاً عما وصفها به الطبري من أنها "ملحمة"، إذ لم تكن وقائعها بين جماعتين فيكون فيها القتل والنهب، سوى ما تعرض له أمير طرسوس وأهله، كما أن أمدها قصير لم يتجاوز ثلاثة أشهر بين وقوعها حتى عودة راغب إلى طرسوس وافتكاكه للأمير المحبوس.

ثم تكررت الفتنة في طرسوس بعد ذلك في صفر سنة ٢٨٤هـ/ آذار ٨٩٧م، وكان سببها بداية ضعف دولة بني طولون في مقابل بروز قوة الخليفة ومحاولته ضبط الأمور، وبالتالي انقسام العمال والولاة في تبعيتهم وطاعتهم بين الخليفة المعتضد وهارون بن خمارويه، وكان أحد أطراف هذه الحادثة راغب مولى الموفق الذي ترك الدعاء لخمارويه بن أحمد ودعا لبدر مولى المعتضد واستبد بأمر طرسوس، فوقع الخلاف بينه وبين أحمد بن طغان العجيفي، أحد قادة بني طولون، والذي قدم لطرسوس في شعبان سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م[٣] ليتولى أمر الفداء بين المسلمين والروم، فلما أتم ابن طغان عملية الفداء لم يعد إلى طرسوس بل ركب البحر متوجهاً إلى مصر، وخلّف وراءه دميانة ــ مولى يازمان ــ للقيام بأمر طرسوس، ثم أرسل ابن طغان في صفر ٢٨٤هـ/ آذار ٨٩٧م يوسف بن

---

(١) الطبري، المصدر نفسه ج١٠، ص ٢٨ ــ ٢٩

(٢) ابن زولاق، سيرة خمارويه ص ٢١٨ ــ ٢١٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٥٠، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٣٩ــ ١٤٠

(٣) أرّخ ابن الأزهر هذا الفداء في سنة ٢٨٢هـ، انظر: كتاب الأحداث ص ٢٩

إبراهيم بن الباغمردي ليخلفه على طرسوس، فلما دخلها وقوي به دميانة كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء لبدر مولى المعتضد، فوقعت بينهم الفتنة، وتمكن راغب من القبض على دميانة وابن الباغمردي ومعهما آخر يدعى ابن اليتيم فأرسلهم مقيدين إلى المعتضد[١].

وهذه الحادثة التي وصفها الطبري أيضاً بـــ "الملحمة" لا يبدو أنها ترقى للفتنة، ولم تذكر المصادر تفاصيل ما وقع بين أطرافها، أو تقدم ما يشير إلى مشاركة أهالي طرسوس في الانحياز إلى أحد الجانبين.

- **محاولة ابن أبي الساج التغلب على الثغور بموطأة مولاه وصيف سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م:**

مرَّ جند قنسرين ـــ كما بقية أقاليم الدولة ـــ بفترة هدوء نسبي في عهد المعتضد بالله، بعد أن تمكن سلفه (والده الموفق وعمه الخليفة المعتمد)، من القضاء على حركة الزنج وهزيمة يعقوب الصفار، إذ لما بويع بالخلافة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م "سكنت الفتن، وصلحت البلدان، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار، وهدأ الهرج، وسالمه كل مخالف، وكان مُظَفَّراً قد دانت له الأمور، وانفتح له الشرق والغرب، وأديل له في أكثر المخالفين عليه والمُنَابذين له"[٢]. وتمكن المعتضدُ من القضاء على بعض المحاولات الإنفصالية بحكمة واقتدار، حتى لقب بالسفاح الثاني[٣]. واستطاع أن يحوّل علاقة العداء بين الخلافة والطولونيين إلى علاقة ود وتفاهم، فاستمال خمارويه بن أحمد بن طولون ووطد العلاقة معه وأفضى الأمر إلى زواج المعتضد من قطر الندى ابنة خمارويه سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م[٤].

وكانت إحدى هذه المحاولات، محاولة محمد ابن أبي الساج الذي تغلب في سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م على أذربيجان وأرمينية، فاضطر المعتضد توليته إياها، وتواطأ مع غلامه وصيف في أن يطلب من الخليفة توليته الثغور ليقوم ـــ بعد ذلك ـــ بتسليمها لابن أبي الساج، وأن يظهر وصيف صفة الهروب من عند مولاه ابن أبي الساج ليزيل الشك والريبة، فتمكن المعتضد من كشف المؤامرة والتدبير، ويذكر التنوخي أن المعتضد خرج من بغداد مسرعاً حتى أنه لم يتسن له تغيير

---

(١) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٤٦، ٥١، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٤، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٨٤

(٢) المسعودي، مروج ج٥، ص١٣٧، وانظر قريباً من هذه عند ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٧٢

(٣) الصولي، الأوراق (قطعه منه) ص ٤٢١، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ج١، ص ٤٥٢، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٦، ص ٤٢٩

(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٤٠، الصولي، الأوراق (قطعة منه) ص ٤٢١، ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٧٢، مسكويه، تجارب الأمم ج٤، ص٣٦٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٧٣، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٠، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩١، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٣٢٢

ثيابه الصفراء إلى ملابس سواده، وأنه حلف بأن لا يغيرها حتى يقبض على وصيف[١]، ولكن تتبع التفاصيل يظهر خلاف ذلك، إذ إن خروج وصيف إلى الثغور كان في آخر جمادى الأولى سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، واكتشاف المؤامرة كان في ١٠ رجب، وكان خروج المعتضد من بغداد في طلبه في ١١ شوال من السنة ذاتها، أي أن خروجه كان بعد اكتشاف المؤامرة بنحو ثلاثة أشهر، وربما كان تأخره في المسير بسبب وفاة زوجته قطر الندى بنت خمارويه إضافة لانشغاله بحرب القرامطة في البحرين بزعامة أبي سعيد الجنابي[٢].

وفي تفاصيل رحلته إلى الثغور لملاحقة وصيف أنه سار سريعاً وبسرية تامة حتى لا يتنبه وصيف لذلك[٣]، ووصل إلى الكنيسة السوداء شرقي نهر جيحان يوم ١٤ ذي القعدة، وانتظر فيها ثلاثة أيام حتى تكتمل الحملة العسكرية، وفكر في تتبع وصيف بنواحي المصيصة، لكن عيونه أخبروه بعزم وصيف على الذهاب إلى عين زربة والدخول منها إلى بلاد الروم[٤]، وعين زربة تقع في منتصف الطريق بين الكنيسة السوداء والمصيصة غربي نهر جيحان، وسأل أهل الخبرة من أهل الثغور عن أقصر الطرق إليها، فأشاروا عليه الانحدار بواسطة نهر جيحان، فأرسل سريعاً قادته ومن معهم وسار هو في أثرهم، فأدركوا وصيف بها وتم أسره ومَن معه[٥] ونقلوا إلى بغداد وطيف بهم على الجمال[٦].

وبعد أن انتهى المعتضد من أمر وصيف وقام بإرساله مقيدا إلى بغداد، أرسل إلى الوجوه والرؤساء من أهل طرسوس، منهم أحد رؤساء طرسوس ويدعى ابن النُّغيل ومعه ابنه، وآخر يقال له ابن المهندس[٧]، وأبا إسحاق إمام جامع طرسوس، وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذَنَة[٨] وغيرهم من القادة البحريين والزعماء والوجوه، فحبس بعضهم لما بلغه من مكاتبتهم وصيف والتعاون معه، وأخذهم معه إلى بغداد[٩].

---

(١) التنوخي، القاضي المحسن بن علي أبو علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (تحقيق) عبود الشالجي، ط٢، ٨مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م. ج٢، ص ٢٤٨

(٢) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٧٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٨

(٣) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨

(٤) االطبري، تاريخ ج١٠، ص ٧٩، المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، همام التنوخي، تاريخه ص ٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٨، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٨٥

(٥) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٨

(٦) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٩

(٧) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٠، المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٩

(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص١٩٦

(٩) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٠، المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٨، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ١٨٥

ويخلص الباحث للقول بأن جند قنسرين بشكل خاص وأجناد بلاد الشام بشكل عام لم تشهد ثورات وفتن بالقدر الذي وصف به أهل الشام من أنهم أهل فتن وثورات، ومن خلال إحصاء بسيط يتتبع حالات الانتقاض والخروج والثورة في مصدرين حوليين فقط (الطبري وابن الأثير) يظهر أن أغلب الثورات في العصر الأول كانت في المشرق الإسلامي تليها الجزيرة، وفي العصر العباسي الثاني كانت موزعة بين المشرق الإسلامي والعراق، حسب الآتي:

	الشام	الجزيرة	العراق	الجزيرة العربية	اليمن	أذربيجان وأرمينية وما وراء النهر حتى السند	مصر
العباسي ١	١١	١٨	٩	٥	٣	٤٤	٥
العباسي ٢	١٤	٦	٢٠	٦	ــ	١٨	٨

وكان توزيع حركات الخروج في بلاد الشام على أجناده كما يلي:

	ج. دمشق	ج.الأردن	ج. فلسطين	ج. حمص	ج. قنسرين
العباسي ١	٤	ــ	٢	١	٤
العباسي ٢	٣	ــ	٢	٧	٢

لكن الثورات والفتن في بلاد الشام أخذت طابعها الإسطوري والقصصي لارتباط أغلبها بالنزاع القائم بين القيسية واليمنية، وأيضاً بانتقال سلطة الخلافة منها إلى بغداد. ومع ذلك فإن جند قنسرين تأثر بالأحداث التي طالت بلاد الشام، وكان أكثر تأثراً بأحداث الجزيرة التي كانت بحكم القرب والوحدة شبه الإدارية التي تجمع الإقليمين، حتى انتهى أمر الجند في يد سيف الدولة ابن حمدان في سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م(١).

وباستثناء حالات التمرد التي نشبت أثناء الفتنة بين الأخوين، وكانت شاملة لأقاليم الدولة عامة ومن ضمنها أجناد الشام، فإن جند قنسرين يبدو من أقل أجناد الشام إثارة للفتن والثورات، ولا يمكن مقارنته بثورات أهل جند حمص الذين شكلت حالات ثورتهم ووثوبهم بالولاة ظاهرة ملفتة، وهم يمانية نزاعون إلى الثورة(٢).

فالأحداث التي مر بها جند قنسرين بشكل خاص وبلاد الشام عامة خلال العصر العباسي الثاني لا تظهر قيام فتن وثورات كثيرة مقارنة بالعصر الأول، وهنا ثمة أمرٌ يستدعي التوقف والنظر، يتصل بحركة المجتمع وزعاماته تجاه السلطة المركزية، فعندما كانت الدولة العباسية في أزهى عصورها وأشدها قوة ومنعة شهد جند قنسرين العديد من الثورات والحركات المناوئة للدولة،

(١) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٤٤٥، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٦٦
(٢) زكرياء، جولة أثرية ص ٣٢١

وطال أمد بعضها سنين طويلة، واتسعت مساحتها لتشمل مناطق عديدة من الجند، فأعجزت الدولة وأشغلتها واستنزفت بعضاً من ميزانيتها، لكن عندما اختل أمر الدولة وبدأ يظهر فيها الضعف والخلل، وكثُرت الاضطرابات وحركات الاستقلال في أقاليم الدولة لم نجد لجند قنسرين وأهله تحركاً أو موقفاً معادياً لها.

خامساً: دور جند قنسرين في الصراع الإسلامي البيزنطي:

لا يهدف البحث إلى تناول العلاقة التي ربطت الدولة العباسية بدولة الروم إلا في الجوانب التي تتصل بجند قنسرين، إذ إن هذه العلاقة واسعة وممتدة، ولا يستوفيها مبحث واحد، وقد تأثر جند قنسرين بهذه العلاقة في وقت السلم ووقت الحرب، فهو يمثل الواجهة الشمالية للدولة الإسلامية في مقابلة الروم، كما أن طريق الصوائف والشواتي والحملات التأديبية العارضة كانت تمر من خلاله، فتميز عن بقية أجناد الشام بطابعه العسكري والعمراني، والجوانب التي تلامس جند قنسرين هي: الحملات العسكرية (صوائف وشواتي)، التي عبرت الجند أو انطلقت منه، وردود الروم عليها، والهدن والأفدية التي تخللتها.

العلاقات الحربية البرية:

وقد سميت هذه الغزوات بحسب وقت إرسالها: ربيعية وصائفة وشاتية، ووضع قدامة الإطار الزمني لهذه الغزوات، **فالربيعية** عادة ما تكون في العاشر من أيار (شهر ٥) بعد أن تكون الدواب والخيول قد أربعت وسمنت وقويت فتستمر ٣٠ يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران (شهر ٦) حيث يكون الربيع والمرعى وافراً في بلد الروم، ثم يعودون إلى موطنهم فيقيمون مدة ٢٥ يوماً وهي بقية حزيران وخمسة أيام من شهر تموز (شهر ٧) حتى يستريحون وتقوى الدواب ويجتمع الناس لغزو **الصائفة** ثم يغزون في ١٠ تموز ويمضون فيها ٦٠ يوماً. أما **الشواتي** فلا تكون إلا في حالات الضرورة، وإن كان لا بد منها فنطاقها محدود "مما لا يبعد فيه ولا يوغل وتكون مسيرة ٢٠ ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره"، وموعد خروجها ــ عادة ــ في آخر شباط (شهر ٢) حتى مطلع آذار (شهر ٣)[١].

ومن بين هذه الأصناف الثلاثة، كان العباسيون يكثرون من الصوائف، بينما لم يرد إرسال ربيعيات، وكانت شواتيهم ــ بعكس بني أمية خصوصاً في عهد معاوية[٢] ــ محدودة لم تتجاوز خمس حالات خلال فترة الدراسة، الأولى في عهد المهدي سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م، ولم يصرح الأزدي

(١) قدامة، الخراج ص ١٩٢ ــ ١٩٣

(٢) انظر عن الشواتي في عهد معاوية عند ابن خياط، تاريخ ص ٢٠٣ ــ ٢٢٧

بأنها شاتية لكن الباحث يقدر ذلك لأنها جاءت رداً سريعاً على مهاجمة الروم لمدينة الحدث في شهر كانون[١]، والثانية: شاتية في عهد الرشيد أرخها ابن خياط سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م[٢] وجعلها الطبري سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م[٣]، والشاتية الثالثة كانت في عهد الواثق سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م[٤]، والرابعة في عهد المستعين سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م[٥]، والخامسة أرسلت سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م في عهد المقتدر معونة لوالي طرسوس على الصائفة فلم يتيسر لهم الغزو فغزوها شاتية[٦]، وقد عانت هذه الحملات من البرد الشديد ومات في بعضها عدد من المقاتلة.

استغل الروم الظروف التي رافقت قيام دولة بني العباس وانقسام أقاليم الدولة بين التبييض والتسويد، خصوصاً في الجزيرة والشام التي "كانت مفتونة"[٧]، فجيّش ملك الروم قسطنطين الخامس ابن أليون حملة في السنة الثانية من حكم بني العباس (١٣٣هـ/ ٧٥١م) وقادها بنفسه ونازل بها شمال جند قنسرين، فهاجم أولاً كمخ بين ملطية وزبطرة، فاستنجد أهلها بأهل ملطية، فسار إليهم منها ٨٠٠ مقاتل، تصدى لهم الرومُ وهزموهم[٨]، وبعد أن استبقى قسطنطين حامية في كمخ[٩] اتجهت أنظاره إلى ملطية فحاصرها[١٠]، وأرسل إلى أهلها: "إني لم أحصركم إلا على علم من المسلمين واختلافهم، فلكم الأمان وتعودون إلى بلاد المسلمين حتى أحترث ملطية"[١١]. فلم يستجيبوا له، فنصب عليها المجانيق، حتى أذعنوا وسلّموا له المدينة على الأمان وانتقلوا إلى الجزيرة حاملين ما أمكنهم حمله، وما لم يقدروا على حمله ألقوه في الآبار والمجاري. فلما ساروا عنها أخربها الروم ورحلوا عنها عائدين، وطال الخراب المدينة ومسجدها الجامع وسورها ودار الإمارة[١٢].

ولم يكن رد الدولة على هذا الهجوم مكافئاً طيلة عهد السفاح، ففي ذات السنة (١٣٣هـ/ ٧٥١م)

---

(١) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٣
(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٥٠
(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٤٥
(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ١٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٩
(٥) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٠
(٦) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٤٩، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٩، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٨٦، ٩٠
(٧) ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، الحميري، الروض ص ٥٤٥
(٨) ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٥٩
(٩) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٨
(١٠) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٨، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٣، ٥٩٠ Theophanes, The Chronicle, p
(١١) ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٦٠
(١٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٠، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٢، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، ٤٨٦، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٨، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٣، الحميري، الروض ص ٥٤٥

تم إرسال حملة عليها محمد بن النضر الحميري، لم تتعد في مسيرها حصن طوانة[١] الواقع شمال المصيصة، ويذكر الطبري إرسال صالح بن علي صائفة في ذات السنة بقيادة سعيد بن عبد الله[٢]، ولم يبين تفاصيلها أو نتيجتها، ولعل هاتين الحملتين كانتا لطرد الروم وإثباتاً للوجود، ولم يرد في السنوات الثلاث التالية أي تحرك من قبل العباسيين تجاه الروم، حتى كتب أبو العباس السفاح في سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م إلى عبد الله بن علي "يأمره بضرب البعوث"، فجهز حملة من أهل خراسان والشام والجزيرة والموصل، لم تكد تخرج وتصل إلى دلوك حتى جاء الخبر بوفاة السفاح فعاد عبد الله بن علي أدراجه مطالباً بالخلافة[٣]، وابن خياط والبلاذري يذكران أنه لم يبرح دابق ولم يدرب[٤].

أما في عهد المنصور الذي حكم نحو ٢٢ سنة، فقد اهتم بإرسال الصوائف باستثناء عدة سنوات، هي: السنة الأولى لحكمه (١٣٧هـ/ ٧٥٤م) التي انشغل فيها بمحاربة سنباذ الخارج بخراسان مطالباً بدم أبي مسلم الخراساني، وأيضاً في المدة من ١٤١هـ/ ٧٥٨م حتى ١٤٥هـ/ ٧٦٢م لانشغاله بأمر ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي[٥]، مع أن ابن خياط يذكر توجيه صالح بن علي لعيسى بن كثير النقاش للغزو في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م[٦]، ولم ترسل صائفة في سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م[٧]، وفشلت صائفة سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م وأبيد جيش المسلمين فلم يرجع منه سوى خمسة أو ستة آلاف من أصل خمسين ألفاً، نتيجة المرض الذي أصابهم بتناول الثمار قبل أوان نضجها[٨]، وعدم معرفتهم بالطرق في غياب دليل يرشدهم فضلوا الطريق وأصابهم جوع وعطش شديد[٩]، ولعل نتيجة هذا السبب هو الذي حال دون إرسال صائفة في سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[١٠]، وأدى إلى استقواء الروم في سنة ١٥١هـ ومهاجمتهم حصن شمشاط ونهبه وإحراقه وهدمه[١١]. أما بقية الصوائف التي وقعت في عهد المنصور، فلم تكن ذات تأثير كبير، ولم تزد المصادر في ذكر نتائجها عن وصف

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٠ ووردت عنده: طوالة من أرض الروم
(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٦٠
(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١١٩، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٧٣ــ ٤٧٤، ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٦١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٦٢، ٤٦٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٧
(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤١١، البلاذري، أنساب الأشراف ج٤، ص ٢٥٠
(٥) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٠٠، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٨
(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤٢١
(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٨٩
(٨) الزوقنيني، تاريخ ص ١٢٥
(٩) الزوقنيني، تاريخ صه ١٢٣ ــ ١٢٩ وفيه وصف دقيق للحملة، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٨، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢١١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٨٠٥
(١٠) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٩٤
(١١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٣

متولي الصائفة بأنه: قتل وسبى وغنم وقفل راجعاً. ولم يكن طلب قسطنطين الخامس ملك الروم في سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م الصلح من المنصور على أن يؤدي له الجزية[١] ناتجاً عن نكاية حملات المنصور في الروم، بل ارتبط بظروف الحرب المشتعلة شمالاً بين الروم والبلغار، والتي ازدادت حدتها بعد أن تولى عرش البلغار الملك تلريج Telerig وأعاد توحيد صفوف البلغار وبدأ يشن حملات وحروب طاحنة قابلها قسطنطين بمواجهة قوية استمرت حتى وفاته في إحدى معاركها سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥م[٢]، فكان طلبه للصلح من المنصور ليتفرغ لحروبه في الواجهة الشمالية.

ودخل الصراع مرحلة جديدة بتولي المهدي الحكم، حيث أصبحت فيه الغزوات أكثر جدية وأكثر أثراً في الروم، وكان المنصور قبل وفاته قد أوصى ابنه المهدي بجهاد العدو ومنازلتهم "وليكن أهم أمورك إليك تحفّظ أطرافك، وسدّ ثغورك، وإكماش بعوثك، وارْغب إلى الله في الجهاد، والمحاماة عن دينه"[٣]. كما أن ملك الروم الذي اعتلى عرش المملكة كان جديداً إذ توفي قسطنطين ملك الروم في أيلول ١٥٨هـ/ ٧٧٥م بعد وفاة أبي جعفر المنصور بـــ ٢٥ يوماً[٤]، فخلفه على الحكم ابنه أليون (ليو الرابع) فحكم مدة خمس سنوات[٥].

بدأ المهدي في أول ثلاث سنوات من حكمه بتسيير الصوائف إلى بلاد الروم، لكنها كانت غزوات عادية لم ينتج عنها سوى السبي والقتل، وكان على صائفة سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م عمه العباس بن محمد أخو المنصور[٦]، وعلى التي تلتها سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م ثمامة بن الوليد العبسي[٧]، وأرسل على مدى سنتين (١٦٠هـ/ ٧٧٧م و١٦١هـ/ ٧٧٨م) حملتين بحريتين لغزو الروم في بحر الشام عليهما الغمر بن العباس الخثعمي[٨]، وكان على صائفة سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م ثمامة العبسي الذي قام بتجمير المقاتلة بدابق وأتته الأخبار بقدوم جيوش الروم فلم يحفل بها، مستهيناً بجموعهم التي قدرها ابن الأثير بثمانين ألف مقاتل[٩]، وقدرها ثيوفانس بمائة ألف مقاتل[١٠]، بقيادة ميخائيل البطريق، فسار البطريق على درب الحدث متجهاً نحو مرعش، يقتل ويحرق ويدمر كل القرى التي مر بها،

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥
(٢) عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٠٦ـــ
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٥
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢١
(٥) المسعودي، التنبيه ص ١٦٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٨، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٣
(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤٢٩، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١١٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٥، ٨٧٤
(٧) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٠، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٦
(٨) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢٩، ١٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٦، ٥٥
(٩) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٥

(١٠)Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٣

ووصل مرعش وفيها عيسى بن علي مرابطاً، فخرج إليه سالم البرنسي فقاتله ولم يستطع هزيمته، ثم اتجه البطريق إلى جيحان فبعث ثمامة بن الوليد ملالة بن حكمة لمطاردة ميخائيل فلحقه بالدرب، وانهزم عسكر المسلمين، وقتل منهم الكثير ــ ٢٠٠٠ رجل حسب ثيوفانس ــ وأصيب ملالة وأصحابه[١].

ونتيجة لهذه الهزائم بدأ المهدي التفكير بشكل جدي لمقارعة الروم، فاستبعد ثمامة عن الصوائف ولم يرد ذكره فيما بعد، واستبدله بالحسن بن قحطبة الطائي وهو قائد له سوابق في النكاية في الأعداء حتى أسماه الروم "التنين"[٢] لشدة فتكه بهم، وظهر أثره سريعاً حيث كان الروم قد استغلوا حلول الشتاء وشدة البرد في الثغور الشامية فهاجموا مدينة الحدث سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م وهدموا سورها[٣]، وحدد الأزدي تاريخ هجومهم في شهر كانون، أي وقت البرد، ومع ذلك فإن رد المسلمين كان سريعاً، إذ "غزا الحسن بن قحطبة الطائي في ثمانين ألفاً سوى المتطوعة فدخل بلد الروم وأكثر التخريب والحريق والقتل والسبي وبلغ في غزاته هذه عمورية"[٤].

ثم أخذ المهدي يشرف بنفسه على تجهيز البعوث، ففي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م كان مقيماً بحلب يجهز منها البعوث لغزو الروم، وكانت غزوة عظمى أمَّر عليها ولده هارون ولم يتجاوز عمره ١٥ سنة، وشيّعه حتى دخل درب الروم، وضم إليه جماعة من القواد منهم: الحسن بن قحطبة، وخالد بن برمك فافتتح المسلمون فيها فتحاً كبيراً[٥]، تزامن مع وفاة ملك الروم ليو الرابع[٦]. وفي سنة ١٦٤هـ/ ٧٨١م كاد المهدي أن يضرب عنق قائد الصائفة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الذي فشل في مواجهة جيش ميخائيل البطريق المكون من ٩٠ ألف مقاتل، فعاد من غير قتال، ثم شُفع فيه واكتفى بسجنه[٧].

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٣٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٢، Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٣

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٣

(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٨، Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٤

(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤

(٥) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٤، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٣ــ ٢٤٥، الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٥٠، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٨، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٤

(٦) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٨

(٧) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٥٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٥ وفيه: "عبد الكريم بن عبد الحميد"، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٥

وعاد المهدي بعدها (سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م) لتجهيز حملة جعل عليها ابنه هارون برفقة قائدين "في تعبئة لم يعبأ في الإسلام مثلها"[١]، قدر عدد رجالها بنحو ٩٦ ألفاً، وأوغل فيها حتى وصل مضيق القسطنطينية، وقتل فيها من الروم ٥٤ ألف وسبى ٥٦٠٠ رأس، واستنقذ كثيراً من أسرى المسلمين، وغنم ما لا يوصف من المواشي، وكانت ملكة الروم إيرين الملقبة بأغسطة وصية على ابنها قسطنطين السادس البالغ من العمر ١٠ سنوات، فعقد معها هدنة على أن تؤدي ٦٤ ألف دينار رومية وألفي دينار عربية في كل سنة لمدة ٣ سنوات[٢]، ويذكر البسوي أن الرشيد هادنها بعد أن لحق المسلمين جهد وخوف شديد[٣]، وعلى هذا توقفت الصوائف لمدة سنتين[٤]، ثم استؤنفت نتيجة لنقض الروم للهدنة قبل موعد انقضائها بثلاثة أشهر[٥].

وواصل هارون الرشيد بعد توليه الخلافة مسيرة الصراع مع الروم، مستفيداً من خبرته الطويلة في قتالهم، وحاول الروم غزو ملطية في عهده ففشلوا و"غزاهم الرشيد فأشجاهم وقمعهم"[٦]. ونقل البلاذري عن بعض أهل الثغر أن الروم أغارت على ملطية، والقاسم بن الرشيد مقيم بدابق فاستاقوا مواشي أهلها، وأسروا عدة منهم، فنفر إليهم أهل المصيصة ومطوعتها، فاستنقذوا جميع ما صار إليهم، وقتلوا منهم بشراً كثيراً، ورجع الباقون منكوبين مفلولين[٧].

وكانت صوائف الرشيد حتى سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م اعتيادية، تخرج في كل سنة حملة أو حملتان وتعود محملة بالسبي والغنائم، وتعقد الهدن المُلزمة للروم بدفع الجزية، ولكن في سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م حدث أن خُلعت الملكة إيرين، واستولى على عرش المملكة وزير خزانتها نقفور الأول[٨]، الذي سعى لأول حكمه إلى إعادة الاعتبار والهيبة لدولته بنقض كل العهود والهدن التي أبرمتها الملكة، ونقل الصراع إلى مرحلة التحدي "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخّ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملتْ إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن! فإذا قرأت كتابي فاردُد ما حصل قِبَلك من

---

(١) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٩
(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٥٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٦، ٢٤٧، المسعودي، التنبيه ص ١٦٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٦، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٦
(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١٥٤
(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٦٣، ١٦٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٧٤، ٧٦
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٥٢، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٩٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٨١
(٦) البلاذري، فتوح ص ١٩٢
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٧٥ ــ ١٧٦، وانظر أيضاً: مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٣٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٤
(٨) المسعودي، التنبيه ص ١٦٧، وانظر: عمران، معالم تاريخ الإمبرطورية البيزنطية ص ١١٧

أموالها، وافتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك"، فجاء رد الرشيد وقد تملكه الغضب: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه"(١). وتمثل جواب الرشيد على أرض الواقع بسلسلة من الهجمات القاسية، ابتدأها من حين وصول تهديد نقفور(٢)، واستمرت خلال الأربع سنوات التي تلت هذه الحادثة.

لقد أفاضت المصادر في الحديث عن حملات الرشيد هذه، وأشارت إلى سرعة رده على تهديد نقفور، ولا يمكن تقبل أن إرسال حملة بهذا الحجم والضخامة قد تم خلال أيام أو أسابيع معدودة، مع ما يحتاجه تجهيز البعوث من التهيئة والتعبئة وجمع الرجال وترتيبهم والتأمير عليهم وتأمين الدواب وعلوفتها، لكن يمكن الافتراض بأن الرشيد كان يعد لصائفة كبرى أراد لها أن تخرج بقيادة ابنه القاسم ليكسبه شرف الجهاد كما فعل أبوه المهدي معه، وربما ــ إن صدق الظن ــ تزامن تجهيزها مع وصول تهديد نقفور، فعجّل بإنفاذها وسارت الحملة في اتجاهين: الأول بقيادة ابنه القاسم واتخذ درب الصفصاف فأتى قرة وحاصرها وأرسل العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث لمحاصرة حصن سنان فطلب منهم الروم الرحيل على أن يطلقوا ٣٢٠ أسيراً مسلماً فقبلوا الصلح وعادوا(٣). والاتجاه الثاني: تمثل في حملة قادها الرشيد بنفسه باتجاه أبواب الأناضول، ووصل فيها إلى هرقلة (أراكلي= أرغلي: الواقعة في شمال غرب تركيا حالياً)(٤)، وقيل: "بلغ إلى طرق متضايقة دون القسطنطينية"(٥)، ففتح وغنم وأحرق وخرّب، ولم يكن لدى نقفور أمام هاتين الحملتين إلا أن يطلب الصلح على خراج يحمله كل سنة، فأجابه الرشيد إلى ذلك ورجع إلى الرقة(٦).

ولما عاد الرشيد بجيشه، ودخل الشتاء، أمن نقفور على نفسه من أن يُغزى مع شدة البرد وتساقط الثلوج فنقض الصلح، وبلغ الرشيد خبره، فتحرك من يومه لغزو الروم(٧).

والمصادر إذ تؤرخ مسيره في غزوته التي أعقبت نقض الصلح تجعلها مباشرة بعد وصول

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٧، الأصفهاني، الأغاني ج١٨، ص ١٧٤ ــ ١٧٩، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٢٤٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣١٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٢٩١، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٢٠٣

(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٤، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٠

(٣) ابن خياط، تاريخ ص ٤٥٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٤، الذهبي، تاريخ ج٤، ص ٧٨٩

(٤) كلو، هارون الرشيد ص ١٣٢

(٥) الأصفهاني، الأغاني ج١٨، ص ١٧٥

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٧، الأصفهاني، الأغاني ج١٨، ص ١٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٤، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٠

(٧) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٠ ــ ٧٩١

الخبر، وأنه "غزاه في بقية من الثلج"[١]، فيكون هذا في شتاء سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٤م إلا أن المصادر تجمع على خروجه في غزوته تلك كان في سنة ١٩٠هـ، وأن الحملة التي وجهت للروم في سنة ١٨٨هـ أرسلها القاسم بن الرشيد وكانت بقيادة إبراهيم بن جبرائيل، فدخل بلاد الروم وخرج نقفور لمواجهته ثم اضطر للانسحاب، وربما كان انسحابه مرتبط بهجوم من جهة البلغار، وخلال تراجعه صادف مجموعة من المسلمين فقاتلهم وأصيب بثلاثة جروح، وبلغ عدد قتلى الروم في غزوة ابن جبرائيل أربعون ألفاً وسبعمائة[٢]، وقيل: أربعة آلاف وسبعمائة[٣]، ولعل هذا الرقم هو الأقرب.

أما الحملة التي قادها الرشيد بنفسه واتخذ فيها قلنسوة مكتوبًا عليها "غاز حاج"[٤] فكانت في سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م، وحفظت لنا المصادر تفصيلات موسعة عن مجرياتها، ولعلها كانت أكبر حملة في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي، حيث بلغ عدد الجيش ١٣٥ ألف فارس ومقاتل عدا عن المتطوعة ومن لا ديوان له[٥]، وبمشاركة واسعة من كافة أقاليم الدولة: أهل الشام والجزيرة وأهل خراسان وغيرهم[٦]، وحاصر الرشيد هرقلة مدة شهر حتى فتحها، وبث الجيوش والسرايا في أرض الروم، فأرسل عبد الله بن مالك لمحاصرة حصن ذي الكلاع، ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحًا في أرض الروم في سبعين ألفًا، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة، وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف، ثم صار الرشيد إلى الطوانة، فعسكر بها، ثم جعل فيها عقبة بن جعفر ورحل هو عنها، وأمره ببناء منزل هنالك، ونتيجة لهذه الجبهات المفتوحة داخل عدة مواضع في بلاد الروم اضطر نقفور إلى الإذعان وبعث إلى الرشيد بالخراج والجزية عنه وعن ولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار؛ منها عن رأسه أربعة دنانير؛ وعن رأس ابنه استبراق دينارين. وكتب إلى الرشيد يلتمس منه إعادة جارية من سبي هرقلة، وأرسل مع الرسالة هدايا، فاستجاب الرشيد لطلبه وأعاد الجارية محملة بالهدايا لنقفور[٧].

وتلت هذه الحروب فترة انقطاع طويلة عن الغزوات والصوائف استمرت منذ سنة ١٩١هـ/ ٨٠٧م حتى سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م[٨]، ارتبط توقفها بالظروف الداخلية لكلا الطرفين، الفتنة بين

---

(١) الأصفهاني، الأغاني ج١٨، ص ١٧٧
(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٥٨، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣١٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩١
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩١
(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٦
(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٣، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٢٠٣
(٦) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٠٨ ــ ٣٠٩
(٧) ابن خياط، تاريخ ٤٥٩، الطبري، تاريخ ج٨، ص٣٢٠ــ ٣٢٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٠٨ــ ٣٠٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص٣١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص١٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٣
(٨) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٣٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٢٨

الأخوين الأمين والمأمون وانتقاض الأطراف في الجانب الإسلامي، وهو ما استغله الروم فغلبوا على حصن كمخ بعد أن هرب أهله عنه أثناء الفتنة[١]. وفي الجانب الرومي: انشغال الروم بمحاربة البلغار ووفاة ملكهم نقفور بعد وفاة الرشيد بنحو عامين في إحدى المعارك مع البلغار وهو محاصر لعاصمتهم[٢]، ثم تقلب أربعة أباطرة على حكم الروم، منهم سطوريقي وتسميه المصادر العربية: استبراق (ستوراكيوس Stauracius) الذي خلف أباه نقفور على العرش، فحمل البلغار بعد خمسة أشهر على القسطنطينية وأصابوا سطوريقي فمات، فخلفه صهره ميخائيل وزحف البلغار على الروم فلم يقاتلهم ميخائيل فتصدى لهم البطريق لاون وخرج لقتال البلغار وبطش بهم وفتك بملكهم، ثم عاد وقبض على ميخائيل وحلق رأسه وجعله محبوساً وملك سبع سنوات وعقد الصلح مع البلغار[٣]. وإضافة لانشغال الدولة بحروب البلغار فكانت تواجه صراعاً داخلياً حاداً بين الأيقونيين والمعارضين لهم[٤]. وبعد أن تعرض ديونيسيوس للأحداث في فتنة الأمين والمأمون وما تلاها يقول: "هذا وإن مملكة الروم هي الأخرى كانت في دوامة من الاضطرابات، ففي عام ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م ثار القائد ميخائيل على لاون ملك الروم وقتله وتسلم السلطة فمثلما خلع لاون سلفه ميخائيل عنوة هكذا خلعه من العرش والحياة"[٥].

وبالرغم من توقف إرسال الصوائف والغزوات إلى بلاد الروم إلا أن ابن العبري يذكر دوراً للمأمون في عقد تحالف مع توماس الصقلي وهو أحد المنشقين عن ملك الروم ميخائيل، وكانت ثورته على ميخائيل طمعاً في العرش، وأيضاً مدافعة عن مناصري الإيقونات، وبالتالي انضم إليه خلق كثير من الروم الناقمين على محطمي الأيقونات[٦]، ويذكر ابن العبري أن المأمون استدعاه (بحدود سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) ووجهه في جيش إلى القسطنطينية، وأنه حاصرها ستة أشهر، حتى تضايق ملك الروم منه، فأخرج الأسرى العرب الذين عنده وعاهدهم بإطلاق سراحهم وإعادتهم إلى مواطنهم إن تمكنوا من القضاء على توماس، وتم له ذلك لكن ميخائيل نكث وعده للأسرى[٧].

بعد هذا الانقطاع الطويل استأنف المأمون غزو الروم في آخر أربع سنوات من حياته، واستمر حتى وفاته بطرسوس مرابطاً للغزو، وكان إلى جانبه ابنه العباس وأخوه المعتصم، ففي سنة

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٨٩
(٢) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٩
(٣) المسعودي، التنبيه ص ١٦٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٠
(٤) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١١٩
(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣
(٦) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢٥، عباس، تاريخ بلاد الشام ص ٨٧
(٧) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٤، وسماه: توما

٢١٥هـ/ ٨٣٠م غزا الروم وفتح حصن قرة وحصن سنان وعاد إلى دمشق[١]، ثم بلغه أن ملك الروم توفيل بن ميخائيل خرج وقتل نحو ألفي رجل من أهل طرسوس والمصيصة[٢]، ويذكر ديونيسيوس ان اعتداء الروم وقع على زبطرة، وأن توفيل ــ بعد أن استطاع إنهاء الحرب مع البلغار لصالحه، وانضمام جماعات من الأكراد والعرب الفارين واللاجئين إليه ــ فكر في السيطرة على المسلمين، "فخرج عليهم وحاصر زبطرة ونصبوا السلالم وصعدوا وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، وساقوا النساء إلى السبي وهن عاريات، وبعد أن نهبوا المدينة أحرقوها وغادروا"[٣]. نتيجة لهذا الاعتداء عاد المأمون إلى بلاد الروم وأقام بحصن هرقلة ومنه فرق الجيوش؛ فوجه ولده العباس لفتح عدة حصون، ووجه أخاه أبا إسحاق إلى حصون أخرى ففتحها صلحاً وهدمها وحرقها، كما تقابل ابنه العباس مع ملك الروم فهزمه وظفر العباس بالعسكر وغنم غنيمة كثيرة.

وأرسل توفيل كتاباً إلى المأمون سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م يسأله الموادعة والصلح، خصوصاً بعد أن انتقض أحد البطارقة عليه واسمه مانويل وقصد المأمون وحثه على الزحف لبلاد الروم[٤]، ويذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق أن المأمون سار غازياً بحنق لأن توفيل بدأ في رسالته بنفسه، واستدعى الفعلة والرجال وفرض على سائر البلدان الرجال ونزل على حصن لؤلؤة وكان أشد حصون الروم ضرراً على الإسلام، فحاصرة مدة دون أن يتمكن منه لا بصلح ولا عنوة فبنى عليه حصنين وخلف على الناس كلهم الذين أقاموا بالحصنين عجيف بن عنبسة، فوقع في أسر الروم وبقي أسيراً شهراً وانتظرت الروم أن يأتي ملكهم مدداً فبقوا على الحصار فجاء ملك الروم لكن أهل الحصنين استطاعوا هزيمته من غير قتال وغنموا جميع ما في عسكره فلما رأى أهل لؤلؤة ذلك طلب رئيسهم الأمان من عجيف وأطلقه من الأسر على أن يأخذ له الأمان من المأمون فأمنه المأمون وفتحها عجيف وأسكنها المسلمين[٥].

وكانت وفاة المأمون في طريقه إلى غزو بلاد الروم في جمادى الأولى ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، فلما

---

(١) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٩١، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٣، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٩٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٥، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٤٨، ابن عساكر، تاريخ ج ٣٣، ص ٣٠٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤١٧، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٧

(٢) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٥، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٤٧٣

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٧

(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٧

(٥) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦، وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٨، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٤٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٠٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٢١، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤٠ ــ ٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٧، تاريخ مختصر الدول ١٣٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٦، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٤٨١

وصل إلى البذندون مرض ومات هناك[١]. فخلفه أخوه المعتصم، وخلت أول خمس سنوات من حكمه من مهاجمة الروم، سوى حملة واحدة فاشلة، أرسلها سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م بقيادة الحسن بن مصعب "فنكب وهزم وأسر عامّة جيشه"[٢]، وأورد ديونيسيوس تعداد هذه الحملة الفاشلة، لكنه جعلها بقيادة عجيف بن عنبسة ومعه أربعة آلاف مقاتل، فدمر الروم جيشه وعاد مع قلة من رفاقه[٣].

ولعل انشغال المعتصم بحرب بابك الخرمي الخارج فيما بين أذربيجان وأرمينية والذي امتدت ثورته نحو ٢٠ عام (٢٠١هـ/ ٨١٦م ــ ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م)، وقتل بابك خلالها نحو ربع مليون نفس[٤]، هو الذي حال بين إنفاذ الهجمات إلى بلاد الروم، وزاد خطر بابك بعد مضايقة المعتصم له فأرسل إلى توفيل ملك الروم يستحثه لغزو المسلمين فيخفف من ضغط جيش المعتصم عليه، وأعلمه بأن المعتصم "قد بلغ به الضعف أن أرسل خياطه وطباخه في الجيوش"[٥]. ويذكر ديونيسيوس أن الكثيرين من أتباع بابك سئموا الحروب ففروا إلى بلاد الروم وتنصروا على يد الملك ثاوفيلس (توفيل) الذي توهم بعد استسلامهم بأنه سيقهر المسلمين فأرسل يطلب الضرائب فأدّاه السكان المغلوب على أمرهم[٦].

ونتيجة لكل هذا استشعر توفيل في نفسه القوة، فخرج في صيف عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م على رأس حملة تعدادها ١٠٠ ألف وقيل أكثر[٧]، وهاجم مدينة زبطرة وغلب عليها وأحرقها[٨] وارتكب في أهلها فضائع شنيعة فقتل الصغير والكبير وسبى من النساء المسلمات أكثر من ألف إمرأة[٩]، ثم أغار على مدينة ملطية، "فضجّ الناس في الأمصار، واستغاثوا في المساجد والديار"[١٠]، ووثق ديونيسيوس تفاصيل مهاجمتهم للثغور الجزرية والمعاناة التي لاقاها الأهالي: مسلمين ونصارى[١١].

وعلى إثر هذا الهجوم الرومي، جاء رد الفعل من قبل المعتصم، والذي تناولته المصادر بإسهاب كبير، وخلّدت الانتصارات التي تبعته ذكر المعتصم، وتناوله الشعراء في مدائحهم كأبي تمام في

---

(١) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٩١، الدينوري، الأخبار الطوال ص ٤٠٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٤، ابن العمراني، الإنباء ص ١٠٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٨، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٤٨٢ ــ ٤٨٤
(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤٧٦
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٨
(٤) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٧٨ والعدد فيه على وجه التحديد: ٢٥٥٥٠٠ إنسان
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥ ــ ٥٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٨٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٧٩، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٩ ــ ١٤٠، وقصد بخياطه: جعفر بن دينار، وخياطه: إيتاخ.
(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٧، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣١
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٦
(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥، الأزدي، تاريخ الموصل ص٤٢٤، المسعودي، التنبيه ص ١٦٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٨٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٧٩، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٩٦
(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٧، وانظر: الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٢٦
(١٠) المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٧
(١١) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٧ ــ ٥٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣١

بائيته المشهورة، وحمدوا له نجدته للمرأة العربية (وقيل: الهاشمية)[١] المسبية التي نادته: "وامعتصماه"؛ فأجابها من سامراء: "لبّيك ... لبّيك..".

قرر المعتصم القيام بحملة عسكرية واسعة تعيد الاعتبار للدولة الإسلامية بعد أن استضعفها الروم، وأراد مهاجمتهم في أجل مدنهم وأعظمها، ووُصفت له عمورية بأنها "عين النصرانية وبُنْكها (أصلها) وهي أشرف عندهم من القسطنطينية"[٢]، فنودي في الأمصار بالنفير، وسارت إليه العساكر والمطوّعة من سائر أقاليم الدولة، "وتجهز بجهاز لم يتجهزه خليفة قبله قط"[٣]، وخرج المعتصم من سامراء فعسكر في غربي دجلة يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، واتبع بعد مغادرته الثغور الشامية خطة تهدف إلى تشتيت جهود الروم عبر الهجوم من جهات مختلفة، من خلال قسمة العسكر إلى جيشين، واحد بقيادته والآخر بقيادة الأفشين، وجعل على مقدمته أشناس التركي، وعلى ميمنته إيتاخ التركي، وعلى ميسرته جعفر بن دينار الخياط وعلى سَاقَتِهِ بُغَا الكبير وعلى القلب عجيف بن عنبسة[٤]. فبينما دخل المعتصم من درب السلامة، بموازاة ساحل البحر باتجاه نهر اللامس، أمر الأفْشِين بالدخول من درب الحدث، وأشناس من درب طرسوس، وجعل بقية المحاربين يدخلون من سائر الدروب، بحيث يلتقي جميع العسكر على أنقرة لفتحها، فإذا تم ذلك تكون عمورية هي التالية[٥]، وكان عددهم كبيراً فالمكثر يقول: ٥٠٠ ألف، والمقلل يقول: ٢٠٠ ألف؛ وكان ملك الروم مقيماً بنواحي نهر اللامس منذ شهر ينتظر مرور جيش المسلمين فيكمن لهم[٦]، فلقيه الأفْشِين وهزمه، وقتل أكثر بطارقته وكبار قادته، وترك له فرصة الهرب، وقال: "هو ملك، والملوك تُبْقِي على بعضها بعضاً"[٧]، وبعد السيطرة على أنقرة، قسم المعتصم جيشه إلى ثلاثة أقسام للسير نحو عمورية، وجعل بين كل عسكر وآخر فرسخين[٨]، ونزلت الجيوش الثلاثة على مدينة عمورية، فحاصروها وضربت بالمجانيق حتى فتحت، وخرج إليه لاون البطريق منها، وسلّمها إليه، وأسر فيها البطريق الكبير وهو ياطس، وقتل فيها ٣٠ ألفاً، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق، وكان فتحها في شهر رمضان ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م[٩]، وكان المعتصم قد اصطحب

---

(١) ابن العمراني، الإنباء ص ١٠٦
(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨٠
(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨١
(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٧، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٩١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨١
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨١
(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٢٩٧
(٧) المسعودي، مروج ج٤، ص٣٥٨
(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٨٤
(٩) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٣٩٢، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٤، ابن عساكر، تاريخ ج ٧٣، ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨

معه بطريرك أنطاكية ليتولى الترجمة بينهم وبين الروم، فقام بالترجمة أثناء الحصار الذي فرضه المسلمون على مدينتي أنقرة وعمورية[١]. وفكر المعتصم في السير إلى القسطنطينية، والنزول على خليجها، ومحاولة فتحها بَرّاً وبحراً، لكن حال دون ذلك ما بلغه من أن العباس بن المأمون يدبر مؤامرة لقتله، وأن أناساً قد بايعوه، وأنه قد كاتب ملك الروم، فعجل المعتصم في رجوعه وحبس العباس وشيعته[٢].

وفي عهد الواثق لم يتم إرسال أي صائفة، وخلال خلافته التي استمرت نحو ست سنوات لم تنشب حرب بين المسلمين والروم[٣]. لكن يرد ذكر قيام أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي على رأس شاتية سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م فأصاب الناس ثلج ومطر، ومات منهم ٢٠٠ نفس، وأسر نحوهم، وغرق بالبذندون خلق كثير[٤].

ويظهر من نتائج الحملات العسكرية المتقدمة أن الصراع الإسلامي البيزنطي خلال العصر العباسي الأول لم يكن جدياً في أغلب المراحل، باستثناء غزوة الرشيد سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م وفتح المعتصم لعمورية التي كانت حرباً حقيقية، وغالب الحروب هي في إطار ردود الفعل، والخلافة تحاول القيام بالغزو سنوياً لإقامة رسم الجهاد وليس للاستحواذ على مناطق جديدة وفتحها، وإنما كسباً للصيت من جانب الخلفاء، ويبالغ بعضهم ــ كالرشيد ــ بأن يهب أحد أولاده للغزو في سبيل الله[٥]، وأيضاً لتحصيل الفيء والغنائم وجلب الرقيق. كما أن جيش المسلمين يتألف في قسم كبير منه من المطوعة الذين يتكسبون بالقتال، ومنهم بعض الصعاليك[٦]، بعكس جيش الروم الذي لا يوجد فيه مطوعة بل هم جند موظفون ومرتزقة[٧]، تأتيهم الأرزاق سواء وقع قتال أم لا، وبالتالي فإن هذا لا يعطيهم الدافع للقتال أو المبادرة لغزو مَن يجاورهم، بعكس جيش المسلمين الذي يشكل الغزو مصدراً للرزق. يقول المهلبي في الكلام عن أهل طرسوس المرابطين: "وكانت غزواتهم تتصل ومن الغنائم والمقاسم لهم معيشة لا تنقطع"[٨].

وثمة مانع آخر حال دون حصول غزو بقصد الاستيلاء والاحتلال من قبل المسلمين أو الروم، وهو انشغال الدولة الإسلامية بالكثير من الفتن والثورات في كافة أقاليمها، وانشغال الروم أيضاً

---

(١) ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٠
(٢) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٩٢، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٣، المسعودي، مروج ج٤، ص ٣٥٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٥٠٦
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٨١
(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٩
(٥) أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٢
(٦) قدامة، الخراج ص ١٨٦
(٧) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٣
(٨) الكتاب العزيزي ٩٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٩

بحروب طويلة على حدودهم الشمالية إضافة لانقسام الرهبان والأباطرة في قضية تحطيم الأيقونات.

وتجدر الملاحظة أن كلا الطرفين الإسلامي والرومي كان على اطلاع بما يستجد من أحداث في بلاد الآخر، وكانت أخبار الروم تصل إلى المسلمين بواسطة التجار أو من يتم أسره من الروم، وكذا تنتقل أخبار المسلمين عند الروم، وكان والي الثغور يزود الخليفة في بغداد أو سامراء بما يحدث في بلاد الروم، ففي سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م قدمت رسل يازمان الخادم من طرسوس فذكروا أن ثلاثة من أولاد ملك الروم قد وثبوا به وقتلوه وملكوا أحدهم مكانه[1]، وأيضاً في سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م وردت كتب من طرسوس بمهاجمة الصقالبة وغزوهم لبلاد الروم حتى وصلوا القسطنطينية[2].

الحملات العسكرية في العصر العباسي الثاني:

شهد العصر العباسي الثاني تحولاً في العلاقة الحربية التي جمعت بين الروم والمسلمين، وكانت العلامة الفارقة في هذا الصراع هو ازدياد الغزو من قبل الروم باتجاه الثغور الجزرية، ولم تنقطع الصوائف والغزوات طيلة هذا العصر، لكنها لم تكن مؤثرة ولم تخرج ــ في الغالب ــ بأكثر من السبي والغنائم. وفي ظل غياب تفصيلات واضحة عن خسائر الصوائف والحملات وعدد أسرى المسلمين وقتلاهم فيها، يصعب تحديد مدى نجاح هذه الحملات بغض النظر عن إشادة المصادر العربية بها والإشارة إلى نجاحها، وكمثال على ذلك: ففي فداء سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م تم إخراج جميع أسرى المسلمين من بلاد الروم حتى أن متولي الفداء خاقان الخادم أطلق سراح ١٠٠ أسير رومي دون وجود ما يقابلهم من أسرى المسلمين، بمعنى عدم بقاء أحد من المسلمين في أسر الروم، وخلال مدة عشر سنوات (٢٣١ ــ ٢٤١هـ/ ٨٤٦ ــ ٨٥٥م) خرجت خمس صوائف إلى بلاد الروم، جميعها بقيادة علي بن يحيى الأرمني، سكتت المصادر عن ذكر أي نتيجة لثلاث منها، ووصفت صائفتين منها بالنصر البالغ، لكننا نجد في فداء سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م أن عدد أسرى المسلمين عند الروم حسب زعم ملكة الروم نحو ٢٠ ألف أسير، فهذا يعني أن الصوائف التي قادها علي بن يحيى الأرمني كانت وبالاً على المسلمين.

وفي سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م أغارت الروم على عين زربة[3] فأسرت من كان بها من الزط مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم[4]. وفي السنة التالية ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م حشد الروم وخرجوا من ناحية سميساط إلى آمد والجزيرة، فانتهبوا عدة قرى فقتلوا وسبوا نحو ١٠ آلاف ورجعوا، فخرج

---

(1) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٢٤
(2) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٧٩
(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٥
(4) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٠

في أثرهم بعض قادة الثغور وقوم من المتطوعة فلم يلحقوا بهم[١]. ثم تكررت إغارة الروم على سميساط سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م فقتلوا نحو خمسمائة وأسروا خلقاً كثيراً، فغزاهم علي بن يحيى الأرمني ولم يظفر بهم[٢]. وبلغ الأمر في أول خلافة المستعين سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م أن أحد قادة الثغور وهو عمر بن عبيد الله الأقطع سار ومعه خلق كثير من أهل ملطية، فلقيتهم جموع الروم البالغة ٥٠ ألفاً بنواحي ملطية وأحاطت بهم، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين، ثم واصل الروم تقدمهم نحو الثغور الجزرية، وأنزلوا بأهلها أشد الأذى، فبلغ ذلك علي بن يحيى الأرمني العائد من أرمينية إلى ميافارقين، فسار لمواجهتهم في جماعة من أهل ميافارقين، فقُتل أيضاً في نحو من ٤٠٠ رجل[٣]. وكان مقتلهما سبباً لثورة الجند والشاكرية ببغداد وسامراء، "إذ كانا نابين من أنياب المسلمين، شديداً بأسهما، عظيماً غناؤهما في الثغور" فشق على الناس وعظم مقتلهما، وترافق نَفَس الثورة مع الشعور العام المتكون نتيجة غلبة الأتراك وقتلهم الخليفة المتوكل؛ فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء للنفير، وأخرج أهل اليسار والثروة من أهل بغداد وسامراء أموالاً كثيرة لتجهيز من يرغب بالنهوض إلى الثغور لحرب الروم؛ وأقبلت الناس من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها للمشاركة في هذا النفير؛ أما الخليفة فلم يأمر في ذلك بشئ ولم يوجه عسكراً[٤].

وهذا مفصل هام في حركة الصراع عندما تخلّت الدولة عن دورها فتحركت نفوس الناس للقيام بدور المدافع عن الدولة، وكان أكبر مدافعة تقع على أهل الثغور. أما حركة الصوائف فتوقفت نحو ١٥ سنة حتى حُكم بني طولون، سوى بعض الغزوات الخاطفة، منها خروج محمد بن معاذ في سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م لغزو الروم فهُزم ووقع في الأسر وقُتل جماعة من أصحابه[٥]، وتعرضت الثغور خلال فترة انقطاع الغزوات هذه لعدة هجمات من الروم، منها نزول الروم سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م على ملطية وسميساط، فخرج أحمد بن محمد القابوس بأهل ملطية، فصدوا الهجوم وقُتل مقدمهم بطريق البطارقة نصر الإقريطشي[٦].

ومن مظاهر اختلال أمر الثغور في العصر العباسي الثاني، أن المنطقة التي تلي الثغور من ناحية الروم كان يسكنها جماعات يسمون "البيالقة" وديانتهم بين النصرانية والمجوسية[٧]، وكان

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٦
(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٨
(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٦١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٢١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤١
(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٢٢، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٦، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤١
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٣٧٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩
(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٠٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٧
(٧) المسعودي، التنبيه ص ١٥١

أكثرهم بقرب ملطية في أقصى الثغور[1]، ومع أنهم من الروم إلا أنهم يخالفونهم في كثير من أديانهم، وكانوا إلى جانب المسلمين ومعهم، ويعينونهم في غزواتهم، بينما يقوم المسلمون بنفقتهم، وكان من المدن التي بيدهم مدينة لؤلؤة وفيها قلعة، و"كانت شجاً في حلق العدو، ولم يكن يخرج للروم في بر أو بحر إلا رأوه، وأنذروا المسلمين به". وكان المعتمد قد استعمل على الثغور أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي، "وكان غراً جاهلاً، سيء السيرة، فأخّر عن أهل لؤلؤة أرزاقهم وميرتهم، فضجوا من ذلك، وكتبوا إلى أهل طرسوس يشكونه ويقولون: إن لم ترسلوا إلينا أرزاقنا وميرتنا وإلا سلمنا القلعة إلى الروم. فأعظم ذلك أهل طرسوس وجمعوا من بينهم ١٥ ألف دينار ليحملوها إلى أهل لؤلؤة، فتسلمها أرخوز لينقلها إليهم، فأخذها لنفسه[2]. فلما انقطعت عنهم الأرزاق قاموا في سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م بتسليم المدينة إلى الروم[3]. ونتيجة لسوء تصرف الولاة وقلة إشراف المدبرين على أمرهم، تفرقوا في البلاد وسكن مكانهم الأرمن بقيادة مليح الأرمني، وابتنوا الحصون المنيعة، وكثر عددهم فأصبحوا مصدر تهديد للثغور[4]، فهاجم مليح مرعش وملطية عدة مرات.

وفي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م أسرت الروم عامل الثغور عبد الله بن رشيد بن كاوس والذي دخل أرض الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية فغنم وخرجت عليه الروم منصرفه عند البذندون[5]، لكن يبدو أن الروم استشعروا القوة القادمة بقيام دولة ابن طولون في الشام، وجعلت ملك الروم في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م يطلق عدة أسرى فيهم ابن كاوس، وأصحبوه هدية لابن طولون تشتمل على مصاحف كانوا قد أخذوها من أذنة[6]. ومع ذلك فقد تواصلت مهاجمة الروم للثغور الجزرية والشامية، وكانوا يقتلون خلالها وينهبون ويسبون، بل وصل الأمر بالروم أن تولى مهاجمة المسلمين بطارقة المدن، دون أن تكون حملة منظمة من عاصمة الروم، يجتمع بطريق أو أكثر فيقودون حملة على ثغور الشام فينهبون ويسبون ويحرقون[7] فخرج في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م خمسة من بطارقة الروم في ٣٠ ألفاً إلى أذنة فصاروا إلى المصلى، وأسروا أرخوز والي الثغور، ومعه

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٧، وورد اسمهم محرفاً: السالفة
(٢) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٩
(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥١١، ٥٣٢، البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٨
(٤) قدامة، الخراج ص ١٨٧
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٣٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٢، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٤
(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٥
(٧) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ٥٤٤، ٦٦٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٢، ٣٢٧، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٤

نحو ٤٠٠ رجل، وقتلت الروم نحو ١٤٠٠ رجل كانوا قد نفروا لمواجهتهم(١). وحدث في سنة ٢٦٦هـ/ ٨٨٠م توغل للروم غير مسبوق، إذ وردت سرية من سرايا الروم ووصلت تل بَسْمَى (أو تل بشم) من ديار ربيعة شمال غربي ماردين، فقتلت من المسلمين ومثّلت بهم، وأسرت نحو ٢٥٠ شخص، فنفر أهل نصيبين وأهل الموصل وهرب الروم(٢). ولم يستطع المسلمون ملاحقتهم داخل الدروب لدخول الشتاء وشدة البرد(٣). كما تعرضت ملطية سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م لغزو الروم وأناخوا عليها، فأنجدهم أهل مرعش والحدث(٤). وبعدها بعامين (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) هاجم الروم طرسوس في ١٠٠ ألف مقاتل بقيادة بطريق البطارقة أندرياس، وكان بها يازمان الخادم، فهزمهم وبيتهم ليلاً وقتل قائدهم وسبعين ألفاً، وأخذ صليبهم الأكبر المرصع بالجواهر، وأخذ الكثير من الخيل والأموال(٥).

ثم توقف أذى الروم لفترة من حكم بني طولون، ولم يتعرض جند قنسرين لأي هجوم رومي طيلة ١٧ سنة (٢٧٠ ــ ٢٨٧هـ/ ٨٨٣ ــ ٩٠٠م)، ولم تكن الغارات والغزوات الخاطفة التي يقوم بها ولاة الثغر (خصوصاً يازمان الخادم التركي) هي التي قلصت من خطر الروم، بل لأن الملك الذي تولى عرش الروم أليون بن بسيل وهو ليو السادس الملقب بـــ "ليو الحكيم" ودام حكمه نحو ربع قرن(٦)، صرف اهتماماته للارتقاء بالشؤون الداخلية لبلاده، وقام بوضع تشريعات وقوانين كنسية للإمبراطورية البيزنطية(٧)، كما انشغل بمحاربة البلغار في منطقة البلقان، إذ تعرضت القسطنطينية للحصار سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م من قبل الصقالبة(٨)؛ إذ زحف سيميون زعيم البلغار والصقالبة إلى القسطنطينية وأتلف عدة قرى وحاصر العاصمة واحتفر خندقاً يوصل إلى باب الذهب شمال القسطنطينية، فأرسل له قسطنطين ملك الروم: "علامَ هذا الخلاف بيننا ونحن بأجمعنا مسيحيون أبناء معمودية واحدة"، لكن سيمون لم يقتنع بالموادعة، وحشد له الملك قسطنطين الأسرى العرب الذين في القسطنطينية ووعد بإطلاقهم إن ساعدوه في محاربة البلغار فأقسموا له على ذلك ودفع لهم أسلحة وزحف الروم والعرب معاً باتفاق تام وتغلبوا على الصقالبة وقتلوا الكثيرين منهم وهزموا البقية، غير أن الملك أخلف وعده واسترجع السلاح من العرب وأوثقهم ثانية وفرقهم في

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٢٧

(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٣٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٦

(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٣٦

(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦١٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٧٢

(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٦، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٠٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٥٦

(٦) المسعودي، التنبيه ص ١٧١

(٧) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١٤٥

(٨) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧١

بلاده لئلا يتباهوا أو يتفاخروا[١]. ويشير المسعودي إلى حروب البلغار والصقالبة مع الروم، وإعانتهم أحياناً للمسلمين ضد الروم، يقول: "وهذا الملك (ملك البلغر) غزا بلاد القسطنطينية في نحو ٥٠ ألف فارس وشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والأندلس وأرض برجان والجلالقة والإفرنجة، وبينهم وبين القسطنطينية نحو شهرين، وقد كان المسلمون حين غزوا من طرسوس مع أمير الثغور ثمل الخادم سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م وقطعوا فم خليج القسطنطينية وفم خليج آخر من البحر الرومي لا منفذ له، وانتهوا إلى بلاد فَنَدية، أتاهم في البر جماعة من البرغر (البلغر) لينجدوهم ويعينوهم، وهم أمة عظيمة منيعة شديدة البأس، ولا يمتنع أهل القسطنطينية منهم في هذا الوقت إلا بسورها"[٢].

وسير المكتفي في خلافته غزوتين لبلاد الروم، فبعد أن قضى على القرامطة في الشام، وأنهى حكم بني طولون أيضاً، أرسل سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م حملة بقيادة غلام زرافة[٣]، فوصل أنطالية على ساحل البحر، ونازلها حتى فتحها عنوة، وقتل نحو ٥ آلاف، وأسر أضعافهم، واستنقذ من الأسر ٤ آلاف مسلم، وغنم من الأموال ما لا يحصى بحيث أصاب سهم الفارس ألف دينار[٤]، وجاء رد الروم على هذه الغزوة في ذات السنة، فأغاروا بجيش تعداده ١٠٠ ألف على الثغور فوصلت جماعة منهم مدينة الحدث، فنهبوا وسبوا وأحرقوا[٥]. وفي السنة التالية (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) أغار أنْدرُونقس الرومي (وهو بطريق كان يتولى حرب المسلمين على الثغور)[٦] على مرعش ونواحيها، فتصدى له أهل المصيصة وأهل طرسوس[٧]. وفي سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م توغل الروم في عمق جند قنسرين حينما أغاروا على قورس، ودخلوا المدينة وأحرقوا مسجدها واستاقوا من بقي من أهلها[٨]، ولعلهم نفذوا إليها عن طريق البحر من ناحية ساحل الإسكندرونة. أما حملة المكتفي الثانية فكانت في محرم ٢٩٤هـ/ ٩٠٧هـ وعليها أحمد بن كيلغ ورستم بن بردوا، افتتحوا فيها حص سلندو، وصاروا إلى آلِس فحصل في أيديهم نحو ٥ آلاف أسير ودواب ومواشي كثيرة ومتاع، ودخل بطريق من بطارقة

---

(١) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٧٨، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥١، تاريخ الزمان ٤٧

(٢) المسعودي، مروج ج١، ص ٢١٦ ــ ٢١٧

(٣) سماه الكندي: رشيق الوردامي المعروف بغلام زرافة. انظر: الولاة ص ٢٦٨

(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٧، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص ٣٨٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٦٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٤٨٣

(٥) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٦، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٣، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٦٣

(٦) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٥٢

(٧) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٨، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٧

(٨) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٤٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٤

الروم في الأمان وأسلم(١).

أما في عهد المقتدر الذي حكم نحو ٢٥ سنة (قُتل سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، ووصف بأنه "أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكّم فيها النساء والخدم، وفرّط في الأموال، وعزل من الوزراء وولى مما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب وخروجهم عن الطاعة(٢). فقد استمر إرسال الصوائف بشكل شبه سنوي، بالتزامن مع الهجمات الرومية المتكررة على مواضع عديدة من الثغور. واستغل الروم خروج الحسين بن حمدان بالجزيرة سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م على المقتدر وانشغال جيوش الدولة في محاربته حتى قُبض عليه، "فأغاروا على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور، وسبوا مَن فيه"(٣)، وهاجموا جماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة المتطوعة بها فقتلوا منهم نحو ٦٠٠ فارس، وخرج مليح الأرمني إلى مرعش فعاث فيها وأسر جماعة ممن حولها وعاد(٤). وبعدها بسنة زحف جيش رومي إلى طرسوس وجيش ثان إلى مرعش فأسروا من العرب نحو ٥٠ ألفاً فعمّ الحزن جميع أقاليم الدولة(٥).

واختلت البنية العسكرية في الثغور، فأصبحت الصوائف تأتي وتجهّز من بغداد، وأصبح من بقي مقيماً بالثغور من أهلها مجرد مساعدين لهم على عكس ما كان عليه الحال فيما مضى. وبلغ الأمر في سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م أن كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج إليه، وإلا فإنهم سيقتلون ويسبون، وقال لهم: "إنني صح عندي ضعف ولاتكم"(٦)، ولما امتنعوا من إجابته سار إليهم بجيوشه، فأخربوا البلاد، ودخلوا ملطية في سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م فأخربوها، وسبوا منها ونهبوا، وأقاموا فيها ستة عشر يوماً"(٧). وذهب أكابر أهل ملطية إلى الخليفة المقتدر ببغداد يطلبون الغوث فلم يغاثوا وعادوا بغير إعانة(٨).

ثم زحفت جيوش الروم في السنة التالية (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) إلى سميساط وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس وسبوا

(١) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٣٠، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٥٢، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٣٣٨
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٤٣، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٢٤١
(٣) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٧
(٤) الصولي، أخبار المقتدر بالله ص ١٨٣، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٩٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٥
(٥) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥١
(٦) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٦٠
(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١٦٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢١٠
(٨) مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٠، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢١٠

أهلها، فطاردهم العرب وردوا بعض الغنائم(١). وخرج مؤنس الخادم من بغداد وسار إلى الثغور فالتقى مع الروم وقتل منهم خلقاً(٢).

ووسع الروم مهاجمتهم في سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م لتشمل مناطق شمال شرق الثغور، فوصل الدُمُسْتُق في جيش كثير من الروم إلى أرمينية وحاصروا مدينة خلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم بعد أن أخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبًا وفعل بَبدْلِيس كذلك وخافه أهل أرْزَن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر أعيانهم إلى بغداد واستغاثوا بالخليفة فلم يُغاثوا. وفيها وصل ٧٠٠ رجل من الروم والأرمن إلى مَلَطّية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا أنّهم يتكسّبون بالعمل ثم ظهر لأهل ملطية أنّ مليحًا الأرمنيّ صاحب الدروب وضعهم ليكونوا بها فإذا حاصرها سلموها إليه، فقام أهل ملطية بقتلهم(٣).

ونتيجة لكثرة اعتداءات الروم، وعجز الخلافة عن مدافعتهم، فقد ضعفت الثغور (خصوصاً الجزريّة) وعجزت عن صد الروم عنها، بل وصل الأمر بأهل الثغور أنهم عزموا على تقديم الطاعة لملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر عن نصرهم وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدّون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا(٤). "فعم بالثغور الخوف والوجل ما لا مزيد عليه، وجَنَح أهل الثغور إلى ملاطفة النصارى وبذل الإتاوة لهم، وركنوا إلى تسليم بلد سميساط وملطية وغيرها"(٥).

ويذكر ابن حوقل أن الروم عند تسلمهم ملطية "أسكنوا الأرمن فيها، فكانت أول مصيبة دخلت على الإسلام من جهة الثغور ثم انثالت المصائب على الناس في ثغورهم وأنفسهم وأموالهم وأسعارهم وأبشارهم وسلاطينهم فنُسيت"(٦)، وقد وثقت الأشعار والقصائد خبر استيلاء على ملطية وغيرها من مدن الثغور(٧).

وفي هذه الأثناء سارت عساكر الروم سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م إلى سميساط فحاصرتها، واستنجد أهلها بسعيد بن حمدان الذي كان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة على شرط أن يغزو الروم وأن يستنقذ ملطية التي دخلها الروم بعد أن ضعف أهلها وصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد لهم

---

(١) مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢١١

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢١١، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٢، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٦٩ ــ ١٧٠

(٣) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٩٨ ــ ١٩٩، وانظر: ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣

(٤) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢١٣

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٢٣، ٤٠٥، ٤٢١ ــ ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٩

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١

(٧) همام التنوخي، تاريخه ص ٩٩

فحكموا المسلمين فسار ابن حمدان إلى سميساط وطرد الروم عنها ثم سار إلى ملطية واستنقذها وجعل عليها أميراً من قبله[١]. وتزامن هذا مع صائفتين انطلقتا إلى بلاد الروم بقيادة ثمل الخادم والي طرسوس، خرجت الأولى في ربيع الأول ٣١٩هـ/ ٩٣١م فوقع عليهم الثلج، والتقوا بجيش الروم تحت زعامة ستة بطارقة فوقعت الهزيمة على الروم، وقتلوا منهم نحو ٦٠٠ رجل، وأسروا ٣ آلاف[٢]. وكانت الصائفة الثانية بعدها بأشهر (رجب ٣١٩هـ/ ٩٣١م)، وكان تعدادها ١٢ ألف فارس و١٠ آلاف راجل، ووصلت الحملة إلى عمورية ودخلوها وأوغلوا في بلاد الروم، يقتلون وينهبون ويخربون وعادوا في رمضان بعد أن أمضوا في غزاتهم ثلاثة أشهر[٣].

ولم تنقطع غارات الروم على الثغور الجزرية ابتداءً من سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م وهي السنة التي سار فيها الدُمُستُق قرقاش في ٥٠ ألفاً من الروم، فنازل ملطية وحاصرها مدة طويلة، وهلك أكثر أهلها بالجوع، وضرب خيمتين على إحداهما صليب ليدخلها من أراد النصرانية فيرد عليه أهله وماله، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى، فانحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها الصليب، خوفاً على أهاليهم وأموالهم، وفتحها بالأمان مستهل جمادى الثانية ٣٢٢هـ، وملك الروم سميساط وخربوها وأكثروا القتل وفعلوا الأفاعيل الشنيعة وصار أكثر البلاد في أيديهم[٤]، ثم أعاد الدمستق سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م الإغارة على أرض آمد وسميساط فسار علي بن عبد الله بن حمدان إلى آمد، وبعث بالغذاء والأقوات إلى سميساط، لكنه انشغل بمحاربة أحد القادة في جيشه ممن تمرد عليه وظفر به ثم عفا عنه، فتمكن الروم من الاستيلاء على سميساط[٥]. وتمكن الحسن بن عبد الله بن حمدان سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م من إيقاع الهزيمة بالدمستق بعد معركة يصفها الذهبي بـــ "الملحمة العظيمة"، وهرب الدمستق بعد أن قتل أكثر جيشه، واستولى المسلمون على سريره وصليبه[٦]. ثم أعاد الدمستق المحاولة سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م فلقيه علي بن عبد الله بن حمدان، وهزمه[٧].

ونتيجة لامتناع الثغور الجزرية على الروم، اتجهوا إلى دخول جند قنسرين من طريق آخر، وتمكنوا سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م من الوصول إلى قرب حلب (في موضع حموص على ستة فراسخ عن حلب) ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو ١٥ ألف إنسان[٨]، وقيل: ١٠ آلاف[٩]. ولعل وصولهم إلى

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٣٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٢٥
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٢٥
(٣) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٢٥
(٤) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ٢٩٦
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٢١ــ ٤٢٢
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٤٢٧
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٤٢٩
(٨) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٣٩٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥٧
(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٣٤

حلب كان عن طريق البحر، تماماً مثلما افترضناهم فعلوا عندما وصلوا إلى قورس سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م. ثم في السنة التالية (٣٣١هـ/ ٩٤٣م) وصلت جيوش الروم إلى ديار بكر وسبوا من أهلها جماعة كثيرة وفتحوا أرزن وأخربوا عامة بلدها وبلغوا قرب نصيبين وأجلوا خلقاً كثيراً وأحرقوا الضياع وانصرفوا[١].

ويلاحظ من خلال العرض المتقدم تفوق الروم على المسلمين خلال العصر العباسي الثاني، جاء هذا كنتيجة لضعف الدولة بشكل عام، وضعف الخلفاء، يقول ابن العبري: "كان خلفاء العرب إلى هذا الحين (بعد وفاة الواثق) لا يهمهم إلا إحراز النصر والظفر لكنهم بعد ذلك استسلموا للخلاعة وانهمكوا في السكر والفجور"[٢]. ثم يقول عن مطلع القرن الرابع الهجري في زمن المقتدر الذي أفرغ خزائنه بتوزيع الذهب على المغنيات: "على أن العرب في أول أمرهم كان النصر حليفهم ولما اتسعت دولتهم أخذوا ينتصرون تارة وتارة ينكسرون، وفي هذه الأزمنة انهمكوا في الفحشاء والعهر والنهم فأمسى انكسارهم متواصلاً، وكلما حاولوا عقد الصلح مع الروم يرفض الروم مؤملين استرجاع أصقاعهم القديمة، ولم يكونوا يراسلون العرب إلا بشأن مبادلة الأسرى فقط"[٣]. ويشير ابن حوقل إلى حال ثغر المصيصة وما آل إليه بعد أن طرقه الروم، يقول: "وكانت على نهر جيحان من القرى والضياع الكثيرة الماشية والكراع، ما لم يبق منهم نافخ نار"[٤].

الحملات والغزوات البحرية:

بالرغم من أن المسلمين في مواجهتهم للروم وتسيير الغزوات كانوا يفضلون البرية منها، إلا إن العديد من الحملات كانت ترسل بحراً، وأطلق على العديد من المدن الساحلية في أجناد الشام الأخرى ومصر ثغوراً بحرية، ويذكر البلاذري أن بني أمية كانت تغزو الروم مما يلي ثغور الشام والجزيرة وترتب فى السواحل من يقوم بحفظها، فلما ولى أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها، وسار المهدي ومن بعده الرشيد على ذات النهج[٥].

وشرح قدامة آلية ترتيب الغزوات البحرية وطريقة إنفاذها، يقول: "ومقدار ما يغزو في الغزاة من مراكب الثغور الشامية: ما يجتمع إليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين إلى المائة، والغزاة إذا عزموا عليها في البحر كوتب أصحاب مصر والشام في العمل على ذلك والتأهب له؛ يجتمع بجزيرة قبرس ويسمى ما يجتمع منها "الأسطول"، كما يسمى ما يجتمع من الجيش في البر المعسكر،

---

(١) الأنطاكي، تاريخ ص ٩٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥٧
(٢) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٧
(٣) ابن العبري، المصدر نفسه ص ٥١
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٦٧، وعنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٩

والمدبر لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على المراكب إذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار"[١].

وكان كتاب العهد بولاية ثغور البحر يتضمن الأوامر التي يجب أن يحرص عليها الوالي ومنها: تهيئة المراكب وإدامتها وإصلاحها وحفظها في وقت الشتاء برفعها من البحر إلى الشاطئ، وأن يتخذ الصناع المهرة لها[٢]، وهذا يظهر عناية الدولة العباسية بغزو البحر لكنها فيما يبدو تتصل ببعض الثغور الساحلية الأخرى غير جند قنسرين، مثل ثغور الأردن وفلسطين ودمشق ومصر، إذ أصبحت الحاجة لركوب البحر ثانوية لمتاخمة جند قنسرين للعدو، إضافة لكون حرية التنقل في البر أفضل وأسرع ولا تحتاج لانتظار الوقت الملائم لركوب البحر.

وترد الإشارة إلى بعض الحملات البحرية في العهد العباسي، منها حملة في عهد المهدي سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م بقيادة الغمر بن العباس الخثعمي[٣]، لم تذكر المصادر أية تفصيلات عنها، وكررت ذكرها في السنة التالية لها (١٦١هـ/ ٧٧٨م)[٤]، وذكرها الأزدي أيضاً في سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م وسمى قائدها: النعمان بن العباس الخثعمي[٥]، بما يشي بأنها ذات الحملة. وتنفرد المصادر السريانية بالإشارة إلى أن صائفة سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٧م لأول عهد الرشيد كانت برية وبحرية، فبينما توغل متولي الصائفة سليمان بن عبد الله البكائي في بلاد الروم، كان ابنه أيوب يجوب سواحل البحر[٦]. وتأتي هذه الحملة كنتيجة لعناية الرشيد المباشرة بأمر الثغور، واهتمامه بتحصينها وحفظ السواحل، إذ يذكر البلاذري أن الرشيد أقام دار لصناعة المراكب في سواحل الشام[٧].

وفي العصر العباسي الثاني أرسل المتوكل سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م حملة كبيرة لبلاد الروم، كانت على أكثر من جبهة: بحرية وبرية، وعليها عدة قادة، وقد تولى الفضل بن قارن قيادة البحرية منها، فغزا البحر بعشرين مركباً وافتتح حصن أنطالية[٨]. كما أمر المتوكل بترتيب المراكب فى جميع السواحل وأن تشحن بالمقاتلة وذلك فى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م[٩]. وفي سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م غزا يازمان الخادم في البحر فأخذ أربعة مراكب للروم[١٠]. وفي خلافة المعتضد غزا راغب الموفقي الخادم سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م الروم في البحر فظفر بمراكب رومية كثيرة، وقتل من فيها وكان عددهم

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٨
(٢) قدامة، المصدر نفسه ص ٤٧ ــ ٥٠
(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٦
(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٥
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢
(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٣٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٦٧، وعنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٩
(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٩٣
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٦٧، وعنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٩
(١٠) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٦٩

ثلاثة آلاف رومي، وأحرق المراكب، وفتح حصوناً كثيرة[١]. وفي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م غزا غلام زرافة الروم فوصل أنطالية وصادر مراكب كثيرة[٢]. وتكرر غزو المسلمين للروم عن طريق البحر في عهد المقتدر، فعقد سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م لثمل الخادم لغزو الروم بحراً[٣]، ثم في السنة التي تلتها فغنم وسبى وعاد[٤]. وغزا المسلمون الروم بحراً في سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م فغنموا وسلموا[٥]، وغزا ثمل الروم بحراً في سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م فغنم من السبي ١٠٠٠ أسير ومن الدواب ٨ آلاف رأس ومن الغنم ٢٠٠ ألف رأس ومن الذهب شيئاً كثيراً[٦]. وبسبب عدد الغنائم الكبير ــ خصوصاً المواشي ــ فنقدر أن ثمل خرج في البحر إلى بعض القرى والحصون الرومية فاستاق منها المواشي وسار بها براً متساحلاً بها نحو الثغور الشامية، والمراكب في البحر تحرس سيرها، إذ إن حملها في البحر يحتاج إلى مراكب كثيرة لاستيعاب مثل هذا العدد من الدواب.

أما الروم، على قوة أسطولهم ومراكبهم البحرية، فلم يرد مهاجمتهم لجند قنسرين بحراً إلا في حالات قليلة، منها ما ذكره ديونيسيوس بعد فتح عمورية دون تحديد للتاريخ، حيث هاجم الروم أنطاكية عن طريق البحر ونهبوا التجار وسبوا أهلها وعادوا على متن سفنهم، لذا أمر المعتصم بناء حصن في الميناء[٧]. وأيضاً الحملة البحرية الكبيرة التي أرسلها الروم سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م وقوامها ٣٠٠ مركب، توجه منها ١٠٠ مركب إلى مصر ونزلوا بدمياط فنهبوا وأحرقوا وسبوا، وطال الحريق جامعها[٨]، ولعل بقية مراكب هذه الحملة قد حاولت مهاجمة سواحل الشام. وفي سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م هاجمت مراكب الروم ساحل الشام، وبلغ عددها مئتي مركب، فافتتحوا حصن القبة بعد حرب طويلة، مع عدم وجود من يغيثهم من المسلمين، وافتتحوا مدينة اللاذقية فقتلوا وسبوا من أهلها أناس كثيرون[٩].

---

(١) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٦٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٦٥٦

(٢) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٣

(٣) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٠٨

(٤) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١١٥

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١٣٧

(٦) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١٤٥

(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤

(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٤٣، الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٩٣ ــ ١٩٤، الكندي، الولاة ص ٢٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٦٨، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٧٥١

(٩) الصولي، أخبار المقتدر بالله ص ١٣٦، المسعودي، مروج ج٥، ص٢٠٧

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جند قنسرين

أولاً: الحياة الاجتماعية

١. القبائل التي استقرت في الجند:

يظهر تتبع القبائل التي تقطن الجند أن العرب كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكانه، وقد أورد ابن العديم في كتابه نقولاً كثيرة من كتاب مفقود لم يصلنا، عنوانه "ديوان العرب وجوهرة الأدب وإيضاح النسب"، لمؤلف لم يترجم له أحد اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله الأسدي، يُرجّح أنه من أهل القرن الرابع الهجري، ولولا هذا المصدر لتعذر علينا معرفة القبائل القاطنة بالجند، خصوصاً بعد ضياع القسم الخاص بقبائل قنسرين من كتاب البلدان لليعقوبي. وقد اعتمد الحياري[١] على مادة الأسدي بشكل رئيسي في رصد القبائل العربية التي قطنت الجند خلال القرون الأربعة الأولى. ويمكن تلمس الوجود القبلي في جند قنسرين على الوجه الآتي:

أولاً: القبائل النزارية:

١. القبائل المضرية:

ويمثلون غالبية سكان الجند، وينقسمون إلى قسمين: قبائل قيس عيلان بن مضر ويسمون "القيسية"، وقبائل إلياس بن مضر ويسمون باسم أمهم " قبائل خِنْدِف"[٢].

أ. **قبائل خِنْدِف:**

- **بنو كنانة:** بن خزيمة بن مدركة، وقريش من بني النضر بن كنانة، وقد استقر بعض أبناء البيت الأموي في جند قنسرين منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام ثم تأسيسه للدولة الأموية فيها، ولما آلت الدولة منهم لبني العباس تفرق أغلب بني أمية، واستوطنه عوضاً عنهم بعض أبناء البيت العباسي بحكم توليهم إياه.

- **بنو أمية:** بالرغم من كثرة الإشارات لقيام العباسيين في مفتتح عهدهم سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م باجتثاث أفراد البيت الأموي وتتبعهم بالقتل والمطاردة، فقد أظهرت دراسة علمية لحال الأمويين في العصر العباسي أن الأمر مبالغ فيه، وأن القتل طال الأفراد الذين يخشى من خطرهم على الدولة[٣]، وأن

---

(١) انظر: الحياري، مصطفى، توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث منشور ضمن كتاب: في محراب المعرفة "دراسات مهداة إلى إحسان عباس"، (تحرير) إبراهيم السعافين، دار صادر ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤١٧ ــ ٤٣١، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: الحياري، توطين القبائل.

(٢) الزبيري، نسب قريش ص ٧

(٣) عقلة، عصام مصطفى، الأمويون في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٣٣٤هـ) دراسة في مصير الأسرة الأموية بعد سقوط دولتها، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، ٢٠٠٢م، ص ٤٢ ــ ٤٣، وسيشار له فيما بعد: عقلة، الأمويون في العصر العباسي.

بني العباس منحوا الأمان لرجال بني أمية ونسائهم[١]، وأعادوا لهم بعض ما صودر من أملاكهم[٢]، ويؤكد هذا أيضاً بقاء أولاد مسلمة بن عبد الملك بن مروان في منازلهم بالناعورة من نقرة بني أسد[٣]. كما بقي بعض أولاد سليمان بن عبد الملك يقيمون بنواحي حلب، وقد صادف الرشيد بعضهم في موضع يسمى سبعين بين خساف وحلب[٤]. وذكر ابن حوقل وجود جماعة من ولد عبد شمس لم يحدد نسلهم اتخذوا من حصن المثقب على ساحل البحر مكاناً لإقامتهم ووصفهم بأنهم "قوم سُراةٌ، اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب"[٥].

- **بنو هاشم:** وكان صالح بن علي بن العباس وأولاده أكثر من سكن بجند قنسرين من العباسيين، إذ تولى صالح جند قنسرين وحمص ودمشق في عهد أبي جعفر المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م[٦]، وتولى من بعده أبنائه وأحفاده ولاية الجند لفترات عديدة، وتوزعت إقامتهم في عدة مواضع من الجند؛ وإضافة لأولاد صالح الساكنون بحلب ومنبج، فيعدد النسابة الأسدي آخرين من أولاده، هم: علي ويعقوب وسليمان وداود وإبراهيم وعبد الله، كل منهم أصبح بطناً بحلب[٧]. وكانت في يد أخيه سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس مدينة بالس[٨].
- **بنو عوف بن حرب:** منهم من سكن الجزيرة وآخرين سكنوا الشام وهم خلق كثير، فكانت مواطنهم بأرض حلب، وفي يدهم عدة قرى مثل: ذاذيخ وكفر بطيخ (وكلاهما قرب إدلب) وعدة ضياع بأرض معرة مصرين تعرف بضياع العوفيين[٩].
- **بنو عدي بن كعب:** بن لؤي بن غالب، رهط عمر بن الخطاب بن نفيل[١٠]، ويذكر الزبيري من ولده: محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ أقام بالثغور ملازماً بها حتى وفاته التي لم تُعرف، وبقي ولده يقيمون بطرسوس[١١].
- **بنو تيم بن مرة:** رهط أبي بكر الصديق، سكن أغلب عقبه في المدينة والكوفة والبصرة[١٢]، ومنهم

---

(١) عقلة، المرجع نفسه ص ٨١ ــ ٨٧
(٢) عقلة، المرجع نفسه ص ٨٨ ــ ٩٠
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٣١، عقلة، الأمويون في العصر العباسي ص ٩٠
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٣١ ــ ٥٣٢
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢
(٦) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٣، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥١١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٨
(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٢٩
(٨) قدامة، الخراج ص ٣٠٥
(٩) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٣٣
(١٠) البلاذري، أنساب الأشراف ج ١٠، ص ٢٨٦
(١١) الزبيري، المصدر نفسه ص٣٥٩، ابن حزم، جمهرة أنساب ١٥٣
(١٢) ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٢٠٧

قوم من أولاد طلحة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كانوا يسكنون في جند قنسرين، بحصن يسمى: قَسْطُون في كورة الروج من أعمال حلب الغربية[١].

- **بنو أسد:** بن خزيمة بن مدركة، وهي من القبائل الكبيرة التي انتشرت بطونها في جند قنسرين خلال مطلع القرن الثالث الهجري، إذ يذكر النسابة الأسدي أن بطوناً من أسد لحقت بجند قنسرين سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م وأقاموا في بقعة سميت باسمهم: "نقرة بني أسد"[٢]، الممتدة من خناصرة إلى جبل الأحص ثم إلى الناعورة وسبخة الجبول ثم شمالاً منها على وادي بطنان[٣].

ومن بطون أسد أولاد: كاهل وعمر وصعب وحملة[٤] ودودان، ومن دودان تفرعت أغلب قبائل أسد وأفخاذها، فولد دودان ثعلبة وغنماً وكان لكل منهما قبيلة عظيمة في العدد والمنعة[٥]؛ فمن قبائل **غنم بن دودان: بنو دهمان** و**بنو صالح** وكان منزلهم جبل الأحص في البرية، و**بنو حبيبة** ومنزلهم في شمالي عزاز، و**بنو سليط** بن رئاب، ومنزلهم بطرف البر من جبل الأحص.

ومن قبائل دودان: **بنو فقعس،** ومنازلهم من نواحي منبج، وأقام بعض بنيهم في نقرة بني أسد منزل إخوتهم. ونزلت بطون وقبائل من دودان في بعض المدن الواقعة غرب جند قنسرين، فسكنوا الدور والبيوت في معرة مصرين وجبل السماق.

أما **كاهل بن أسد:** فعقب ثلاثة أولاد كل منهم قبيلة عظيمة، وهم: بنو أذينة وبنو هراوة، وبنو حرموا، ومن هذه القبائل الثلاث تفرعت قبائل كاهل وبطونها، منهم من استقر بنقرة بني أسد وسكن بعضهم قرى في سفح جبل السماق[٦]. ومن بني أسد **بنو مالك بن قعين،** ويسكن من بطونهم بنقرة بني أسد بنو قطبة في قرية منسوبة لهم تدعى "القطبية".

- **بنو ضبة** من مضر: كان منهم **بنو شعاع** بن علقمة ومنازلهم بنواحي حلب. و**بنو السيد بن مالك،** وكان فريق منهم يعرف **بأبي رمادة** يجاور بني أسد في نقرتهم وفي نواحي حلب والبارة[٧].

ب. قبائل قيس عيلان (القيسية):

- **بنو عبس:** ومنهم أهل حيار بني عبس وهم من نسل زهير بن جذيمة بن رواحة سيد عبس في زمانه، ومن ولده القعقاع بن خليد بن جزء بن الحارث بن زهير، الذي ينسب حيار بني عبس له

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٤٨
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٣٤، ٥٣٧
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٣٧
(٤) عند ابن حزم، جمهرة أنساب ص ١٩٠: حلمة
(٥) ابن حزم، المصدر نفسه ص ١٩١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٣٤
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٣٥ ــ ٥٣٧
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٣٨

فيقال "حيار بني القعقاع"[١]، كما تنسب له أيضاً ضيعة القعقاعية من برية منبج. ونزل بنو هُدْم العبسيون في جبل صراع وأرض زعرايا في البرية قرب منبج. ونزل بحاضر قنسرين بطون كبيرة من عبس، منهم: عكرشة بن أربد بن عروة العبسي[٢].

- **بنو سليم:** ومن بطونهم التي سكنت جند قنسرين: بنو خفاف بن مالك بن خفاف بن أمرؤ القيس بن بهثة بن سليم، وبنو العباس بن مرداس بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم، وكانت جماعة منهم تقطن قرية علم من طرف نقرة بني أسد وقرية الحَبَل من نواحي حلب.
- **بنو صعصعة بن معاوية:** ومنهم أولاد مازن، وهم رهط بني وردان الذين امتدت منازلهم من الصنوبران في برية حمص حتى حيار بني عبس، ويذكر الأسدي أنهم تديروا هذه البقعة لكنهم رحلوا عنها فنزلوا نقرة بني أسد[٣].
- **بنو كلاب**، وهم ولد كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قبائل العرب الكبيرة في الجاهلية والإسلام، ومن قبائلهم التي استقرت في جند قنسرين: **بنو عامر بن كلاب**[٤]، و**بنو قرط** ونسبتهم إلى سعيد بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب[٥]. و**بنو نباتة:** وهم ولد نُباتة بن حنظلة بن ربيعة، و**بنو مرة:** وولد مرة بن أبي لطيفة بن عامر، و**القريطيُّون ويعرفون بآل جهيل**[٦]. و**بنو عوف بن كعب:** وهم ولد عوف بن كعب بن عبد الله، وكان منزل ولده مع بني عامر بن كلاب في نواحي خساف، وهم أهل وبر. ومنهم جماعة بأرض وادي بطنان في ضيعة تعرف بشيح بني حية[٧]. و**بنو عمرو بن كلاب:** ومنهم **بنو نفيل** الذي من ولده أبي الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث، وكان لزفر بن الحارث ثلاثة أولاد: الهذيل والكوثر ووكيع وكل منهم بطن، وكان منزل زفر وأولاده بالقرب من خساف وناحية بالس (مسكنة)، وسكن الكوثر مدينة بالس[٨]، ولهذا كان الغالب على بالس بني كلاب[٩]. **ومن ولد خالد بن نفيل:** ثلاثة بطون، منهم حصين بطن كبير، ومن ولد الحصين بن خالد: **بنو جمهور** وهم أيضاً بطن كبير منازلهم ببالس، و**بني الضحاك** بن فايد

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ج ١٣، ١٩٦، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٣٩، أبو الفداء، تقويم البلدان ص ٢٣٢
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٤٠
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤١ ــ ٥٤٢
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٣
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٣ ــ ٥٤٤
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٤ــ ٥٤٥
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٥ ــ ٥٤٧
(٨) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٦٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٤٨
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٩

وهو بطن كبير مسكنهم بأرض زعرايا من نواحي بلدة الباب. وكان يشارك بني جمهور في سكنى بالس بطن آخر من العرب هم **بني صَلَتان** ومنهم جماعة كانوا ينزلون مدينة الحدث وما جاورها(١).

وبنو عبد الله بن كلاب: ومنهم بطون كبيرة وكثيرة تقطن جند قنسرين؛ منهم: بطن معاوية المعروف بـــ "الصموت" بن عبد الله بن كلاب وأخيه نفاثة، وولد للصموت عامر ولنفاثة عمرة وكلاهما بطن كبير، وسكن بنو عامر وادي بطنان (وادي بني كلاب) في ضيعة تسمى البيرة وسكنت جماعات منهم بنقرة بني أسد. و**بنو معاوية بن كلاب:** سبعة بطون تعرف بالضباب، مسكنهم في برية الشام ومنهم جماعات أقامت بمنبج على ضفاف نهر الساجور(٢).

ويظهر مما تقدم كثرة وجود بني كلاب بجند قنسرين، على أن موجة أخرى منهم قدمت من موطنهم نجد، والتحقوا بإخوتهم، فيذكر النسابة الأسدي: أن "في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م كان نزول مشارقة بني كلاب شِعِثّه وذِيبه أرض الشام، وفي سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م نخروا البلد من ضياع الشرق وغيره من البلاد"(٣)، ورجّح الحياري أن هذه الهجرة ربما كانت نتيجة لانتهاء حركة القرامطة في شرق الجزيرة العربية وتفكك عناصرها التي كان بنو كلاب ــ إضافة لقبائل عامر بن صعصعة ونمير ــ يشكلون عصب قواتهم، فاضطروا الانتقال إلى قومهم في أعالي الشام(٤).

- **بنو فزارة:** وهم ولد فزارة بن ذُبيان، منازلهم في بادية الشام يشاركون فيها لخم وجذام وبلي وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومضر، وكان الغالب على بادية الشام اليمن(٥)، وكانت بطون من فزارة تنزل بالس قبل أن يكثر بها بنو كلاب(٦)، وربما انتقلوا عن بالس إلى حيار بني القعقاع قرب قنسرين، إذ يذكر اليعقوبي سكناهم إياها مع عَبْس وغيرها من القبائل القيسية(٧).

وبنو جعدة بن كعب: وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقبائلهم وبطونهم كثيرة، وسكن بطن منهم بأرض منبج. و**بنو قشير بن كعب:** قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكان ممن استقر من قبائلهم وبطونهم في جند قنسرين آل زياد من بني بيهس، وكان مسكنهم على ضفاف الفرات ويعرفون بالشطيين، ومنهم بنواحي حلب أعداد كثيرة وتعرف مواطنهم

(١) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٨ ــ ٥٤٩
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٤٩
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٤٦
(٤) الحياري، توطين القبائل ص ٤٢٦
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٢٣
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٩
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٢٥، أبو الفداء، تقويم البلدان ص ٢٣٢ وكلاهما نقل عن اليعقوبي

بنقرة قشير[١]. و**بنو نمير** بن عامر بن صعصعة، ومنهم **بنو ضنة بن نمير**، وهم عشر قبائل تتفرع منهم بطون بني ضنة، نزل فريق منهم في طرف البرية من جند قنسرين في موضع يسمى باسمهم: "تل بني ضنة"، ونزل آخرون منهم في شمالي حلب قريباً من بلدة الحوارة والأخترين فابتنوا بها الدور وسمي الجبل باسمهم "جبل بني نمير". و**بنو هلال** بن عامر بن صعصعة أخي نمير، منهم **بنو رويبة** بن عبد الله بن هلال وهم سبع قبائل خرجت منهم بطون رويبة، وسكنت جماعات منهم بنواحي منبج في البر بأرض زعرايا والفايا وما والاها، ونسب المكان إليهم[٢]، و**بنو عقيل** وهم ولد عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومنهم **بني عوف بن عامر**، رهط نصر بن شبث[٣]. ويرد من بني عقيل أيضاً ذكر **بنو أبي جرادة** الذين يتصل بهم نسب كمال الدين ابن العديم، وكانوا في القرن الثاني يسكنون البصرة ثم ارتحل منهم موسى بن عيسى بن عبد الله إلى حلب بعد المائتين للهجرة[٤]. و**بنو نصر بن معاوية:** وهم من هوازن القبيلة القيسية المضرية، نسبتهم لنصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور، وكان منهم بطن ينزل بأرض حلب[٥]. ثم قبائل ثقيف، وهو بنو قسي بن منبه بن بكر بن هوزان[٦]، وهي قبائل وبطون عديدة، سكن بطن منهم بجند قنسرين في أرض منبج ورعبان وما والاها، وهم أهل مدر لا وبر[٧].

٢. إياد:

- **إياد بن نزار:** إخوة مضر، وهي من القبائل العربية الكبيرة، كانت قبل الفتح الإسلامي على النصرانية تسكن الجزيرة مع بني تغلب، فوقع بينهم خلاف أدى إلى تفرقهم، فمنهم من أتى الحيرة وذهب أغلبهم إلى الشام[٨]، وكانت منهم بطون كثيرة تسكن حمص وأنطاكية وقنسرين ومنبج ونواحيها[٩] وحلب وأرض كفر طاب ومعرة النعمان وأرض سرمين[١٠]. ومنهم من سكن جنوب جند قنسرين في الحد بينه وبين جند حمص في تلمنس وفي بلدة صوران شمال حماة[١١].

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٠، ٥٥١
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٥٤
(٣) ابن حبيب، أسماء المغتالين (ضمن نوادر المخطوطات) ج٢، ص ٢٥٠، ابن حزم، جمهرة أنساب ص٢٩١، المعاضيدي، دولة بني عقيل ص ٤٣
(٤) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٠٦٨
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٥
(٦) الزبيري، نسب قريش ص ١٦، ٢٥٧، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٤٦٨
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٥
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف ج١، ص ٢٧، خريسات، دور العرب المتنصرة ج٢، ص ١٤١
(٩) البلاذري، أنساب الأشراف ج١، ص ٢٧
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٩
(١١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٤

٣. ربيعة:

- **بنو النمر بن قاسط:** وهم من ربيعة الذين يشكلون مع مضر قبيلة العدنانية على حد قول بعض النسابة، وقبائلهم وبطونهم عديدة، منها بجند قنسرين بطن نمير بن عامر بن هلال بن النمر منازلهم بكفريا (قرب إدلب) وعامة أهلها من نمير بن النمر ومن قشعم وهم بطن من قبيلة غني القيسية(١)، الذين يذكرهم ابن حزم بأنهم (أي غني) ظواعن ضخمة بطفوف الشام(٢). كما سكنت بطون أخرى من النمر بن قاسط بأرض حلب وسمي موضع نزولهم باسمهم "النمريات"، وتشتمل على عدة قرى وبلدات منها: كفريا وكفر زغير وتل العبر (على الضفة الغربية لنهر الفرات من نواحي حلب)، وكان منهم أهل المدر وأهل الوبر(٣).
- **تغلب:** ومنهم **بنو زهير بن تيم:** وهم ولد زهير بن تيم بن أسامة بن مالك، ومنهم تفرعت قبائل بنو زهير بن تيم بديار ربيعة، ونزلت منهم بطون بالشام فسكنت مواضع من جند قنسرين كبني **الحارث بن زهير** ويقطنون في المنطقة الممتدة من آمد (في الجزيرة) حتى نهر الساجور قرب منبج وجبل شُبيث وما والاه(٤). وبنو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير، مسكنهم أيضاً بالجزيرة إلا من نزل منهم الشام مع أخوتهم بمنبج وعلى ضفاف نهر الساجور. و**بنو كنانة بن تيم:** وهم إخوة بني زهير، وتتفرع منهم بطون عديدة، سكن النازلون منهم بالشام مع إخوتهم بني زهير بمنبج والساجور. و**بنو جشم:** ومنازلهم بديار ربيعة، وسكنت بعض بطونهم بجند قنسرين منهم **بنو الحارث** بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب، وأعقب الحارث بطون وأفخاذ عديدة، ونزل فريق منهم بجند قنسرين في المنطقة الغربية من حلب، وامتدت منازلهم على جبل السماق من حد ريحا إلى معرة مصرين وسرمين إلى تيزين وسهل العمق وإلى حلب(٥).

ثانياً: القبائل اليمنية:

- **قضاعة** ومن أشهر قبائلها التي سكنت شمال الشام فروع من **قبيلة كلب** التي تواجدت في البوادي، وامتدت مواطنهم في ثلاثة أجناد هي: دمشق وحمص وقنسرين، وكان الفرع الذي سكن جند قنسرين من قضاعة هو **جناب بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان**، وينقسمون إلى عدة قبائل: **عُلَيم وزُهير وعَدِي**، وإلى قبيلة عليم ينسب جبل بني عليم(٦)، ونجد في مشاريق الجند بطون من

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٦
(٢) ابن حزم، جمهرة الأنساب ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥٦
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٥٦
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص٥٥٧، ٥٥٨
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦١، الحياري، توطين القبائل ص ٤١٩

قبيلة كلب انتجعوا برية خساف، فكنانة كلب (اليمنية) تشترك مع بني كلاب (القيسية) في سكنى عدد من المواضع الشرقية من الجند كمنبج وزعرايا وتمتد شراكتهم من منبج حتى حد وادي بطنان، على أن أكثر مواطن سكنى كلب كانت بجند حمص في تدمر وسلمية والعاصمية ومدينة حمص[١].

- **بهراء وتنوخ:** وإليهم نسب جبل بهراء وتنوخ، وحدد الهمداني منازلهم "إذا تياسرت من حمص على ساحل البحر وقعت في أرض بهراء، ومن أيسرهم مما يلي البحر تنوخ وهي ديار الفصيص"[٢]، بينما يذكر الأسدي أن منازل بهراء تشمل الجبل المسمى باسمهم الممتد من حد طرابلس حتى جبل اللكام بما فيه من قرى ومدن[٣]. فالذي يخالط بهراء من تنوخ هم بني الفصيص فقط، أما بقية تنوخ فكان نزولهم بحاضر قنسرين منذ أول ما نزلوا الشام[٤].

ومن تنوخ **بنو الساطع**، وهو النعمان بن عدي بن عبد غطفان وينتهي نسبه بفهم بن تيم اللات الذي ينتسب له كل التنوخيين، وكان موطنهم بمعرة النعمان[٥]، وعلى هذا فإن أكثر أهل معرة النعمان من تنوخ[٦]. ومن تنوخ بنو **عمرو بن فهم** وبنو **عبد الله بن فهم** وكان منزلهم بأنطاكية في غربي جند قنسرين[٧].

- **طيء:** هاجرت جماعات منهم فلحقوا بحاضر قنسرين وخالطوا أهله وتزوجوا فيهم[٨]. ويسمى الحاضر أيضاً حاضر طيء[٩]، كما سكنت جماعة منهم بحلب[١٠]، وسكن بجند قنسرين من طيء أيضاً **بنو سلامان**، ومنهم **آل المنتصر** وهم بيت شرف **وآل دهلاث** (أو: دلهاث) الذرماويون فاستقروا بمنبج[١١]. ومن ولد سلامان أيضاً **بنو بُحتر**، استقروا بمنبج وعلى ضفاف نهر الساجور الرافد لنهر الفرات[١٢]. ومن قبائل طيء المقيمين بجند قنسرين: **بنو مُرّ بن عمرو** بن الغوث، وكان

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٥
(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٥
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦١، الحياري، توطين القبائل ص ٤٢٠
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٢
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٦٤ ــ ٥٦٥
(٦) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٨، ١٢٩ نقلاً عن اليعقوبي، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦٦
(٨) الكلبي، نسب معد ج١، ص ٢١٨، البلاذري، فتوح ص ١٥١، المسعودي، التنبيه ص ٢٠٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٨
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٧
(١٠) ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٣٩٩
(١١) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٦٧، وانظر عن بطون الغوث بن طيء: ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٤٠٠
(١٢) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ١٠١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦٨، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، ١٩١٥م، ج١، ص ٣٢١

مسكنهم بحاضر قنسرين[١].

إن الصورة التي قدمتها المصادر عن الوجود القبلي في جند قنسرين، ترسم الخطوط العريضة لهذا الاستقرار، وهي مصادر تنتمي زمنياً لأواخر القرن الثالث الهجري وما بعده، بما يوجب التحفظ في الركون إليها والاعتماد عليها، مع إغفالها لعامل الزمن عند حديثها عن القبائل، وغياب التفصيلات الكافية حول الهجرات الجماعية التي حدثت خلال القرون الثلاثة الأولى، سواء من الجند أو إليه، وإضافة لما تقدم ذكره من هجرات بني كلاب وبني نمير، فقد استقبلت أجناد الشام في سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م موجات كبيرة من القبائل والأسر القادمة من بغداد، إذ "نزح خلق كثير من بغداد إلى الشام ومصر خوفاً من اتصال الفتن ببغداد"[٢]. ولا تستبعد وقوع هجرات معاكسة، أي إلى خارج الجند، أو في داخله من بقعة لأخرى، نتيجة الكوارث الطبيعة كالأوبئة والطواعين ومواسم القحط والجفاف والزلازل.

٢. الفئات الاجتماعية:

تكونت التركيبة البشرية في جند قنسرين من عناصر كثيرة، شكلت خليطاً من الأمم والأعراق والأصول والديانات، وحكمتها الظروف الطبيعية والبشرية التي مرت بها المنطقة على مدى ثلاثة قرون. ولأغراض منهجية يمكن تمييز العناصر البشرية في الجند وتقسيمها:

- **دينياً:** بين مسلمين، وأهل ذمة: نصارى ويهود، وصابئة ومجوس.
- **وعرقياً:** بين عرب وفرس وأتراك وأكراد وصقالبة وزط إضافة لجماعات مجهولة النسبة لا تحسب على فئة معينة كالزواقيل.

فئات السكان الدينية:

المسلمون:

منذ الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لبلاد الشام دخلت العديد من القبائل الشامية المتنصرة في الإسلام وشاركت إلى جانب المسلمين في الفتوح مثل لخم وجذام وقضاعة وعاملة[٣]، وعلى الرغم من بقاء بعض القبائل على أديانها وقبولها بدفع الجزية مثل قبيلة تنوخ التي كانت منازلهم بقنسرين

---

(١) الكلبي، نسب معد ج١، ص ٢٦٦، ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، مختلف القبائل ومؤتلفها، (تحقيق) إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٦٨

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٦٢٣

(٣) انظر للمزيد عن موقف القبائل الشامية من الفتح الإسلامي: خريسات، محمد عبد القادر، دور العرب المتنصرة في الفتوحات، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في صدر الإسلام"، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، إربد، جامعة اليرموك، ١٩٨٧م، ج٢، ص ١٣٥ ــ١٦٤

منذ أن نزلوا (تنخوا) بالشام، إلا أن المسلمين شكلوا الغالبية من سكان الجند، ذلك أن تلاحق الهجرات (جماعات وأفراد) زاد من عدد المسلمين في الجند. وساهم اتخاذ بني أمية للشام قاعدةً لهم في جذب الناس للاستقرار فيه، كما لعبت حركة الصوائف والشواتي دوراً في استقرار جماعات أخرى؛ كانوا يأتون من كافة أقاليم الدولة للجهاد والمرابطة والاشتراك في الحملات العسكرية المتوجهة لمحاربة الروم إما كمتطوعة أو مرتزقة، فينتهي بهم المقام في بعض مدن الجند.

وكان المذهب الغالب على أهل جند قنسرين في الفقه والإفتاء ــ حتى منتصف القرن الثالث الهجري ــ هو مذهب الأوزاعي[١]، وهو مذهب يستند على القرآن الكريم ثم السنة النبوية وأقوال الصحابة مع نبذ الرأي والبدع[٢]، ولهذا يشار إلى عدد من مدن الجند بأن أهلها على مذهب السنة الذي يسمي أحياناً بمذهب أهل الشام، ويعتبرونه من أكثر المذاهب استقامة[٣]، "فاعتقادات أهل حلب مثل ما كان عليه أهل الشام قديماً، إلا من تخصص منهم (أي تشيّع)، وقبلتهم موافقة لقبلة أهل الشام"[٤]، وأهل محلة باحَسِيثا (شمال حلب) على مذهب السنة[٥]، وعلى هذا المذهب سارت المدن الثغرية، فكانت "مذاهب أهل أنطاكية وما يتبعها من كور على ما كان عليه مذهب أهل الشام إلا مَن تخصص (تشيع)"[٦]، ووصف الفقهاء فيها بأنهم أهل سنة مثل الفقيه حجاج بن إبراهيم الأزرق البغدادي، نزيل طرسوس (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[٧]، ويشار إلى بعض الأئمة الذين رسخوا هذا المذهب فيهم كالإمام أبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) الذي ووصف بأنه صاحب سنة، وأنه "أدب أهل الثغر وعلمهم السنة"[٨]. وبالرغم من سيادة مذهب الأوزاعي إلا أن بعض فقهاء الجند خرج عنه إلى مذاهب أخرى من مذاهب أهل السنة، حيث سعى الإمام القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) إلى المزاوجة بين مذهبي مالك والشافعي في تآليفه، "فتقلد أكثر ذلك وأتى بشواهده، وجمعه من حديثه ورواياته، واحتجّ باللغة والنّحو، فحسّنها بذلك"[٩].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٥٦ ــ ٥٧
(٢) بدر، أحمد، فقهاء الشام في العصر العباسي الأول وعلاقاتهم بالخلفاء العباسيين، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي" (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م، ص ٩١
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٧٩ ــ ١٨٠
(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٦، وعنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣١٦
(٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٥٥١
(٨) العجلي، أحمد ب عبد الله بن صالح (ت ٢٦١هـ)، تاريخ الثقات (تحقيق) عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م. ص ٥٤، ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص٧٩٨، ٨٠٠
(٩) ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٧٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٤٩٤

أما مذهب الشافعي فقد أدخله إلى الشام القاضي محمد بن عثمان أبو زرعة الدمشقي (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م)، وهو غير أبي زرعة صاحب التاريخ، وكان القاضي أبو زرعة على مذهب الشافعي، و"هو من أدخله دمشق، وحكم به القضاة، وكان الغالب عليها قول الأوزاعي"[١]، كما أن أحمد بن طولون كان يميل إلى الشافعية ويحض على سماع كتب الشافعي[٢]، ويبدو أن مذهب الشافعي قد غلب على ما سواه في عموم الشام منذ نهاية القرن الثالث الهجري، وحل تماماً ــ فيما بعد ــ مكان مذهب الأوزاعي، فكان فقهاء الشام في القرن الرابع الهجري شافعية[٣]. وحينما زار ابن جبير جند قنسرين في القرن السادس الهجري كان أهالي بعض المواضع شافعية لا غير، كأهل منبج الذين كانوا سنةً شافعيون[٤]. بينما لم يكن للأحناف وجود ملحوظ، يقول المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) و"أقلُّ قصبة أو بلد ليس فيه حنفي"[٥]. وكذلك لم يكن وجود للحنابلة، بينما ترد إشارات للحشوية في الجند، ويذكر الصفدي أن الحشوية هم الحنابلة!![٦]، ومنهم الشاعر علي بن الجهم الذي أقام بحلب وكان على مذهب الحشوية[٧]. وينقل المحسن التنوخي عن أبيه أبي القاسم (٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) الذي تولى قضاء الثغور، أنه كان عندهم بجبل اللكام (جبل أنطاكية) رجل متعبد اسمه أبو عبد الله المزابلي ووصفه بأنه رجل صالح مجتهد، وكان لعوام الناس فيه اعتقاد وأتباع "له سوق عظيمة في العامة بأنطاكية" إلا أنه كان حشوياً[٨]، فيظهر من هذا استقبال الجند في مطلع القرن الرابع للكثير من الفرق، وأنها كانت تلاقي قبولاً من عوام الناس.

وكان من أهم البدع التي نبذها مذهب الأوزاعي وأتباعه من فقهاء الشام هو ذلك الجدل الذي كان دائراً حول الجبر والاختيار[٩]، وتظهر كتب التراجم أن أهل الشام أميل إلى القدرية من سواها، واتهم الإمام محمد بن عائذ الدمشقي بأنه قدري[١٠]، والقدرية هم نُفاة القدر، القائلون بحرية الاختيار وخلق الإنسان لأفعاله وبالتالي مسؤوليته عن أعماله، وربما كان تبنيهم لفكرة القدر نابعاً من بُعد سياسي حمله أهل الشام ضد الخلافة الأموية في وجوب محاسبة الإمام (الخليفة) إذا ما حاد عن

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٥٦ ــ ٥٧
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٠، ص ٥٤
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٧٩ ــ ١٨٠
(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤
(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٧٩ ــ ١٨٠
(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢٧، ص ٣٢٥
(٧) الأصفهاني، الأغاني ج١٠، ص ١٧٣
(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٢، ص ٣٤٩
(٩) بدر، فقهاء الشام ص ٩٢
(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ١٠٥

الطريق القويم[١]، ولكن ذلك لم يتضح في جند قنسرين، ولم نجد من بين علمائه من تتلمذ على القدريين سوى القاسم بن عبد الله المكفوف التَّلي (ق ٢هـ/ ٨م)؛ وهو من قرية تل ماسح قرب حلب، وهو يروي عن ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي(ت ١٥٣هـ/ ٧٧٠م)[٢]. وكان الكلاعي قدرياً[٣]، أنكر مذهبه الأوزاعي وعندما التقاه رفض مصافحته[٤].

وتولى علماء جند قنسرين نبذ البدع وطرد كل من ينادي بها في الثغور، فكان الإمام أبو إسحاق الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) "إذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه"[٥]، ولما قدم دمشق واجتمع الناس لسماعه، طلب ممن يرى رأي القدرية أن لا يحضر مجلسه[٦]، ويروى عن الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) قوله: "ولّيت قضاء الثغر فنفيت ثلاثة جهميين ورافضيّاً، أو رافضيين، وجهمياً"[٧].

كما أنكر الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) البدع الكلامية التي ظهرت وانتشرت بين الناس، وعبر عنها بأبيات يقول فيها:

أيُّها الطالبُ علماً ... إيتِ حمّادَ بنَ زيدْ
فاطلب العلمَ بحلمٍ ... ثم قيّدهُ بقيدْ
لا كثورٍ وكجهمٍ ... وكعمرو بن عُبيدْ[٨]

فالقدرية والجهمية أتباع جهم بن صفوان الراسبي (قتل ١٢٨هـ/ ٧٤٦م) وعمرو بن عبيد المعتزلي كانوا يلاقون معارضة كبيرة من فقهاء الشام.

أما الخوارج فكان مسرح نشاطهم في الجزيرة، وبالرغم من القرب وعلاقة التمازج التي

---

(١) بدر، فقهاء الشام ص ٩٢
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٣
(٣) العجلي، تاريخ الثقات ص ٩٢، ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ١٨٦، ١٩١ ــ ١٩٣، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، تقريب التهذيب، (تحقيق) محمد عوامة، دار ابن حزم، دار الوراق، بيروت، ١٩٩٩م. ص ١٦٧، وسيشار له فيما بعد: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، بدر، فقهاء الشام ص ٩٢
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج ١١، ص ١٩١
(٥) العجلي، تاريخ الثقات ص ٥٤، ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٤٧٥
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٤٧٥
(٧) ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٨٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٥٠٤
(٨) ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، ديوان الإمام عبد الله بن المبارك، (جمع وتحقيق) مجاهد مصطفى بهجت، ط٣، دار الوفاء للطباعة، بغداد، ١٩٩٢م. ص ٤٥، وسيشار له فيما بعد: ابن المبارك، ديوانه، ابن عساكر، تاريخ ج ١١، ص ١٩٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٢٦٨

تجمع الجزيرة بجند قنسرين إلا أن معالم تأثير الخوارج لم تتضح في جند قنسرين.

وساد بين بعض الفقهاء منذ العهد الأموي تيار النصب أو المعاداة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبنيه(١)، وكان عموم أهل الشام أعداء آل أبي طالب(٢)، بقول رياح بن عثمان المري للمنصور: "أما أهل الشام فوالله ما علي بن أبي طالب عندهم إلا كافر، وما يعتدُّون بأحد من ولده"(٣)؛ ويروي المدائني (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) عن أبي سلمة المثنى الأنصاري أنه مر برجل جالس على باب داره فطلب منه الماء، فنادى الرجل على ابنه: يا حسن اسقه، فلفت نظر الأنصاري أن اسمه حسن وسأله عن ذلك فقال: "أي والله لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ويشتمونهم، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله فإذا لعنت إنما لعنتُ أعداء الله"(٤). وعلى هذا فلم يكن للطالبيين أو العلويين وجود في الشام، ولم تشهد أجناده حركات علوية مناوئة للسلطة العباسية كما وقع في المدينة أو البصرة(٥)، وقد استمرت النظرة إلى علي بن أبي طالب وشيعته على هذه الحال حتى مطلع القرن الرابع الهجري، عندما تغيرت النظرة إليهم، ويظهر من أشعار الصنوبري الكثيرة وقصائده المطولات التي نظمها في رثاء علي وأبنائه، تشيعاً واضحاً لديه. ولما كان الشعر هو الناقل لحالة المجتمعات ومؤرخاً لها، فيمكن الاستنتاج بأن الرأي العام في جند قنسرين خفف من مناصبة العداء للعلويين، ولو كانت قصائد الصنوبري شاذة عندهم لابتدروها بالرد والمناقضة ولناصبوا قائلها العداء.

وبمجيء أسرة بني حمدان الشيعية إلى الجند وتأسيس دولتهم فيه، تحول مذهب الدولة إلى الشيعي، بعد أن نقل إليه سيف الدولة من حران جماعة من الشيعة مثل الشريف أبي إبراهيم العلوي وغيره، وكان سيف الدولة يتشيع، فغلب على أهل حلب التشيع لذلك(٦). ولهذا ذكر ابن بطلان في كلامه على مذاهب فقهاء حلب أنهم "يفتون على مذهب الإمامية"(٧).

وما تذكره المصادر المتأخرة (ما بعد القرن الخامس الهجري) من وجود الإسماعيلية في مدن جند قنسرين، يتعلق ــ بالقطع ــ بمرحلة متأخرة على نطاق الدراسة، وتحديداً بعد عام ٤٨٧هـ/

---

(١) بدر، فقهاء الشام ص ٩٢
(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٦٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٣٦
(٣) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٤٣، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٢٥
(٤) ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٨٥٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٣٩
(٥) عباس، تاريخ بلاد الشام ٣١، وانظر عن حركات العلوية وثوراتهم: فوزي، العباسيون الأوائل ج١، ص ١٤٣ ــ ٢٠٣
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(٧) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٩

١٠٩٤م عندما انقسمت الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية (الحشاشون)، وكان وجودهم في الجند يتمثل في عدة مدن منها: مدينة الباب[١]، وسرمين التي كان أكثر أهلها (القرن ٧ هـ/ ١٣م) إسماعيلية ولهم بها دار دعوة[٢]، وفي قرية تيزر القريبة من سرمين[٣]، وفي كفرلاثا [٤]، وكان غالب أهل جبل السماق أسديون من بني كاهل، ومذاهب عامتهم ــ في زمن ابن العديم ــ مذهب الإسماعيلية النزارية[٥]، وكذلك قرية أقمناس على جبل السماق[٦].

أهل الذمة:

١. النصارى:

كان وجود النصارى ملحوظاً في جند قنسرين، وهو وجود قديم، إذ كانت أغلب القبائل القاطنة في بلاد الشام وأطراف الحجاز تدين بالنصرانية، فأطلق عليهم العرب المتنصرة أو نصارى العرب[٧]، وعند الفتح الإسلامي كان أهل حاضر قنسرين نصارى من قبائل تنوخ الذين استوطنوه منذ أول نزولهم بالشام، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام، فأسلم بعضهم، وبقي البعض على النصرانية، فصالحهم على الجزية، وكان أكثر من أقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، ويقال: إن جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة المهدي، فكتب على أيديهم بالخضرة "قنسرين"[٨]، ومثل ذلك أيضاً بعض نصارى قبيلة طيء اليمانية، الذين أسلم بعضهم لأول الفتح، وبقي آخرون على نصرانيتهم يؤدون الجزية. وبمرور الوقت اندرج أغلبهم في الإسلام إلا من شذ عن جماعتهم وبقي على نصرانيته[٩]، وقد شاركت جموع من أبناء العرب المتنصرة الذين دخلوا الإسلام إلى جانب المسلمين في مسيرة الفتوح التي توالت في بقية الأقاليم[١٠].

أما نصارى تغلب فرفضوا الدخول في الإسلام، وفي الوقت نفسه أنفوا من أداء الجزية وأرادوا التفرق في البلاد، فردهم عمر بن الخطاب ووافق أن تؤخذ منهم الصدقة المفروضة على المسلمين

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٥
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢١٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٩
(٣) ياقوت، المصدر نفسه ج٢، ص ٦٦
(٤) ياقوت، المصدر نفسه ج٤، ص ٤٧٠
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٣٨
(٧) خريسات، دور العرب المتنصرة ج٢، ص ١٤١
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٢
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٥١، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٤٨
(١٠) خريسات، دور العرب المتنصرة ج٢، ص ١٥٥ وما بعدها

مضاعفة، قالوا: "أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج فإننا نرضى ونحفظ ديننا"[١]، ودخل منهم جماعة في الإسلام، ثم إن بعضهم التحق صحبة بعض الإياديين إلى العراق واختطوا مع سعد بن أبي وقاص الكوفة وبقي الآخرون في مواطنهم من الشام والجزيرة[٢]. وجرت بينهم وبين القيسية حروب وأيام عديدة في خلافة عبد الملك بن مروان، إذ كانت القيسية زبيرية وتغلب مروانية، وكانت أغلب حروبهم هذه في الجزيرة باستثناء وقعة الجحاف التي كان موضعها قرب جبل البشر في جنوب جند قنسرين وسمي "يوم البشر"[٣]. وكان من أعقاب التغالبة حمدان بن حمدون بن الحارث، زعيم بني تغلب وجد الأسرة الحمدانية، وقد ولي في العهد العباسي على قلعة ماردين قرب الموصل. ويبدو أن كثيراً من بني تغلب كانوا نصارى إذ يذكر ديونيسيوس أنه كان للتغالبة أسقف[٤].

ونصارى الشام يتبعون لمذاهب وطوائف مختلفة، نشأت بعد انعقاد المجمع الخلقيدوني عام ٤٥١م، حيث انقسمت الآراء حول نظرة كل مذهب لطبيعة المسيح، وقد عدد ابن الفقيه طوائف نصارى الشام فهم: "كلهم نصارى يعقوبية وملكية ونسطورية ونيقلائية وركوسية ومرقيونية وصابيء ومناني"[٥]. غير أن المشهور من مذاهبهم ببلاد الشام ثلاثة: اليعقوبيّة والنسطوريّة والملكيّة؛ فاليعاقبة نسبة إلى مار يعقوب البردعي[٦]، وهم القائلون بأُقنوم واحد (صفة أو مشيئة واحدة) وطبيعة واحدة في المسيح ويقال لهم الأرثوذكس، بينما النساطرة وهم ينسبون لنسطورس أحد بطاركة القسطنطينية فيؤمنون بأن المسيح أُقنومان: لاهوتي وناسوتي وطبيعتان أو جوهران في المسيح لاهوتي وناسوتي، أي أن السيد المسيح مسيحان أحدهما ابن الله والآخر ابن الإنسان، وهو ما يؤمن به الكاثوليك[٧]. والملكيّون فهم القائلون بأقنوم واحد وطبيعتين في المسيح، وهو مذهب البيزنطيين. ويذكر المسعودي أن مَن كان بالشام من اليعاقبة في زمنه (٣٣٢هـ/ ٩٤٤م) كان يقيم بناحية حلب ببلاد جند قنسرين والعواصم، ويضيف "وكرسي اليعاقبة فرسمُه أن يكون بمدينة

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٨٥ ـــ ١٨٧
(٢) الطبري، تاريخ ج٤، ص ٤٠
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج ٧، ص ٦١ ـــ ٧٩
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤٩
(٥) ابن الفقيه، البلدان ص ١٣٠
(٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٥٢، عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، (ترجمة) إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص ٢٢٠، وسيشار له فيما بعد: عطية، تاريخ المسيحية.
(٧) المنبجي، المنتخب ص ٣٤ (هامش المحقق ١، ٥)، الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٥٢، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل (تحقيق) محمد سيد كيلاني، ٢ج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص ٢٢٤ ـــ ٢٢٦، وسيشار له فيما بعد: الشهرستاني، الملل والنحل، أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ٧٨٦م)، المختصر في أخبار البشر، ٢ج، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٤هـ. ج١، ص ٦٥، وسيشار له فيما بعد: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ساكا، كنيستي السريانية ص ٤٦، وللمزيد عن نشأة المذهب النسطوري انظر: عطية، تاريخ المسيحية ص ٢٩١ وما بعدها

أنطاكية، وكذلك لهم كرسي بمصر، ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين"[١].

أمّا **السريان** فليست مذهباً مستقلاً بل جماعة من النصارى تشمل المذاهب المذكورة؛ ففيهم يعاقبة ونساطرة وملكيّون، لكنهم يتميّزون عن غيرهم بلغتهم السريانية. والسريان الأرثوذكس على مذهب اليعاقبة وكان موطنهم بالجزيرة فيما بين النهرين بامتداد نحو الغرب حيث جند قنسرين، وقد حفلت مصادرهم بالكثير من أحوالهم في ظل حكم الدول الإسلامية المتعاقبة. وكانوا يعانون من الاضطهاد من قبل الخلقيدونيين (الملكيين) الذين يكرهون الأرثوذكس، وفي المقابل فإن الأرثوذكس ينظرون للخلقيدونيين بأنهم أصحاب بدع، وأنهم يؤمنون بمسيحين اثنين أو مشيئتين (لاهوت وناسوت) لا مسيح واحد[٢]. وقد أشار ديونيسيوس لنماذج من النزاعات والفتن التي كانت تنشأ "بين صفوف المؤمنين والقائمين على الكنيسة"[٣]، منها الخلافات والاضطرابات التي وقعت بينهم سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م بسبب اختلافهم في موعد الصوم الكبير[٤]، والفتنة التي وقعت في السنة التي تلتها (١٤٣هـ/ ٧٦٠م) بسبب اختلافهم على انتخاب البطريرك[٥].

والموارنة، فهم طائفة من النصارى وينسبون للقديس مارون (ت ٤٣٣م) الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي[٦]، فأقام متنسكاً على قمة جبل قرب مدينة قورس شمال غربي حلب، وتبعه الكثير من الرهبان والنساك والتلاميذ[٧]، وكان مارون قد أحدث مذهباً يتفق مع الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالوث ويخالفهم في أن المسيح جوهران أقنوم واحد مشيئة واحدة، فهو قول متوسط بين قول النسطورية والملكية[٨]، ويستعملون عبارة "يا من صُلبت لأجلنا"[٩]، وكانت بينهم وبين اليعاقبة عداوة مذهبية ومشاحنات[١٠].

وبعد وفاته جعل أتباعه يستذكرونه في يوم جعلوه عيداً له[١١]، واتخذوا على قبره ديراً كبيراً

---

(١) المسعودي، مروج ج٢، ص٥٠، الشهرستاني، الملل والنحل ج١، ص ٢٢٣
(٢) ماريميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٧٨
(٣) ماريميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٦١
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١١٤
(٥) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١١٥، ١٣٦ ــ ١٤٢
(٦) المسعودي، التنبيه ص ١٥٣، الدبس، يوسف، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٥م. ص ٤، وسيشار له فيما بعد: الدبس، الجامع المفصل، عطية، تاريخ المسيحية ص ٤٨٩
(٧) لامنس، الأب هنري اليسوعي، تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار، ٢ج، ١مج، دار الرائد اللبناني، ١٩٨٢، ج٢، ص ٥١، وسيشار له فيما بعد: لامنس، تسريح الأبصار، الدبس، الجامع المفصل ص ٣، ١٠
(٨) المسعودي، التنبيه ص ١٥٣
(٩) ماريميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٠٣ نقلاً عن ديونيسيوس
(١٠) لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٥١
(١١) الدبس، الجامع المفصل ص ٧

سمي باسمه دير مارون وموضعه على العاصي بين حماه وحمص[١]، كما بنيت باسمه أديرة أخرى في مواضع من شمال الشام[٢]، وكثر أتباعه والمؤمنون بتعاليمه، فأطلق عليهم الموارنة، ثم توزعوا في عدة مناطق من الشام، وسمح الخليفة مروان بن محمد لأندريا الماروني بتشييد كنيسة للموارنة في منبج[٣]، وإضافة لوجود الموارنة بجند قنسرين في قورس ومنبج ومعرة النعمان[٤] وأنطاكية[٥] يذكر المسعودي أن أغلب وجودهم كان بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر[٦]، وهي مواضع خارج جند قنسرين، ولعل هذا مخصوص بزمن المسعودي (مطلع القرن الرابع الهجري)، فيكون انتقالهم نحو الجنوب قد وقع في القرن الثالث الهجري نتيجة اضطهاد اليعاقبة لهم[٧] أو بسبب الأحداث التي رافقت دولة بني طولون ثم دخول القرامطة.

وتقدمت الإشارة إلى **البيالقة** وهم فرقة من النصارى مذهبهم بين النصرانية والمجوسية[٨]، وكانوا على المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية اضطهاداً شديداً[٩]، وكانت مساكنهم بالمنطقة التي تلي الثغور (منطقة تفريك أو أبريق) إلى الغرب من ملطية[١٠]، وكانت لهم حصون مشهورة بالمناعة منها قلعة إبريق وقلعة لؤلؤة، وكانت مدينة طرندة شمال غرب ملطية من أقوى حصونهم[١١]. وكانوا ــ بسبب مخالفتهم للروم في المذهب ــ يُعينون المسلمين في حروبهم ضد الروم، بينما يتولى المسلمون نفقتهم، وقد استمروا على هذا منذ أن استخلص المأمون حصن لؤلؤة من الروم سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م[١٢] حتى خلافة المعتمد وتحديداً سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م عندما تخلف المسلمون عن إعانتهم ــ لسوء تصرف والي الثغور أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي ــ فسلموا مدينة لؤلؤة إلى الروم[١٣]، وتفرقوا في البلاد وحل مكانهم الأرمن[١].

---

(١) المسعودي، التنبيه ١٥٣، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ج١، ص ٦٥، الدبس، الجامع المفصل ص ٧، ٢٤، لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٥٠

(٢) الدبس، الجامع المفصل ص ١٤

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٠٣

(٤) المسعودي، التنبيه ص ١٥٣

(٥) لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٥٠

(٦) المسعودي، التنبيه ص ١٥٣

(٧) لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٥١

(٨) المسعودي، مروج ج٥، ص١٢٣، المسعودي، التنبيه ص ١٥١

(٩) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥١

(١٠) قدامة، الخراج ص ١٨٧، وورد الاسم محرفاً: السالفة

(١١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣

(١٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٨، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٦، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٢١

(١٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥١١، ٥٣٢، البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٨

وإضافة لنصارى الداخل والساكنين في الجزيرة، كان النصارى يتواجدون بكثرة في المناطق الثغرية، وكانت الدولة تشجع بقاءهم فيها لعمارتها ودفع الروم عنها إذا ما هاجموها، فكان منهم في مرعش، وسميساط(٢)، والمصيصة(٣)، وكذلك ملطية التي يرجع استقرار النصارى فيها إلى أيام عبد الله بن الزبير (سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م) عندما انتقل أهلها عنها وهاجمها الروم فأخربوها ورحلوا عنها فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط(٤). وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد ابتنى عدة حصون في شرقي جيحان وأسكنها قوماً من الصقالبة والأنباط والنصارى(٥). وكان للنصارى دور في الصوائف وفي مساعدة المسلمين في الترجمة بين الروم والعرب، فقد كان بسيل الترجمان صحبة الرشيد في إحدى غزواته(٦)، ورافق المعتصم في غزوته التي فتح فيها عمورية(٧)، ويذكر ابن البطريق أن المعتصم اصطحب معه في هذه الغزوة أيوب بطريرك أنطاكية الخلقيدوني (أي الكاثوليكي)، وكان البطريرك يخاطب الروم ويطلب منهم طاعة الخليفة وأداء الجزية له بدل أن يقتلوا ويسبوا(٨). ولعل بسيل هذا هو ذاته الذي سماه النديم بسيل المطران وكان أحد الذين عملوا في ترجمة الكتب العلمية من اللغة اليونانية إلى العربية(٩).

أما **الأرمن** فهم من النصارى القاطنين في مناطق شرق الأناضول وشمال الجزيرة الفراتية، أو ما يعرف بأرمينية، ودخلت بلادهم ضمن فتوح المسلمين في عهد عثمان بن عفان، وطلبوا الأمان على الجلاء والجزية، فجلا بعضهم إلى بلاد الروم وبقي الآخرون في مواضعهم على نصرانيتهم(١٠). وللأرمن لغة خاصة بهم مثلما للسريان كذلك.

وأقدم وجود لهم في جند قنسرين يرجع إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦هـ/ ٦٨٥ــ ٧٠٥م)، عندما انتقل أهل ملطية عنها، وجاءت الروم فخربتها وغادرتها "فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط"(١١). وهذا يعني أن الوجود الأرمني في شمال الثغور كان منذ عهد بني

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٧
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٠ نقلاً عن ديونيسيوس، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٩
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٣٢
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٨٩، الحميري، الروض ص ٥٤٥
(٥) قدامة، الخراج ص ٣٠٨
(٦) ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٥٦هـ)، الأخبار الموفقيات، (تحقيق) سامي مكي العاني، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م. ص ٤١
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٩
(٨) ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٠
(٩) النديم، الفهرست ج ٢، ق ١، ص ١٤٦
(١٠) البلاذري، فتوح ص ٢٠٠
(١١) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٨٩، الحميري، الروض ص ٥٤٥

أمية، ولم يظهر لهم وجود في داخل الجند إلا إذا كان على هيئة أفراد تسربوا إليها بحكم التجارة على نهر الفرات، أما وجودهم كجماعة فكان في المنطقة الإقليمية بين المسلمين والروم في مدينة ملطية.

وقد نشأت بينهم وبين المسلمين علاقة مبنية على وحدة العدو المشترك، فأعانوا المسلمين على الروم، ويذكر ديونيسيوس التلمحري أن "ملك الروم فيليفيقس طرد الأرمن في سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م نتيجة حقدهم على الأرثوذكس، فالتجأوا إلى المسلمين فأسكنوهم في ملطية وفي المناطق الشرقية (شرق الروم) منها فتكاثروا في هذه المناطق وتحالفوا مع المسلمين ضد الروم"[١]، كما عمل بعض الأرمن في الثغور كأدلاء للجيوش المحاربة، وكان يُصرف عليهم من غلات ضياع طرسوس[٢].

وزادت علاقتهم بنصارى المنطقة بعد أن حدث اتحاد بينهم وبين السريان، إذ تبودلت بين الطرفين الرسائل لتحقيق هذا الاتحاد حتى تم في عهد هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥ ــ ١٢٥هـ/ ٧٢٣ ــ ٧٤٣م) وكتبت بنوده باللغتين الأرمنية والسريانية[٣].

ويبدو أن علاقة الدولة العباسية بالأرمن لم تكن طيبة كعلاقة الأمويين بهم، ففي منتصف القرن الثاني الهجري (بعد ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) كان عدد من الأرمن يقيمون في الجزيرة في بيت رومايا وجوارها، وقد أرادوا الخروج إلى الحصون في الثغور الجزرية والشامية لكن المنصور رفض خروجهم من الجزيرة، فأصروا على ذلك وخرجوا؛ وبلغ خبر مغادرتهم الجزيرة لعامل مدينة كمخ، فجهز حملة لمطاردتهم وتمكن من القبض عليهم في أحد المروج "لكنهم تخلصوا من القتل بالحيلة والدهاء"[٤]، ولعلهم بهذا قد توزعت أسرهم في الواجهة الشمالية على امتداد السنوات اللاحقة.

ويرد ذكر أحد قادة العباسيين المشهورين وهو علي بن يحيى الأرمني، وتظهر سيرته إخلاصاً في خدمة الدولة العباسية، وهو مسلم على وجه التأكيد، إذ لا يعقل التولية على المسلمين من أهل الذمة، خصوصاً مع بغض المتوكل لهم، فقد ولاه المتوكل الثغور الشامية منذ سنة ٢٣٧ ــ ٢٤٨هـ/ ٨٥١ ــ ٨٦٢م[٥]، وعمر عدداً من مدنها وحصنها[٦]، وتولى إقامة الفداء سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م[٧]، وقاد العديد من الصوائف، وبقي مقارعاً للروم حتى استشهاده هو وعمر بن عبد الله الأقطع في سنة

---

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٧٤
(٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١
(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٨٨ ــ ٣٩٤
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٦٠
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٥٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١١٩.
(٦) البلاذري، فتوح ص ١٧٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ٣٦٢
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠٣، المسعودي، التنبيه ص ١٩١

واحدة (سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)[١]، ويرد أيضاً اسم محمد بن علي الأرمني، ولعله ابن المتقدم، استعمله أبو أحمد الموفق على أهل طرسوس فوثبوا به سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م وقتلوه[٢].

ولم يستطع العباسيون ــ خصوصاً في آخر العصر العباسي الثاني ــ كسب فئة من الأرمن إليهم، فانحازوا إلى الروم، وأصبحوا يشكلون مصدر تهديد للثغور الشامية، وترافق ذلك مع عجز الدولة عن مدافعتهم، فكانت الروم تفتح بعض المدن الثغرية على الحدود مع المسلمين ويسكنها هؤلاء الأرمن، كما حدث في مدينة لؤلؤة بقرب ملطية التي هجرها أهلها البيالقة وسلموها للروم سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م[٣]. فحل مكانهم الأرمن وتكاثروا في المنطقة وابتنوا فيها القلاع وتولى قائدهم مليح الأرمني مهاجمة مدن الثغور وتخريبها[٤]، فهاجم مرعش سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م[٥]، وقام في سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بإرسال نحو ٧٠٠ رجل من الروم والأرمن إلى مَلَطْية ومعهم الفؤوس والمعاول ليظهروا بمظهر العمال المتكسبين من البناء تمهيداً للسيطرة عليها لولا تنبه أهل البلد لهم فقتلوهم[٦]، وتلا ذلك سيطرة الروم على ملطية فسكنها الأرمن[٧]، وتتالى امتلاك الأرمن لمدن الثغور كطرسوس والمصيصة وبلاد سيس حتى أصبحت في القرن الثامن الهجري كرسي مملكة الأرمن[٨].

أما الجراجمة، فيُرجع الأب لامنس تاريخهم إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وذكر أنهم قوم من بقايا الحثيين الذين كانوا يسكنون بجوار مرعش (جرمانيقية) وورد ذكرهم في الكتابات الآشورية[٩]، واستقصى البلاذري خبرهم ورصد العديد من الروايات عنهم، ومما يستخلص من كلامه عنهم أن مسكنهم عند الفتح كان بمدينة الجرجومة على جبل اللكام (الأمانوس) فيما بين بياس وبوقا (شمال أنطاكية)، وكانت تبعيتهم في عهد الرومان إلى بطريق أنطاكية، وبعد فتح الشام طلبوا الأمان والصلح فصالحهم أبو عبيدة على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وأن لا

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٨، ٢٦١، المسعودي، مروج ج٥، ص ١٢٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٩، ١٢١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٨

(٢) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٨

(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥١١، ٥٣٢، البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٠٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٨

(٤) قدامة، الخراج ص ١٨٧

(٥) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٩٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٥

(٦) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٩٨ ــ ١٩٩، وانظر: ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١

(٨) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر ج١، ص ٩٢

(٩) تدمري، عمر عبد السلام، الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق "لبنان"، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، إربد، جامعة اليرموك، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٣٦٥، وسيشار له فيما بعد: تدمري، الفتح الإسلامي

يؤخذوا بالجزية(١)، وهذا امتياز وأفضلية منحت لهم ولم تعط لغيرهم من أهل الذمة(٢)، ربما نتيجةً لصعوبة مكان سكناهم في أسافل جبال طوروس وحاجة المسلمين إلى اتقاء شرهم.

وبالرغم من أن الجراجمة قوم من النصارى، إلا أن ابن الفقيه ينقل عن الكلبي قوله: "الجراجمة: علوج الشام"(٣). والعلج هو الرجل الكافر من العجم، إلا أن يكون أراد رطانة في كلامهم وعجمة.

وأطلق عليهم المؤرخان: البيزنطي ثيوفانس والسرياني ديونيسيوس اسم المردة (Mardaites)(٤)، وهي تسمية لم يجنح لها الأب لامنس وجعلهم أمتين يربط بينهما تاريخ مشترك وعلاقات وثيقة(٥)، ويذكر كل من ثيوفانس وديونيسيوس أن جماعة منهم دخلوا لبنان في سنة ٦٧٦م (تقابل سنة ٥٥هـ) في عهد معاوية بن أبي سفيان، وأنهم احتلوا المنطقة الممتدة من الجبل الأسود حتى جبل الجليل(٦)، ويضيف ديونيسيوس أنهم دأبوا السلب والنهب لأن الروم أرسلوهم لهذه الغاية، فتمكن المسلمون من التغلب عليهم فقتلوا بعضهم وسملوا عيون البعض الآخر(٧).

وتميزت علاقة الجراجمة بالدولة فيما بعد بين الالتزام بشروط الصلح أو بنقضه والانحياز إلى الروم(٨)، فقد أعانت جماعة منهم ومن الأنباط وأباق عبيد المسلمين القوات الرومية التي غزت لبنان سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م في عهد عبد الملك بن مروان(٩)، وأقلق وجودهم في لبنان الخليفة عبد الملك، فاشترط لعقد الصلح مع ملك الروم جستنيان الثاني (٦٥ ــ ٧٧هـ/ ٦٨٥ــ ٦٩٦م) أن يتولى الأخير إخراجهم من لبنان، و"أن يدفع عبد الملك مقابل ذلك ما يعادل ١٠٠٠ قطعة ذهبية (درهم) وفرساً وعبداً يومياً، فتم إخراج جماعة من المردة من لبنان وأسكنهم ملك الروم في بلاده وبلغ عددهم ١٢ ألفاً"(١٠). فلما انتهت حملة الروم بعقد الصلح مع المسلمين، تفرق من بقي من الجراجمة

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٦٣ ــ ١٦٤، ونقله عنه ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٢٣
(٢) لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٤٥
(٣) ابن الفقيه، البلدان ص ٩٣
(٤) Theophanes, The Chronicle, p ٤٩٦, ٥٠٣، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٥١، وأشار ديونيسيوس إلى أن السوريين هم من أطلقوا عليهم تسمية الجراجمة، وسماهم المنبجي: الخرانقة. انظر: المنتخب ص ٧٢
(٥) لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٤٨
(٦) Theophanes, The Chronicle, p ٤٩٦، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٥١
(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٥١، والمنبجي، المنتخب ص ٧٣
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٦٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٢٣، تدمري، الفتح الإسلامي ج٢، ص ٣٦٦
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٦٤، البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٤٢، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٢٣، ابن الأثير، الكامل ج٤، ص ٣٠٤، وأرخه في سنة ٦٩هـ، لامنس، تسريح الأبصار ج٢، ص ٤٦، تدمري، الفتح الإسلامي ج٢، ص ٣٦٦
(١٠) Theophanes, The Chronicle, p ٥٠٦، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٦

في قرى حمص ودمشق، ورجع أغلبهم إلى مدينتهم بجبل اللكام[١]. وفي سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م استشعر الوليد بن عبد الملك الخطر من الجراجمة نتيجة تردد جماعة من روم الإسكندرونة وجزيرة رودس عليهم، فأرسل إليهم أخاه مسلمة بن عبد الملك فأخرجهم من مدينتهم وخربها وفرقهم في عدة مواضع من جند قنسرين: في جبل الحوّار (قرب حلب) وجبل ليلون (سمعان) وعمق تيزين، وذهب بعضهم إلى حمص وأنطاكية[٢]، وأجرى مسلمة على كل فرد منهم ثمانية دنانير إضافة لمؤنة عائلاتهم من قمح وزيت، كما ضمن لهم أن لا يكرهوا على ترك النصرانية وسمح لهم بارتداء ما يرتديه المسلمون من اللباس وأن لا تؤخذ منهم الجزية ــ كما جرى عليه الحال سابقاً ــ وأن تؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من المسلمين[٣]، وبهذا استطاع مسلمة استئلافهم وضمن ــ بتفريقهم على المواضع ــ عدم معاونتهم للروم. كما استفاد منهم المسلمون في حفظ بعض الحصون التي بنواحي جبل اللكام من غارات الروم، وكان الروم قد عرضوا لرسول هشام بن عبد الملك فبنى حصن مورة (أو: موزار)، ورتب فيه أربعين رجلاً وجماعة من الجراجمة لحفظه[٤]، وذكر ياقوت أن المسلمين استعانوا بالجراجمة في مواطن كثيرة في أيام بني أمية وبني العباس وأجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة[٥].

ولم ترد أخبار عن أحوال الجراجمة في العصر العباسي سوى استمرار إسقاط الجزية عنهم حتى عهد الواثق، فعمل أحد الولاة على إلزامهم بدفع جزية رؤوسهم وشكوا ذلك للواثق فأمر بإعفائهم من دفعها، ونقل البلاذري عن بعض من يثق به من الكتاب أن المتوكل أعاد فرضها عليهم[٦]، وهو أمر غير مستغرب منه لتشدده مع النصارى كما سيأتي بيانه تالياً.

٢. اليهود:

لا تقدم المصادر المتوفرة معلومات كافية عن اليهود في جند قنسرين وبقية الأجناد، وهم يندرجون تحت مصطلح أهل الذمة، ويبدو أن وجودهم في جند قنسرين كان قليلاً، وبقي متواضعاً في القرون التالية للحقبة التي تشملها الدراسة، ولعل وجودهم كان في المدن الرئيسية فقط لطبيعة الأعمال التي يحترفونها كالصيرفة والتجارة والطب والصباغة[٧]، فكانت أعدادهم ملحوظة بحلب[٨]

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٦٥، البلاذري، أنساب الأشراف ج٧، ص ٤٣
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٦
(٣) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٦٥
(٤) قدامة، الخراج ص ٣٠٩، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٢١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٨
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٢٣
(٦) البلاذري، فتوح ص ١٦٦
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٣
(٨) الحميري، الروض ص ١٩٧، وانظر: عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٣٥

التي سمي أحد أبوابها: باب اليهود[١]، بما يعني أنه يُفضي إلى الحارة أو الحي الذي يقطنونه، وقد مر الرحالة بنامين التطيلي بجند قنسرين بحدود سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م وقدم أرقاماً إحصائية لعدد اليهود في كل المواضع التي زارها، وبالرغم من بُعد تاريخ زيارته للمنطقة عن النطاق الذي تتناوله الدراسة إلا أن مقارنة أعدادهم في عدد من مدن الجند مع عددهم ببغداد قد تفيد في أخذ التصور العام لوجودهم؛ فكان عدد اليهود بحلب عند زيارة بنيامين نحو ألف وخمسمائة يهودي[٢]، وفي بالس عشرة أنفار من اليهود، وفي قلعة جعبر نحو ألفي يهودي[٣]، وفي المقابل كان عددهم ببغداد نحو أربعين ألف يهودي[٤].

وتواجد اليهود في الثغور، إذا يورد ابن عساكر رواية عن أحد المقربين من أبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) الذي أقام بالثغور حتى وفاته، قوله: "لما مات أبو إسحاق الفزاري رأيت اليهود والنصارى يحثون التراب على رؤوسهم مما نالهم"[٥].

الصابئة والمجوس:

وجد بين المسلمين وأهل الذمة: صابئة ومجوس وملاحدة، وتشعبت من هذه الديانات فرق وطوائف ومذاهب لها أتباع ودعاة وانتشرت الكتب والمؤلفات التي تشرح أديانهم. ويصف الزوقنيني ــ وهو شاهد عيان ــ قوات الخراسانيين التي اتجهت سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م لحرب آمد بأنها تشتمل على أتباع ديانات مختلفة وعقائد متباينة تتمثل فيهم كل الديانات، "فكان منهم من يعبد النار، ومنهم من يعبد الشمس؛ في الصباح كانوا يسجدون ميممين نحو الشرق، وفي وسط النهار كانوا يولون وجوههم شطر الجنوب، وفي المساء نحو الغرب، كان منهم من يعبد القمر ومنهم مَن يعبد النجوم، وفئة تعبد الخيل، ومنهم من يصنعون نماذج مكررة لكل أنواع الأصنام ويحملونها معهم ليعبدوها"[٦]. وإذا كان الجيش مشتملاً على هذه الأخلاط فيمكن الافتراض بأن المجتمع يحوى أضعاف ذلك.

وقد ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وعرّف الطبري في تفسيره الصابئين بأنهم: جمع صابئ، وهو المستحدث سوى دينه ديناً آخر، كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل من خرج عن دينه إلى آخر تسميه العرب: صابئاً، وأورد روايات كثيرة

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٣٩ ــ ٤٧، الحميري، الروض ص ١٩٦
(٢) التطيلي، رحلة ص ٢٨٠
(٣) التطيلي، المصدر نفسه ص ٢٨٢
(٤) التطيلي، المصدر نفسه ص ٢٩٩
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٣٢
(٦) الزوقنيني، تاريخ ص ١٢٤

مختلفة، منها ما يذكر بأن الصابئة ليسوا يهود ولا نصارى، وأنه لا دين لهم، وأضاف آخرون بأنهم لا ينتمون لليهود ولا النصارى ولا المجوس، وفئة ثالثة ترى بأنهم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة، أما أكثر الآراء اتفاقاً من روايات الطبري فيذكرون بأنهم بين المجوس واليهود(١)، وعدّهم ابن الفقيه ضمن نصارى الشام(٢)، وهو ذات الاعتبار عند الخوارزمي الذي يؤكد على أنهم "فرقة من النصارى على الحقيقة"(٣)، ويظهر من كثرة الآراء والروايات أن معرفة العرب بهم وبديانتهم كانت قليلة، أو متنازعاً فيها، بالرغم من كثرة المؤلفات التي وضعها علماء المسلمين قديماً في التعريف بهم وبدياناتهم ومذاهبهم(٤)، واستمر الاختلاف في تعريف مذهبهم فيما بعد فلم يتهيأ لابن قيم الجوزية القطع بمذهبهم، لكنه ذكر أنهم أمة كبيرة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، منقسمة إلى مؤمن وكافر(٥)، والكفرة منهم يعبدون الكواكب(٦)، والأصنام(٧).

ويقيم الصابئة بحران، ولا يظهر لهم وجود في غربي نهر الفرات حيث جند قنسرين، ولا يعتقد الباحث بأنهم هم من أُطلق عليهم لفظ الزنادقة وتمت متابعتهم وتعقبهم منذ عهد المهدي، بل على العكس من ذلك فلعلهم لاقوا رعاية واهتماماً من الخلفاء خصوصاً من المأمون الذي كانت له عناية بالعلوم والفلسفة والمناظرة فيهما، مع ما عرف عن الصابئة من تقدم في الفلسفة والعلوم، ولهذا اشتهرت حران بكونها مركزاً للفلاسفة والعلماء منذ زمن بعيد، وكانت لهم مؤلفات وكتب في علوم شتى.

الفئات العرقية للسكان:

أما ما اشتمل عليه جند قنسرين من **الأعراق،** فكان خليطاً من الأمم والشعوب الذين استوعبتهم الدولة الجديدة، القائمة في نشأتها على أكتاف عناصر أعجمية، ويعدد الزوقنيني الأجناس التي تكونت منها الحملة المرسلة إلى آمد سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م ويصفها بأنها "كانت مزيجاً من كل الشعوب: سنديين وخزريين وفرس وعاقوليين (كوفيين) وكوسيين (تركمان) وأتراك ومسلمين

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، (تحقيق) محمود شاكر، ٢٤ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ٣٦٧ ــ ٣٦٩، وانظر فرق الصابئة عند الشهرستاني، الملل والنحل ج٢، ص ٤٩ وما بعدها

(٢) ابن الفقيه، البلدان ص ١٣٠

(٣) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٥٥

(٤) انظر: النديم، الفهرست ج٢، ق١ ص ٣٥٧ ــ وما بعدها

(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (تحقيق) محمد سيد كيلاني، ٢ج، دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦

(٦) أيوب، التاريخ العباسي ص ٢٥٣

(٧) انظر نماذج من طقوس عبادتهم للأصنام عند: ابن البهلول، الحسن (ت بعد ٣٥١هـ/ ٩٦٣م)، كتاب الدلائل (تحقيق) يوسف حبي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٧م، ص ٢٤٧ ــ ٢٥٦

وغيرهم"[١]. ويأتي في مقدمة مكونات الجند: العرب، وتقدمت الإشارة إلى القبائل العربية التي استقرت فيه ومن بقي على نصرانيته منهم، وسوف يتم استعراض بقية الأعراق والملل على الترتيب: الفرس والأتراك والأكراد والصقالبة والزط وأخيراً فئة الزواقيل التي لا يمكن حسابها على أي من الأمم والأجناس المتقدمة.

الفرس:

يرجع وجود الفرس في جند قنسرين وسواحل بلاد الشام إلى عهد الفتوحات الإسلامية، إذ كانوا إلى جانب غيرهم من العناصر غير العربية التي ساهمت في عملية الفتح[٢]، وليس من غاية البحث تتبع رجالهم ومساهمتهم في ذلك، إنما الغاية ملاحظة هذا الوجود وصولاً إلى الفترة التي تختص بها هذه الدراسة.

وكانت منهم جماعات تسكن بحمص وبعلبك في العهد الأموي، وقام معاوية عندما تولى الخلافة بتوطين جماعة منهم في المناطق التي تحتاج إلى حضور إسلامي، فنقل إلى أنطاكية سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م جماعة من الفرس من أهل بعلبك وحمص[٣]، لحماية السواحل وسد الفراغ فيها، فتكاثروا فيها وتناسلوا وأصبح عددهم بأنطاكية في القرنيين التاليين كبيراً، ولهذا لاحظ اليعقوبي أن أغلب سكان أنطاكية هم من الفرس[٤].

وجرى كذلك نقل جماعة من الأساورة إلى سواحل الشام، والأساورة قوم من مقاتلة الفرس ممن لا أرض لهم، وكان زعيمهم سياه الأسواري قد طلب من أبي موسى الأشعري بعد أن أتم فتح السوس أن يشركهم في الفتوح على أن يفرض لهم عطاء وأن تكون لهم الأحقية في اختيار الجماعة التي ينضمون إليها، وأن ينزلوا ــ فيما بعد ــ في أي موضع شاءوا، فأجيبوا إلى طلبهم والتحقوا مع أبي موسى الأشعري وهو يحاصر تستر، فلم يجد منهم كبير فائدة في القتال. ثم صاروا إلى البصرة ونزلوا في بني تميم وخطت لهم الخطط بالبصرة واحتفروا نهرهم المعروف بنهر الأساورة[٥]، وقد عانت البطائح من الأذى الذي سببه الأساورة مع الزط والسيابجة، فجرى نقلهم في فترات متقطعة إلى المناطق الساحلية.

أما في دولة بني العباس فلقى الفرس قبولاً واسعاً من لدن الخلفاء، حفظاً لهم لسوابق الفضل

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٢٤

(٢) تدمري، الفتح الإسلامي ج٢، ص ٣٦٢، ٣٦٧

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٠

(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٨٨، كلاهما نقلاً عن اليعقوبي

(٥) البلاذري، فتوح ص ٣٦٦ــ ٣٦٧

بمساندتهم في إنجاح دعوتهم، وتقدم في الفصلين قبله الإشارة إلى اعتماد الدولة عليهم حتى سميت الدولة العباسية "دولة أعجمية"، وكان من الطبيعي أن يكثر وجودهم في أقاليم الدولة، عمالاً وموظفين ومقاتلة في الجيش ومطوعة وأناس عاديين يتكسبون من معايشهم الخاصة، وجمعت مدن قنسرين في مكوناتها عناصر مختلفة، فكانت منبج وبالس مسكونتان بأخلاط من العرب والعجم[١].

وكانت ملامح الاستيطان الفارسي (الخراساني) في جند قنسرين تبرز من خلال وجهين:

١. سكنى المدن الثغرية: حيث جرى إنزال العناصر غير العربية في المناطق المواجهة لبلاد الروم، وبدأ هذا في أواخر العهد الأموي، عندما قام الخليفة مروان بن محمد بإسكان جماعات من الفرس في الحصون التي اتخذها شرقي نهر جيحان[٢] وأنزل جماعة أخرى منهم في المصيصة على الضفة الغربية من جيحان، فأقاموا في موضع سمي ربض الخصوص[٣].

وفي العصر العباسي تم إعمار عدد من المدن الثغرية وتم إنزال الجنود والخراسانيين وبعض القبائل العربية فيها، فلما بنيت أذنة بحدود سنة ١٤١ هـ/ ٧٥٨م كان الجنود الخراسانيون يعسكرون فيها، وتم إنزالهم فيها. كما نقل المنصور الفرس أهل الخصوص إلى مدينة المصيصة لما بناها وأعطاهم خططاً فيها عوضاً عن منازلهم على ذرعها ونقض منازلهم وأعانهم على البناء[٤].

وأورد ابن العديم رواية تُرجع وجود الغلمان الخراسانيين في الثغور إلى عهد المهدي وأنهم سكنوها رغبة في الجهاد بعد أن تم خصاؤهم، ونقل عن الطرسوسي سبب خصائهم بالخطأ، ونصه: "وردت الكتب من خراسان في أيام أبي جعفر المنصور أن قوماً من أبناء وجوه خراسان مَنعوا جانبهم، وقُدِرَ عليهم، والتمس إذن المنصور فيهم، فألفى ورود الكتاب أبا جعفر حاجاً، وتوفي في طريقه ذاك، واستخلف المهدي، فعرض عليه الكتاب، فأمر بكتب الجواب عنه، وأن يحصى أولئك الأبناء فيعمل في بابهم ما يعود بالصلاح، فسقط من قلم الكاتب على أعلى الحاء مقدار النقط، فقرئ بخراسان بالخاء المعجمة. فخصوهم خدماً، أربعة آلاف، منهم أبو سليم فرج الخادم، والحسين صاحب المهدي، وأبو معروف، وبشار"[٥]. ولا يمكن الركون لهذه الرواية لانعدام ذكرها في المصادر أولاً، والمبالغة في عدد الذين تم خصاؤهم، ثم إن الكتاب ــ بدون شك ــ لم يكن ليحتوى على جملة واحدة فقط فيقتضي الالتزام بها بل لا بد أنه لحقها توجيهات بخصوص هؤلاء وطريقة

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٧ ــ ١٠٨، ١٢٣ نقلاً عن اليعقوبي
(٢) قدامة، الخراج ص ٣٠٨
(٣) البلاذري، فتوح ص ١٧٠
(٤) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٧٠، ١٧٢، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٠

التعامل معهم بما يزيل اللبس عن كلمة (يحصى = يخصى) التي وقع فيها التحريف.

وكانت أوسع عملية لإسكان الفرس في المدن الثغرية قد تمت في عهد الرشيد سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م بعد بناء طرسوس، فتوجه أبو سليم فرج بن سليم الخادم المكلف بإعمار المدينة إلى بغداد "وأشخص الندبة الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل فوردوا طرسوس ثم أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل: ألف من أهل المصيصة وألف من أهل أنطاكية على زيادة عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه، ومسح فرج ما بين النهر إلى النهر فبلغ ذلك أربعة آلاف خطة كل خطة عشرون ذراعاً في مثلها، وأقطع أهل طرسوس الخطط وسكنتها الندبتان"[١]، فكان أهلها أخلاط من الناس من سائر الآفاق[٢]. وفي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م أمر الرشيد ببناء عين زربة وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم، فأقطعهم بها المنازل[٣]. وتولى أبو سليم الخادم بناء أذنة في سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م بأمر الأمين وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء[٤].

ويلاحظ أن أغلب أهل خراسان تم إسكانهم في الثغور، ولم يتم إنزالهم في مدن الجند الرئيسية التي تقطنها القبائل العربية، درءاً لوقوع مصادمات بينهم، خصوصاً وأن لدى أهل الجند نفرة منهم مع ما عُرف عنهم من "غلظ الأعجمية"، ثم إن دواعي حفظ الحدود تقتضي وجودهم في الثغور وليس في الداخل فكان أكثر المطوعة بطرسوس من أهل الجبل وخراسان[٥]، ومما يدل أيضاً على كثرة وجود الخراسانيين بالثغور أنهم قاموا بطرد يزيد بن مخلد الفزاري عامل عبد الملك بن صالح على طرسوس[٦].

ووصف المهلبي مكونات المجتمع في المدن الثغرية، فتحدث عن أهل طرسوس واستدرك بأن ما يجري عليها من الوصف يجري على بقية مدن الثغور خصوصاً المصيصة، فأهل طرسوس "من سائر أقطار الأرض، منهم: أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان"[٧].

٢. الغزوات والصوائف: حيث ساهمت حركة الصوائف والشواتي والغزوات المتوجهة إلى بلاد الروم في تسرب أعداد من المقاتلة (مرتزقة ومتطوعة) ممن ينتمون إلى عناصر مختلفة في

---

(١) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٧٤، قدامة، الخراج ص ٣١٠ ــ ٣١١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٥، ٢٤٠، وانظر: الحياري، مصطفى علي، حياة الناس في مدن الثغور "مدينة طرسوس"، مجلة دراسات تاريخية، ع ٤، جامعة دمشق، جمادى الثاني ١٤٠١هـ/ نيسان ١٩٨١م، ص ٨٧
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧ــ ١٧٨
(٣) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٧٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٠
(٥) ابن زولاق، سيرة خمارويه ص ٢١٩، ابن العديم، بغية الطلب ج٨، ص ٣٥٥٤
(٦) البلاذري، فتوح ص ١٧٤، وابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٦
(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٩ــ ١٨٠ نقلاً عن المهلبي

الإقامة بجند قنسرين، تبعاً لاختلاف العناصر المكونة للحملات العسكرية، ففي سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم في أهل خراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومتطوعة العراق والحجاز(١)، وأغلب المشاركين في هذه الحملات يعودون إلى مواطنهم بعد انتهاء الحملات، لكن يمكن الافتراض ببقاء بعضهم في جند قنسرين والإقامة فيه وفي ثغوره، إما رغبة منهم في المشاركة في أول حملة قادمة سواء كانت صائفة أو شاتية، أو طلباً للرزق ورغبة في اتخاذه موطناً ومستقراً.

كما استقطب الجهاد أفراداً من أقاليم الدولة الأخرى؛ ويذكر ابن عساكر أن جماعة من وجوه أهل مصر قدموا إلى الشام بنية الغزو صحبة صالح بن علي لما خرج من مصر إلى الشام سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، منهم: خالد بن حيان بن الأعين الحضرمي المصري، ومعاوية بن عبد الرحمن بن مخرم الخولاني، وشرحبيل بن مذيلفة الكلبي وعوف بن سليمان الحضرمي، وعمرو بن الحارث الفقيه(٢)، وعبد الله بن لهيعة الحضرمي المصري الفقيه(٣). ويُضاف إلى هؤلاء ما يُرتب فيها من مقاتلة وجند دائم، كما في طرسوس التي كانت تشتمل على الكثير من الرجال بعدتهم وخيولهم، ونقل الإصطخري قول بعض ساكنيها من أن "بها نحو مائة ألف فارس(٤).

الأتراك:

مثلما نال الفرس حظوة لدى العباسيين في العصر الأول من دولتهم، كانت الأفضلية في العصر الثاني للأتراك، منذ أن اتجه المعتصم إلى اتخاذهم في الجيش والوظائف، وأحلهم محل الفرس، حتى سمي العصر بهم (عصر نفوذ الأتراك)، وهذا لا يعني عدم وجودهم في وظائف الدولة وفي المجتمع الإسلامي قبل ذلك، بل إن إحدى الدراسات تُرجع وجودهم بفاعلية في المجتمعات العربية قبل الإسلام حسبما وثقته أشعار الجاهلية ثم ورود ذكرهم في أحاديث نبوية عديدة، ومشاركتهم إلى جانب العرب في حركة الفتوح، وبالتالي انخراط الكثير من عناصرهم في مؤسسة الجيش(٥)، وقد ألف الجاحظ رسالة تتبع فيها حضورهم في دولة الإسلام منذ العهد النبوي(٦)، وبدأ وصولهم إلى مواقع قيادية منذ عهد المعتصم الذي استعان بهم في كافة شؤون إدارته، وقد تقدمت

---

(١) قدامة، الخراج ص ٣١٠، البلاذري، فتوح ص ١٧٣
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج١٦، ص ١٢
(٣) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ٣٢، ص ١٣٦
(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧
(٥) شيشن، رمضان، دور الأتراك في الشام قبل السلاجقة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ٥٦١ ــ ٥٦٢
(٦) انظر الرسالة الأولى من رسائل الجاحظ بعنوان: مناقب الترك، ضمن مجموع رسائله ص ٥ــ ٨٦

الإشارة للدور الذي بلغه الأتراك في الدولة، ويهمنا الإشارة إلى وجودهم في جند قنسرين والذي تمثل في عدد من الولاة وقادة الصوائف، فاتخذ بعضهم جند قنسرين مقراً للسكنى والإقامة.

وكان من أول من تولى من الأتراك جند قنسرين هو أشناس التركي (ت ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)، الذي ولاه الواثق سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م من بابه (ببغداد) حتى آخر عمل المغرب أي الشام جميعه والجزيرة ومصر[١]، ثم تلاه سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م إيتاخ التركي (ت ٢٣٤هـ) فخلف أشناس على ما بيده من أعمال[٢]، وولى المستعين سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م موسى بن بغا أعمال قنسرين وحلب وحمص[٣]، ثم عقد له المعتمد سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م صحبة ابنه جعفر على المغرب كله[٤]، وولى صالح بن وصيف ــ حاجب المعتز والمتغلب عليه ــ أحد الأتراك الأسروشنية وهو أبو الساج ديوداد بن ديوداست على ديار مضر وجند قنسرين سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م[٥].

كما تولى عدد منهم الثغور، مثل وصيف التركي الذي عقد له المنتصر عليها سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م[٦]، وبلكاجور الذي تولاها في عهد المستعين سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م[٧]. وكان على ملطية سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م مزاحم بن خاقان أبو الفوارس التركي، وهو أخو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م فخلفه عليها ابنه أحمد فوليها ثلاثة أشهر ثم توفي أيضاً[٨].

وبدخول جند قنسرين تحت حكم الطولونيين ومن بعدهم الإخشيديين أصبحت التولية عليه تكاد محصورة في الأتراك، سواء من قبل الخليفة المعتمد أو من قبل بني طولون أو الإخشيدية، ثم إن ابن طولون والإخشيد كلاهما تركي استطاع كل منهما إقامة دولة له.

وقد توزعت إقامة الأتراك على مدن الجند الرئيسية ومدن الثغور، فكانت حلب التي وصف أهلها بأنهم أخلاط من الناس من العرب والموالي، مسكناً لعدد من ولاة الجند، وسكنها أحمد بن كيغلغ وبنى بها داراً مشهورة؛ وتملك بها غلامه بدر ضياعاً كثيرة[٩]، وسكن بأنطاكية سيما الطويل

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣٧، ٣٣٨، الكندي، الولاة ص ١٩٣، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٥٥

(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣٨

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦١

(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥١٤، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٣٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٧٨، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٤٢

(٥) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٣٨١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١٨٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٢

(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٣٨، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ١١٢، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٩

(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٣٠٦

(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٥٢ ــ ٣٥٣

(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، ونقله ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٩

وكان والياً عليها حتى قتله ابن طولون سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م[١]، وأقام ولاة الثغور من الأتراك في عدد من المدن الثغرية كطرسوس وأذنة والمصيصة.

الأكراد:

الأكراد أقوام موطنهم في المناطق الجبلية في شمال غربي إيران وجنوب شرق الأناضول، ويتصلون من الجنوب بديار بكر[٢]، وترد إشارات عارضة لوجود جماعات منهم في الشام والثغور[٣]. فيذكر ابن تغري بردي في أحداث سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م وجود الأكراد في حصن برزويه المطل على بحيرة أفامية، وأن سيف الدولة الحمداني حاصر الحصن مدة واسترده منهم[٤]، وهذا يعني أن وجودهم في الحصن لم يدم طويلاً وأن سكناهم إياه ترافق مع هجمات الروم التي تعرضت لها المنطقة بعد قيام دولة بني حمدان. على أن أجناد الشام كانت تحتوى على جماعات قليلة من الأكراد، يعملون كأفراد في خدمة البيوت والفلاحة وسائر الأعمال، وللصنوبري قصيدة يهجو فيها غلاماً (عبداً) كردياً بحلب[٥]. ولا يظهر ما إذا كانت هذه الأقليات من الأكراد التي عاشت في الشام خلال القرون الثلاثة الأولى على دين الإسلام أم أنهم نصارى أو مجوس (عبدة النار) أو صابئة (عبدة الكواكب)، والمسعودي يذكر أن منهم ــ على العموم ــ نصارى يعقوبية ومنهم من يرى رأي الخوارج في البراءة من عثمان وعلي[٦].

ويبدو أن وجود الأكراد ببلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأولى كان ضئيلاً مقارنة بأعدادهم في شمال العراق، وليس كما أصبح عليه الحال فيما بعد القرن الخامس الهجري، عندما أصبحت بعض القلاع والمواضع تنسب لهم كحصن الأكراد قرب حمص الذي استحدث لهم ورتب فيه جماعة منهم لمدافعة الإفرنج[٧]، وحارة الأكراد بدمشق، وجبل الكرد (غرب جبل سمعان) المسمى باسمهم لكثرة سكناهم إياه.

الصقالبة:

الصقالبة (السلاف) مساكنهم ــ حسب المسعودي ــ الجَربيّ (الشمال)[٨]، وحدد ياقوت موضع بلادهم في أعالي جبال الروم بين البلغار والقسطنطينية ويتاخمون بلاد الخزر، وهم جيل حمر

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٤٣، المسعودي، مروج ج٥، ص ١٢٠ ــ ١٢١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٥
(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٦
(٣) المسعودي، التنبيه ص ٨٩
(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ٢٩٥
(٥) الصنوبري، ديوانه ص ٢٥٧
(٦) المسعودي، مروج ج٢، ص٢٥١
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٤
(٨) المسعودي، مروج ج٢، ص ١٤٣

الألوان[١]، ينقسمون في أديانهم بين نصارى يعقوبية ومجوس ومن لا يحتكم لدين ولا شريعة[٢].

والمعلومات عن وجودهم في أقاليم الدولة الإسلامية عزيزة، يذكر ديونيسيوس أن الصقالبة "أعانوا المسلمين في غزوهم للروم في عهد عبد الملك بن مروان، وقدم منهم إلى سورية نحو سبعة آلاف، فوضعوهم بأنطاكية وقبرص وزوجوهم وجهزوهم بالميرة والطعام"[٣]. ويرد ذكرهم أيضاً ضمن الأقليات التي أسكنها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في الحصون التي أقامها شرقي جيحان، فسكنوها إلى جانب أقوم أخرى كالفرس والأنباط والنصارى[٤].

وتشير إحدى الدراسات إلى دخول الصقالبة إلى بلاد المسلمين منذ عهد الفتوحات والصراع مع البيزنطيين عندما وقعت جماعات منهم في الأسر، فاندرجوا في أعمال الخدمة والحرس شأنهم شأن الغلمان الآخرين من الأمم الأخرى، ثم كثر عددهم من خلال ما يؤسر من البيزنطيين خلال حملات الصوائف والشواتي[٥]. وفيما عدا ذلك لا تعين المصادر على تتبع وجودهم.

الزط:

وهم جماعات من أصول هندية تُعرف بالجت أو الجتان[٦]، موطنها في شمال غرب الهند[٧]، اعتادت العيش في البطائح (الأهوار) كتلك الموجودة في جنوب العراق، وقيل: إنهم أسلاف الغجر أو النور[٨]، وجعل الزوقنيني موطنهم الأصلي "الأرض الواطئة" من بلاد فارس، ووصفهم بأنهم شعب ساذج يعيش أبناؤه حياة بدائية، عراة إلا من إزار يغطون به عورتهم، وأنهم مع نسائهم وأولادهم لا يمتهنون أية مهنة، ولا يشتغلون بأي عمل، ولا يعلمون أولادهم أية حرفة، حتى أن نساءهم لا يعرفن الغزل، إنما كان شغلهم قطع الطريق واللصوصية، يقتلون وينهبون، ويسكنون الجبال الوعرة، فلم يتمكن أحد من القضاء عليهم[٩]، ومن اللافت أن يعرفهم الخوارزمي بأنهم: "حُفاظ الطرق"[١٠] بالرغم مما اشتهر عنهم من تلصص وقطع طريق، ويذكر المسعودي أن سبب

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤١٦

(٢) المسعودي، مروج ج٢، ص ١٤٣، ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص ٣٥

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٧

(٤) قدامة، الخراج ص ٣٠٨، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٧١

(٥) هاشم، صلاح الدين، الصقالبة ببلاد الشام في زمن الأمويين "نظرة على الدراسات الإسلامية عن الدولة الأموية"، ضمن بحوث المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العهد الأموي"، (تحرير) محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، عمان، ١٩٨٩م. ج١، ص ٢٢٧ــ ٢٢٩

(٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ١٤٣، الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠م. ص ١٩٥

(٧) Bosworth, C. E, Al- Zutt, The Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Vol: XI, p ٥٧٤

(٨) ابن طيفور، بغداد ص ٩٧ حاشية المحقق رقم (١)

(٩) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٩

(١٠) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ١٤٣

قدومهم من الهند كان نتيجة "لغلاءٍ وقع هنالك فتنقّلوا في بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز إلى أن صاروا إلى هذه المواضع ــ أي البطائح ــ فسكنوها"(١)، وساهمت حركة الفتوح في القرن الأول الهجري في انتقال جماعات كثيرة منهم إلى العراق، وشكل الزط مع الأساورة والسيابجة مصدر إزعاج في صدر الإسلام وما تلاه في دولتي بني أمية وبني العباس.

والسيابجة، الذين أرجع بوزورث موطنهم إلى بلاد ملبار (جنوب غرب الهند)(٢)، فكانوا يقيمون قبل الإسلام على السواحل، بينما يقيم الزط بالطفوف (جانب البر) حيث يتتبعون الكلأ، فنزلوا البصرة فلما اجتمعت الأساورة والسيابجة والزط توزعت بين قبائل بني تميم واشتركوا في بعض الحروب حتى كان خلاف ابن الأشعث على الحجاج سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م، فكان الزط ومن لف لفهم إلى جانب ابن الأشعث، ولما انتهى الحجاج من أمر ابن الأشعث وقتله، هدم دور الأساورة والزط والسيابجة وأجلى بعضهم، قيل: إن الحجاج أجلاهم إلى جنوب كسكر فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها، وانضم إليهم من الموالي والعبيد الهاربين من أسيادهم(٣)، فغلب اسم الزط على جميع هؤلاء، وعلى هذا فإن ابن خلدون لما عرّف الزط تجاوز عن ذكر أصولهم واكتفى بالقول: "إنهم أخلاط من الناس، غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد"(٤)، وأصبحت فيهم قوة يقطعون الطرق ويغيرون على السفن المبحرة في نهر دجلة(٥).

ويبدو أن أذاهم قد عم المواطن التي وجدوا فيها قبل إمارة الحجاج في العراق، إذ قام معاوية بن أبي سفيان بنقل قوم من زط البصرة والسيابجة إلى السواحل وأنزل بعضهم في أنطاكية. ثم عمل خلفاء بني أمية على نقلهم إلى المناطق الثغرية، للخلاص من آذاهم أولاً وليستكثروا بهم عدد أهل الثغور ثانياً، فنقل الوليد بن عبد الملك قوماً من زط السند إلى أنطاكية ممن حمله محمد بن القاسم إلى الحجاج فبعث بهم الحجاج إلى الشام(٦).

وفي العصر العباسي، ازداد أذى الزط، وتتفق المصادر على أن الخليفة العباسي الذي حاول التخلص منهم هو المأمون، باستثناء المؤرخ الزوقنيني الذي يرجع عملية إجلائهم لعهد المنصور وتحديداً في سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، بعد أن اعتدوا على أموال للخليفة (ربما تعرضوا لقافلة خراجية)، فأرسل عسكراً وحاصرهم وأسرهم كلهم وأراد قتلهم بعد أن شنق رؤساءهم، إلا أن بعض من حوله أشار عليه بأن يرسلهم إلى الحدود أمام الأعداء، وهناك يقتلون أو يؤسرون بأيدي الروم، فقبل

---

(١) المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥

(٢) Bosworth, Al- Zutt, EI٢, Vol: XI, p ٥٧٤

(٣) البلاذري، فتوح ص ٣٦٧ــ ٣٦٨

(٤) ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠

(٥) البلاذري، فتوح ص ٣٦٨

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٦٦، قدامة، الخراج ص ٣٠٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩١

المنصور الرأي، وأرسلهم إلى الثغور وأسكنهم في موضع مقابل كمخ (قمح) وكان عددهم نحو ٣٠٠ ألف نسمة، عدا الذين هربوا وتفرقوا في البلاد، ويذكر الزوقنيني أيضاً أن أكثرهم مات في أول شتاء حل عليهم، لبرودة المنطقة وهم يعيشون حفاة عراة، أما من بقي منهم حياً فاستمر على عادته في قطع الطرق وأعمال اللصوصية[١].

وبعد وفاة الرشيد استغل الزط أحداث الفتنة بين الأمين والمأمون وما عم أمصار الدولة من انتقاض، فكان الناس في عهد المأمون يتحاشون الاجتياز بهم، وتعرضوا بالسلب والنهب للتجار الذين يقصدون بغداد من البصرة والهند والصين[٢]، وانقطع عن بغداد بسببهم جميع ما كان يحمل في السفن إليها من البصرة[٣]. وحاول المأمون بعد أن استقر ببغداد كف أذاهم فولى عيسى بن يزيد الجلودي محاربتهم سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م[٤]، فلم ينجح نتيجة لتفرقهم في الفيافي عند إخراج الجند لهم[٥]، فعهد بمحاربتهم في السنة التالية لداود بن ماسجور[٦]، ولم يفلح أيضاً. وأرجع ديونيسيوس سبب عجز الجيش من قهرهم لكونهم يقاتلون في الزوارق مما لم يعتاده مقاتلة العرب[٧].

وكانت أكبر عملية إجلاء للزط قد تمت في عهد المعتصم، فبعد أن تحرك الزط بالبطائح ـــ فيما بين البصرة وواسط ـــ وعاثوا فيها، ونهبوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من المواضع بنواحي البصرة، قرر المعتصم التصدي لهم وإنهاء أمرهم، فأرسل لهم عجيف بن عنبسة سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م[٨]، فوصل إلى واسط وقتل منهم ٣٠٠ رجل وأسر نحو ٥٠٠، ثم قتل المأسورين منهم وأرسل رؤوسهم إلى المعتصم ببغداد، وبقي هو محاصراً لهم سبعة أشهر[٩]، وقيل: تسعة[١٠]. فضيق عليهم منافذ الأنهار التي لهم حتى استسلموا، وكان عددهم ٢٧ ألفاً، المقاتلة منهم ١٢ ألفاً. فقام عجيف بنقلهم في السفن إلى بغداد في مطلع سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، ومنها أمر المعتصم بنقلهم إلى عين زربة من الثغور[١١]. واعتبر المسعودي أن نقل الزط من البطائح كان من فتوحات

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٩

(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٩

(٣) البلاذري، فتوح ص ٣٦٨

(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨٠

(٥) الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية ص ١٩٥، رفاعي، عصر المأمون ج١، ص ٢٧٧

(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٥٨١

(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٩

(٨) ابن خياط، تاريخ ص ٤٧٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٧، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥، ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠

(٩) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠

(١٠) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٩

(١١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٧٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٩، ١٠ الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٧، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥، ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤٤، الذهبي، تاريخ

المعتصم التي تحسب له[١]. وشرح ديونيسيوس خطة القبض عليهم، التي تمثلت بقيام المعتصم بإرسال الأسرى الأقباط[٢] الذين كان قد سباهم والمعتادين على السباحة في المياه للقبض على الزط؛ فكانوا يغطسون في الماء كالسمك دون أن يراهم أحد ويمطرون الزطيين بالنبال ويهربون حتى تمكنوا من الإمساك بهم[٣].

ويذكر بعض المؤرخين تعرض الزط بعد نزولهم عين زربة إلى غارة من الروم، قضت عليهم "ولم يفلت منهم أحدٌ"[٤]، بينما يشير البعض الآخر إلى الفائدة الكبيرة التي تحصلت من قدومهم للثغر وانتفاع الناس بهم[٥]. أما ديونيسيوس التلمحري فينفي إرسالهم إلى عين زربة أصلاً، ويشير إلى أنه بعد القبض عليهم وعلى نسائهم وأطفالهم زجوا في سجن بغداد ثم اعدموا[٦]. ويرى الباحث أن الزط وجدوا في الثغور مكاناً جديداً لعيشهم، ربما عانوا في بداية أمرهم من عدم ملائمة المناخ لهم، وقد اعتادوا على المناطق الحارة الرطبة، لكنهم بمرور الوقت اندرجوا ضمن أهل الثغر، والدليل على ذلك أن الطبري وابن الأثير ــ وهما من القائلين بمقتل الزط بعد غارة الروم عليهم ــ يذكران في أحداث سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م أن الروم أغارت على عين زربة وأسرت من كان بها من الزط مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم[٧]. وبين إرسالهم للثغر وهذه الحادثة عقدان من الزمن تكفي لانخراطهم وذوبانهم في المجتمع الجديد، ومما ينفي قصة مقتل الزط بالثغور أن بأنطاكية محلة مسماه باسمهم "محلة الزط"، وأن من أعقابهم من سكن بلدة بوقا قرب أنطاكية[٨].

الزواقيل:

الزقل في اللغة: إرخاء العمامة وإسدالها من طرفيها، وقيل إخراج الشعر من تحت العمامة[٩]، ورجح ابن دريد أن الكلمة ليست عربية، ومنها اشتقاق الزواقيل[١٠]، ولم يربط ابن دريد وابن

الإسلام ج٥، ص ٢٥٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠

(١) المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥

(٢) لعل المراد بالأسرى الأقباط هم البشموريين الذين ثاروا بمصر وشاركوا أهل الحوف بالثورة ضد الدولة، ولم يتم إخماد الثورة إلا بوصول المأمون إليهم سنة ٢١٧هـ فعزل واليهم وتمكن من الإيقاع بالثائرين وسبى القبط وعاد بعد إقامته بمصر نحو شهرين. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ٢١٥ ــ ٢١٦

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥١، وعنه: ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٩،

(٤) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٧٦، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٨

(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٩

(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٠

(٨) البلاذري، فتوح ص ١٦٦

(٩) ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، ٤ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٣٤٥هـ، ج٣، ص ١٤، ابن منظور، لسان العرب والزبيدي، تاج العروس مادة: زقل

(١٠) ابن دريد، جمهرة اللغة ج٣، ص ١٤

منظور بينهم وبين التلصص، بينما ذكر الزبيدي بأن لفظة الزواقيل تعني: اللصوص[١]، ولعل التسمية أطلقت عليهم لإرخائهم العمائم، والذي يؤكد ملازمة المصطلح لامتهان اللصوصية، أنه استُخدم في موازين الجرح والتعديل للمحدثين، فقد أورد الحافظ أبو جعفر العقيلي[٢] في تضعيف عُلوان بن داود ــ وقيل: صالح ــ البجلي مقالة سعيد بن عفير، وهو قوله: "كان علوان بن داود زاقولياً من الزواقيل".

وقد وجدت في جند قنسرين جماعة أطلق عليها اسم الزواقيل، كان لهم دور بارز في الفتن والثورات[٣]، فقد وقفوا إلى جانب أبي العميطر في محاصرة عامل الأمين على دمشق وحمص[٤]، ثم مشاركتهم مع قبائل الشام في الاستجابة لنداء الأمين سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م بعد أن ضيَّق طاهر بن الحسين على جيوشه بخراسان، وكان لديهم الاستعداد للوقوف إلى جانب الأمين وإرسال المدد له وتوافدت جموع كثيرة منهم صحبة نصر بن شبث لولا الحادثة التي وقعت بينهم وبين بعض العرب وأدت إلى الخلاف. وشكل الزواقيل مادة جيش نصر بن شبث عند خروجه على الدولة.

وبرغم فاعليتهم وتأثيرهم في الأحداث التي شاركوا فيها إلا أن المصادر التي ذكرتهم لم تشر إلى حقيقتهم وإلى أي أمة ينتمون ومن أي فئة اجتماعية ينحدرون، وهل تسميتهم بهذا الاسم مقصودة لذاتهم أم أنها صفة لهم؟.

وينفرد النسابة الأسدي ــ حسبما نقل عنه ابن العديم ــ بذكر فرقة من العرب كانت تسكن بضواحي حلب يقال لهم الزواقلة، من بني أبي بكر بن كلاب، وينتسبون لزوقل بن حبيط بن قدامة بن عبد الله بن عامر بن حصين، وإليهم تنسب الرباب الزوقلية أم صالح بن مرداس الكلابي الذي ملك حلب سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م وأقام فيها دولة بني مرداس[٥]. ولم تــُعِن كتب التراجم ولا كتب الأنساب في التثبت من هذا. فإن كان ما ذكره النسابة الأسدي صحيحاً فيكون الأمر لا يعدو عن تشابه في المسميات، ولو كانوا عرباً من بني كلاب (أي قيسية) فلا يمكن تقبل وقوفهم ومشاركتهم لليمانية ضد القيسية أثناء ثورة أبي العميطر وخروجه سنة ١٩٥هـ/ ٨١١م[٦]، التي تولى محمد بن

---

(١) الزبيدي، تاج العروس مادة: زقل، ولم يرد للزواقيل ذكر في التتبع الذي قدمه محمد رجل النجار لطوائف وفئات الشطار والصعاليك واللصوص. انظر: كتاب الشطار والعيارين، عالم المعرفة، ع ٤٥، الكويت، ١٩٨١م.

(٢) العقيلي، محمد بن عمرو المكي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، كتاب الضعفاء الكبير، (تحقيق) عبد المعطي قلعجي، ٤ج، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م، ج٣، ص ٤٢٢

(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٦٢

(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٤٢٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٢٨، مسكويه، تجارب الأمم ج٣، ص ٣١٢، ابن عساكر، تاريخ ج ٤٣، ص ٢٩، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٥٨١

(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٣٦، ٥٤٥

(٦) ابن عساكر، تاريخ ج٤٣، ص ٢٩

صالح بن بَيْهَس القيسي الكلابي التصدي لها وإخمادها[١].

إن صعوبة معرفة أمر الزواقيل وانتمائهم جعلت كوب يعرفهم بأنهم "جماعة غامضة من اللصوص والمرتزقة"[٢]، ويزيد الغموض عند مطالعة سيرتهم في فتنة أبي الهيذام المري (سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م) التي كانت لهم فيها مشاركة حاسمة لصالح أبي الهيذام وأصحابه من قيس، ففي رواية المدائني (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) لخبر الفتنة ــ مما نقله عنه ابن عساكر ــ ملامح واضحة تجعل لفظة الزواقيل تعني سادة القبائل القيسية، فهو يذكر فرسان الزواقيل ويعدد من رجالهم أسماء تنتمي للقبائل القوية: من قريش وبني مرة وبني أسد وبني سليم وفزارة، ويرد من بينهم ابن لأبي الهيذام اسمه خُريم، فارس وشاعر[٣].

وذهب فاروق عمر وإحسان عباس إلى أن الزواقيل هم عرب وبالتحديد قيسية، لنصرتهم الأمين في مقابل اعتماد المأمون على الخراسانيين[٤]، وقريب من هذا ما يفهم من كلام الدوري في حديثه عن ثورة نصر ابن شبث من أن الزواقيل هم من العرب، وهو ــ وإن لم يصرح بذلك ــ إلا أنه يذكر أن جميع أتباعه من العرب فقط[٥]، ولما كان الزواقيل يشكلون أغلب قوات نصر، فيكون تقريره شاملاً لهم؛ استنبط ذلك من قول نصر للمأمون "ويلي عليه وهو لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه يقوى على حلبة العرب". ومقصود نصر بهذا القول هو الاعتزاز بنفسه ومَن معه من العرب في مقابل استقواء المأمون بالخراسانيين، أما بقية أتباع نصر ــ ومنهم الزواقيل ــ فهم مستخدمون تحت يديه يستعين بهم في ثورته على الدولة، ويؤكد ما ذهبت إليه وصف المأمون لهؤلاء الأتباع، في الرسالة التي توعده فيها؛ من أنهم: "رعاع أصحابك، ومَنْ تأشَّب إليك من أداني البلدان وأقاصيها وطَغامها وأوباشها، ومَن انضوى إلى حوْزتك من خُرَّاب الناس، ومَن لفظه بلدُه، ونفته عشيرتُه؛ لسوء موضعه فيهم"[٦]. فهذا النص ينفي رابط الدم بينهم، وعدم انتمائهم للعرب، وتنطبق أوصافه تماماً على معنى الزواقيل.

وفي أحداث العصبية القبلية التي وقعت بالشام بين القيسية واليمانية سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، استطاع جعفر بن يحيى بن برمك، مبعوث الرشيد، مصالحة المتقاتلين وإنهاء الخلاف، وقام ــ

---

(١) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج ٥٣، ص ٢٥٧، الذهبي، العبر ج١، ص ٢٨٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٧٧
(٢) Cobb, Paul, Zawakil, The Encyclopaedia of Islam, (New Edition), Vol XI, p ٤٦٣
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٢٦، ص ٦٩، ٧٥
(٤) فوزي، فاروق عمر، الجند الأموي والجيش العباسي، مجلة المورد، مج ٨، ع ٤، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٤٣، عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٤١، وانظر أيضاً: Cobb, Zawakil, EI², Vol XI, p ٤٦٣
(٥) الدوري، العصر العباسي الأول ص ١٦٩
(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٠٠

حسب الطبري ــ بقتل "زواقيلهم والمتلصصة منهم"[١]، بما يعني أن لكل طرف منهم فئة من الزواقيل (اللصوص)، وهذا ــ إضافة لما سبق ــ ينفي عنهم صفة التبعية للعرب.

والأرجح أن الزواقيل جماعات لا يربط بينها رابط عرقي أو ديني امتهنت التلصص والصعلكة والنهب، فتشكلت منهم فئة اجتماعية يجمعها هدف مشترك (التلصص) يعضد هذا أن الجاحظ جعل لفظة الزواقيل في الشام مرادفة لصعاليك الجبل وزط الآجام ورؤوس الأكراد ومردة الأعراب[٢]. وربما كان منهم بعض موالي القبائل أو من الزط الذين تم إجلائهم إلى ثغور الشام.

ووجدت جماعات الزواقيل في الجزيرة وشمال الشام (جند قنسرين)[٣]، وكانت منهم جماعات بحوران[٤]، ويذكر مسكويه أن منهم من كان تحت يد وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى جانب عناصر أخرى كالأرمن والعجم والأعراب وغيرهم[٥]، وقد ساهمت الدولة في استقرارهم ووجودهم على الأطراف خصوصاً في الثغور المواجهة للروم، فإن تعرضوا للغزو تكسب الدولة في الحالتين: إذا استطاعوا دفع العدو أو إذا وقعوا في أيديهم فتخلص من أذاهم، تماماً كما فعلت مع الزط الذين شحنوا إلى الثغور. ويذكر قدامة أن الثغور كما تحتاج إلى شحنها بالجند فهي محتاجة أيضاً إلى الصعاليك[٦]، وقد نقل المنصور إلى مدينة المصيصة ــ لما أعاد بناءها ــ المساجين وأهل المحابس[٧].

٣. مظاهر الحياة الاجتماعية:

خلصت دراسة إحسان عباس عن الحياة الاجتماعية في بلاد الشام إلى نتيجة مؤداها أن نزر المعلومات عنها منذ عهد بني العباس حتى القرن الثالث الهجري، لا يقدم صورة عن أحوال السكان الاجتماعية[٨]، وإذا كانت هذه حال عموم بلاد الشام، بعد أن تتبع الباحث المصادر التاريخية ودواوين الأشعار، فلن يكون أحد أجنادها أحسن حالاً منها.

ويمكن الافتراض بأن حياة السكان في جند قنسرين لا تختلف في مظاهرها الاجتماعية عن بقية أجناد الشام، بل والجزيرة والعراق، ولو كان هناك فوارق اجتماعية لتصدت كتب البلدانيات لذكر

---

(١) الطبري، المصدر نفسه ج٨، ص ٢٦٢
(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان (٢٥٥هـ/ ٨٧٠م)، كتاب البخلاء، (تحقيق) أحمد العوامري وعلي الجارم، ٢ج في ١مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م. ج١، ص ٩٤.
(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة ج٣، ١٤، فوزي، الجند الأموي ص ٢٤٣، Cobb, Zawakil, EI², Vol XI, p ٤٦٣
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج٢٦، ص ٦٦
(٥) مسكويه، تجارب الأمم ج٤، ص ١٣٩
(٦) قدامة، الخراج ص ١٨٦، ١٨٧
(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١
(٨) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٥٩

ذلك عند المفاضلة والتمييز بين الأقاليم الإسلامية، إلا في جانبين: الأول حياة سكان الثغور الذي امتاز بخاصيته العسكرية والدفاعية، وثانياً: التنوع الكبير في سكان بقية مدن الجند ومن ضمنها المناطق الثغرية.

السكان:

وأولى ملامح حياة سكان الجند، الكثافة السكانية في بعض مدن الجند تبعاً لكون بلاد الشام من أكثر أقاليم الدولة الإسلامية اكتظاظاً بالسكان(١)، ونجد انتباهاً من مؤلف كتاب حدود العالم لنسبة سكان بعض المدن، وهو يقارن بينها، فحصن منصور وقورس مدينتان عامرتان قليلتا السكان، وكفر بيا والمصيصة مدينتان نزهتان مكتظتان بالسكان(٢)، وحلب كثيرة السكان(٣) كثيرة الخلق(٤)؛ حتى غدت تضاهي ــ في العظم ــ بغداد والموصل(٥)، وكذا حصن بغراس فيه بشر كثير(٦).

ومع ابتناء وإنشاء عدد من المدن الثغرية ونقل جماعات سكانية إليها من أبناء القبائل وغيرهم، فلم تشكل عملية نقل العدد المفروض على الجند خللاً في بنيته السكانية، ولم نجد دلالات على اندراس بعض المدن الداخلية لكون أغلب أهلها هجرها وتحول عنها إلى الثغور، خصوصاً مع الزيادة السكانية المضطردة ــ افتراضاً ــ لعدد السكان.

وقد شهدت مدن الثغور ازدياداً في أعداد سكانها، فطرسوس التي بنيت سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٧م وسكنها المجاهدون والمرابطون واختطت بها الخطط والمنازل، فقد بلغت من التطور والاتساع مبلغاً كبيراً حتى وصل عدد دورها في عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م نحو ٣٤ ألف دار، ثلثاها للعزاب من أقاليم الدولة الإسلامية وثلث للمتزوجين ممن أقام بها من الملاك أو الموقوفة عليهم(٧). وكان السبب في ازدياد عدد قاطنيها وكثافتها السكانية أن أهالي أغلب المدن في أقاليم الدولة الإسلامية "من حدّ سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والري وأصبهان وجميع الجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب" قد اتخذوا دوراً ومنازل بها، ينزلونها وقت مشاركتهم في الغزوات(٨)، كما ساهم في ازدياد عدد ساكنيها كثرة ما كان يصلهم من الجرايات والصلات والتبرعات التي يرسلها الخلفاء وزوجاتهم والموسرين من المسلمين تطوعاً

---

(١) المسعودي، مروج ج٤، ص٩١، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٢) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٣) مجهول، المصدر نفسه ص ١٧٦
(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨
(٥) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢
(٦) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢
(٧) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٩
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣

وتبرعاً ورغبة في المساهمة في جهاد العدو، وكثرة الأوقاف الموقوفة عليها من "ضياعٍ ذوات أكرةٍ وزُرَّاعٍ وغلاّتٍ أو مسقفٍ من فنادقَ ودورٍ وحماماتٍ وخاناتٍ، ومشاطرة من الوصايا بالعين الكثير والوَرق والكراع الغزير"(١)، وإضافة للأوقاف التي رسمت لأهل الثغور من كافة أقاليم الدولة، فقد كانت لدى الموسرين من عامة الناس رغبة في المساهمة في الجهاد والوقف عليه، حتى ولو كان بشراء فرس للجهاد عليه في سبيل الله، فقد اطلع ابن العديم على صورة وقف لجد جده زهير بن هارون بن أبي جرادة العقيلي (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)(٢)، تتضمن وقف حصة من ملكه من قرى وضياع بنواحي حلب على أن تستغل ويشترى من متحصلها فرساً تكون مقيمة بثغر طرسوس، ويوفر لها العلف وأجرة من يخدمها، وأن يقام عليها فارس يجاهد عليها عن صاحب الوقف زهير بن هارون، وإذا زاد شيءٌ من الموقوف على الفرس فيجمَّع ويدخر إذا ما أصابت الفرس مصيبة أو نائبة(٣). وكذا فعل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) لما وصله عبد الله بن طاهر بثلاثين ألف دينار، فقال: "قد قبلتها، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً، وأوجه به إلى الثغر في سبيل الله، ليكون الثواب متوفراً على الأمير"(٤).

ويبدو أن الفئة العمرية الغالبة على المقيمين في الثغور هي فئة الشباب وصغار السن لقدرتهم على الغزو، إذ وُصِف أهل طرسوس بأنهم مقاتلون شجعان(٥)، ويشار إلى البيوت والدور التي بنتها قبيحة أم المعتز (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) في طرسوس وكانت تتسع لسكنى ١٥٠ غلاماً مع رئيسهم الذي يتولى قيادتهم للجهاد(٦)، كما يوصف أهل المصيصة بأنهم فتيان فرسان ظرفاء شجعان(٧)، وأهل حصن الهارونية "في جهادهم في نهاية الجَلَدِ والشطارة؛ يغزون فيغنمون ويتلصَّصون على بلد الروم فَيَسْلَمون"... وكان بحصن التينات رجال أجلاد في القتال، لهم علم بمواضع الخلل في بلد الروم ومهالكهم(٨). أما الفئة العمرية التي تلي صغار السن فهي من الشيوخ الذين انقطعوا للعبادة.

الأخلاق العامة:

أما أوصاف سكان الجند في هيئتهم وطباعهم وأخلاقهم، العامة فلدينا إشارات موزعة أغلبها من مصادر ما بعد القرن الرابع الهجري، لكنها تدلل على ما تعارف عليه الناس عن أحوالهم، فيوصف أهل حلب بأنهم من أحسن الناس وجوهاً وأجساماً، وأن الغالب على ألوانهم الدرية والحمرة

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣ ــ ١٨٤
(٢) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٠٧٥
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٩
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٧٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦
(٥) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، وانظر: الحياري، حياة الناس في مدن الثغور ص ٨٨
(٦) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨
(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢

والسمرة، وعيونهم سود شهل، وهم من أحسن الناس أخلاقاً وأتمهم قامة[١]، وفيهم ظرف ولهم يسار وعقول[٢]، وهم "يتنافسون في الملابس والهيئات والمراكب والمنازل ويأخذون نفوسهم بما يحسّن قالبهم ويُميّز حالتهم"[٣]. ويذكر ابن جبير أن أهل حلب يأتون في المرتبة الثانية بعد أهل حمص في وصفهم بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم لهم[٤]، وهو يشير إلى حال حمص في فترة الحروب الصليبية عندما كانت أقرب من حلب لدائرة الصراع، أما في نطاق فترة الدراسة ــ أي خلال القرون الثلاثة الأولى ــ فيبدو أن أهل حلب متقدمون على غيرهم من أجناد الشام في التمرس بالقتال لقربهم من الثغور وبلاد الروم.

وقريباً من حلب يشير ابن بطلان في رحلته سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م إلى فساد في الأخلاق لكثرة ما رآه بقرية عم (بين حلب وأنطاكية) من شيوع الزنا وكثرة النساء العواهر إضافة لكثرة ما فيها من الخنازير والخمر[٥]. ووُصف أهل أنطاكية بأنهم "أحسن خلق الله وجوهاً، وأكرمهم أخلاقاً، وأرقهم طباعاً، وأسمحهم نفوساً، والأغلب على خلقهم البياض والحمرة"[٦].

أما أهل معرة النعمان فيغلب عليهم الذكاء المفرط، وخرج منها جماعة من العلماء والشعراء أبرزهم أبو العلاء المعري[٧]. ووصف أهل منبج بأنهم أهل خير وفضل ومعاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة[٨]، ولهم خِلقُ حسنة[٩].

أما أوصاف أهل الثغور، فيذكر ابن حوقل أن المصيصة وأذنة جليلتا الأهل[١٠]، وهو وصف فضفاض ربما أراد به كثرة السكان أو سلامة طباعهم. ويوصف أهل طرسوس وبعض المدن الثغرية بأن فيهم خشونة[١١] وغلظة أهل الثغر وجلافتهم[١٢]، ولعل المراد غلظة بعض الأعاجم[١٣] من الفرس والأتراك، الذين يشكلون نسبة عالية من سكانها. وطال وصف الغلظة بعض العلماء المقيمين بها كعبد الله بن المبارك[١٤]، وأوفى الأوصاف عن سكان الثغور نجدها عند المهلبي، فيذكر

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥ ــ ٨٦، وعنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥
(٣) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٢
(٤) ابن جبير، الرحلة ص ٢٣٢، الحميري، الروض ص ١٩٩
(٥) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، ونقله ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٥٧
(٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧
(٨) ابن جبير، الرحلة ص ٢٢٤، الحميري، الروض ص ٥٤٧ نقلاً عن ابن جبير
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٥
(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(١١) ابن حوقل، المصدر نفسه ص ١٨٤
(١٢) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٧
(١٣) ابن زولاق، سيرة خمارويه ص ٢١٩
(١٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٧

تنوع مادتهم من "سائر أقطار الأرض بخلق حسنة وألوان صافية، وفيهم رقيق وأجسام عبلة (ضخمة)، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية، وكان في أكثرهم جفاء وغلظة على الغريب، إلا من كان منهم قريب عهد بالغربة، وكذلك الشح (البخل) كان فيهم فاشياً إلا في الغريب، وغلب على السوقة والمستخدمين قوم من الخوز وسفلة العجم، ومن كانت فيه فسولة عن الحرفة، وكسل عن طلب المعاش فأظهروا زهداً وورعاً، وأعلنوا بالنصب. فأما أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان فكانوا من الأخلاق السمحة، والنفوس الكريمة، والهمم العالية والمحبة للغريب على ما ليس عليه أحد، ولكنهم كانوا في تقية من هؤلاء الأوباش"[١].

ثانياً: الحياة الاقتصادية

١ــ الزراعة

تكاد المصادر الجغرافية ــ وبعض التاريخية ــ لا تتعرّض لمدن ومواضع جند قنسرين إلا وتصفها بالخصوبة وكثرة الأشجار والزروع والفواكه والثمار، وكثرة ما فيها من مياه وأنهار، وقد تقدم الكلام ــ في الفصل الأول ــ على الجغرافية الطبيعية للجند، وتضاريسه ومناخه وما فيه من تنوع في كافة أحواله، بما انعكس على تنوع الحياة الزراعية، وهو تنوع يكاد يغلب على أجناد الشام جميعها، الموصوفة بأنها بلاد نزهة عامرة[٢].

وأبدى خلفاء العباسيين اهتماماً بالزراعة، وظهرت عنايتهم بمزروعات جند قنسرين في المدن الثغرية، مثل ملطية التي عمّرها المنصور سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م وزُرعت[٣]؛ وأسكنها أربعة آلاف مقاتل وأقطعهم فيها المزارع[٤]. كما أبدى الرشيد اهتماماً واضحاً بالزراعة، وكانت المواضع النزهة والمعمورة بالزراعة تُلفت نظره، وفي أيامه تم زراعة مرج عبد الواحد ــ قرب حصن منصور ــ وكان قبل ذلك حمى لخيل المسلمين[٥]. وفي خلافة المأمون تم استحداث البساتين وتوفير المياه في حصن كيسوم سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م بأمر عبد الله بن طاهر[٦]، ونقدر أن لابن طاهر جهوداً في زراعة مواضع أخرى من الجند خصوصاً وأنه أقام بقنسرين مدّة أربع سنوات والياً عليها ومحارباً

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٩ــ ١٨٠
(٢) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٣) الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧١
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٦
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٠٢
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٩٧

للمتغلبين فيها، ويدلل على هذا أنه عندما توجه إلى مصر بعد القضاء على ثورة نصر نقل إليها نوعاً من البطيخ فُنسب إليه وسمي "البطيخ العبدلي أو العبدلاوي"[١].

وتُظهر سيرة المعتصم اهتماماً بالزراعة في كافة أقاليم الدولة، وكان يحبّ العمارة (الزراعة)؛ يقول: "إن فيها أموراً محمودة، أولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويتسع المعاش"، وأعطى لوزيره محمد بن عبد الملك الصلاحية المطلقة في زراعة أي موضع يراه مناسباً واستصلاحه دون استشارة الخليفة أو مراجعته: "إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرْني فيه"[٢]. ولما بنى سامراء سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وأنشأ فيها البساتين حُملت إليها النخيل والأشجار وأنواع الغروس والأشتال من الشام وسائر البلدان والبقاع[٣]، وربما أن شيئاً من مزروعات جند قنسرين أعجبته فاحتملها إلى سامراء، خصوصاً وأنه كان والياً على الشام في خلافة أخيه المأمون عدّة سنين (٢١٣ ــ ٢١٨هـ/ ٨٢٨ ــ ٨٣٣م)، وأقام في ثغور الجند صحبة المأمون مدّة من الزمن.

أهم المزروعات والمحاصيل الزراعية التي اشتهر بها الجند:

أكثرت المصادر التراثية من الإشادة بوفرة المزروعات وانتشار البساتين في أغلب مدن جند قنسرين، وكانت مدينة قنسرين نزهة عامرة[٤]. وكذا مدينة حلب[٥]، التي أطلق على أحد أبوابها باب الجنان لأنه يخرج منه إلى البساتين[٦]، وكان أهل حلب يعتمدون في سقي بساتينهم التي بداخل المدينة من عيون بأعلى حلب تجري مياهها على وجه الأرض مقدار أربعة فراسخ حتى تدخل المدينة فتسقي بساتين الدور هناك سيحاً[٧]. كما تنتشر بربض المدينة الواسع بساتين تتصل بطوله[٨].

واشتهرت أنطاكية بكثرة بساتينها المحتفة بالأنهار[٩]؛ والمدينة وما يتبع لها من ضياع وقرى ونواح خصبة جداً[١]، حتى قيل ليس بعد دمشق أنزه منها داخلاً وخارجاً[٢]، وساهمت وفرة المياه في

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣، ص ٨٨، الوطواط، مناهج ج٢، ص ٣٠٨، وسماه ابن البهلول، كتاب الدلائل ص ١١٧، ١٥١، ١٨٢: "البطيخ العبدلاني".

(٢) المسعودي، مروج ج٤، ص ٣٤٤ــ ٣٤٥، ابن عساكر، تاريخ ج٧٣، ص ٢٤٥

(٣) اليعقوبي، البلدان ص ٢٥٨، ٢٦٣، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٣٢، المسعودي، مروج ج٤، ص ٣٥٢، الحميري، الروض ص ٣٠١

(٤) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦

(٥) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ابن جبير، الرحلة ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٥

(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٥

(٧) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٦٦، نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي

(٨) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨

(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، الوطواط، مناهج ج١، ص ٣٦٣

في إقبال الناس على اتخاذ المزارع والبساتين، بعضها في داخل المدينة[٣]، وأخرى خارجها، ممتدة ستة فراسخ في جبال فيها مزارع وأشجار البلوط[٤]. ويمر بظاهرها نهر العاصي فيسقي بساتينها وأراضيها[٥]. وبجبل اللكام المطل عليها مزارع ومراع وأشجار[٦]، وهو "أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثماراً"[٧]. ووصف ابن بطلان مرأى "البساتين فيه والمياه المتفجرة والأنهار الجارية ما يتصوّر الإنسان أنه في الجنة"[٨]، وأشار أيضاً لكثرة الأديرة في هذا الجبل، وربما كانت هذه المزارع في يد الرهبان يعتاشون منها وينفقون ما يفيض عنهم في نفقات الدير ومَن يلجأ إليه، ويذكر ياقوت ديراً قديماً اسمه دير بلاض من أعمال حلب مشرف على عِمّ فيه رُهبان لهم مزارع[٩].

وفيما بين أنطاكية وحلب تنتشر المزارع والبساتين، في قرية حارم[١٠] وأرتاح[١١]، ودير مارت مَروثا ويسمى أيضاً دير البيعتين (غرب حلب)[١٢]، وبساتين جبل السماق التي تعتمد في الري على الأمطار سوى بعض المناطق التي توجد فيها عيون ماء[١٣]، كتلك التي في رأس جبل السماق حيث عين ماء تكثر حولها الأشجار، وفي شعب من شعابه تقع بلدة كفر لاثا وهي ذات بساتين ومياه جارية نزهة طيبة[١٤] وهي من أنزه البقاع المشرفة على قنسرين وحلب[١٥]، وقرية كفر نجد من قرى جبل السماق كبيرة كثيرة الأشجار[١٦]، وإلى الشمال من أنطاكية تقع الإسكندرونة وهي خصبة ذات زروع كثيرة وغلات متنوّعة[١٧].

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٢
(٢) الإصطخري، المصدر نفسه ص ٦٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(٣) البكري، المسالك ج١، ص ٤٦١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، ونقله عنه: الحميري، الروض ص ٣٨
(٤) الحميري، الروض ص ٣٨ ــ ٣٩
(٥) ابن بطلان، الرحلة ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٢
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٩
(٨) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٩
(٩) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٥٠١
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٠
(١١) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٠
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٥٣١
(١٣) ياقوت، المصدر نفسه ج ٢، ص ١٠٢
(١٤) ياقوت، المصدر نفسه ج ٤، ص ٤٧٠
(١٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٦
(١٦) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٧٧
(١٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦

وتنتشر في شمال الجند بعض البساتين، في تل باشر (شمال حلب) المشهورة بوفرة مياهها[١]، وقرية مشحلا من قرى عزاز وبها نهر جار وبساتين[٢]، وفي بغراس (شمال أنطاكية) أعين وواد وبساتين[٣]، ودربساك لها أعين وبساتين، ومن شرقيها مروج متسعة يمر فيها النهر الأسود[٤].

وفي غرب الجند تنتشر الأشجار والبساتين والمزروعات في بلدتي سرمين ومعرة مصرين، وأرضهما خصبة تعتمد في الري على الأمطار[٥].

كما تكثر المزارع والبساتين في الجنوب الغربي من الجند في مواضع عديدة مثل: الشغر وبكاس وتحتهما نهر يجري ولهما بساتين وفواكه كثيرة[٦]، ووصفت قرية ريحا بأنها من أنزه بلاد الله وأطيبها، ذات بساتين وأشجار وأنهار[٧]، وبلدة البارة (زاوية البارة) وهي ذات بساتين ومزارع[٨]. وجنوباً منها تكثر البساتين في معرة النعمان وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً[٩].

وفي الناحية الشرقية من الجند ترد إشارات لكثرة بساتين مدينتي الباب[١٠] وبزاعة التي غطت "بطحاءها بساتين ترف خضرة ونضارة"[١١]، وإلى الشمال من مدينة الباب يجري نهر الجوز بين حلب والبيرة وهي ناحية ذات قرى وبساتين ومياه[١٢]. وفي وادي بُطْنان مواضع نزهة كثيرة المياه والأشجار مثل تاذف وطَرْطَر (طلطل)[١٣]، وتوجد الكروم والبساتين والمزارع في بلدة تل أعْرَن[١٤]. وفي أقصى الشرق قرب الفرات تبدو منبج كنموذج زراعي متميز، بالرغم من كونها بريّة تعتمد في الغالب على مياه الأمطار[١٥]، إذ "تحف بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الأشجار

---

(١) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٢
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٦٦، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٩٧
(٣) أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(٤) أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٢٦١
(٥) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، ٢٦٥، ابن بطوطة، الرحلة ج١، ص ٢٧٢
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج ٣، ص ١١١
(٨) ياقوت، المصدر نفسه ج١، ص ٣٢٠
(٩) ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩، ونقله الحميري، الروض ص ٥٥٥
(١٠) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧
(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤
(١٢) ياقوت، المصدر نفسه ج ٢، ص ١٨٣
(١٣) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٢٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧١، زكرياء، جولة أثرية ص ٢١٤، طلاس، المعجم الجغرافي ج٢، ص ٣٢
(١٤) ياقوت، المصدر نفسه ج ٢، ص ٣٩، وتقع بلدة تل أعرن جنوب شرق حلب على بعد ٢٠كم.
(١٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، أبو الفداء، تقويم ص ٢٧١

مختلفة الثمار"[١]، وأرضها خصبة[٢]، والثمار والغلال تحمل منها إلى حلب[٣]. وقد لفتت مزروعاتها نظر الخليفة الرشيد لما اجتاز بها وشاهد بستاناً مُعْتَمّاً بالأشجار كثير الثمار[٤]. فاستهوته المدينة وبساتينها. وقريباً من منبج يصل نهر الساجور وتكثر على ضفتيه البساتين والكروم[٥]، وتكثر كذلك في جسر منبج[٦] على الفرات، وجنوباً منها توجد كورة فايا قرب وادي بطنان، وهي تشتمل على قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارية[٧]، وفي بالس تنتشر البساتين فيما بينها وبين الفرات[٨].

أما في المناطق الثغرية فيشار إلى مدينة عينتاب بكثرة المياه والبساتين[٩]، وإلى الشمال منها دير سليمان على جبل من جبال دلوك من أحسن البلاد وأنزهها[١٠]، وتحيط بدلوك المياه والبساتين الكثيرة العامرة بالفواكه والكروم[١١]. ويشار أيضاً إلى بساتين سُميساط التي تعتمد في ري مزروعاتها على نهر الفرات[١٢]. وقريباً منها تقع مدينة كيسوم، وأرجع ياقوت تسميتها لأصل عربي، معناه: الموضع كثير العشب والحشائش[١٣]، ويقع إلى الشمال منها حصن منصور، وهو ــ وما يتبعه من قرى وضياع ــ مشهور بالخصب وكثرة الغلات والزروع التي تعتمد على ماء المطر في السقي[١٤]. وكذا قرية سنجة الموصوفة بالنزاهة[١٥].

وفي الثغور الشامية تبرز طرسوس في سعة بساتينها وكرومها[١٦] وأغلب هذه الكروم مباحة لا مالك لها، ويذكر ابن حوقل أن طرسوس "تشتمل من العمارة والخصب والغلات والأموال والسعة

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٣، الحميري، الروض ص ٥٤٧
(٢) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١
(٤) المسعودي، مروج ج٤، ص ٢٧١، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٤٣٥، الآبي، نثر الدر ج١، ص ٤٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ٢٠٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٩، زبدة الحلب ج١، ص ٧١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٥
(٥) الإسكندري، الأمكنة ج٢، ص ٣٧
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٧٦
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٢٣٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧١
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠، ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٢٣
(٩) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٥١٦
(١١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٦١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٢
(١٢) الإصطخري، مسالك ص ٧٦، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، ٢٢٧، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، الحميري، الروض ص ٤٥٣ وفيه: شمشاط
(١٣) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٩٧
(١٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩
(١٥) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(١٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨

في جميع الأحوال على حالٍ لم يتّصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلمٍ"[١]. وكذلك المصيصة وكفر بيا على نهر جيحان لهما بساتين وزروع متصلة[٢]، تُسقى من نهر جيحان[٣]. وإلى الغرب منها مدينة أذنة وهي خصبة عامرة[٤]، "حسنة المحل في كل أصل وفصل"[٥]، وسيسية (سيس) لها بساتين ونهر صغير[٦]، والحدث ومرعش مدينتان فيهما فواكه وزروع وأشجار كثيرة[٧]، وعين زربة خصبة واسعة الثمار والزروع[٨]، وملطية في أقصى الشمال ذات أشجار وفواكه وأنهار تسقي بساتينها الكثيرة[٩]، وجميع فواكهها مباحة ليس لها صاحب[١٠]. ويقول المقدسي في كلامه على إقليم الشام بأن كل ما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً[١١].

الأشجار المثمرة والفواكه والأشجار الحرجية:

تكاد المصادر الجغرافية لا تستثني أي مدينة أو قرية أو حصن في جند قنسرين من الإشادة بثماره ومزروعاته وأشجاره، ومن أهم الأشجار المذكورة:

الزيتون: ويكثر وجود شجر الزيتون في جند قنسرين ـــ كغيره من أجناد الشام ـــ حتى قيل "ريف الدنيا من الزيتون فلسطين إلى قنسرين"[١٢]؛ بل يدل على شهرتها بالزيتون أن من جملة ما صالح عليه أهل قنسرين أبا عبيدة: خمسمائة وسق من التين والزيت[١٣]. واشتهرت حلب وبعض القرى التابعة لها بزراعة الزيتون[١٤].

وتزداد زراعة الزيتون كلما اتجهنا غرباً من حلب وصولاً إلى أنطاكية قريباً من ساحل البحر، فالمنطقة الغربية من حلب مشهورة بكثرة الأشجار خصوصاً الزيتون، الذي تنتشر زراعته امتداداً من بلدة الآثارب وأرتاح حتى جبل السماق (جبل الزاوية الآن)، ويصف المهلبي هذه المنطقة بأنها

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(٢) ابن حوقل، المصدر نفسه ١٨٣، مجهول، حدود العالم ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٤٥
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٤٥
(٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧
(٧) الإصطخري، مسالك ص ٦٢ ـــ ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٣
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي ج٢، ص ٦٤٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢، أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥
(١٠) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٧٩
(١٢) ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٤
(١٣) الواقدي، فتوح الشام ج٢، ص ٣٥٧
(١٤) الصنوبري، ديوانه ص ٤٥٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٨

"مثل فلسطين في كثرة الزيتون، وأن لها ارتفاع جليل من الزيت، يحمل إلى الرقة ومنها بواسطة نهر الفرات إلى العراق، وينقل من العراق إلى كل بلد"[١]. وكذا جبل سمعان (ليلون) الممتد غربي حلب فهو جبل نزه كثير الشجر من زيتون وغيره[٢]، ويتصل بجبل سمعان وجبل السماق الجبل الأعلى الذي تنتشر عليه بكثرة أشجار الزيتون[٣]، وأيضاً في بلدتي سرمين ومعرة مصرين اللتين تتصفان بكثرة ما فيهما من أشجار الزيتون[٤]، بالرغم من اعتمادهما في الري على مياه الأمطار[٥]، وكان زيت معرة مصرين من الكثرة بحيث يُحمل ويُباع خارجها[٦]، ويوجد الزيتون في قرية عِمّ الواقعة بين حلب وأنطاكية[٧]، ولكثرة شجر الزيتون بأنطاكية ونواحيها فقد انتشرت المعاصر التي تدار بالمياه[٨].

أما المنطقة الشرقية من الجند، فينقل ابن العديم عن بعضهم قوله إن الناس كانوا يمشون من مقام إبراهيم عليه السلام (بظاهر حلب) إلى قرية زبيدة الواقعة على طرف جبل الأحص والمشرفة على نقرة بني أسد، في ظلال شجر الزيتون، ودلل ابن العديم على صحة ما ذكر أنه ما من قرية في نقرة بني أسد إلا وفيها أثر معصرة للزيت والحجر الذي كان يعصر بها[٩].

وفي أقصى جنوب الجند تكثر زراعة الزيتون في معرّة النعمان[١٠]، ووصفها الرحالة ابن جبير بأنها من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً حتى بدت له سواداً كلها بشجر الزيتون وغيره من الأشجار[١١]. وهي تعتمد في زراعته ـــ مع غيره من أصناف الأشجار ـــ على ماء المطر لانعدام المياه الجارية والعيون فيها[١٢].

وزُرعت بعض مدن الثغور بأشجار الزيتون وكانت ثماره من جُملة الغلات المتحصّلة من ضياع طرسوس التي كانت تمثل مصدر غذاء للمقيمين فيها، ويباع الفائض منها بحسب سعره في ذلك الموسم، ويصرف المتحصل من ثمنها في مهمات الثغر[١٣]. كما اشتهرت قلز (كلس) بكثرة

---

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤١٧
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٢
(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٦٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١
(٥) أبو الفداء، المصدر نفسه ص ٢٦٥
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٣ ـــ ١٣٤
(٧) ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦، ابن بطلان، الرحلة ٧٧، ٨٥ ونقل عنه ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٦
(٨) ابن بطلان، الرحلة ص ٨٦
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٨
(١٠) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩، ونقله الحميري، الروض ص ٥٥٥
(١٢) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(١٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١ ـــ ١٨٢

زيتونها[١].

التين: وغالباً ما يتلازم وجوده في الجند مع الزيتون، وكانا من ضمن ما صالح عليه أهل قنسرين لأوّل الفتح[٢]. ويكثر شجره في حلب وأعمالها[٣]، وجبل سمعان[٤] والجبل الأعلى، وجبل السماق المشتمل على جبال وقرى من أنزه البقاع، وأحسنها وأطيبها، وفيه من والفواكه الحسنة، والثمار ما يتجاوز الوصف، وأشجاره قد عمّت الجبال والأودية من التين وغيره من الأشجار[٥]. ويكثر في بلدتي سرمين ومعرة مصرين[٦]، وقد وصفت المنطقة الممتدة من معرة مصرين حتى جبل السماق بأنها بلد التين وغيره من الثمار التي "تخرج عن الحدّ في الرخص، ويُحمل إلى مصر والعراق، ويُجَهَّز إلى كل بلد"[٧].

وكما هي شهرة معرة النعمان بأشجار الزيتون كانت شهرتها بالتين الذي تنتشر زراعته فيها[٨]، وفي أنطاكية، وأورد ابن العديم أرجوزة لأبي عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي يذكر فيها خروجه من طرسوس سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، ويصف فيها المنازل التي نزلها فذكر أنطاكية وفضلها، ومنها قوله:

كـثيرة الخـيرات والثـمار وتـينها القـلار في الأشـجار

وأضاف ابن العديم: التين القلاري لا يكون إلا بها، ويعرف في العراق بالشامي[٩].

الرمان: وهو من مشهور زراعات جند قنسرين، لكن الإشارة إليه اقتصرت على مواضع معدودة من الجند، خصوصاً الجبل الأعلى[١٠]، وأيضاً في بلدة حارم المشهورة "بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم (دون بذر) وكثرة المياه"[١١]، وفي معرة النعمان[١٢]، كما ترد إشارات لزراعته في بعض مدن الثغور، خصوصاً في طرسوس المشهورة بثمر الرمان الكبار، الحلو والحامض[١٣]. وأيضاً في الجبال المحيطة بملطية وهي مباحة لا مالك لها[١].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٧٦
(٢) الواقدي، فتوح الشام ج٢، ص ٣٥٧
(٣) ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٨، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٧
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٢، ٤٢٣
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١
(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ١٧٨، ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٦، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٢ ــ ٩٣
(١٠) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٢
(١١) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(١٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥
(١٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٢٨٤ ــ، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٩٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٧،

المشمش: ويزرع في حلب وأعمالها عذياً لا يسقى إلا بماء المطر[٢]، وفي معرة النعمان[٣]، وكانت أشجاره تنتشر في جبل السماق وفي القرى والتلال التابعة له[٤].

الحمضيات: لم ترد إشارات مبكرة لزراعة أشجار الحمضيات في الجند بالرغم من كثرتها في القرن الرابع الهجري وما بعده، ويذكر المسعودي أن النارنج والأترنج لم يكن "يُعهد ولا يُعرف" في الشام ولا مصر قبل سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م عندما جُلبت أشجاره من الهند[٥]. وبينما يذكر الشاعر الحلبي الصنوبري شجر الأترنج وثمره الكبير[٦] وشجر الخوخ[٧]، نجد الرحالة ناصر خسرو أثناء اجتيازه بالشام سنة ٤٣٨هـ لا يذكر شيئاً من هذا في حلب ونواحيها، لكنه يعدّد بعض أصناف الحمضيات كالنارنج والأترنج (بوملي) والليمون في طرابلس[٨]، وقد اشتهرت ــ فيما بعد ــ بياس (شمال الإسكندرونة) بصنف من البرتقال الجيد المسمى "البرتقال البياسي"[٩].

التفاح: وعند ذكر خصائص البلدان في الثمار وما تتميّز به، يُشار إلى تفاح الشام وتفرُّده[١٠]، الذي يُنقل إلى بغداد[١١]، وإلى غيرها من البلدان، وهو يُزرع في جند قنسرين في مدينة حلب وما يتبع لها من قرى وبلدات، وسقيه فيها من ماء المطر[١٢]. ويكثر شجر التفاح في جبل السماق والقرى التي تلتحفه[١٣]، منها قرية تسمى نَوَاز فيها "تفاح كبير مليح اللون أحمر"[١٤]، وكذلك في معرة النعمان[١٥].

ص ٣٩٦

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥
(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١٠٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(٥) المسعودي، مروج ج٢، ص ١٠٨، وانظر: حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، (تقديم) عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٨م. ص ١٠٦
(٦) الصنوبري، ديوانه ص ٨٢، ٢٢٤
(٧) الصنوبري، المصدر نفسه ص ١٣٩، ٣٦٠، الزوقنيني، تاريخ، ص ١١٣ ــ ١١٤
(٨) ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٧
(٩) زكرياء، جولة أثرية ص ٤١
(١٠) الصنوبري، ديوانه ص ٤٠٦، ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، بيروت، المكتبة الشعبية، ١٩٣٩م. ص ٢٠٩، الوطواط، مناهج ج١، ص ٣٩٧
(١١) المسعودي، مروج ج٥، ص ٢٠٢
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥
(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ٣٠٦
(١٥) شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥

الكمثرى (الإجاص): وهي تنمو في المناطق الباردة وبعض أصنافها تعيش في المناطق الدافئة الجافة، وكانت أشجاره تنتشر في جبل سمعان(١)، وجبل السماق وقراه(٢)، وبلدة تل باشر المخصوصة بنوع منه "ما له نظير" لكن يصعب نقله إلى حلب لأنه يتحوّل إلى ماء في الطريق(٣).

الجوز: وهو من الأشجار المعمّرة وتتأقلم مع مختلف البيئات، في أحواض الأنهار والهضاب والمناطق المرتفعة، ويشتمل جبل السماق (بني عليم) بقراه وتلاله على أشجار الجوز التي تنتشر في نواحيه وأوديته(٤)، وانتشرت أشجاره في الجبل الأعلى(٥)، وكان ويزرع بعلاً في معرة النعمان(٦).

كما انتشرت أشجار الجوز في الثغور الجزرية والشامية، فهي تكثر في ملطية، أقصى شمال الثغور، وفي الجبال التي تحتفّ بها، وهي مباحة لا مالك لها(٧). وكذلك في الجبال المحيطة بسُميساط وهي أيضاً مباحة لا مالك لها(٨). ويكثر شجر الجوز بنواحي طرسوس، وسمي أحد الحصون القريبة منها بـــ"حصن الجوزات"، نسبة لشجر الجوز، ويذكر الطرسوسي المساحة التي تغطيها أشجار الجوز وكيفية جني محصوله ثم قسمته في القرن الرابع الهجري وما سبقه(٩).

الفستق: وشجرته معمّرة من الفصيلة البطميّة، وهي من أقدم مزروعات البحر المتوسّط، وتشتهر حلب بزراعته ولهذا يُنسب إليها فيسمّى "الفستق الحلبي"، ويُزرع في المناطق التي تقع غرب حلب حتى جبل السماق(١٠)، وفي القرى المتناثرة عليه(١١)، ولكثرة إنتاجه كان يُباع رخيصاً، ويُحمل إلى مصر والعراق(١٢). وخُصَّت عزاز بالفستق الكبير(١٣)، كما اشتهرت معرة النعمان بكثرة مزروعاتها منه(١٤).

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٧
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٣
(٣) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣، ٤٢٦
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٢
(٦) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(٧) ابن حوقل، صورة الأرض ١٨١، الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢، أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥
(٨) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ونقل عنه الحميري، الروض ص ٣٤٥، وجاءت عنده: شمشاط
(٩) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٦ ــ ٥٧
(١٠) المهلبي، الكتاب العزيزي ٨٥، ونقل عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠، وسماه الصنوبري: الفستق الشامي، انظر: ديوانه ص ٤٠١
(١١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(١٢) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(١٣) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(١٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨، ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٦، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣١، الحميري، الروض ص ٥٥٥

اللوز: يزرع اللوز في جبل السماق[١] وفي قلز (كلس) قرب سُميساط[٢]، وكذلك في الجبال المحيطة بمدينة ملطية شمال الثغور، وهو من الثمار المباحة التي لا مالك لها[٣]، كما تكثر أشجاره في معرة النعمان[٤].

العنب: بالرغم من كثرة مزروعات الشام من العنب إلا إن الإشارات التي تناولته كانت قليلة، فلم يرد ذكر زراعته إلا في قرية تل أعْرَن التي يُنسب إليها صنف من العنب الأحمر المدوَّر[٥]. وفي القرى المتناثرة بجبل السماق التي عمّت نواحيه أشجار التين والعنب[٦]، وأيضاً في معرة النعمان[٧]. وبرغم هذا الإغفال فيمكن اعتبار ما تشير إليه المصادر من انتشار الكروم في مدن جند قنسرين يُقصد به أشجار العنب، وشجرة الكرم هي الدالية[٨]؛ خصوصاً مع ما يرد ذكره من وفرة الزبيب (العنب الميبَّس) في حلب والمنطقة الممتدّة من معرة مصرين حتى جبل السماق[٩]، وفي طرسوس والثغور وهو "زبيب لا عجم (بذر) فيه كالقشمش"[١٠]، وأيضاً يمكن التماس كثرة زراعته من خلال الإشارات العديدة إلى وفرة الخمر المتخذ من العنب[١١].

شجر السماق: وهو من الأشجار الصغيرة الحجم، من الفصيلة البطميّة، وأنواعه كثيرة، يستخدم في الطبخ وفي الأدوية كمانع للإسهال، وقد عمّت زراعته مواضع عديدة من جند قنسرين حتى أن جبل السماق سُمّي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق[١٢]، وتنتشر زراعته من هذا الجبل حتى معرة مصرين[١٣]، كما يكثر نبته في الجبل الأعلى[١٤].

شجرة السقمُونيا: وتنبت في جند قنسرين شجرة السقمونيا، وهي شجرة لها أغصان كبيرة طولها نحو ثلاثة أو أربعة أذرع، تستخدم كدواء مسهل، أو تخلط أوراقها مع بعض المواد فتنفع كضماد لعرق النسا وغيره من العوارض[١٥]، ويذكر السمعاني أن منبت السقمونيا بأنطاكية، وتنسب

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٧٦
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨١
(٤) ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٠٥
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٣٩
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(٧) ناصر خسرو، سفر نامة ص ٥٦
(٨) الوطواط، مناهج ج٢، ص ٣٨٤
(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(١٠) المهلبي، المصدر نفسه ص ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠، والقشمش أو الكشمش: نوع من الزبيب صغير وطعمه حلو. ابن الوردي، خريدة العجائب ص ١٨٧
(١١) الزوقنيني، تاريخ، ص ١٥٣، مار ميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٧، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١٠٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٣
(١٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠
(١٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٢
(١٥) ابن البيطار، عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤ج في ٢مج، دار المدينة، بيروت (د.ت)، ج٣، ص ١٨، وسيشار له فيما بعد: ابن البيطار، الجامع

وتنسب لها فيسمى دواء السقمونيا "الأنطاكي"، وذكر أنه لا يوجد بغير أنطاكية[١] مع أن ابن البيطار يعدّد مواطن أخرى تنتشر فيها زراعته، بل ويضيف بأن أردأ الأصناف هي تلك التي بالشام وفلسطين[٢].

التوت: لم ترد إشارات لزراعته في الجند سوى في منبج التي يغلب على شجرها التوت لتربية دود الحرير (القز)[٣]، وإلى ذلك يشيرُ ابن الوردي:

منبجٌ أهلها حَكَوا دودَ قَزٍّ عندهم تُجعلُ البيوتُ القبورا

ربِّ نعِّمهمُ فقد ألفــــوا من شـــــجر التوت جنّةً وحريرا[٤]

النخيل: ورد ذكر شجر النخيل في جند قنسرين لكن يظهر محدودية زراعته سوى من مواضع مخصوصة كالإسكندرونة التي وصفت بكثرة غلاتها وزروعها ومن ضمنها شجر النخيل[٥]، ويوجد النخيل في بياس شمال الإسكندرونة، وهي على ساحل البحر موصوفة بالخصب وبنخيلها الكثير[٦]. ويذكر الصنوبري وجود النخيل بحلب[٧]، وأخيراً يرد ذكر وجود أشجاره بعين زربة إلى الشمال من طرسوس، ووصفت بأنها تشبه في مناخها الغور[٨]، وربما كان ذلك بسبب وقوعها بين شعبتين منحدرتين من جبال طوروس، وقد تعرضت ٤٠ ألف شجرة من نخلها للقطع والحريق على يد الروم سنة ٣٥١هـ/ ٩٦١م[٩].

الأشجار الحرجية:

تكثر الغابات الكثيفة في الجهة الغربية والشمالية الغربية من جند قنسرين، وتغطيها أشجار الصنوبر والبلوط[١٠]، وهي تمتدّ من أنطاكية لمسافة ستة فراسخ في جبال مليئة بأشجار البلوط[١١]. ومن تشعّبات جبال الأمانوس المنحدرة من جبال طوروس: جبلي الكافر (النور) في الشمال، وإلى

---

(١) السمعاني، الأنساب ج١، ص ٢٧١.
(٢) ابن البيطار، الجامع ج٣، ص ١٨
(٣) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٧١
(٤) ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تتمة المختصر في أخبار البشر تاريخ ابن الوردي"، (تحقيق) أحمد رفعت البدراوي، (٢مج)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص ٤٨١
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٠، الحميري، الروض ص ٥٦
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢١
(٧) الصنوبري، ديوانه ص ٤٥٩
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧
(٩) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٦٢
(١٠) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٤٠
(١١) الحميري، الروض ص ٣٩

الجنوب منه الجبل الأحمر وتغطيها غابات السنديان والبلوط والصنوبر، خاصة في واجهتها المطلة على البحر[١]. وسمي الجبل الأسود بهذا الاسم لكثرة غاباته[٢]، بينما ذكر سهراب أن الجبل الأسود هو جبل السماق[٣]. ويكثر في حلب ونواحيها شجر السرو (ويسمونه: الشربين)[٤]. ولما بنى المعتصم سامراء سيق إليه الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها من بغداد، ومن أنطاكية وسواحل الشام[٥]. كما توجد أشجار البلوط بزبطرة[٦] في أقصى شمال الثغور قرب ملطية، ويكثر شجر الصنوبر بالثغور ــ خصوصاً الشامية منها ــ وثماره هي من مأكول الصوفية من المباحات التي لا مالك لها؛ يكسرونه ويأكلونه[٧]، ويأكلون أيضاً ثمر شجر الزعرور الذي ينتشر بجبل اللكام من الثغور[٨]. وكان خشب الصنوبر المقطوع من حصن التينات (قرب المصيصة) ينقل إلى سائر أنحاء الشام ومصر[٩].

كما تنبت في حلب شجرة الدلب أو "الصنار" وهي شجرة كبيرة معمّرة غير مثمرة يستظلّ بها، وللشاعر الصنوبري قصيدة في دُلْبتين استظل تحتهما في بستان غربي نهر قويق[١٠]، كما ذكر سبط ابن العجمي أن درب الدلبة في حلب سمّي نسبة لشجرة دلب فيه[١١].

المحاصيل الزراعية الحقلية:

القطن: وهو من المحاصيل الحقلية التي تزرع لأكثر من دورة، وتحكم زراعته وجود تربة خصبة ومناسبة، وتوفر المياه إضافة إلى درجة حرارة معتدلة، وتمّت زراعته قديماً في عدّة مواضع من جند قنسرين: في حلب وبعض قراها[١٢] وفي جبل السماق[١٣]. كما زُرع في المنطقة الشرقية من الجند، على أوائل مجرى نهر الذهب شرق مدينة الباب مروراً بوادي بطنان، وهو من مزروعاته التي توزن بالميزان "سمي نهر الذهب لأن أوّله بالقبّان (الميزان الكبير) وآخره بالكيل،

---

(١) عبد السلام، الأقاليم ص ٢٠٤
(٢) نصري، جغرافية سورية ص ٣١، زكرياء، جولة أثرية ص ٤٢
(٣) سهراب، عجائب الأقاليم ص ٩٦
(٤) الصنوبري، ديوانه ص ١٦٢، ٣١٣، ٣٩٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٥
(٥) اليعقوبي، البلدان ص ٢٥٨، الحميري، الروض ص ٣٠١
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٩٦
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٩١٧
(٩) الإصطخري، مسالك ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٣
(١٠) الصنوبري، ديوانه ص ٧٦ ــ ٧٧
(١١) سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم الحلبي (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، (تحقيق) شوقي شعث وفالح البكور، (٢مج)، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤٥٥
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥
(١٣) ياقوت، المصدر نفسه ج ٢، ص ١٠٢

وكان القطن من المحاصيل التي تزرع على مائه، ويُباع بالقبان وآخره يجمد فيصير ملحاً فيباع بالكيل[١]. واستغلّ أهل الباب وفرة القطن وجودته لديهم في صناعة الكِرْباس بكثرة[٢]، ويُحمل من الباب إلى مصر ودمشق ويُنسب إليها[٣]. وإلى جهة الغرب من الباب وبزاعة حيث يزرع القطن على نهر الذهب يزرع أيضاً في عزاز (تل عزاز) وهي ذات تربة حمراء، وأكثر ما يُزرع فيها القطن الذي يُحمل في المراكب إلى سبتة فيعمّ بلاد المغرب، ولأجل هذا كثر في عزاز البزازون (باعة الثياب)[٤]، وذكر المقدسي نظير هذا من تجارات حلب؛ فمنها يتاجر بالقطن والثياب والمَغَرة[٥].

القمح والشعير:

يُزرع القمح والشعير في جند قنسرين وإقليم الجزيرة المجاور للجند، وهما من المحاصيل التي يعتمد عليهما الأهالي اعتماداً مباشراً في غذائهم وعلوفة دوابهم، ولرعي أغنامهم ومواشيهم وقت الحصاد. ولكن المصادر لا تشير إلى مواطن زراعته من الجند سوى مواضع قليلة، ويبدو أن زراعته كانت بالقدر الذي يكفي معاشهم السنوي وما يدخرونه في الأهراء لقابل السنة تحسباً للقحط والمجاعة، وليس كشهرة حوران بزراعة القمح والشعير التي قيل فيها:

ومُـــغِلٌّ حـــوران كســـيل دافـــقٍ يأتَـــمُّ من أرجاءِ جـــلّقَ موجلا[٦]

ويؤكد ذلك أن الثغور، وفيها أعداد كبيرة من المقاتلة، كان الدقيق يأتيها من المشرق، كما وقع في عهد المهدي لما وردت خيل خراسان إلى طرسوس في أربعة آلاف راحلة محمّلة بالدقيق[٧].

فمن المواضع التي اشتهرت بزراعة الحنطة والشعير: بالس (مسكنة)، وكان أكثر غلاتها من هذين الصنفين[٨]، ولعلهما يُزرعان في جبل الأحص (الحص الآن) شرقي حلب للإشارة التي أوردها ابن العديم من أن قراه كثيرة الغلة[٩]، كما يُزرعان في المناطق الغربية من حلب، إذ شاهد ابن بطلان على امتداد الطريق من حلب إلى أنطاكية الأراضي المزروعة بحقول الحنطة والشعير

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢ـــ ٢٧٣
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٠٣. والكرباس: فارسي معرب، ضربٌ من الثياب المنسوجة من القطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة: كربس.
(٣) ياقوت، المصدر نفسه ج١، ص ٣٠٣
(٤) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨١، ١٨٤ والمغرة: طينٌ أحمر يُصبغ به. لسان العرب، مادة: مغر.
(٦) ابن عساكر، تاريخ ج٢، ص ٤٠٢
(٧) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٠
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٨

والشعير تحت شجر الزيتون[١]، كما زرع القمح والشعير في طرسوس والنواحي التي تحيط بها[٢].

ويمكن تلمُّس انتشار زراعة القمح والشعير في الجند من خلال كلام المؤرخ الزوقنيني على أحوال سكان الجزيرة وقنسرين وما علاها من أرمينية، وما عانته محصولاتهم نتيجة بعض الكوارث كالصقيع وغزارة الثلوج والانجماد الذي حلَّ بالمنطقة سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م فأتلف المحاصيل وبالتالي نفقت المواشي، وتلا هذه الحادثة غزو للحشرات ولما أسماه "سوس القمح" والأرقة؛ "كانت تلك الحشرات تتسلق سيقان القمح والشعير، وتلتهم كل ما يصادفها من الأوراق بدءاً من الجذر حتى السنبلة"، فنقص القمح عند السكان وغلا ثمنه، و"وصل سعر الجريب الواحد إلى دينار وأحياناً سبعة أقفزة بدينار ولا يوجد"[٣]. وأشار ديونيسيوس التلمحري إلى إفساد الجراد لحقول القمح والشعير في كامل الجزيرة سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م وبعد أن أتلف محصولها اتجه نحو الغرب (أي جند قنسرين) فأتلف كل غلاتها[٤]. وذكر أيضاً ما عانته المنطقة الشمالية نتيجة قلة المطر في حدود سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م "فلم تثمر الغلال فشح القمح وغيره"[٥]. وتكررت حادثة انحباس المطر في سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م فشح القمح[٦].

وإضافة لما تقدم، فيمكن اعتبار الإشارات المتكررة إلى وجود الأرحاء التي تتخذ لطحن الحبوب، دليلاً على انتشار زراعة القمح في مدن الجند، وبعض هذه الأرحاء تدور باستخدام الدواب كتلك التي في داخل مدينة أنطاكية[٧] أو خارجها في الجبل المطل عليها[٨]، والأخرى تقوم على الأنهار وسواقي العيون كالأرحاء المقامة جنوب حلب على نهر قويق[٩]، وعلى نهر العاصي (المقلوب) بظاهر أنطاكية[١٠]، وعلى العين الجارية التي بقرية عِمّ بين حلب وأنطاكية[١١]، وعلى عيون بلدة أرتاح[١٢].

مزروعات أخرى:

(١) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، ٨٥، ونقله عنه ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٦
(٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١ ــ ١٨٢
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١ ــ ١٠٤
(٤) مار ميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣
(٥) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧
(٦) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧٧ ــ ٧٨ نقلاً عن ديونيسيوس
(٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥، ونقله الحميري، الروض ص ٣٨
(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩ ــ ١٨٠
(٩) الصنوبري، ديوانه ص ٣٥٨، ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٤٧
(١٠) ابن بطلان، الرحلة ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨
(١١) ابن بطلان، المصدر نفسه ص ٧٧، ٨٥
(١٢) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٠

تُزرع أنواع من الحبوب على نهر الذهب كالحبة السوداء والأنيسون والكراويا[١]، والحبة الخضراء، وبزر البقلة وغير ذلك[٢]. كما تنبت في منبج عدة أصناف من البقول اليانعة[٣]. ويشيرُ الزوقنيني أثناء بسطه لحال السكان في كارثة سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م إلى عدد من المحاصيل التي تأثرت بما حدث، فيذكر منها: الفول والعدس والحِمص[٤]، كما عدّد الطرسوسي في كتابه سير الثغور أصنافاً من غلات طرسوس مثل: القطاني والكمون وبزر الفجل وبزر الكتان والترمس والأرز[٥].

وكان السمسم يزرع في حلب[٦] وجبل السماق[٧]، وضياع طرسوس[٨]. ومن مشهور مزروعات حلب الحقلية الأخرى البطيخ والخيار والدخن والذرة، كلها تزرع بعلاً دون سقي ومع ذلك يأتي محصولها وفيراً يفوق ما يسقى بالمياه السيح[٩]، ولكن ابن بطلان يذكر قلة ما بحلب من البقول[١٠]. كما يزرع بعلاً في معرة مصرين البصل والثوم والكسفرة، فتأتي على أكمل مل يكون من غير سقي[١١]، وهذه الأصناف الثلاثة هي مما يزرع أيضاً على نهر الذهب[١٢]، وتنبت الحبة الخضراء في المنطقة الممتدة من جبل السماق حتى معرة مصرين[١٣]. ويزرع الزعفران في نواحي حلب[١٤] وفي دير مارت مَروثا أو: دير البيعتين[١٥]، وهو من التوابل التي تستخدم في تطييب الأكل وفي الأدوية أيضاً.

وعدَّد المقدسي من تجارات حلب الأُشْنان[١٦] ومنه نوع يسمى القِلي السورياني نسبة إلى قرية سورية القديمة في جبل الأحص[١٧]، وذكر الطرسوسي أن الأشنان الزبطري (نسبة لزبطرة من الثغور الجزرية قرب ملطية) ينبت قرب حصن الجوزات، "فإذا تناهى إدراكه ضموه وارتفقوا به من هدية وبيع واستعمال"، ويوجد "في جبل الجوزات عقار يُعرف بالغاريقون يُحمل منه إلى أكثر

---

(١) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٤٨
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢ــ ٢٧٣
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٠٥
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١ ــ ١٠٤
(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١ ــ ١٨٢
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥
(٧) ياقوت، المصدر نفسه ج ٢، ص ١٠٢
(٨) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١ ــ ١٨٢
(٩) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥، القزويني، آثار البلاد ص ١٨٣
(١٠) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦
(١١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٣ ــ ١٣٤
(١٢) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٢٧٢
(١٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠، ١٣٣
(١٤) الصنوبري، ديوانه ص ١٦١، ٢٧٦، ٣٩١، ٤٤٦
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٥٣١
(١٦) الأشنان: يتخذ من نبات الحَمض وقيل: الحرض؛ تغسل به الأيدي والثياب لإزالة الدهن والمرق والودك وما أشبهه. لسان العرب، مادتي: أشن، حرض.
(١٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٩

الأقاليم"[١]، وهو عبارة عن نوع من الفطر يظهر على بعض أشجار المنطقة خصوصاً السرو (الشربين)، ويستخدم كدواء مُسهل، نافع لأمراض عديدة كوجع الكبد والكلى والمغص والصرع والربو وعسر البول[٢].

ومن البقول التي تنبت في الجند الباقلاء[٣] والصعتر[٤] ومنه السهلي والجبلي والبري، وينبت فيه الشيح[٥] والقيصوم[٦] خصوصاً بمنبج[٧].

المراعي: تنتشر في جند قنسرين المروج والمساحات الخضراء الملائمة لرعي المواشي، يذكر منها دابق التي تضاف تسميتها للمرج فيقال: مرج دابق "لمرجها المعشب النزه"[٨]، والراوندان من نواحي حلب وصفت بأنها كورة طيبة معشبة مشجرة[٩]، ومرج قِلِّز (كلّس) قرب سُميساط الذي ذكره أبو فراس الحمداني في شعره[١٠]، وكان مرج عبد الواحد ــ على باب مدينة حصن منصور ــ حمى لخيل المسلمين فلما بنيت الحدث وزبطرة استغنى عنه فازدرع[١١]. وأيضاً من شرقي دربساك تنتشر المروج "المتسعة الحسنة الكثيرة العشب يخترقها النهر الأسود"[١٢]. كما تكثر المراعي في أنطاكية وفي الجبل المطل عليها[١٣]. وفي مرج الديباج (أو مرج المصيصة) إلى الشرق من نهر جيحان، وهو سهل شاسع ممتدّ قرب المصيصة بين الجبال[١٤]، وبقربه مرج الأطْرَاخون[١٥]. ولتوفر المراعي الجيدة على ضفتي جيحان فقد كانت الضياع والقرى المحيطة به كثيرة المواشي[١٦]،

---

(١) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٧
(٢) ابن البيطار، الجامع ج٣، ص ١٤٦ ــ ١٤٧
(٣) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣٦٤، ٣٨٩، ٤٣٥، والصنوبري يشير دائماً إلى جمال زهر الباقلاء.
(٤) الصنوبري، ديوانه ص ٨١، ١٠٣
(٥) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٢٧٨
(٦) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٤٤٥، ٤٤٩
(٧) المسعودي، مروج ج٤، ص ٢٧١، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٤٣٥، الآبي، نثر الدر ج١، ص ٤٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ٢٠٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٩، زبدة الحلب ج١، ص ٧١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٥
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٤١٦
(٩) ياقوت، المصدر نفسه ج ٣، ص ١٩
(١٠) أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد (٣٥٧هـ/ ٩٦٨م)، ديوانه، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت)، ص ٣٣، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٨٧.
(١١) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، وحدد كل من قدامة، الخراج ص ٣٢١، وياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٠٢: موضعه في الجزيرة، وربما خلط عليهما لكونه من الثغور الجزرية.
(١٢) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(١٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩ــ ١٨٠، الإصطخري، مسالك ٦٢، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٠١
(١٥) ياقوت، المصدر نفسه ج ٥، ص ١٠٠
(١٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣

وتنتشر الزروع والأعشاب المناسبة للرعي في المنطقة الممتدة بين المصيصة وكفر بيا على ضفتي جيحان حتى البحر الأبيض المتوسط وهي بقعة خضرة نضرة[١].

الثروة الحيوانية:

الإشارات المتوفرة في المصادر لا تكفي لإعطاء صورة مقبولة عن مدى الثروة الحيوانية في جند قنسرين وفي عموم بلاد الشام، ويمكن افتراض كثرة الأصناف الحيوانية في الجند من خلال تنوّع مزروعاته وتوفر مقوّمات التربية والتدجين، وقد وجد المسلمون بقنسرين عند فتحها على يد أبو عبيدة بقراً وغنماً، وكانت من الكثرة بحيث قُسِّم بعضها فيمَن حضر وجُعل الباقي في المغنم[٢]، وكانت بلدة حارم عبارة عن صيرة (حظيرة) لجمع المواشي قبل أن يتم سُكناها[٣].

وتكثر قطعان البهائم والغنم والضأن ويعمّ خيرها كلما كانت السنة مخصبة خالية من الأمراض كما حدث في سنتي ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[٤] و١٥٣هـ/ ٩٥٣م[٥]، وتقلّ بخلاف ذلك كما وقع في سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م عندما نفقت الدواب والبقر بالصدام (مرض يصيب رؤوس الدواب)[٦]. ويَرِدُ أن لأهل الرصافة ــ وأكثرهم نصارى ــ حذق في عمل الأكسية، وكل رجل فيها ــ غنيهم وفقيرهم ــ يغزل الصوف، ونساؤهم ينسجن[٧]، بما يؤشر لكثرة امتلاكهم للضأن والماعز.

وكانت الصوائف والشواتي مصدر إمداد للجُند ولغيره من أقاليم الدولة من أصناف المواشي والدواب الروميّة التي يقع الاستيلاء عليها، ومع أن المصادر ــ عند ذكرها للصوائف والشواتي ــ تشير إلى كثرة ما يصيبه المقاتلة من غنائم وافرة، لكنها لا تفصّل نوعها باستثناء ذكرها ــ أحياناً ــ لعدد أسارى الروم، ومن المرّات القليلة التي أُشير فيها للغنائم من الحيوانات: ما صالح عليه مسلمة بن عبد الملك بعد حصاره للقسطنطينية سنة ٩٩هـ/ ٧١٨م وكان من جملته: خمسة آلاف رأس من البقر والغنم وألف رمكة (فَرَس) بفحولها[٨]، وما غنمه الرشيد في صائفة سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م التي قادها في عهد والده، وأنه عاد بما لا يوصف من المواشي والدواب[٩]. وفي عهد الواثق غزا أحمد

---

(١) ابن حوقل، المصدر نفسه ١٨٣، مجهول، حدود العالم ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥، ص ١٤٥

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٥١، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٣

(٣) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٣

(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٥٣

(٥) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١٤٤

(٦) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠١، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٠

(٧) ياقوت، معجم البلدان ج ٣، ص ٤٨

(٨) ابن أعثم، الفتوح ج٧، ص ٣٠٣

(٩) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٥٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٦، ٢٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٦

بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي في الشاتية سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م، وبالرغم من أنه جبن عن ملاقاة أحد بطارقة الروم إلا أنه أخذ نحو ألف بقرة وعشرة آلاف شاة[١]. وتمكن علي بن يحيى الأرمني ــ قائد إحدى صوائف المتوكل سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م ــ من العودة سالماً بنحو عشرة آلاف رأس من الدواب والرمك والحمير[٢]. واعتاد ثمل الخادم الذي تولى ثغر طرسوس لمدّة طويلة في عهد المقتدر (٣٠٩هـ/ ٩٢١م حتى وفاته سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م) الغزو والرجوع بغنائم وافرة، فغنم في غزوته سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م ثمانية آلاف رأس من الدواب ومائتي ألف رأس من الغنم[٣]. واللافت للنظر أنها غزوة بحرية، فإذا ما أضيف لهذا العدد ألف أسير من السبي، فإن المتحصّل لا يمكن احتماله إلى السواحل بمراكب المسلمين التي لم تكن في مطلع القرن الرابع الهجري بهذا المقدار والعدد خصوصاً بعد أن قام المعتضد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م بإحراق جميع المراكب البحرية التي بسواحل الثغور[٤]. وغنم ثمل الخادم أيضاً في صائفة سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م ما لا يحصى من الغنائم؛ وكان من جملة ما غنموا أنّهم ذبحوا من الغنم في بلاد الروم ٣٠٠ ألف رأس سوى ما عاد معهم إلى طرسوس[٥]. وعلى هذا فقد توفرت المدن الثغرية على ثروة حيوانية جيدة، وكانت القرى والضياع المنتشرة على نهر جيحان فيها الكثير من الماشية والكراع[٦].

أما الجواميس، وهي نوع من البقر، فيرجع دخولها إلى جند قنسرين لعهد الوليد بن عبد الملك (حكم ٨٦ ــ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ــ ٧١٥م)، إذ اشتكى إليه أهالي الجند من كون الطريق التي بين أنطاكية والمصيصة مسبعة تعترضهم فيها الأسود، فأرسل إليهم أربعة آلاف جاموس وجاموسة مما أتاه من السند فانتفع الناس بها[٧] وزال عنهم خطر السباع، ولما قبض يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م أموال بني المهلب بعد خلع يزيد بن المهلب وقتله، وجد عندهم أربعة آلاف جاموسة كانت بدجلة وكسكر، فوجه بها أيضاً إلى المصيصة ليصبح مجموعها ثمانية آلاف رأس[٨]. وتكرر إرسال الجواميس في عهد المعتصم، عندما تمكن سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م من القبض على جماعات الزط التي

---

(١) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ١٤٥، ابن الأثير، المصدر نفسه ج٧، ص ٢٥
(٢) الطبري، المصدر نفسه ج٩، ص ٢١٩، ابن الأثير، المصدر نفسه ج٧، ص ٩٣
(٣) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٤٥
(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٠، المسعودي، مروج ج٥، ص ١٦٩، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٢، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٩٨
(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه ج٨، ص ١٧٨
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٧٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٩
(٨) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٧٢، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥

أفسدت البطائح ــ بين واسط والبصرة ــ وأرسلهم إلى عين زربة(١)، وينفرد المسعودي بالإشارة إلى أن نقلهم للثغور كان مع جواميسهم(٢). ولعل أهل الجند استفادوا من وجود الجواميس لديهم في استغلال ألبانها وجلودها، كما استعانوا بها في النقل وربما في الحراثة، إذ يذكر المسعودي أنها تجرّ بالثغر الشامي أكبر ما يكون من العَجَل، وشاهد منها كذلك ببلاد إنطاكية(٣).

واشتهرت بعض المدن الثغرية بتدجين طيور البازي المستخدم في الصيد والقنص، يقول المهلبي: "يقطع إلى الثغور الجارح من بلد الروم، فتؤخذ فيه البزاة الفره، وقد كان في جبال الثغر أيضاً أوكار للجارح والكلاب السلوقية الموصوفة من بلاد سلوقية"(٤). وتشكل تربية البازي مصدر دخل لمن يتعاطى تضريته، وتتم تربيته في الجبل الذي يقع فيه حصن الجوزات في أشجار مخصوصة بأوكار البزاة فيرتادها بعض أهل الحصن، "فإذا فرخ البازي في وكره تعهده الطالب له بالتفقد وتردّد إليه، حتى إذا صلح، تلطف بحيلة في نقل الفراخ، ودبر تربيتها، وتكلف حملها إلى طرسوس، وربما بيع الواحد بمائة وخمسين درهماً، فيستحيل (يصل) إلى الفراهة إذا عُلِّم وضرِّي، فبلغ خمسمائة درهم وأكثر"(٥). ويشير الصنوبري إلى أصناف من الدواجن في منازل حلب كالطيور والنعام والحمام، وكان لديه حمام كثير فأهداه أحد الأمراء علفاً كثيراً لإطعامها(٦)، كما اشتهرت زبطرة بكثرة ما فيها من الأرانب التي يقع صيدها بين شجر البلوط، وهي "أرانب كبار إلى الغاية لا يوجد في الشام أرانب تقاربهن في القدر"(٧).

ولكثرة النصارى في الجند فقد تواجدت الخنازير فيه، ولهم اهتمام بتربيتها وتسمينها، وكان أكثر وجود الخنازير في نواحي أنطاكية، مثل قرية عِمّ أنطاكية وحلب التي كانت مشهورة بكثرة الخنازير فيها(٨). ويذكر ديونيسيوس أن الخليفة عبد الملك بن مروان أصدر أمراً في سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م بالقضاء على الخنازير(٩).

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٧٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٩، ١٠ الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٧، ابن البطريق، التاريخ المجموع ص ٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦٣٠
(٢) المسعودي، التنبيه ص ٣٥٥
(٣) المسعودي، مروج ج٢، ص ١٢٤
(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠
(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٧
(٦) الصنوبري، ديوانه ص ٢٧٩، ٣١٣
(٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤
(٨) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، ٨٥
(٩) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٧٠

أما السمك فيرد ذكره في بحيرة يغرا (بحيرة بغراس) بجانب عمق أنطاكية، والتي كان يُجلب منها السمك الكثير[١]، فيعتاش منه الأهالي، ويسمّونه بلغتهم سمك السلور، ولهذا سمّيت بحيرة يغرا ببحيرة السلور[٢]، وأيضاً يُصاد السمك من العين الجارية التي بقرية عم بين حلب وأنطاكية[٣].

الكوارث الطبيعية والبشرية

أثر الحروب على الزراعة والمياه:

يبرز الأثر البشري في جانبه السلبي على الأحوال الزراعية في جند قنسرين من خلال وقوع الفتن والثورات، ولكون جند قنسرين من أقل الأجناد فتناً ــ باستثناء حقبة التغلب على نواحيه خلال الفتنة بين الأمين والمأمون ــ فلم يكن أثرها كبيراً طيلة القرون الثلاثة الأولى، فخلال الفتنة وحتى عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م قامت عدة ثورات في قنسرين، كانت أطولها مدة وأكثرها أثراً ثورة نصر بن شبث، وخلال البعثة الثالثة التي أرسلت للقضاء على ابن شبث سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م تعرّض الفلاحون والحصّادون في شمال الجند إلى القتل والنهب، وتعرّضت غلاتهم ومحاصيلهم للحرق، وعانى الفلاحون والأهالي أيضاً من الضيق والمجاعة نتيجة لما يحتاجه الجيش من غذاء وعلوفة للدواب فتأثرت محاصيل الحنطة والشعير، إذ كان قادة الحملات يأمرون السكان بجمع الغلات والتبن لتموين جيوشهم، وتوفير العلف لدوابهم، فيقع الأهالي في ضيق من ذلك، وغالباً ما كانوا يضطرّون لحصاد المحصول قبل أوانه لتوفير الغذاء[٤]. ووقعت في كيسوم وما يجاورها سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م مجاعة بسبب إكراه الأهالي على إعداد الطعام للجيش الذي يقاتل ابن شبث[٥].

وفي أثناء حكم بني طولون لجند قنسرين، تعرضت المتنزهات حول حلب إلى الحريق والتخريب، وأورد ابن العديم طالع قصيدة لأبي عيسى صالح بن محمد بن إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي يذكر فيها ما وقع، ورجّح ابن العديم أن المتسبّب فيها هو والي قنسرين سيما الطويل الذى عصى على ابن طولون فقتله سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م[٦]. وعانت بعض المدن الثغرية القريبة من بلاد الروم من الهجمات الخاطفة التي قام بها الروم؛ يحاولون فيها الرد على الصوائف بإرسال حملات لمناوشة أطراف الثغور خصوصاً ملطية والحدث ومرعش وعين زربة، وكانوا يهدفون من ورائها إيقاع أكبر أثر في هذه المدن من التدمير والتخريب، ويستاقون منها ما قدروا عليه من

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٠٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٥٣، ج٤، ص ١٧٨
(٣) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، ٨٥
(٤) مار ميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٤
(٥) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ١٦
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٣، وصدر القصيدة: "عفا أثر من المتنزَّهات..."

الدواب والخيول والجمال والماشية، لكن سرعان ما كانت الدولة ــ خصوصاً في عهد بني العباس ــ تقوم بإرسال من يتولى الإعمار وإنزال الجنود والقبائل ممّن يتولى حفظها، وكانت ملطية ــ الحدودية ــ من أكثر المناطق التي تأثرت بذلك، فبعد أن عمرت وزرعت سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م أرسل ملك الروم من قام بحرق زروعها(١)، ويكشف المؤرخ البيزنطي ثيوفانس في حوليته عن الخطة التي اتبعها الروم سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م بعد مهاجمتهم لمدينة الحدث الثغرية، وتوقعهم لرد المسلمين، وكان مما تم ترتيبه أن تحرق الأعشاب وكل ما يمكن أن تقتات عليه دواب الحملة، وأن لا تتم المواجهة مع قوات المسلمين بل يتم ترك الحملة تتوغل حتى تنفد مؤونتهم، وبذلك تم إفشال هذه الصائفة(٢).

كما تعرضت مصادر المياه للتغوير (التخريب) أثناء الحروب والثورات، فعندما انتقض عبد الله بن علي على المنصور، وتوجه أبو مسلم الخراساني لمحاربته، كان أول ما قام به الخراساني في أرض المواجهة أن "غوَّر ما حوله (أي عبد الله) من المياه وألقى فيها الجيف"(٣)، ولم تحدّد المصادر الموضع الذي وقعت فيه المواجهة، سوى إشارة عابرة عند الطبري وابن عساكر تجعله في رصافة هشام(٤)، وهي مدينة برية تعاني شحاً في الماء إلا ما يجمعونه في الصهاريج من مياه الأمطار(٥)، ولعل هذه المياه التي جرى تغويرها هي بنواحي الرصافة وليست فيها، كما أن أمد الحرب التي امتدت لنحو ستة أشهر لا بد وأنها أثرت على الزراعة.

الكوارث الطبيعية والآفات والأوبئة:

عانت زراعة الجند من عدة كوارث طبيعية أصابته في سنوات متقطعة، كالصقيع والانجماد المتأتي بكثرة الثلوج، أو انحباس الأمطار فيحدث القحط كما وقع في سنة ٦٨ هـ/ ٦٨٧م حيث كان القحط شديداً بالشام حتى تعذر بسببه إرسال الصوائف من شدته(٦)، أو بموجات الجراد والأمراض التي تصيب الدواب والمواشي فتقضي عليها والطواعين التي تفتك بالناس وبضمنهم الفلاحين فتختل أحوال الزراعة، ونجد أكثر تفصيل لهذه الكوارث وأخبارها عند ديونيسوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ/

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٨

(٢)Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٤

(٣) الطبري، تاريخ ج٧، ٤٧٧، وفيه: "عوّر" أي ردم العيون، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢١٨، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٤٥٠

(٤) الطبري، المصدر نفسه ج٧، ص ٤٧٦، ابن عساكر، تاريخ ج٣١، ص ٦٠

(٥) ياقوت، معجم البلدان ج ٣، ص ٤٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٣

(٦) الطبري، تاريخ ج٦، ص ١٢٧

٨٤٥م) الذي وثق أحوال الجند وبعض المناطق المحيطة به حتى الثلث الأول من القرن الثالث الهجري.

وامتازت المنطقة الشمالية من الشام بكثرة الثلوج، وهي ثلوج تغذي أغلب الأنهار التي تخترقها، خصوصاً نهر الفرات، لكن أثرها السيئ على الزراعة تمثل في ازدياد مستواها في بعض السنين خصوصاً إذا أعقبتها رياح شمالية جافة فيحدث الصقيع والانجماد، ففي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م تسببت الثلوج الكثيفة، وما أعقبها من موجات الصقيع الشديد والانجماد إلى إبادة المواشي والحيوانات والطيور، وأدت إلى إتلاف الأشجار والحقول، ويذكر الزوقنيني أن ارتفاع الثلوج وصل في بعض المناطق إلى خمسة أشبار ودام على أسطح المنازل نحو ثلاثة أشهر، وفسدت أشجار الزيتون والكروم، ولم يكن هناك أدنى شيء مهما صغر إلا وأصيب من شدة الصقيع والجليد، وتجمّدت مياه الأنهار حتى عبرت عليها الجياد.. وهلكت حيوانات الحقول وطيور السماء، وتعفنت المزروعات وفسدت تحت الثلج وتيبست من شدة الصقيع، وعندما ذاب الثلج نبتت بدلاً من القمح والشعير حشائش فاسدة وأشواك[١]. وكان شتاء سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م شديداً وصعباً على السكان لكثرة الثلوج التي سقطت وغطت وجه الأرض، فأهلكت البهائم وأبادت الأغنام مع رعاتها، ثم تزايد سقوط الثلج بكثافة فهلك بسببه أناس كثيرون مع بهائم لا يُحصى عددهم[٢]. وفي أواخر كانون الثاني سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م وبعد موسم شتاء جيد هبّت ريح شمالية (موجة صقيع) استمرت ثمانية أيام، فاحترق كل شيء كأنه احترق بنار، ولم يُجن في تلك السنة أي من الغلال والبقول والكروم والأشجار خصوصاً في الجزيرة[٣].

وعانت المنطقة في حدود سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م من احتباس المطر فلم تثمر الغلال وشح القمح والخمر والزيت[٤]. وفي نحو سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م سقط برد كثيف دمر الزرع، وبعدها بسنتين (نحو ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) سقط ثلج واشتد البرد كثيراً وجمد نهر الفرات وغيره من الأنهار وعبره الناس مشياً وماتت الأسماك وقذفت خارجاً[٥].

وفي سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م، وبعد أن عانت المنطقة من احتباس المطر، لم تنبت فيها الزروع، واستمر ذلك حتى شهر أيار من السنة، فتوالى سقوط الثلج واشتد البرد، فعانى الأهالي منه ومن شح

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١ ــ ١٠٢
(٢) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١٤٩
(٣) مار ميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٦
(٤) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧
(٥) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٤٣

القمح وساد بينهم الجوع والمرض والموت، ثم تحسّنت الأحوال في شهر نيسان حيث سقطت الأمطار ونَمَت الزروع، ونزل معها بَرَد كثيف دمّر عدّة قرى في الجزيرة والغرب (أي جند قنسرين)، وهبّت عاصفة قلعت الأشجار من أصولها وقذفتها في الفضاء، وشوهدت الأتربة تنتقل إلى الحقول المزروعة وتغطيها فتبدو وكأنها بيادر حنطة[١]. ثم في السنة التالية (٢٢٨هـ/ ٨٤٣م) كثرت السيول وجرفت حجارة ضخمة، واستحالت البقاع إلى بحيرات، وفي بعض المناطق سقطت البيوت على الناس وأغرقتهم، ووصل الفيضان إلى الرقة تاركاً وراءه دماراً وخراباً[٢].

وبتوقف الأخبار التي دوّنها ديونيسيوس عند سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م (قبل سنتين من وفاته سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) تكاد أخبار الكوارث التي حلت بهذه المنطقة تنقطع، وانقطاعها لا يعني عدم وقوعها بل لأن أخبارها لم تصلنا، ويمكن القياس في القرنين التاليين على ما مرّ ذكره. ويرد ذكر وقوع الانجماد سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م حتى جمد الفرات أربعين يوماً ولقي الناس شدّة من البرد في البلاد كلها وفي طريق مكة[٣]، ووقع بالجزيرة سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م برد أهلك الزرع والمواشي[٤].

أما الطاعون؛ وشهرته بالشام معلومة، فكان أثره على السكان، ومنهم الفلاحين شديداً، وعندما يقع الوباء فإنه يُبيدهم ويمنعهم من تعاطي الفلاحة، فقد وقع طاعون سنة ١٢٦هـ/ ٧٢٠م وسبقه انحباس للمطر فحدثت مجاعة كبرى ثم تفشّى الوباء حتى أن الفلاحين صاروا يطلبون عملاً لقاء خبزهم ولا يجدون من يستخدمهم، وتفشى الطاعون في المنطة الشمالية وفي الجزيرة وراح ضحيته خمسة آلاف نفس أما في الغرب (أي قنسرين غرب الفرات) فالعدد لا يحصى[٥]، وسمّي بطاعون غُرَاب[٦]، ثم تلاه الطاعون العظيم، والذي تسبب ـــ مع ما رافقه من جفاف ومجاعة حلت منذ سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م واستمرت ثلاث سنوات متتالية ـــ في إفناء عدد كبير من السكان ودوابهم، وأفرد المؤرخ الزوقنيني ـــ الشاهد على هذه الأحوال ـــ مساحة كبيرة من كتابه[٧] للحديث عن هذه الكارثة التي عمّت الجند وأجزاء أخرى من بلاد الشام والجزيرة، ويذكر ديونيسيوس تفشي مرض الطاعون سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م في كل مكان[٨].

---

(١) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧٧ ـــ ٧٨
(٢) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧٥
(٣) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٦٠
(٤) العظيمي، المصدر نفسه ص ٢٨٨
(٥) مار ميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٠١ نقلاً عن ديونيسيوس
(٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ١٤٦ وذكر أن تسميته بهذا لأن أول من مات فيه رجل اسمه غراب، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج١، ص ٣٠٤، وأرخه في سنة ١٢٧هـ، السيوطي، ما رواه الواعون ص ١٨٩
(٧) الزوقنيني، تاريخ ص ٩٠، ١٠١ ـــ ١٠٦
(٨) مار ميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١١

الجراد:

ويعتبر الجراد من أكثر الآفات ضرراً على المزروعات والمحاصيل سواء في جند قنسرين أو في غيره من المواضع، وقد تعرّض الجند ومواضع من الجزيرة إلى أسراب الجراد في فترات مختلفة، ففي أيار ٩٤هـ "غزا جراد كثير لم يكن له نظير"[١]، "وفي سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م اجتاح الجراد في موسم القطاف فأتى على الكروم والتين والزيتون حتى يبست أشجارها وأجهز الجراد على ثمارها"، وتكرّر أيضاً في سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م فاجتاح الجراد المنطقة وأتى على الغلال فشح الغذاء مما زاد في محنة الناس والبهائم[٢].

وإضافة للثلوج والصقيع والأمراض التي أصابت المحاصيل والغلال فقد كان الجراد من ضمن الأوبئة التي منيت بها المنطقة في سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، فاجتاحت جموع الجنادب ــ وهو نوع من الجراد، وقيل: ذكره ــ المنطقة وانتشرت في كل مكان مُفسدة الكروم والأشجار والثمار والزروع. "ولو سقطت على هرى قمح فإنها تقضي عليه، ولم تسلم من أذاه حتى مناطق جنوب سوريا"[٣]. وأجهز الجراد على الزروع والمحاصيل في سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م[٤]. وفي سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م غطى الجندب الجزيرة برمتها، ويذكر ديونيسيوس الذي شاهده وعاينه أنه بعد أن عاث فساداً في الحنطة والشعير والبقول وضع بيضاً في الجبال والسهول، وبعد بضعة أشهر غطت صغاره الأرض، فكان يتسلق الجدران والأسوار ويدخل البيوت وملأ كل مكان حتى جرار الماء والفراش والموائد، ملتهماً كل ما يلقاه من عشب وأشجار وأمتعة صوفية وثياب، وبعد أن أتى على كل شيء في الجزيرة اتجه صوب الغرب (حيث جند قنسرين) فأتى على كل الغلات بعد أن قضى على الكروم والأشجار وكل أنواع الخشب[٥]. وفي سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م أفسد الجراد الكثيف كل صنوف الغلال في المنطقة، واستمرّ وجوده ثلاث سنوات وتكاثر وعاث فساداً فانتشرت المجاعة واشتدت بين الأهالي[٦]. وتكرّر انتشاره في المنطقة سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م فأتى على الكروم والزيتون واستقر فيها وتكاثر، وفي السنة التى تلتها قضى على كافة الزروع والكروم والأشجار[٧]. ومثله في سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م حيث أتلف الزروع والمحاصيل، وأعقب ذلك انتشار وباء استمر سنتين، بدأ في ما

---

(١) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٣٧٤
(٢) مار ميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٣٨٣
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١ ــ ١٠٢
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٥
(٥) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣
(٦) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٤١ ــ ٤٤٢
(٧) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٤٣

بين النهرين واجتاز إلى الغرب، حتى وصل فلسطين فأفنى ثلثي سكانها[١]. ويذكر ابن العبري في أحداث سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ظهور الجراد بكثرة وإفساده للزروع[٢]، ولم يحدد موضع ظهوره.

ومن الحشرات التي أصابت مزروعات الجند سوس القمح وحشرة الأرقة، وقد ساهمتا إلى جانب حشرات أخرى ــ حسبما ذكر ديونيسيوس ــ في إتلاف الزروع والمحاصيل سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وخاصة المحاصيل الحقلية كالحنطة والشعير، حتى أنه إذا أخذت عشر سنابل وسحقت فلا يوجد بها حبة قمح واحدة، وكثرت هذه الحشرات في وقت الحصاد، فأتلفت القمح والشعير وكل الأعشاب، فيبس القمح ولم يبق فيه شيء سوى القشرة، كان يطلق على هذه الحشرات اسم سوس القمح والأرقه، فسوس القمح كان مستديراً ومتعدد الألوان أما الأرقة فكانت مستديرة أيضاً ولكنها أصغر حجماً، ولهما مبسم طويل مثل الذبابة ومتك النعرة (ذبابة كبيرة) وبها بقع بعدة ألوان. كانت تلك الحشرات تتسلق سيقان القمح والشعير وتلتهم كل ما يصادفها من الأوراق بدءاً من الجذر حتى السنابل[٣].

وذكر الزوقنيني حلول وباء عظيم في المنطقة قضى على كثير من الخيول والدواب؛ وقع في سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤م وشمل كل المنطقة، بدءاً من الأجزاء المحيطة بالجزيرة، وأخذ ينتشر بسرعة كبيرة في المناطق المجاورة، فنفقت تلك الحيوانات بصورة جماعية، ووصلت شدة الوباء إلى درجة أنه عندما كان يصيب قافلة من الجياد تقدر بحوالي ٣٠٠ جواد، وهي في طريقها إلى مورد الماء كان نحو عشرين أو ثلاثين منها تنفق قبل أن تغادره، وانتشرت جثث الجياد النافقة في الأودية والجبال والسهول والطرقات، وكان هذا الوباء مثل الطاعون الذي يحل بالبشر، فيصيب حلوق الجياد ويتسبب لها بالآم شديدة، ولم يكن ينجو من الموت أكثر من واحد في المائة من الدواب المصابة، فنفقت بهذا الوباء الكثير من الخيول والبغال والحمير[٤]. وهذا المرض الذي ذكره الزوقنيني ولم يفصل أعراضه، هو أقرب ما يكون نتيجة عَلَقة تلتصق في حلق الفرس أو الدابة، فيجري من فمها دمٌ، وإذا نزل العَلَق إلى الجوف ماتت الدابة[٥].

---

(١) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ٧٧ ــ ٧٨
(٢) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٦٠
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠١ ــ ١٠٤
(٤) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١١٨ ــ ١١٩
(٥) ابن أخي حزام، محمد بن يعقوب بن إسحاق الحنظلي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، الخيل والبيطرة، مخطوط في مكتبة تشستربيتي ــ دبلن (إيرلندا)، برقم ٣٨٨٩، [الورقة ٧٨أ ــ ٧٨ ب]

٢ـ الصناعة:

لقد ساهمت عدة عوامل في تطور الصناعات في جند قنسرين، فبالإضافة إلى تراكم الخبرات التي تناقلتها الأجيال بحُكم قيام حضارات قديمة على أراضية، وتوفر المواد الأولية اللازمة للصناعة، فقد احتوى الجند على طاقات بشرية ماهرة في الصناعة، وكان صناع الشام يشار لهم في الحذق والمهارة، وتنبه ابن الفقيه إلى أن تقدمهم فيها كان نتيجة لقربهم من بلاد الروم، فأخذوا عنهم الصناعات وحسن التدبير(١)، وشهرة الروم بالصناعة معروفة(٢)، وما تميزوا به من أنواع "المهن العجيبة والصنائع البديعة"(٣). وبعيداً عن التخصيص في اشتهار مواضع معينة من الجند بصناعات محددة فيرد التعميم عن وفرة الصناعات ببعض المدن، فأنطاكية ذات "صناعات نافقة ومعاملات مرفقة"(٤)، و"كمخ نافقة المتاجر والصنع"(٥)، و"أذنة مدينة عامرة ذات أسواق وصناعات"(٦).

ومن أبرز صناعات الجند: الصناعات النسيجية، وقد تقدمت الإشارة إلى وفرة القطن في الجند، خصوصاً على ضفاف نهر الذهب، فنشأت لذلك صناعات النسيج والملابس، وبلغت من الشهرة بحيث أصبحت أجود الثياب تنسب لمدن الجند، فوفرة المواد الخام الأولية كالقطن والصوف والجلود أدى إلى تطور صناعة النسيج والثياب، كما ساهم أيضاً توفر العناصر الأخرى المساعدة في هذه الصناعة، ومنها توفر المواد المستخدمة في الصباغة كوفرة طين المغرة بحلب(٧) وجبال البشرى(٨)، ووفرة الزعفران(٩)، إضافة إلى الأيدي الماهرة في الصناعة، وكان أكثر الصباغين والدباغين بالشام هم من اليهود(١٠).

واشتهرت حلب بصناعة الثياب القطنية(١١)، وكان يُعمل ببلدة الباب الكِرْباس الكثير المنسوب إليها(١٢)، ومثلها أنطاكية المعروفة بتصنيع الأمتعة والثياب المنسوبة إليها (الثوب الأنطاكي)(١٣)؛ ولجودتها فإن العرب كانت إذا أعجبها شيءٌ نسبته إلى أنطاكية(١٤)، كما يصنع بها أيضاً ثياباً مصمتة

---

(١) ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٤، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٧
(٢) ابن الفقيه، البلدان ص ٤٠٥
(٣) المسعودي، التنبيه ص ٧
(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(٥) الإدريسي، المصدر نفسه ج٢، ص ٨١٣
(٦) الحميري، الروض ص ٢٠
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨١، ١٨٤
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٢٦
(٩) الصنوبري، ديوانه ص ١٦١، ٢٧٦، ٣٩١، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٥٣١
(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٣
(١١) المقدسي، المصدر نفسه ص ١٨١
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٠٣
(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٨١
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٦

(من خز أو صوف) وهي على درجة عالية من الكثرة والجودة، ومنها أنواع: العتابي والتستري والأصبهاني[١]، كما تصنع الثياب في بلدة الحقّة (غربي حلب) وإليها تنسب الثياب الحفية[٢].

وفي شرقي الجند كانت مدينة منبج مركزاً صناعياً لعمل خيوط الحرير والثياب الحريرية، نظراً لوفرة شجر التوت فيها[٣]، والذي يفضله دود القز في غذاءه، ولجودة مصنوعاتها الحريرية تنسب لها الثياب والأكسية المنبجانية[٤].

واشتهر أهل الرصافة وأغلبهم نصارى بصناعة الثياب، وكان لهم "حذق في عمل الأكسية، وكل رجل فيها ــ غنيهم وفقيرهم ــ يغزل الصوف، ونساؤهم ينسجن"[٥]. ويذكر القزويني من مصنوعاتهم التي يتفوقون بها إضافة لعمل الأكسية: "صنعة الجوالق (كالخرج يوضع على الدواب والجمال) والمخالي (التي تعلق للدواب وفيها العلف) ومنها تحمل إلى سائر البلاد"[٦].

وإلى سلوقية المسماة الآن السويدية قرب أنطاكية ينسب نوع من الثياب المعروفة "بالثياب السلوقية"، نلتمسه من قول أبي تمام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م):

في كُماة يُكسون نسجَ السلوقي وتعدُو بهم كلابُ سَلوقِ[٧]

كما اشتهرت مدن الثغور مثل طرسوس بصناعة ثياب تسمى (الشفايا)، بلغت من الجودة ما يماثل جودة رفيع الدبيقي[٨]، وكان بملطية ١٢ ألف نول تعمل الصوف[٩]. أما المصيصة فقد تميزت بالفراء التي نسبت إليها فسميت (الفراء المصيصية) ولجودتها كان يصل ثمن الواحد منها ثلاثين ديناراً[١٠]، وساعد توفر مادة القار خاصة في نواحي جبل البشرى[١١] على انتشار دباغة الجلود التي كان أكثر من يحترفها يهود[١٢].

---

(١) الحميري، الروض ص ٣٨
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٧٦
(٣) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٧١
(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، أدب الكاتب، (تحقيق) محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م. ص ٤١٧، البكري، معجم ما استعجم ج٢، ص ١٢٦٥، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٧
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨
(٦) القزويني، آثار البلاد ص ١٩٨
(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨
(٩) ابن الوردي، خريدة العجائب ص ٤٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٩٥
(١٠) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥١
(١١) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٢٦
(١٢) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٣

ومنها صناعة الحبال: وهي صناعة ترتكز على توفر مادة الليف المأخوذ من شجر النخيل، وقد تقدمت الإشارة إلى معدودية المواضع التي يزرع فيها النخيل، ولعل قرية الأندرين الواقعة في نواحي جبل الأحص كان فيها نخيل، لشهرة القرية بصناعة الحبال منذ العصر الجاهلي، استمداداً من قول النابغة الذبياني (ت ١٨ ق. هـ/ ٦٠٥م):

أقــب كــعقد الأنــدري مسحج حــــزابية قد كــدحته المساحل[١]

ويبدو أن صناعة الحبال كانت ناشطةً في الثغور، خصوصاً في طرسوس لإشارة الطرسوسي ــ في أكثر من موضع ــ لزاوية من المدينة تحمل اسم الحباليين[٢]، مع قلة النخيل فيها الذي يستخدم ليفه في صناعة الحبال، وربما جلب الليف من عين زربة التي يكثر النخيل فيها أو أنهم اعتمدوا في الصناعة على الكتان أو نبات القنب. وربما كانت الزاوية المذكورة مخصصة لبيع الحبال لا تصنيعها، وفي الحالتين فإن تخصيص مكان لبيع أو تصنيع الحبال يقتضي وجود صناعات أخرى إلى جانبها، إضافة إلى أهمية الحبال في الغزو كأداة من أدوات اقتحام الأسوار ولتقييد الأسرى.

وتصنع أواني الطبخ الفخارية والقدور ببلدة أرْمَنَاز (جنوب حارم) تعمل من الطين الأحمر[٣]، كما استخدم طين جبل البشرى (البشر) في عمل البواتق التي يسبك فيها الحديد[٤]، واستخدم النحاس الأحمر في صناعة الأواني، وهو يجلب من جبل جوشن (غربي حلب)[٥]. ويبدو أن عملية استخراجه توقفت في القرن السادس الهجري وربما قبله، إذ ينقل ابن العديم عن والده قوله إن الناس امتنعوا من عمل النحاس لأنهم عملوه فلم يجدوا فيه فائدة، وسبب انعدام الفائدة ما آل إليه حال حلب من قلة الحطب[٦]، وربما جلب الصناع النحاس من جزيرة قبرس التي يكثر وجوده بها[٧].

أما الرحى اللازمة للطحن، فيتم إعدادها من حجارة جبل شبيث (جنوب شرقي حلب)، وهي حجارة سوداء خشنة، يجلبها أهالي الجند لهذه الغاية[٨] ويستخدمها أهل حلب أيضاً في بناء بيوتهم وتسمى بالشبيثيّة[٩]. كما استخدم الأهالي في البناء التراب الأحمر الموجود بحلب ونواحيها ويسمى

---

(١) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت ١٨ ق.هـ)، ديوانه، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩١١م، ص ٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٢٩
(٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٧، ٣٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٥٨
(٤) ياقوت، المصدر نفسه ج١، ص ٤٢٦
(٥) ياقوت، المصدر نفسه ج٢، ص ١٨٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١١
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١١
(٧) الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٢٦٨، الحميري، الروض ص ٤٥٤
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١١٤
(٩) ياقوت، المصدر نفسه ج٣، ص ٣٢٣

السمقة، وتراب أبيض يوجد بجبال الحوَّارة قرب حلب فيستخدمونه في تبيِّض السقوف وتطيِّن به السطوح[١].

وازدهر في الجند تصنيع بعض الأواني والأدوات المرتبطة بمادتي الخشب والحديد، فصنعت منهما الأواني وأدوات الحراثة ومستلزمات البيوت والمنازل، ومع أن الأمثلة الدالة على ذلك قليلة، إلا أن بعض الإفادات تشير إلى اشتهار الثغور بأعمال النجارة وتصنيع الخشب، خصوصاً مع توفر الخشب الجيد مثل الخشب البياسي المنسوب إلى بياس[٢]، ومقاطع الخشب الموجودة في الجبل الأسود[٣]، وأخشاب منطقة قليقية (كيليكية) المشهورة بغاباتها الكثيفة[٤]، وشكلت مهنة النجارة حرفة تلاقي الرواج فكان أحد الشوارع بطرسوس يسمى شارع النجارين[٥]. أما الحديد فيوجد معدنه بمدينة زبطرة، ومنها ينقل إلى أماكن عديدة[٦].

ويشير الصنوبري في إحدى قصائده إلى صياغة الذهب بحلب، وهو يهجو فيها صائغاً اسمه ابن أبي حماد الصائغ[٧].

وكانت مدن الثغور إلى جانب كونها مسالح للمرابطة والمدافعة عن بلاد المسلمين، تشتمل على بعض الصناعات التي تخدم مهمتها العسكرية، فقد اصطحب العباس بن محمد (أخو جعفر المنصور) في غزوته لبلاد الروم سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م الحدادين والنجارين واستخدمهم في بناء الحصون، وقام النجارون بصنع المنجنيقات من خشب الصنوبر[٨]. ولعل خشب الصنوبر والبلوط والجوز الذي يكثر في بعض المدن الثغرية في جبال الجند الغربية كان يُستخدم في صناعة المراكب والسفن، خصوصاً مع ما يذكره البلاذري لهارون الرشيد من الفضل في الجهاد، وينسب له إقامة الصناعة المرتبطة بالغزو وجهاد الروم، ولم يفصّل نوع هذه الصناعة[٩]، ولعلها مرتبطة بصناعة المراكب البحرية والسفن، لكن هذا لا يظهر في جند قنسرين، وربما كانت صناعة المراكب والسفن تمت على سواحل مصر وثغور ساحل الشام مثل عكا أو صور التي كانت بها دار لصناعة السفن[١٠]، يؤكد ذلك قول

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٤
(٢) زكرياء، جولة أثرية ص ٤١
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٣٨
(٤) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٤٠
(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧
(٧) الصنوبري، ديوانه ص ٣٠٨
(٨) الزوقنيني، تاريخ ص ١٢٥
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٦٧
(١٠) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٧، البلاذري، فتوح ص ١٢٥

الإصطخري وابن حوقل والشريف الإدريسي أن خشب الصنوبر ــ اللازم لصناعة السفن والمراكب ــ ينقل من حصن التينات إلى الشامات ومصر والثغور ما لا يحصى كثرة[١]، كما ترد عند المسعودي إشارة تذكر مراكب العرب بأنها تثبت بالمسامير لكنه لم يذكر إي إفادة تحدد مواضع صناعة السفن[٢].

ويذكر الطرسوسي أن شغب أم الخليفة المقتدر بالله (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) أقامت بطرسوس داراً كبيرة للصناعة، وكان هذا في أواخر القرن الثالث الهجري ومطلع الذي يليه، "ولم يكن بثغر طرسوس دار أكبر منها، اشتملت على صناع معروفين من أهل السلاح يتولون تدبير أمر المدينة وإصلاح وتهيئة السلاح اللازم للجهاد والغزو، ويقومون بجلاء دروعها وسيوفها في كل سنة مرة أو مرتين"، وكانت لهذه الدار أوقاف بأرض الثغر وأعمال أنطاكية وحلب[٣]. فغالب أعمال أهل الثغور هي تربية الخيول وتدريبها على الطراد وتجهيز مستلزماتها، إضافة إلى إعداد السلاح اللازم للجهاد والغزو[٤]. وذكر ياقوت أن نقفور لما استولى على طرسوس سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م وملكها "أخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جُمع من أيام بني أمية إلى هذه الغاية"[٥]. كما رجح أن السيوف السلوقية المشهورة منسوبة لسلوقية (السويدية الآن) من نواحي أنطاكية على الساحل[٦].

ومن الصناعات بجند إعداد القطران وتصنيعه، وهو يستخرج من شجر الصنوبر[٧]، ومن شجر التَّنُّوب الذي ينبت في مدينتي مرعش، ويسمّى قطرانها: الخَضْخاض وهو من أجود وأفضل أنواع القطران وأرقّها[٨].

وإضافة لما تقدم، فيعدّد المهلبي جملة من صناعات مدينة المصيصة، التي كان يُعمل بها عيدان السروج التي تشد على الخيول والدواب، ولجودتها فكان يبالغ بثمنها، "ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل بالثغور"[٩].

وشكلت سبخة الجبّول (شرق قنسرين) التي ينتهي لها نهر الذهب مصدراً كبيراً لتصنيع الملح، فبعد أن يخترق النهر وادي بطنان وتنصب فيه مياه العيون يصل إلى بطيحة عظيمة طولها نحو

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦
(٢) المسعودي، مروج ج١، ص ١٩٣ــ ١٩٤
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨
(٤) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٩
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٨، القزويني، آثار البلاد ص ٢١٩
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٤٢
(٧) الدينوري، كتاب النبات ص ١٠٢
(٨) الدينوري، المصدر نفسه ص ٩٩، ١٠٢
(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٥

فرسخين في عرض مثل ذلك[١]، فيبقى الماء في السبخة حتى فصل الصيف، إلى أن يهب الهواء الغربي وينشف الماء شيئاً فشيئاً فيجمد ويصير ملحاً[٢]، وقد اعتاد أهالي الجبول وما جاورها من قرى القيام بجمعه أولاً بأول، أي كلما جف من ملحه شيئاً جمعوه، ويقومون بعمل مساكب لماء البحيرة فيجمد الماء، ويصير ملحاً أبيض[٣]، وربما ثقل ماء السبخة في بعض السنين، فيجلبون الماء من أبار قريبة، ويجرونه إلى المساكب فيجمد فيها ويصير ملحاً، ثم يجمعونه منها ويرفعونه ويصنعون غيره، وهذا الملح الذي يصنع ــ بعد أن يخلط بماء الآبار ــ يكون أشد بياضاً من الأول كبياض الثلج، وهو معتدل في الملوحة لا مرارة فيه، وفي غاية الجودة والاعتدال في الطعم، فكان يباع منه في كل سنة بمبالغ كثيرة[٤].

وقد أدى اشتغال الناس بصناعة الملح وإعداده للتجارة إلى وجود تجمع سكاني قريب من سبخة الجبول، فأصبحت الإشارة للسبخة في مصادر ما بعد القرن السابع الهجري ترد باسم قرية كبيرة إلى جانب الملاحة مسماة باسمها "قرية الجبول".

إما صناعة الورق والكاغد فقد دخلت إلى العالم الإسلامي عن طريق الصين في القرن الثاني الهجري، واعتاض الناس به عن الرق والبردي في الكتابة[٥]، وكانت بداية اتخاذ هذه الصناعة ــ بحسب ابن خلدون ــ في عهد الرشيد بإشارة وزيره الفضل بن يحيى البرمكي (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٩م)[٦]، "وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت"[٧]، ثم انتشرت صناعته في عدة مدن إسلامية، كدمشق وطبرية[٨] وطرابلس الشام[٩]، ومنها ينقل إلى البلاد، أما عن صناعته في جند قنسرين فيذكر الطرسوسي أن في بعض الأبراج المقامة على سور طرسوس أماكن مخصصة لعمل الورق

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٢٠
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢
(٣) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٤٧
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٧، ج٥، ص ٣٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٢٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٤٧، نصري، جغرافية سورية ص ٥٣
(٥) زيادة، نقولا، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٤٥١هـ/ ٧٥٠ ــ ١٠٩٥م)، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العصر العباسي، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ٣٠٨، وسيشار له فيما بعد: زيادة، تجارة بلاد الشام، ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، "العصر العباسي الأول"، ط١٦، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠٣، سيشار له فيما بعد: ضيف، العصر العباسي الأول.
(٦) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣١٦
(٧) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ١٤٧
(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٠ ــ ١٨١
(٩) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٥٨

والكاغد[١]، ومن اللافت أن تكون صناعته في ثغر يقع في طرف الجند، أغلب مهامه تختص بالشؤون العسكرية، إلا أن يكون السبب وراء ذلك هو توفر الأرز الذي يستعمل قشره في صناعة الورق. ولما كان الورق مادة للكتابة فقد ارتبط به أيضاً احتواء الجند على مادة **الزاج** الذي يدخل في تصنيع وإعداد الأحبار، كما يدخل في تصنيع الأدوية أيضاً[٢]، وهو يكثر في بلدة الجرجومة فيما بين بياس وبوقا[٣]، ويسمى النوع الأحمر من الزاج بالسوري[٤]، وربما جلبه أهل الجند أيضاً من جزيرة قبرس التي يوجد فيها معدنه بكثرة، وينسب إليها[٥].

ومن الصناعات إعداد الفواكه المجففة، فيشار إلى شهرة بعض مواضع الجند بالزبيب وكان يصنع بكثرة في حلب والمنطقة الممتدّة من معرة مصرين حتى جبل السماق[٦]، وفي طرسوس والثغور[٧]، ويشير ابن حوقل لزبيب منبج المعمول بالجوز والفستق والسمسم، الذي لم يرَ له شبيهاً إلا ببخارى من لذته وحلاوته[٨].

أما صناعة الصابون فيشار ــ من بين مدن الجند ــ لمدينة بالس في صناعته، "فيُعمل فيها من الصابون الكثير الغزير"[٩]، وساهم قربها من الرقة المشهورة بصابونها الرقي المعروف[١٠] في تطور صناعة الصابون فيها، إضافة إلى وفرة إنتاج الزيت في مدن الجند كما تقدم بيانه.

ويشار إلى جودة زجاج الشام الذي يضرب فيه المثل في الرقة والصفاء[١١]، وكانت تنتج من صناعته كميات كبيرة يتم تصديرها إلى خارجه، وازدهرت صناعته في العصر الروماني بعد اكتشاف نفخ الزجاج، واستمر تطور هذه الصناعة وتنوعها في العصر البيزنطي[١٢]، وإضافة لمدينة صيدا[١٣]

---

(١) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٤، ص ١٩٠، ابن منظور، لسان العرب، مادة: زوج

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٦٣، ابن عساكر، تاريخ ج٦١، ص ٣٦٩

(٤) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية ج٢، ص ١٤٨، القزويني، آثار البلاد ص ٢٤٠

(٥) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٣ ــ ٦٤٤، ١٤٨ الحميري، الروض ص ٤٥٣

(٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ونقله عنه ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠

(٧) المهلبي، المصدر نفسه ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠ ــ ١٨١

(٩) ابن حوقل، المصدر نفسه ص ١٨٠، وانظر للمزيد عن صناعة الصابون في أجناد الشام الأخرى: زيود، محمد أحمد، النشاط التجاري والصناعي لبلاد الشام في القرنين الثالث والرابع للهجرة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العصر العباسي، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ٢٣٦، وسيشار له فيما بعد: زيود، النشاط التجاري.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٤٥، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٣، ١٥٧

(١١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (تحقيق) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ص ٥٣٢، عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٥٣

(١٢) العش، محمد أبو الفرج، الزجاج السوري المموه بالمينا والذهب، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ١٦، ج١، (المديرية العامة للآثار، دمشق، ١٩٦٦م)، ص ٣٧ــ ٣٨، وسيشار له فيما بعد: العش، الزجاج السوري.

(١٣) سترابون، جغرافية ص ٥٥

كانت حلب وأنطاكية من أهم مراكز تصنيعه في شمال الشام حسبما كشفته أعمال التنقيب الأثرية وكميات الأواني الزجاجية التي عثر عليها[١]، وبالرغم من هذه المكانة المتقدمة لحلب وأنطاكية إلا أن المصادر المبكرة لا تذكر شيئاً من ذلك، ويكتفي ياقوت بالإشارة إلى توفر مادته الأولية بحلب، يقول "والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالاسفيداج"[٢]، ويدعم ذلك قول القزويني الذي يجعل سوق الزجاج بحلب من العجائب؛ "إذا اجتاز به الإنسان لا يريد مفارقته، لكثرة ما يرى من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة التي تحمل إلى سائر البلاد للتحف والهدايا"[٣].

٣ــ التجارة:

ارتبطت التجارة في جند قنسرين ــ بطبيعة الحال ــ مع الزراعة والصناعة ارتباطاً وثيقاً، فانعكست أصناف المزروعات التي تفرد بها على صناعته وبالتالي على التجارة، وما خلا منه الجند من أصناف المزروعات أو الصناعات فيقع استيراده من خارجه، إما من أجناد الشام الأخرى أو من العراق وبلاد الروم. ويلزم قبل التعرض لتجارة جند قنسرين وبسط أنواع ما يتجر به صادراً وواردأ، التعرف على شبكة الطرق الداخلية التي تخترق نواحيه، والطرق الخارجية التي تربطه بالأقاليم والأجناد المجاورة، والصعوبات التي واجهت مرتاديها من التجار.

طرق التجارة:

ارتبطت مدينة قنسرين (مركز الجند) منذ القدم بالطرق التجارية، واستمدت شهرتها من وقوعها على الطريق التجاري الذي يربط بين حلب ودمشق أو أنطاكية، وكان الرصيف الروماني الرابط بين أنطاكية وحلب يمر بها[٤]. كما كانت قنسرين تشكل مع مدينة حلب في الأزمنة القديمة نقطة تلاقي القوافل المتنقلة بين بلاد ما بين النهرين والبحر الأبيض المتوسط[٥].

ونجد عند قدامة تفصيلات موسعة عن الطرق التي توصل بين العاصمة بغداد وأقاليم الدولة الإسلامية، ثم ما يتفرع منها من طرق داخل الأقاليم ذاتها، ونجد وصفاً للطرق أيضاً بدرجة أقل عند ابن خرداذبة ومن تلاه من الجغرافيين.

الطرق الخارجية:

---

(١) العش، الزجاج السوري ص ٤٤
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٢٦
(٣) القزويني، آثار البلاد ص ١٨٣
(٤) زكرياء، جولة أثرية ص ١٧٦
(٥) عبودي، معجم الحضارات ص ٣٦١، درادكة، صالح موسى، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العصر العباسي، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ٢٠٢

وترتبط الشام ببغداد طريقان، الأول يمر بالأنبار ويتجاوز الفرات وصولاً إلى هيت ومنها يتفرع الطريق إما عبر الصحراء إلى الجنوب الغربي نحو دمشق أو شمالاً باتجاه جند قنسرين(١)، ولعله ذات الطريق المعروف منذ العهد الروماني(٢)، والطريق الآخر وهو الواصل بين بغداد (أو من سامراء) وجند قنسرين، وهو أكثر شهرة وعليه طريق الصوائف فيخرج من بغداد = البردان = تكريت = الموصل = الرقة أو منبج أو جسر منبج = قنسرين أو حلب أو دابق = بغراس(٣) أو أنطاكية = المصيصة = طرسوس(٤).

وهذه الطريق (الثانية) هي ذاتها التي سلكتها قوات الصوائف والشواتي نحو بلاد الروم وذات الطريق التي سار عليها المأمون لغزو الروم سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م(٥). وعلى هذا وصفت حلب بأنها على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات(٦) وبلاد فارس وخراسان(٧).

وساعد نهر الفرات في حركة التنقل وفي عملية نقل البضائع إلى العراق، فبعد أن يصل النهر إلى سميساط يحمل من هناك السفن والأطواف إلى بغداد(٨)، وتحمل عليه تجارات الشام كالدقيق وما يرد من الثغور(٩)، ولما كان مجمع هذه التجارات بالرقة(١٠)، فإن قسماً كبيراً من هذه الأحمال تأتي من جند قنسرين؛ خاصة من حلب التي تنتج سائر الغلات النفيسة، وغلات المنطقة الغربية الممتدة من معرة مصرين حتى جبل السماق، وتشتمل على التين والزبيب والفستق والسمَّاق والحبة الخضراء فيحمل إلى مصر والعراق، ويُجَهَّز إلى كل بلد، وكذلك الزيت الكثير الذي ينقل من بلدة الآثارب (الأتارب) وجبل السماق أيضاً، فينقل إلى الرقة ومنها يحمل في الفرات إلى العراق وغيرها من أقاليم الدولة(١١)، ومن خلال وصف الصنوبري لمنظر السفن والمراكب وهي تترد في نهر الفرات كالجيوش المتقابلة تتجلى أهميته في تطور تجارة الجند وتوسعها(١٢). وقد أقيمت على الفرات

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٢ ــ ٧٣، قدامة، الخراج ص ١١٦، لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٥، زيادة، تجارة بلاد الشام ص ٢٩٦

(٢) درادكة، البريد وطرق المواصلات ص ٢٠٢

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١

(٤) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٣، قدامة، الخراج ص ١١١ ــ ١١٣، ١٢٩

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٢٣، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤١٧

(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦١، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧

(٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨

(٨) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ٢١١، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٣٥٩

(٩) اليعقوبي، البلدان ص ٢٣٧

(١٠) اليعقوبي، المصدر نفسه ص ٢٥٠، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٢

(١١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٤٩، ١٥٩

(١٢) الصنوبري، ديوانه ص ٤٤٣ـــ ٤٤٤

الجسور التي تسهل عملية العبور، منها جسر بقرب الرقة وجسر منبج الذي تعبره القوافل القادمة من حران إلى الشام[١].

واتخذ المسلمون بعد دخولهم الثغور الجزرية والشامية عدة طرق إلى بلاد الروم، وكانوا في أوقات كثيرة يسيّرون حملتين أو أكثر في ذات الصائفة، فتسلك كل منهما طريق مختلفة لاعتبارات عسكرية أهمها مفاجئة العدو وتشتيت عيونه عن تتبع سيرهم. وتكثر مسميات الطرق التي اتبعتها هذه الحملات: درب السلامة، درب طرسوس، درب المصيصة، درب الراهب، درب الصفصاف، درب الحدث، درب مرعش، درب ملطية، واتضح للباحث أنها لا تخرج عن طريقين (أو دربين) اثنين، هما:

أ.**درب السلامة:** وفصّل ابن خرداذبة منازل هذا الطريق من طرسوس حتى مدينة عمورية، وحدد المسافات بينها بالأميال، ومنازل هذه الطريق: "من طرسوس إلى العُلّيق = الرَّهوة = الجوزات = الجردقوب = البَذَنْدون = معسكر الملك على حمّة لؤلؤة والصفصاف = وادي الطَّرفاء = منى = نهر هرقلة = مدينة اللبن = رأس الغابة = المسكنين = عين بُرْغُوث = نهر الأحساء = ربض قونية = العَلَميْن = أبرومسمانة = وادي الجوز = عَمّورية"[٢]. وذكر البلاذري وقدامة أن الأمويين كانوا يطلقون على درب الحدث درب السلامة تطيراً منه لحادث وقع لهم فأصيبوا فيه[٣]، وكيف يكونان ذات الدرب والمعتصم في غزوة عمورية دخل من درب السلامة، وأرسل الإفشين من درب الحدث!‏[٤]. ودرب السلامة أشهر الدروب ومنه يمر حملة البريد والسفراء والوفود بين الجانبين[٥]، ويقال له أحياناً درب طرسوس ودرب المصيصة أو درب الأبواب القيليقية، وكان مطروقاً قبل الفتح الإسلامي لبلاد الشام، يقول امرؤ القيس[٦]:

بكى صاحبي لمّا رأى الدّرْبَ دونه ... وأيقن أنّا لاحِقان بقيصرا
فقلتُ له: لا تَبْكِ عينُكَ إنّما ... نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنُعْذَرا

ويرد في بعض الصوائف اسم درب الراهب، ولا تُعين المصادر على تحديد مسالكه، ولكن من خلال تتبع بعض الحملات التي سلكته خصوصاً صائفة الرشيد ١٩٠هـ/ ٨٠٥م الذي مرت عليه،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٩١
(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠ ــ ١٠١، وهو ينقل هذه الإفادات مختصرة عن مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وأورد نص كلامه عن الروم في موضع آخر (المسالك ص ١٠٥ ــ ١١٢)، وفيه وصف هذه الطريق بأوفى من هذا.
(٣) البلاذري، فتوح ص ١٩٣، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٢٧ نقلاً عن البلاذري.
(٤) المسعودي، مروج ج٤، ص ٣٥٨
(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٦
(٦) امرؤ القيس، ديوانه ص ٩٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٤٧

ومحاولة تحديد ما أفضى له هذا الدرب، نجد أن الرشيد فتح هرقلة ثم اتجه شمالاً منها فأناخ على طوانة[١]، وكلاهما موضعان يقعان إلى الشمال من طرسوس، فيكون هذا الدرب أحد مسالك درب الحدث الفرعية، ويؤكد هذا الرأي أن المسعودي عندما ذكر غزوة الإخشيد طغج بن جف قال إنه "دخل طرسوس غازياً وافتتح ملورية مما يلي بلاد برغوث ودرب الراهب"[٢]، وبرغوث هي التي أوردها آنفاً ابن خرداذبة باسم عين برغوث من المواضع التي توصل لها درب السلامة. ومثل هذا يقال في درب الصفصاف المنسوبة إلى حصن الصفصاف من نواحي المصيصة[٣].

ب. **درب الحدث:** ويسمى أيضاً درب مرعش[٤] أو درب ملطية، وهو في أقصى الشمال الغربي من الثغور الشامية، فهو يمر من مرعش أو ملطية = الحدث = أبلستين (البستان) = خرشنة (خرسيون) ويمر على عدة حصون في من بلاد الروم[٥]. ومرت عليه بعض الصوائف[٦]، وهو أقل استخداماً عند المسلمين من الأول، نتيجة لوعورة المنطقة التي تليه وبرودتها.

وورد ذكر طريق يسمى درب الجُبّ، وعليه تمكن المعتضد من القبض على وصيف الخادم الهارب إلى بلاد الروم سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م فكان قدوم المعتضد من بغداد وعبر الفرات ووصل إلى الثغر الشامي، وترك أثقاله ومتاعه بالكنيسة السوداء[٧]، فيكون هذا الدرب من نواحي الكنيسة التي لا يعرف موضعها اليوم، لكنها ــ على التقريب ــ من نواحي مرعش والهارونية. وبقرب درب الجب أيضاً درب آخر قريب منها يعرف بدرب العين النافذ إلى الهارونية[٨]، وأخرى تسمى درب القُلَّتين من دروب الثغور الجزرية[٩].

وتربط جند قنسرين بجند حمص (وبالتالي بقية أجناد الشام ومنها إلى مكة ومصر) طريق تدعى الطريق الأعظم، مخرجها من مدينة قنسرين أو من حلب إلى المرج = تلمنس = صوران = حماة = حمص = بعلبك = دمشق[١٠]. وكانت الرصافة في جنوب شرق الجند محطة ذات أهمية تجارية

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٠٨، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٦
(٢) المسعودي، مروج ج٥، ص ١٥١
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤١٣
(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤٢٧، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٤، ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٦١٢
(٥) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٨، قدامة، الخراج ص ١٩٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٥
(٦) الحميري، الروض ص ٥٤٥
(٧) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨ ــ ١٦٩
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٥
(٩) الإسكندري، الأمكنة ج٢، ص ٣٧٤، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٨٧
(١٠) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٣، قدامة، الخراج ص ١٢٧ ــ ١٢٨

إذ يخرج منها طريقان إلى الغرب يقطعان بادية الشام: أحدهما إلى دمشق فحمص، والآخر: من الرقة فيمر بسروج وينتهي إلى سميساط[١].

الطرق الداخلية:

كانت **الطريق** إلى جند قنسرين من الرقة تمر عبر الرقة إلى دَوْسَر (قلعة جعبر)، ثم إلى بالِس في غربي الفرات، ثم إلى خُساف = الناعورة = حلب، ثم إلى قنّسرين وكورها[٢]. وطريق آخر توصل من الرقة إلى ساحل جند قنسرين (ساحل البحر الأبيض المتوسط) فيأخذ من دوسر (قلعة جعبر) = دافين أو النقيرة = جسر منبج = منبج = حلب = الأثارب = العمق = أنطاكية[٣].

أما الطرق الموصلة إلى الثغور داخل الجند فمنها طرق تربطه بالثغور الجزرية تمتد بين حران والرها (في الجزيرة) ثم إلى سميساط = حصن منصور، والطرق الموصلة للثغور الشامية: قنسرين = أنطاكية = الإسكندرونة = المصيصة = أذنة = طرسوس = عين زربة[٤]. أما الطريق من الرقة إلى الثغور ــ حسب قدامة ــ فهي من الرقة إلى عين الرومية = تل عبدا = سروج = المزنية = سميساط = حصن منصور = ملطية = مدينة كمخ = زبطرة = الحدث = مرعش[٥].

ويذكر ابن خرداذبة عند الحديث على السكك والطرق أربعة مواضع سماها "عوادل الثغور الشامية"، وهي: عين زربة والهارونية والكنيسة السوداء وتل جبير[٦]، ويرد هذا المصطلح أيضاً عند قدامة، يقول: "سكك الطريق العادلة من منبج إلى الثغور الشامية، من حلب إلى قنسرين تسع سكك، ومن قنسرين إلى انطاكية أربع سكك، ومن أنطاكية إلى الإسكندرونة أربع سكك، ومن الإسكندرونة إلى المصيصة سبع سكك، ومن المصيصة إلى أذنة ثلاث سكك، ومن أذنة إلى طرسوس خمس سكك، ومن المصيصة إلى عين زربة سكّتان"[٧]. ومعنى العَدَل عن الطريق الانحراف عنه، وعدل عن الطريق عدولاً: رجع، وعَدَلَ الطريق نفسه: مال[٨]، ولعل مراد ابن خرداذبة وابن قدامة: تلك الطرق المنحرفة أو الثانوية، غير تلك الطرق الرئيسية.

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٨، درادكة، البريد وطرق المواصلات ص ٢٠٤

(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ٧٤، ابن الفقيه، البلدان ص ١٦١، الإصطخري، مسالك ص ٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥ ــ ١٨٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٦

(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٨، ١١٧، قدامة، الخراج ص ١٢٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥ ــ ١٨٦، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٦

(٤) قدامة، الخراج ص ١٢٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٥ ــ ١٨٦،

(٥) قدامة، الخراج ص ١١٥

(٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٠

(٧) قدامة، الخراج ص ١٢٩

(٨) لسان العرب وتاج العروس، مادة: عدل، وعرّف الخوارزمي مصطلح عوادل الثغور لكنه زاده غموضاً، قال: "وعوادل الثغور: التي عدلت عنها". فإشارته تعني الثغور المنحرفة!. انظر: مفاتيح العلوم ص ١٤٤

ويشار لدار الضيافة (قصر) التي أوجدتها أم الأمين زبيدة (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) في بغراس وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة، بحيث ينزل فيه كل مسافر يصل المدينة فيضيفه أهلها فيه، ولم يكن للمسلمين بالشام دار ضيافة غيرها[١]، ونستدل من مكان إقامتها في حصن بغراس على طريق الثغور أنها تهدف لاستضافة القادمين للثغور بنية الجهاد في سبيل الله والمرابطة، وهي وإن لم تكن مخصوصة بالتجار إلا أنهم ربما نزلوها واستراحوا فيها. ويذكر ياقوت خاناً من نواحي حلب يدعى تل السلطان أو الفُنَيدق، فيه خان ومنزل للقوافل[٢]، ولعل استحداثه تم فيما بعد القرن الرابع الهجري لانعدام ذكره في المصادر المبكرة.

صعوبة الطرق:

انحصرت الصعوبات في طرق جند قنسرين في عنصرين اثنين، أحدهما طبيعي والآخر بشري، أما الطبيعي فيختص بالطرق النافذة إلى بلاد الروم، سواء درب الحدث أو درب السلامة، حيث تواجه مرتاديها مناطق وعرة صعبة الاجتياز، وأما العنصر الثاني فيتعلق بالأمن.

كانت الطريق إلى بلاد الروم صعبة ووعرة وتكثر فيها العقبات، وكل حصن من حصون الثغور يليه درب ثم عقبة[١]، فالعقاب تبتدئ منذ السفوح السفلى لجبال اللكام (الأمانوس)، فتوجد عقبة بغراس[٢]، وعقبة جندارس، والوصول إلى ملطية من بلاد الشام والجزيرة لا يكون إلا بعد اجتياز عقاب شديدة[٣]، وبقرب مدينة الحدث عقبة ضيقة طويلة تسمى عقبة السير[٤]، وشمال طرسوس توجد عقبة تسمى عقبة الأكواخ وموضعها فوق مخرج نهر البردان (نهر طرسوس)، وعقبة أخرى تسمى عقبة البراذع موقعها قبل وصول نهر البردان إلى طرسوس[٥]، وإلى الشمال من طرسوس وأذنة توجد عقبة الكولك[٦] وهي عبارة عن مضيق في جبل بلغار طاغ من سلسلة جبال طوروس، وتسمى أيضاً باب قليقية، وهي عقبة صعبة، على طرفيها صخور شاهقة جرداء[٧].

ويذكر الشاعر عدي بن الرقاع (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م) صعوبة السير في المناطق الشمالية من جند قنسرين:

فقلـــــتُ لهـــا كيفَ اهتديتِ ودوننا   دلـــوك وإشرافُ الجبالِ القواهرُ[٨]

وتتوالى وعورة الطريق بعد الخروج من الثغور والدخول في بلاد الروم، وقد عانت إحدى الحملات العسكرية التي قام بها المسلمون بقيادة العباس بن محمد أخو المنصور سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م من وعورة الطريق وصعوبتها خصوصاً وأن الحملة لم يكن في أدلاء يعرفون مجاهل الطرق، وكانت نتيجة الصائفة الفشل وأبيد الجيش المكون من خمسين ألفاً ولم يعد منه سوى خمسة أو ستة

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٢، ج٤، ص ٢٧٨

آلاف، بعد أن تخلص من "الأرض المنكوبة المنكودة"[٩].

أما عنصر الصعوبة البشري فيتعلق بأمن الطرق، ويكثر خطر التعرض للقوافل التجارية في برية الجند، حيث المواضع المنقطعة التي قد تشكل مجالاً للتلصص ومهاجمة التجار والقوافل العابرة للفرات، وكان من مهام والي الجند حفظ السابلة من غارات الأعراب والمتلصصة، كما تولى بعض سكان المناطق البرية حماية القوافل وخفارتها، كبني خفاجة الذين تولوا خفارة الطريق مقابل مال يدفعه أهل الرصافة الذين يعمل أغلبهم في التجارة[١٠]، كما اعتاش بعض أهلها من تخفير القوافل[١١]. وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البر بالسماوة فيما بين الكوفة والشام على طريق تدمر وغيرها، وتتولى حمل الرسل وأمتعة التجار على إبلها[١٢].

ولا بد أن التجارة تأثرت بما عم الجند من ثورات وتغلب على امتداد حكم العباسيين، وقبله وبعد حكمهم أيضاً، ففي حالات العصيان والانتزاء والهيج يجد اللصوص وقطاع الطرق فرصتهم للتحين بالتجار وسلب ما معهم، عيناً ومالاً، فتنقطع السبل ولا يؤمن السعي في التجارة، وكان نصر بن شبث ــ الذي امتد نطاق ثورته واستمرت ثلاث عشرة سنة ونصف ــ يموّن نفسه وجماعته من نهب أموال التجار[١٣]. وقد عبر المتنبي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) عن المخاوف التي تعتري المسافرين خصوصاً في البرية عندما مرَّ في برية خساف فيما بينها وبين حلب، فقال مخاطباً الأسد وقد سمع زئيره:

ورائـــي وقُـــدّامي عُداةٌ كثيرةٌ   أحــــاذِرُ من لِــصٍّ ومنك ومنهم[١٤]

---

(١) قدامة، الخراج ص ١٨٧
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٦٧
(٣) قدامة، الخراج ص ١١٥
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٣٤
(٥) المسعودي، التنبيه ص ٥٨
(٦) القلقشندي، صبح الأعشى ج٤، ص ١٣٥، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٤٣٣
(٧) زكرياء، جولة أثرية ص ٣٠
(٨) ابن الرقاع، عدي بن زيد العاملي (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م)، ديوانه، (تحقيق) نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م، ص ١٩٨، الحميري، الروض ص ٢٣٦
(٩) الزوقنيني، تاريخ ص ١٢٧
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨، القزويني، آثار البلاد ص ١٩٨
(١١) ابن بطلان، الرحلة ص ١٠١، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٧
(١٢) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٩٥
(١٣) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٣٤
(١٤) المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري (تحقيق) مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ٤ج في ٢مج، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ج٤، ص ٩١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٤٣

وقد تقدمت الإشارة لتصرف نصر بن شبث عند إغارته صحبة الزواقيل على الأبناء الخراسانية وقيامه بإحراق الأعلاف التي جمعها التجار[١] للبيع خلال اجتماع الوفود.

وحدث في بعض الأوقات أن امتنع التجار عن تموين الجيوش المقاتلة بما يلزمها من غذاء وعلوفة نتيجة لانعدام الأمن، ففي صائفة سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م ومحاصرة المسلمين للروم في حصن كمخ "رفض التجار جلب الحنطة والميرة لعساكر المسلمين لكون الطريق غير آمنة وتكثر فيها الأخطار، إضافة إلى هلاك الكثير من الدواب في تلك الحملة، فنتج عن ذلك جوع كبير وارتفعت أسعار القمح مع ندرة وجوده، واستمرت الحالة هذه عشرين يوماً. عند ذلك أرسل قائد الصائفة العباس بن محمد أخو المنصور إلى السوق الكبير في سورية، فانحدر القرويون والفلاحون إلى هذا السوق لجلب الميرة، وسمع الناس بالحاجة إلى الأغذية مع توفرها بكثرة في الجزيرة، فتكومت أكوام من الغلال في جند قنسرين وخزنها التجار"[٢]، وزعم الزوقنيني أن في أثناء محاصرة كمخ خرجت حملة أخرى باتجاه قاليقلا فكان أفراد الحملة يجردون كل من يصادفونه من حمولته المكونة عادة من الجبن والدهن والعسل وحاجات أخرى وتجلب المواد إلى المعسكرات[٣].

وفي العصر العباسي الثاني، ونتيجة لاختلال الدولة وضعفها، فقد نشط قطاع الطرق في التلصص ونهب التجار والمسافرين، وازدادت غارات الأعراب، ولم تسلم من ذلك بعض مشتريات الخليفة المستعين بالله، إذ وقع الاعتداء على قافلة تحمل متاعاً له اشتراه من بلاد الروم فتعرض لها قطاع الطرق من الأعراب وصدهم أحمد بن طولون واستنقذ القافلة[٤]. وكانت حالات التعرض للتجار تقع في خارج المدن أو في أطرافها، خصوصاً في برية بالس[٥] وبرية خساف التي قتل فيها الشاعر علي بن الجهم بن بدر (٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)، قتله بنو كلب، ولعل مقتله كان طمعاً في ماله، إذ تنفرد رواية الذهبي لخبر مقتله "أنه قاتلهم دون ماله"[٦]، ويعضدها قول الأصفهاني أن الإغارة عليه كانت وهو في قافلة[٧].

التجارة مع الروم:

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٨
(٢) الزوقنيني، تاريخ ص ١٣١
(٣) الزوقنيني، المصدر نفسه ص ١٣٣
(٤) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٣٦ ــ ٣٧
(٥) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٨
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١١٨٥
(٧) الأصفهاني، الأغاني ج١٠، ص ١٧٢، ١٨٦

يُفهم من عبارة أوردها ديونيسيوس التلمحري أن التجارة مع الروم كانت مقرونة بأوقات السلم والهدن، يقول: "لما عقد الرشيد الصلح مع نقفور سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م تبادل الشعبان التجارة"[١]، وهذا مخالف لما كانت عليه الحال، إذ كانت التجارة تترد بينهما سلماً وحرباً، والدليل على ذلك أن بعض أخبار الروم وتحركاتهم كان المسلمون يعلمون بها من خلال التجار[٢]، وربما كان مقصود ديونيسيوس زيادة التبادل التجاري في أوقات السلم.

وكانت تجارات الروم تصل للمسلمين عن طريقين آخرين، وهو أن يتم نقل البضائع بحراً إلى طرابزون التي تذكرها المصادر العربية باسم طرابزندة (أو أطرابزندة)، أو إلى أنطالية. أما طرابزون الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الأسود (بُنطس)[٣] فكان ميناؤها يستقبل البضائع والسلع من القسطنطينية ثم يتولى التجار نقلها إلى بلاد المسلمين عبر الجبال إلى ملطية وغيرها من مدن جند قنسرين[٤]، ويذكر ابن حوقل أن التجار المسلمين كانوا يجتمعون بطرابزون ومنها يدخلون إلى بلاد الروم وإليها يعودون، فيجلبون معهم: الديباج والبزيون (رقيق الديباج) وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والأكسية الرومية[٥].

أما أنطالية على ساحل بحر الروم، فقد كانت الضرائب المتحصلة منها مع ضرائب طرابزون تشكل أغلب ما يحصله الروم من مراكب المسلمين[٦]، وهذا يشي بحجم التجارة التي تجتمع فيها، وتجلب إلى الجند عبر البحر الرومي[٧].

الصادرات:

انعكست بعض مزروعات جند قنسرين ومنتجاته على نوعية ما يصدر منه، فالقطن الذي يزرع في عدة مواضع منه ينقل إلى أسواق خارج الجند وأحياناً يصدر إلى أقاليم خارج بلاد الشام، فكان قطن بلدة عزاز ينقل في المراكب إلى سبتة فيعم بلاد المغرب[٨]، والمنسوجات والثياب تصدر من الجند إلى العراق ومصر، فتحمل من حلب[٩] وبلدة الباب[١٠]، وطرسوس وغيرها من الثغور[١]،

---

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٣٩
(٢) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٥، المسعودي، التنبيه ص ١٧٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥١٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥١
(٣) موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٤٦
(٤) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٨
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٤٤، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٨
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٩٧
(٧) الزهريّ، مُحمّد بن أبي بكر، أبو عبد الله (ت قبل ٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، الجعرافية (بالعين المهملة)، (تحقيق) مُحمّد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨م. ص ٧١
(٨) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٧
(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨١
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٠٣

الثغور[١]، ومن أنطاكية المشهورة بتصنيع الثياب الأنطاكية[٢]، وتحمل من المصيصة الفراء المصيصية المشهورة[٣]، فمصنوعات هذه المدن، إضافة لما يتم تصنيعه في مدن شامية أخرى كحمص وبعلبك ودمشق وطبرية وصور والرملة وعسقلان وغيرها، كان يصدر إلى العراق والشام وإفريقية[٤].

ويتاجر بالملح الذي يتم استخراجه من سبخة الجبول، فينقل إلى أجناد الشام والجزيرة وغيرها من الأقاليم[٥]، "ويباع منه في كل سنة بأموال عظيمة"[٦].

ولشهرة الجند بالزيت فكان يتاجر به، فيجلب من معرة مصرين الزيت الكثير[٧]، ولعل عملية تصديره لم تخرج عن نطاق أجناد الشام والجزيرة وربما العراق، بمعنى أنه لم ينقل إلى مصر التي كانت تعتمد في زيتها على ما يتم استيراده من إفريقية (تونس) خصوصاً من مدينة سفاقس[٨]. أما الفستق المنسوب لحلب، لكثرته فيها ورخصه فكان يُحمل إلى مصر والعراق[٩].

ويرد ذكر تجارة السمك من بحيرة يغرا (بحيرة بغراس)، حيث يصاد منها كميات كبيرة من الأسماك[١٠]، ولعل المتاجرة به لا تتعدى بعض المناطق المجاورة للبحيرة.

ويحمل من حلب الأشنان والمغرة[١١]، كما يحمل الأشنان الزبطري المشهور من حصن الجوزات[١٢].

واشتهر جند قنسرين بجودة الأخشاب ووفرتها لكثرة ما فيه من أشجار الصنوبر والبلوط والسنديان التي تنتشر غاباته الكثيفة في الجهتين الغربية والشمالية الغربية من الجند[١٣]، وكان هذا الخشب يصدر إلى الخارج ــ خصوصاً إلى مصر ــ لاستخدامه في صناعة المراكب والسفن، ويشار من بين مدن الثغور إلى حصن التينات (قرب المصيصة بينها وبين بياس)، وفيه مجمع لخشب الصنوبر الذي ينقل إلى سائر أنحاء الشام ومصر[١٤].

---

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٠
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٨١
(٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ١٠٤، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥١
(٤) زيود، النشاط التجاري ص ٢٢٣ وما بعدها
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٠٧، ج٥، ص ٣٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٢ــ ٢٧٣
(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٤٧
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٣
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٠
(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٠، وانظر: زيود، النشاط التجاري ص ٢٣٤
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٠٩
(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨١
(١٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٧
(١٣) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤، الحميري، الروض ص ٣٩، موستراس، المعجم الجغرافي ص ٣٤٠
(١٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٣، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦، ابن

ونشطت في بعض مدن الثغور تجارة البازي، التي يرغب الملوك والأمراء وأهل الثروة واليسار في اقتنائها، ويتم تضريتها بهدف البيع(١)، فجرى تربيتها في حصن الجوزات ومنه تحمل إلى طرسوس، فيباع الواحد بمبلغ ١٥٠ درهماً، وإذا كان البازي مدرباً على الصيد فيصل ثمنه إلى ٥٠٠ درهم وأكثر(٢).

الواردات:

الإشارات إلى مستوردات جند قنسرين قليلة، وتأتي في صيغة التعميم لعموم الشام، يذكر مؤلف كتاب حدود العالم أن بلاد الشام "ملأى بالتجارات، يقع إليها كل ما يرتفع من المغرب ومصر وبلاد الروم والأندلس"(٣)، لكنه لم يفصّل هذه الأصناف التي يتم استيرادها، ووصفت مدينة أذنة بأنها ذات أسواق وصناعات وصادر ووارد(٤). ولعل تجار الجند ــ خصوصاً الثغريين منهم ــ كانوا يستوردون البخور من بلاد الروم، إذ يذكر المسعودي أن سوقاً للبخور كان تقام في السنة مرة في بند الناطليق الذي تقع ضمنه هرقلة مما يلي الثغور الشامية(٥).

وكان جند قنسرين يستقبل من مدن أرمينية وأذربيجان كمراغة وأرمية: الأغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والشمع وغير من أنواع التجارات(٦)، كما يجلب من بحيرات أذربيجان سمك يسمى الطرِّيخ، يملح فينقل إلى العراق والجزيرة وأجناد الشام(٧).

أما معدن الزاج الذي يوجد ببعض مناطق الجند فيتم جلب كميات أخرى من قبرس إلى الشام، ولعله ينقل إلى قنسرين ــ نتيجة قرب المسافة ــ ثم يجهز منها إلى سائر الأقطار(٨).

أما تجارة الرقيق فشكلت جانباً كبيراً من تجارة جند قنسرين، خصوصاً ما يجلب منه كأسارى خلال الصوائف والشواتي، وأصبح السبي المجلوب إلى الشام مضرب المثل(٩)، وعادة ما تعبر المصادر عن نجاح الحملات العسكرية بالإشادة بكثرة السبي المجلوب من بلاد الروم، وبلغ عدد السبي في صائفة سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م بقيادة عبد الملك بن صالح نحو ١٩ ألف رأس(١٠)، وفي

العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٣، وانظر: زيود، النشاط التجاري ص ٢٢٠
(١) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٦٠
(٢) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٧
(٣) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(٤) الحميري، الروض ص ٢٠
(٥) المسعودي، التنبيه ص ١٧٧
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٣٦
(٧) المسعودي، التنبيه ص ٣٤٦
(٨)الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٣، الحميري، الروض ص ٤٥٣
(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٢ ــ ١٤٣
(١٠) ابن خياط، تاريخ ٤٤٩، ابن عساكر، تاريخ ج٣٧، ص ٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٦٨٤، ١١٥٩

غزوة المعتصم لعمورية سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م نحو ٣٠ ألفاً، عدا من باعهم لكثرتهم ببلاد الروم[١]، وبلغت قيمة ما بيع من سبي صائفة سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م نحو ١٣٦ ألف دينار[٢]، وقد اضطر الواثق في سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م لجمع الرقيق الرومي من بغداد والجزيرة وبلاد الشام وشراء ما يمكن شراءه منهم ليتمكن من إتمام عملية الفداء، ومع ذلك فقد احتاج الخليفة لتعويض النقص من قصره فأخرج النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى اكتمل العدد المطلوب، وبعد الفداء زاد لدى المسلمين عدد من أسرى الروم، فتم ردهم إلى طرسوس وبيعوا بها[٣].

كما تم جلب الرقيق من قبرص، جلبهم في سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م حميد بن معيوف الوالى للرشيد على سواحل البحر، وكان عددهم ١٦ ألفاً، فقدم بهم الرقة (أو: الرافقة) وتولى بيعهم قاضي القضاة وهب بن وهب أبو البختري (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٦م) وبلغ ثمن أسقف قبرس ألفي دينار[٤].

وعدا ما يتم جلبه خلال الحملات العسكرية فيبدو أن أغلب الرقيق المجلوب من بلاد الروم كان من خلال سواحل بلاد الشام ومصر[٥]، فيجلب منها عبر البحر الشامي الخدم الصقالب والجواري الروميات[٦].

الأسواق:

تشير المصادر إلى أسواق بعض مدن الجند، وهي تفيض عليها ثناءً وعلى ما وصلته من سعة وشهرة، ومع أن أغلب المصادر التي تعرضت لذكر الأسواق تنتمي إلى ما بعد القرن الرابع الهجري، لكنها تعتبر مؤشراً على وضعية الأسواق خلال القرون الثلاثة الأولى، خصوصاً وأن التغيرات تحتاج لوقت طويل، والشام عموماً "بلاد يسار وتجار"[٧]، فليس ثمة فروق كبيرة في الكلام على أسواق حلب ــ مما يأتي عرضه تالياً ــ بين ما ذكره ابن حوقل (في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م وقت تأليفه الكتاب) وناصر خسرو سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، وابن جبير الذي مر بها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م. سوى أن الأخير منهم يفصل أحوال أسواقها ــ جرياً على عادته في إطلاق الأوصاف التي يشاهدها ــ بينما جاءت إفادات ابن حوقل وناصر خسرو مقتضبة وعامة تخلو من التفصيل.

---

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٦٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٩٣
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٢٣٣
(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٢ ــ ١٤٤
(٤) مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٣
(٥) زيادة، تجارة بلاد الشام ص ٣٠٧
(٦) ابن خرداذبة، المسالك ص ٩٢
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٢

فابن حوقل يذكر أن مدينة قنسرين ــ مركز الجند ــ بالرغم من صغر مساحتها وضيقها إلا أنها كثيرة الخيرات والرخص والسعة في الخيرات(١)، وفيها أسواق وفَعَلَة(٢)، وتأتي حلب كأهم مركز تجاري في الجند، وهي بلد نفيس ولأهله يسار(٣)، كثيرة السكان والتجارات(٤) والأسوق(٥)؛ وهي أسواق حسنة وأسعارها "في الأغذية وجميع المآكل والمشارب واسعة رخيصة"(٦). وكان يقام فيها سوق سنوي يعقد في يوم ١٦ تشرين الثاني من كل عام(٧)، ولعله يستمر أياماً. وقد مر بها ناصر خسرو سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م ووصفها بأنها مدينة عامرة، وفيها يتم تحصل المكوس عما يمر بها من بلاد الشام والروم وديار بكر ومصر والعراق، ويذهب إليها التجار من جميع هذه البلاد(٨). ومر بعده بنحو قرن ونصف ابن جبير ووصف أسواقها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م وقت زيارته لها بأنها: "أسواق كبيرة، متصلة الانتظام مستطيلة، تخرج من سماط (صف) صنعة إلى سماط صنعة أخرى إلى أن تفرغ من جميع الصناعات المدنية، وكلها مسقف بالخشب، فكل سوق منها تقيد الأبصار حسناً وتستوقف المستوفز تعجباً... وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة"(٩)، ولعل الوصف لا ينطبق تماماً على القرون الأربعة الأولى، ولكنه يُظهر ما آلت إليه حال أسواقها بعد دخول السلاجقة وما تلاهم من بني زنكي في إطار التطور الطبيعي. وذات الأمر ينطبق على وصف ياقوت لحاضر حلب من أن فيه أسواق كثيرة تشتمل على كل ما يُطلب(١٠)، وأسواق محلة الرمادة المتصلة بمدينة حلب(١١)، فهو وصف لا يمكن إسقاطه بشكل تام على القرون الثلاثة الأولى التي يرد فيها ذكر لمحلة الرمادة أصلاً، فهو وصف مخصوص بزمن ياقوت وليس قبل ذلك.

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨
(٢) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥
(٤) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧ــ ١٧٨
(٧) ابن البهلول، كتاب الدلائل ص ٨٩
(٨) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٥٥
(٩) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦
(١١) ياقوت، المصدر نفسه ج٣، ص ٦٦

وإلى الشمال من حلب يرد ذكر أسواق تل باشر العامرة[١]، وأسواق بلدة الباب المشهورة بمصنوعاتها النسيجية[٢]، وبالقرب منها بلدة بزاعة وفيها أسواق حسنة[٣].

وأنطاكية في غرب الجند متسعة الأسواق[٤]، وهي أسواق عامرة[٥]، مستفيدة من موقعها على أهم الطرق التجارية القديمة، وبلدة سرمين لها أسواق أيضاً[٦]، ومدينة معرة النعمان كبيرة عامرة كثيرة الأسواق[٧]، ويقول ناصر خسرو عن أسواقها وقد دخلها سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م: "رأيت أسواق معرة النعمان وافرة العمران"[٨].

وحازت مدن الجند الشرقية على أهمية تجارية، لقربها من الفرات، الناقل للسلع، فمنبج ذات أرزاق واسعة[٩]، وفيها "أسواق عامرة وتجارات دارّة وأموال متصرفة وغلات قائمة"[١٠]، "وسكك أسواقها فسيحة متسعة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعاً وكبراً، وأعالي أسواقها مسقوفة"[١١]، ويذكر ابن حوقل أن أسواقها الكثيرة هي أسواق أزلية أي قديمة[١٢]، ويقام بمنبج سوق سنوي يكون في أول يوم من شهر أيلول[١٣]. وساعد قربها من بلدة جسر منبج (قلعة النجم) الواقعة على الفرات في نشاط سوقها، وعلى هذا الجسر كانت القوافل تعبر من حران إلى الشام[١٤]، وكان للجسر دور تجاري كبير باعتباره مدخل بلاد الشام للجحافل والقوافل القادمة من شمالي العراق وبلاد الجزيرة العليا[١٥]، أما سوق بلدة جسر منبج (قلعة نجم) فكان صغيراً "سُوَيقة" يوجد فيها المهم من الخبز والعلف[١٦].

---

(١) ياقوت، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٠
(٢) ياقوت، المصدر نفسه ج١، ص ٣٠٣، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧
(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٠٩
(٤) الحميري، الروض ص ٣٨
(٥) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(٦) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٥
(٧) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢، الحميري، الروض ص ٥٥٥
(٨) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٥٥
(٩) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦، الحميري، الروض ص ٥٤٧
(١٠) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥١، الحميري، الروض ص ٥٤٧
(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٣، الحميري، الروض ص ٥٤٧
(١٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠
(١٣) ابن البهلول، كتاب الدلائل ص ١٨٧
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٩١، القزويني، آثار البلاد ص ٢٤١
(١٥) زكرياء، جولة أثرية ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣
(١٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٣

وجنوباً من منبج تقوم بالس (مسكنة) وتقع عند تحول مجرى الفرات من الاتجاه الجنوبي إلى الاتجاه الشرقي، وهي أقرب مواقع الفرات من البحر الأبيض المتوسط مما جعلها مركزاً للكثير من طرق القوافل ونقطة انطلاق والتقاء للقوافل التجارية بين الفرات والبحر المتوسط. وكانت تمثل مرفأ (فرضة) مدينة حلب على الفرات؛ وتنتقل البضائع عن طريقها من الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين إلى حلب ومنها إلى البحر الأبيض المتوسط وتخزن فيها السلع القادمة من البحر وحلب باتجاه المناطق المذكورة[١]، كما تحمل منها بواسطة السفن السلع والبضائع التي ترد من مصر وسائر أجناد الشام إلى بغداد[٢]، ولكونها مشهورة بالتجار الأغنياء فكان أهلها كثيراً ما يتعرضون لغارات الأعراب[٣].

وكذلك كانت الرصافة في طرف البرية ذات أهمية تجارية، ولذلك وصف أهلها بأنهم "مياسير أهل ثروة؛ يعملون بالتجارة"[٤]، فهم بين تاجر يسافر إلى البلدان وبين مقيم فيها يعمل في تخفير القوافل ومرافقتها أثناء اجتيازها البادية إلى حلب والعمل في نقل البضائع[٥]، والقرى التي تحيط بها فيها "أسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء"[٦].

أما أسواق المدن الثغرية فتذكرها المصادر بما يشي بنشاطها التجاري، إذ يشار إلى مدينة طرسوس وأنها غاصة بالأسواق[٧] كثيرة المتاجر[٨]، وقريب منها أذنة مدينة ذات أسواق[٩]، والمصيصة وكفربيا مدينتان على ضفتي نهر جيحان لهما أسواق كثيرة[١٠]، والحدث ومرعش مدينتان بهما أسواق و"يقصد إليهما بالتجارات والمنافع"[١١]، وكيسوم فيها سوق ودكاكين وافرة[١٢]، وكمخ على الفرات "حسنة المطلع نافقة المتاجر والصنع"[١٣]، وعينتاب "لها أسواق جليلة، مقصودة للتجار والمسافرين"[١٤]. وكانت بعض الحوانيت والدكاكين في المدن الثغرية موقوفة في سبيل

---

(١) عبودي، معجم الحضارات ص ٧٩٠، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٩
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٣ نقلاً عن اليعقوبي
(٣) ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٨
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٣
(٥) ابن بطلان، الرحلة ص ١٠١، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٣٧
(٦) الحميري، الروض ص ٢٦٩
(٧) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٩
(٨) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٩) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الحميري، الروض ص ٢٠
(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨
(١١) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٩٧
(١٣) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٨١٣
(١٤) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩

الجهاد، ففي الدار التي أنشأتها قبيحة أم المعتز حوانيت موقوفة على نفقة سبعة خيول مرتبطة للجهاد في سبيل الله، يُنفق من متحصلها على سروجها وآلاتها وعلفها ونعالها ومساميرها وأجرة البيطري المداوي لها وأجرة السائس[١].

وإضافة لأسواق المدن، فترافق الحملات العسكرية: الصوائف والشواتي ما يشبه الأسواق المتنقلة، التي تزود الجيش والمقاتلة بما يحتاجونه من غذاء وعلوفة، نستدل على هذا من إشارة عارضة أوردها ابن خرداذبة في كلامه على جيوش الروم، يقول: "وليس للروم في عساكرهم أسواقٌ، إنما يحمل الرجل من منزله كعكه وزيته وخمره وجبنه"[٢]، بما يعني أن لجيش المسلمين أسواقاً ترافق غزواتهم، ولعل بعض تجار جند قنسرين اعتاد تهيئة الأغذية والأعلاف في وقت مخصوص من السنة استعداداً لموسم الحملات فيتكسبون من توفير الغذاء للجيش وتوفير الأعلاف لدوابهم وخيلهم.

وبالرغم من أن تجمير الجيوش للغزو يحرك عجلة التجارة وينشط الأسواق، من خلال شراء الأطعمة للمقاتلة والعلوفة للدواب، وهو ما اعتيد عليه في جند قنسرين طيلة القرون الثلاثة الأولى في أوقات معلومة خصوصاً في شهر حزيران ومطلع تموز[٣] قبل انطلاق الصوائف والنفير، إلا أن الحروب العارضة التي تحدث نتيجة الفتن والانتقاض تعطي نتيجة عكسية، فيزداد خلالها غلاء الأسعار وتضيق معيشة السكان، حدث مثل ذلك لما انتهى أحمد بن طولون من أمر سيما الطويل وقتله بأنطاكية سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م وتوجه بعدها إلى طرسوس بنية الإقامة فيها وتجهيز الغزوات منها إلى بلاد الروم، فغلت فيها الأسعار وضاقت المدينة بعساكره الكبيرة، وثار عليه أهل البلد وكرهوا مقامه بينهم "لقد ضيقت علينا بلدنا، وأغلَيت أسعارنا، فإما أقمت في عدد يسير وإما رحلت عنّا"، فاضطر إلى الرحيل[٤]، وربما كانت هذه الحال هي التي جعلت أهل أنطاكية يكرهون مقام الرشيد بينهم[٥]، وعندما أقام المأمون بسلغوس في شمال جند قنسرين ثلاثة أشهر من سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م عانى السكان من الضيق نتيجة لجمعه الغلال والتبن بكثرة حتى أن معظم الغلال المجموعة فسدت بسبب تزايد المطر والثلوج، وعانوا أيضاً من قيامه بجمع قطعان الجمال تمهيداً لغزو الروم

---

(١) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٩

(٢) ابن خرداذبة، المسالك ص ١١٢

(٣) قدامة، الخراج ص ١٩٢ ــ ١٩٣

(٤) البلوي، سيرة ابن طولون ص ٩٧، الكندي، الولاة ص ٢٤٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣١٧، النويري، نهاية الأرب ج٢٨، ص ١٢، ابن خلدون، العبر ج٦، ص ٩٩

(٥) ابن رستة، الأعلاق ص ٥٩، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٥، الحميري، الروض ص ٣٨

"فلعنه الناس لضغطه الشديد عليهم"[١]، وضج أهل الرافقة على المأمون لما أراد إنزال حشمه بها سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م فعدل عن رأيه[٢]، وكذلك عندما انتهى المعتضد من أمر وصيف الخادم وقبض عليه سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م أقام في عين زربة يومين، وفي اليوم الثالث اجتمع إليه أهل عين زربة وسألوه أن يرحل عنهم لضيق الميرة ببلدهم، فتحول عنها في اليوم ذاته إلى المصيصة[٣].

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٤١
(٢) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٢
(٣) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٨٠

الفصل الرابع: الحياة العلمية والعمرانية في جند قنسرين

أولاً: الحياة العلمية والثقافية والأدبية

أثــّر انتقال الحكم من بني أمية للعباسيين وتحول عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد على نواح عديدة من أحوال بلاد الشام، خصوصاً الأحوال السياسية والاقتصادية والحضارية، وبدا ظاهراً في حالة جند قنسرين ــ مما مر ذكره وما سيأتي الحديث عنه ــ، ويمكن استثناء بعض جوانب الحياة العلمية من هذا التأثير، إذ والت بلاد الشام مسيرتها العلمية بازدهار وتقدم خلال القرون التي تلت زوال حكم بني أمية؛ يظهر هذا بوضوح في العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وقراءات وغيرها؛ يقول الأوزاعي: "كانت الخلفاء بالشام، فإذا كانت بلية سألوا عنها علماء أهل الشام وأهل المدينة، وكانت أحاديث أهل العراق لا تجاوز جدران بيوتهم"[١]، ويقول عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م): "ما دخلت الشام إلا لأستغني عن حديث أهل الكوفة"[٢]، فنشطت إلى بلاد الشام الرحلة في طلب العلم خصوصاً رواية الحديث، وساهم في انتشاره أن بدأ تدوين العلوم في منتصف القرن الثاني الهجري[٣].

وخلال العصر العباسي الأول وصدرٍ من الثاني كان العلماء هم من بقايا صغار التابعين، ولا يمكن ــ من حيث العدد ــ مقارنة محدثي وفقهاء جند قنسرين ببقية أجناد الشام، حيث امتازت بقية الأجناد بكثرة الفقهاء والمحدثين والعلماء من المنسوبين إلى دمشق وحمص وبيروت من لدن الأوزاعي وجند فلسطين خاصة الرمليين منهم والعسقلانيين، وعلماء جند الأردن وفيهم الأيليون والطبريون، لكن جند قنسرين يمتاز عن بقية الأجناد بكثرة العلماء الزهاد والعباد المرابطين على الثغور، فشهد جند قنسرين حركة علمية ميزته عن بقية أجناد الشام، لارتباطه بالجهاد في سبيل الله، وكانت رغبة العلماء في الجهاد والمرابطة ضد الروم واضحة.

وساهم في نشاط حركة الجند العلمية أن أغلب ولاة جند قنسرين كانوا ممن لهم عناية بالعلم خصوصاً رواية الحديث وطلبه، بما يقتضي تقريب العلماء والفقهاء والإحسان إليهم، منهم الأمير صالح بن علي بن عبد الله العباسي (ت نحو ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، عم المنصور[٤]، وإسماعيل بن صالح بن علي بن عبد الله العباسي (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)[٥]، والأمير محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ ج٢، ص ٣٦٣، ابن عساكر، تاريخ ج١ ص ٢٥٥
(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه ج١، ص ٣٣٢
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٧٧٦
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج ٢٣، ص ٣٥٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٦
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٨، ص ٤١٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٨

علي العباسي (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م)[١]، والعباس بن محمد بن علي بن عبد الله العباسي (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)[٢]، وعبد الملك بن صالح[٣]. وكان الأمير الخراساني خزيمة بن خازم التميمي (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م) من رواة الحديث، وهو أحد ولاة جند قنسرين[٤]، وعبد الله بن طاهر الذي تولى الجند في عهد المأمون، وكان أديباً شاعراً يقع شعره في خمسين ورقة[٥]، وكان والي معرة مصرين في عهد المتوكل الشاعر الأديب عمرو بن هوبر الكلبي[٦].

١ـ المؤسسات والوظائف التعليمية:

أ. المساجد:

والإشارات المتوفرة عن الدور التعليمي للمسجد في جند قنسرين أغلبها تنحصر في الثغور، وهذا لا يعني عدم قيام المسجد بذات الدور في بقية مدن وقرى الجند، لكن الإفادات جاءت متصلة بتراجم العلماء والفقهاء الملازمين للثغور. ويرد في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل نزوله بحلب وهو متوجه للثغر فكتب بمسجد حلب عن مبشر بن إسماعيل الحلبي خمسة أحاديث[٧]، وكان للمحدث نوفل بن الفرات بن مسلم العقيلي (ت نحو ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) مجلس علم في مسجد حلب يجلس إليه أهل الأدب وغيرهم من التجار وأهل السوق[٨]. واشتهرت بجامع حلب السارية الخضراء التي يجتمع عندها المشتغلون بالأدب في حلقات العلم والأدب[٩].

وكان أغلب الزهاد والصالحين بالثغور يلازمون المساجد ولبعضهم مجالس علم تعقد فيها الدروس، "فيشتغلون بالعبادة والعلم لا يشغلهم عن ذلك إلا الجهاد أو تشييع جنازة أو عيادة مريض"[١٠]، وقد أطلق عليهم الطرسوسي تسمية "الشيوخ المسجدية" وذكر عدداً ممن تولى التدريس في مسجد طرسوس، منهم: الشيخ ابن أبي سمينة (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) إمام جامع طرسوس، والشيخ ابن أبي قباس (ق ٣هـ/ ٩م) خطيب جامع طرسوس وإمام المسجد في عهد أحمد ابن طولون[١١]،

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج٥١، ص ٢٢٧
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٧٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٤٦٩
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٣٧، ص ٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١١٥٩
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٨
(٥) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص ٥٠٨
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٨
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٣٠٨
(٨) الحراني، محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله والتابعين والفقهاء والمحدثين، (تحقيق) إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٨م. ص ١٠٤
(٩) الصنوبري، ديوانه ص ٤٥٩
(١٠) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٤
(١١) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٤٧ ــ ٤٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٧٠٤

والزاهد أبو القاسم الأبار (ق ٣هـ/ ٩م)، وأبو القاسم بن القحطبي (ق ٣هـ/ ٩م) وكلاهما من رجال الصوفية، وقاضي طرسوس أبو الطيب بن جهور (ق ٤ هـ/ ١٠م)[١]. والمقرئ إسحاق بن خلاد السلمي (ق ٤هـ/ ١٠م)، والمقرئ أبو بكر بن الأصبهاني ويعرف بأبي بكر الإسكاف (ق ٤هـ/ ١٠م)، أحد أئمة جامع طرسوس، وكان مواظباً على دراسة القرآن وتلقينه مدة خمسين سنة، فقرأ عليه أكثر من عشرة آلاف رجل، وأبو القاسم بن الحمامي (ق ٤هـ/ ١٠م) خطيب الجامع بطرسوس[٢].

أما المواضيع التي كان يجري تدريسها وتعليمها، فتأتي في مقدمتها علوم القرآن الكريم: قراءةً وتفسيراً، ثم تليها دراسة الحديث الشريف، رواية وشرحاً وغريباً. ودرست أيضاً السيرة النبوية المطهرة والمغازي، وأخبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب. الكُتّاب (الكتاتيب):

يتلقى الصبيان في الكتاتيب شيئاً من العلوم التي تكوّن معارفهم بما يتناسب مع أعمارهم، فيتعلمون القرآن الكريم قراءة وترتيلاً وتفسيراً، ويتعلمون إضافة إلى ذلك بعض العلوم الأخرى، ويمكن الافتراض بأن (الكتاب) كمكان للتعليم الأوّلي كان منتشراً في مدن جند قنسرين وقراه، إذ يذكر القاضي علي بن محمد التنوخي (٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) أنه كان صبياً في المكتب بأنطاكية عندما دخلها المعتضد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م مطارداً لوصيف الخادم[٣]. وعندما أخضع أبو شامة القرمطي مواضع عديدة من أجناد: دمشق وحمص وقنسرين سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، وأكثر القتل في أهلها ترد إشارة أنه لم يسلم من القتل حتى الصبيان الذين كانوا في الكتاتيب[٤].

وربما اختص بعض أهل الأدب من شعراء وأدباء بتعليم التلاميذ مبادئ صنعة الشعر وحفظه، وبالتالي إتقان اللغة وامتلاك أدوات الكتابة، فكان أحد العباسيين واسمه طاهر بن محمد الهاشمي يتردد في صباه إلى الشاعر الصنوبري ويكتب شعره[٥]، كما أن الصنوبري قام بنظم قصيدة في رثاء أحد تلامذته[٦]، وربما كان هذا المتوفى أحد رواة أشعاره الذين لازموه وحفظوا قصائده.

---

(١) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٤٩ ــ ٦٠
(٢) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٤٤ ــ ٤٦
(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٢، ص ٢٤٨
(٤) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٠٠، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٣١، مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص١١٢، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٢٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٦٤، ابن خلدون، العبر ج٧، ص ٢٥٨
(٥) الصنوبري، ديوانه ص ٤١٩
(٦) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٩٢ ــ ٩٣

وإضافة للتعليم في الكتاتيب فقد امتازت مدن الثغور ــ لكونها مناطق عسكرية ــ بأسلوب تنشئة يحمل في طياته تدريباً عسكرياً للصبيان والأطفال، وأشبه ما يكون بما يسمى اليوم (الكشَّافة)، وقد حفظ لنا الطرسوسي كيفية تلك التربية التي أصبحت بمرور الوقت عادة وموسم احتفال للصبيان، فعندما يطوف المحتسب ورجالته في الشوارع لدعوة الناس للنفير، يلتحق بهم عدد كثير من الصبيان ــ خصوصاً إذا كان الوقت نهاراً ــ يساعدونهم على النداء للنفير، وشاهد الطرسوسي رجلاً اسمه رؤبة يجتمع إليه أكثر من ١٠٠٠ صبي من الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، يحملون جميعهم ما يستطيعون حمله من السلاح، ومعهم مزاود فيها أطعمة يفضلونها، ويطوف جميعهم بمطرد (رمح) يحمله رؤبة، فيسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد قائد الغزاة أو الحملة من نفيره، دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، ويقوم قائدهم بصفهم على حسب أحجامهم وأعمارهم[١].

ت. التأديب:

وهو مختص بتعليم أبناء الأمراء والولاة وكبار الخاصة والقادة والتجار الموسرين، وكان هؤلاء يعهدون لأحد العلماء أو الفقهاء في تعليم أبنائهم، وتربيتهم والاعتناء بهم، وتهذيبهم بالأخلاق الحسنة والأدب، وتعليمهم العبادات والصلاة والطهارة، وقد اتخذ والي جند قنسرين الأمير عبد الملك بن صالح العباسي مؤدباً لأولاده اسمه عبد الرحمن، وذكره بأنه رفع مرتبته إلى التأديب "إني اتخذتك مؤدباً بعد أن كنت معلماً، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً"[٢]. ومن نماذج تأديب الصبيان في جند قنسرين، المؤدب الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) الذي عهد له ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ــ والي الثغور الشامية لمدة نحو ١٨ سنة[٣] ــ في تأديب ولده، وولاه قضاء طرسوس ولم يزل معه ومع ولده[٤].

كما خُصص في الثغور الشامية مكتب خاص لمؤدب أولاد الخليفة المعتز بالله، لا يدخله سوى أولاد الخليفة، وكان موضعه في الدار التي بنتها قبيحة أم المعتز بطرسوس[٥].

ويقترن بأسماء بعض علماء وشيوخ الجند لقب المؤدب، بما يعني مزاولتهم مهنة التأديب، منهم المؤدب أحمد بن علي بن عياش البالسي (ق ٣هـ/ ٩م) وهو محدث وراو للحديث ومؤدب[٦]،

---

(١) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٠ ــ ٤٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٨
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٣٧، ص ٢٦
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٦٠، ٧١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٣، الصفدي، الوافي بالوفيات ج١٠، ص ٤٦٣
(٤) ابن قتيبة، المعارف ص ٥٤٩، النديم، الفهرست ج١، ق١، ص ٢١٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٤
(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨
(٦) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٥٦

وترجم ابن العديم لأحد المحدثين الحلبيين ولقبه بالمؤدب، وهو إسماعيل بن القاسم بن إسماعيل الإمام، أبو القاسم الحلبي الخياط، ولم يتضح الزمن الذي عاش فيه، ولعله من أهل القرن الثالث الهجري أو الذي يليه[١].

ث. مجالس العلم:

وهذه المجالس عادة ما تنعقد بحضرة الخلفاء والأمراء والولاة الذين لديهم اهتمامات علمية وأدبيه، وكان العديد من خلفاء بني العباس قد زاروا قنسرين في طريق مرورهم إلى الثغور أو إلى بيت المقدس، ولعلهم عقدوا مجالس علمية في مكان نزولهم وإقامتهم، فقد طلب المأمون من علي بن صالح بن علي الهاشمي ــ وكان يقيم بحلب ــ إحضار رجل من أهل الشام ليجالسه[٢].

ولما كان العديد من ولاة جند قنسرين من المحدثين وأهل العلم فيمكن الافتراض بانعقاد مجالس علمية في دورهم وقصورهم يتباحثون فيها في أمور الدين وعلوم القرآن إضافة إلى تبادل الأخبار والأشعار وإنشاد الطريف منها، وكان الرشيد لما قدم إلى مدينة عين زربة حرص على رؤية ولقاء بعض علماء الثغور ومجالستهم، وأمر متولى الثغر أبا سُليم الخادم أن يأتيه بالشيخ الإمام عبد الله بن المبارك[٣]. وإضافة لذلك فقد كان العلماء يرافقونه في غزواته، ومنهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين (ت ١٩١هـ/ ٨٠٧م) وأبو إسحاق إبراهيم الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) صاحب كتاب السِّير، وقد استشارهما الرشيد في أمر غزو حصن هرقلة[٤].

ويُكثر الصنوبري من ذكر مجالسته لأرباب العلم والأدب خصوصاً من أبناء البيت العباسي، ومنادمته إياهم بنواحي حلب، فجالس منهم جعفر بن ميمون الهاشمي[٥] وأبا تمام الهاشمي[٦]، وأبا عبد الرحمن الهاشمي[٧]، وأبا العباس الرشيدي[٨]، وغيرهم.

ومن المؤكد أن الأدباء والشعراء من أجناد الشام والمدن الإسلامية الأخرى كانوا يحرصون عند زيارتهم لجند قنسرين على لقاء أهل الأدب والعلم فيها، فقد دخل الشاعر أبو الحسن علي بن

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج٤، ص ١٧٤٦
(٢) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣٤٠
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٧
(٤) المسعودي، مروج ج٢، ص٥٦ ــ ٥٧، ٥٩، الحميري، الروض ص ٥٩٣
(٥) الصنوبري، ديوانه ص ١٣٩
(٦) الصنوبري، المصدر نفسه ص ١٣٩، ١٥٥
(٧) الصنوبري، المصدر نفسه ص ١٥٨
(٨) الصنوبري، المصدر نفسه ص ١٦٤، ٢٧٩

محمد أبي نصر العسقلاني (ق ٤هـ/ ١٠م) إلى حلب والتقى فيها بالصنوبري وجرت بينهما محاورات ومكاتبات وتبادلا أشعار المديح فيما بينهما[١].

ج. المكتبات:

ساهم دخول الورق وانتشار صناعته منذ منتصف القرن الثاني الهجري، ثم بداية تدوين العلوم، في تطور نشوء المكتبات، فأصبحت الحاجة ملحة عند العلماء وطلاب العلم للاطلاع على كتب ومؤلفات غيرهم، وبدأ انتساخ الكتب وتداولها، كما بدأت ظاهرة المكتبات الخاصة في دور الخلفاء والأمراء والعلماء، وربما وظفوا فيها من يقوم بانتساخ الكتب التي يرغبون باقتنائها[٢].

هذا على الإجمال، أما في جند قنسرين فيرد ذكر المكتبات في الكنائس، وكان المؤرخ المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) يتردد إليها ويستقي معلوماته من مقتنياتها، واطلع على تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان بمدينة أنطاكية[٣]. ويرد في المصادر السريانية المبكرة ذكر خزانة للكتب في دير مار داود في قنسرين[٤]، والخزائن أيضاً تتوفر في بقية أديرة الجند وكنائسه، إذ لا بد لكل منها من خزانة كتب يطالع فيها الرهبان والباحثون شتى أنواع المعارف والعلوم وفي مقدمتها الكتب المقدسة وتفاسيرها والفلسفة واللاهوت[٥].

وارتبط بنشوء المكتبات أيضاً ظهور دور الوراقين، وهي تختص ببيع الكتب وانتساخها، وكان بعض العلماء والمحدثين بالمصيصة ينتسخون الكتب فيما بينهم[٦]، ساعدهم في ذلك توفر الورق اللازم للكتابة الذي كان يتم تصنيعه في مواضع من جند قنسرين. وكان الورق والكاغد يصنع تحديداً في مدينة طرسوس التي اشتملت على أماكن مخصوصة بعمله[٧]، ونجد في ألقاب بعض علماء الجند ما يدل على امتهانهم لحرفة الوراقة وبيع الكاغد، مثل نزيل الثغور المحدث سعيد بن نصير أبو عثمان البغدادي الوراق (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وكان له عدة كتب منها: كتاب البكاء وكتاب العوابد وغير ذلك في الرقائق[٨]، ولعل مؤلفاته وقع تداولها بين أصحابه وتلامذته بالانتساخ، وأيضاً المقرئ عبد الرزاق بن الحسن بن عبد الرزاق الأنطاكي الوراق (ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)[٩]،

---

(١) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٤٠٠
(٢) ضيف، العصر العباسي الأول ص ١٠٣
(٣) المسعودي، مروج ج٢، ص٣٤، ٣٤٠
(٤) برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ٢٢
(٥) الشابشتي، الديارات ص ٤٩
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٤٨
(٧) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨١
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩١
(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٧٦

والمحدث الفقيه محمد بن أحمد بن حماد الأنطاكي الوراق (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)[١]، والفقيه أبو الحسن محمد بن علي الوراق الأنطاكي المعروف بابن الغَنَوي (ق ٤هـ/ ١٠م)[٢].

٢ــ الحركة العلمية:

أ. الفقهاء والمحدثون:

غلبت على فقهاء الشام في العصر العباسي الأول رواية الحديث، إذ لم تكن المذاهب الفقهية قد ترسخت بعد ولم يظهر لها أتباع بشكل واضح، فكان مصدرهم في التشريع والفتوى الكتاب والسنة ثم أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وهو مذهب الأوزاعي الذي كان يغلب على الشام[٣]، واستمروا على هذا حتى منتصف القرن الثالث الهجري، عندما دخل المذهب المالكي[٤] والشافعي[٥] فحلا محل مذهب الأوزاعي.

والمحدثون الذين سيتم الحديث عنهم فيما يلي ــ ممن عاشوا حتى مطلع القرن الثالث الهجري ــ هم من بقايا صغار التابعين، وربما لا يفصل هؤلاء في السند عن الرسول صلى الله عليه وسلم سوى اثنين، وكان المعول عليهم في رواية وتناقل الأحاديث النبوية، خصوصاً مع حركة تدوين الحديث والعلوم التي بدأت سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م[٦].

وكان من الصعب على الباحث أن يحدد تخصصات العلماء في تلك الفترة فهم على الإجمال: فقهاء ومحدثون وحفاظ وقراء ومعلمون، ومن عانَى منهم الإقراء فلا بد وأن تكون له مَلَكة في اللغة والنحو، ومنهم مَن جمع إلى ذلك فنون الشعر والأدب، فالقاسم بن سلام يوصف بأنه "إمام أهل عصره في كل فن من العلم"[٧]، وقد اجتهدت في تمييز تخصصاتهم حسب ما غلب على سيرهم من التقدم والبروز في علم منها.

وينسب لقنسرين وحلب عدد من المحدثين والرواة والمشايخ[٨]، منهم: عمران أبو بشر الحلبي (ت بعد ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)[٩]، وأيوب بن نهيك الحلبي (ت بعد ١٦٠هـ/ ٧٧٧م)[١٠]. والمحدث يعقوب

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج٥١، ص ٢٩
(٢) المسعودي، مروج ج٥، ص١٧٢، ١٨٠، ١٩٧
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٥٦ ــ ٥٧
(٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٥٤
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٥٦
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٧٧٦
(٧) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢١٩٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٤، ص ٦١
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧
(٩) السمعاني، الأنساب ج٤، ص ٢١١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٧٠
(١٠) ابن عساكر، تاريخ ج٧٢، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٣١٣

بن كعب الحلبي (ق ٢ هـ/ ٨م)[١]، ومُبَشّر بن إسماعيل الحلبي، أبو إسماعيل (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٦م)[٢]، وأبو محمد عامر بن سيار الحلبي النحليني (ق ٢هـ/ ٨م)، نسبة لقرية نحلين قرب حلب[٣]. والفقيه المحدث محمد بن سهل بن عثمان بن سعيد أبو بكر القنسريني التنوخي القطان، المعروف ببُكير (من أهل ق ٣هـ/ ٩م)[٤].

وينسب لحلب موسى بن خالد، أبو الوليد الحلبي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) وهو صهر المحدث محمد بن يوسف الفريابي (ت سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)[٥]، ويعقوب بن كعب الأنطاكي الحلبي أبو حامد (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٦]. وإسحاق بن الأخيل الحلبي، راو للحديث (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٧]. وبركة بن محمد الحلبي، أبو سعيد الأنصاري (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٨] وعبد الرحمن بن عبيد الله بن حكيم الأسدي الحلبي الكبير، أبو محمد، المعروف بابن أخي الإمام (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) كان إمام جامع حلب ومحدثها في زمانه مع أبي نعيم عبيد بن هشام القلانسي[٩]. ومحمد ــ وقيل أحمد ــ بن إبراهيم بن يحيى بن أبي سكينة، أبو عبد الله الحلبي (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)[١٠]، كان بطرسوس والتقى فيها بابن المبارك[١١]. وموسى بن عبد الرحمن الحلبي الأنطاكي القلاء (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)[١٢]. والمحدث عبد الرحمن بن الفضل الهاشمي الحلبي (ت بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)[١٣]. ومحمد بن عثمان النشيطي، كان بحلب في حدود سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م[١٤]. والمحدث عبد الله بن محمد بن أبي أسامة الحلبي، أبو أسامة (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[١٥]. والمحدث أحمد بن خليد أبو عبد الله الكندي الحلبي (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[١٦]، وهو شيخ الطبراني[١٧]. وعبد الرحمن بن عبيد الله بن

(١) العجلي، تاريخ الثقات ص ٤٨٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١١٧٢
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٧١، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٥٢، ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ٣٨٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٥٩، ١١٨٦
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٧٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٥٩
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج٥٣، ص ١٦٠
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٤٥٦
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٩٧٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٥٢٤
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٠٨٦
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٤، ص ١٠٨٤
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١٦٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٥٢٢
(١٠) السمعاني، الأنساب ج٤، ص ٢١١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢١٠
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٩٥
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٢١٩
(١٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٥٦٩
(١٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٦١٥
(١٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٣٢، ص ١٦٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٧٠
(١٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٦٧٢
(١٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٤٨٩

أحمد الأسدي، أبو محمد ابن أخي الإمام الحلبي الصغير المُعدّل، وهو محدث صدوق[١]. والمحدث الحسن بن محمد بن جعفر الحلبي المعروف بابن البطناني نسبة لوادي بطنان قرب قنسرين (كان حياً ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)[٢]، وعبيد بن الهيثم الحلبي (ت ق ٣هـ/ ٩م)[٣].

واشتهرت مدينة بالس بكثرة العلماء المنسوبين إليها، وخرج منها جماعة من العلماء والرؤساء[٤]؛ منهم: المحدث أحمد بن بكر البالسي روى عن خالد بن يزيد القسري (ت بعد سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م)[٥]، وأحمد بن بكرويه البالسي[٦]، وبرزت ببالس وأنطاكية أسرة بني فيل التي ينتسب لها عدد من المحدثين، منهم أحمد بن فيل البالسي (ق ٣هـ/ ٩م)[٧]، وابنه الحسن بن أحمد بن فيل البالسي (ق ٣هـ/ ٩م)[٨]. والمحدث أحمد بن إبراهيم بن فيل أبو الحسن البالسي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) نزيل أنطاكية[٩]، ومها[١٠]. والحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فيل الأسدي، أبو طاهر البالسي (ت بعد ٣١هـ/ ٦٥٢م) الإمام بمدينة أنطاكية، تنقل في بلاد الشام وهو محدث صدوق[١١].

ومن العلماء المنسوبين لبالس أيضاً: الحسن بن عبد الله بن منصور بن حبيب بن إبراهيم أبو علي الأنطاكي البالسي (ت بعد ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)، أصله من بالس وسكن أنطاكية[١٢]. والمحدث أحمد بن بكر البالسي (ت نحو ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)[١٣]، والمحدث جعفر بن محمد بن بكر البالسي، أبو العباس (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[١٤]. ويحيى بن محمد بن عمران الحلبي البالسي (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م) محدث روى عنه الطبراني[١٥].

ونسب إلى منبج بعض المحدثين والرواة منهم: حاجب بن سليمان بن بسام المنبجي، أبو سعيد

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٧، ص ٣٨٧
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٤٨
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٠٨٠
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٩
(٥) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٧
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٦٤
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٨٢٦
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١٨٨
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٦٦٧
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٢٨
(١١) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٥٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٣٨٥
(١٢) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٥٦، ابن عساكر، تاريخ ج ١٣، ص ١٢٧، ٣٠٩، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٦٥
(١٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢٦٠، ٤٧٨
(١٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٧٢٩
(١٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٠٦٦، ج٧، ص ٢٠٠

(ت ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م) وهو محدث ثقة[١]. والمحدث أبو القاسم عبدان بن حميد بن رشيد الطائي المنبجي (ق ٣هـ/ ٩م)[٢]، وأبو العباس عبد الله بن عبد الملك بن الإصبع المنبجي وغيرهم[٣]. ولعله من أهل القرن الرابع الهجري لأنه يروي عن عمر بن سعيد الطائي المنبجي (ت بعد ٣٠٦هـ/ ٩١٨م).

ووجد في الرصافة بعض المحدثين والرواة، وساهم في ظهورها العلمي نزول وإقامة أحد أئمة الحديث وهو الإمام المحدث المسند أبي سليمان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤٢م)، فحدث بها وروى عنه أهلها، وقصده الطلاب بالرصافة لأخذ الروايات عنه. وأقام بها أيضاً أحد الأئمة الثقات وهو محمد بن الوليد الزبيدي الحمصي القاضي، أبو الهذيل (ت نحو ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، فأقام بها ١٠ سنوات، يقول: "أقمت مع الزهري بالرصافة عشر سنين"[٤]. ويذكر ابن عساكر اسم محدث آخر هو بكار بن محمد سمع من الزهري برصافة هشام[٥].

ومن محدثي الرصافة أيضاً أبو منيع عبيد الله بن أبي زياد الرصافي (ق ٢هـ/ ٨م) وهو ممن روى عن الزهري، وابنه المحدث الحجاج بن أبي منيع الرصافي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، وهو من المحدثين العلماء؛ ووصف بأنه من أعلم الناس بالأرض والنبات، وأعلم الناس بالفرس من ناصيته إلى حافره، وبالبعير من سنامه إلى خفه، وكان ثقة ثبتاً، وسكن حلب في آخر عمره[٦].

وكان لخناصرة نصيب من الحركة العلمية وعلوم الحديث على وجه التحديد، ومن المنسوبين لها المحدث خلاد بن محمد بن هانئ بن واقد أبو يزيد الأسدي الخناصري (ت ق ٣هـ/ ٩م)، وهو من أهل خناصرة وحدث بدمشق وحلب عن أبيه محمد بن هانئ وعبد الله بن خبيق الأنطاكي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) وعن المسيب بن واضح (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) وروى عنه جماعة[٧].

وتميزت الثغور ــ خصوصاً الشامية ــ باستقطابها للعلماء والفقهاء والمحدثين، فقدموها من كافة أقاليم الدولة، خصوصاً في عهد الرشيد بعد سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٧م عندما أعيد بناء بعض المدن الثغرية وإنزال الناس فيها، وتنوعت أصول هؤلاء النازلين بالثغر ففيهم: البغدادي والبصري

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٣٠٩
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٧
(٣) ياقوت، المصدر نفسه ج٥، ص ٢٠٧
(٤) السمعاني، الأنساب ج٦، ص ١٣٦، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٩٧٦
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ١٠، ص ٣٧٤
(٦) السمعاني، الأنساب ج٦، ص ١٣٥، ابن عساكر، تاريخ ج٣٧، ص ٤٦٤ ــ ٤٦٧، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٩٣
(٧) السمعاني، الأنساب ج٥، ص ٢٠٠، ابن عساكر، تاريخ ج١٧، ص ٦٢

والكوفي والموصلي والحراني والفلسطيني والعسقلاني والدمشقي والحلبي والمكي والمدني والخراساني والبلخي والكرماني والترمذي والبردعي (أذربيجاني)، وبالتالي انتقلت ـــ بواسطتهم ـــ روايات أهل تلك الأقطار إلى الشام.

وقد غلبت على أكثر النازلين بالثغور نزعة التصوف والزهد، وقد أفرد الباحث جانباً من البحث لهؤلاء المتصوفة. ويلاحظ أن المتصوفة والزهاد كانت رغبتهم في الانقطاع والانعزال والجهاد في سبيل الله، بينما اتجه كثير من العلماء والمحدثين إلى الثغور لأخذ الحديث عن رجاله، خصوصاً من بعض أئمة الحديث وحفاظه المقصودين بالرحلة، فقد نُقل عن الفضيل بن عياض أنه قال: "اشتقت إلى المصيصة، ما بي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق الفزاري"[١]، فوجود أئمة الحديث وكبار الحفاظ بالثغور جعلت طلاب العلم والحديث يقصدونها ويتخذونها دار هجرة، كوجود شيخي الثغور الشامية: الإمام أبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) صاحب كتاب السير ومخلد بن الحسين (١٩١هـ/ ٨٠٧م)[٢]، وأيضاً نزول الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) بطرسوس[٣]، وكان قد مر في طريقه بحلب فسمع بها من مبشر بن إسماعيل الحلبي[٤]، والإمام وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ/ ٨١٣م) وأصله من خراسان، كان في المصيصة وطرسوس[٥]، وغيرهم الكثير من العلماء والحفاظ.

وتركزت إقامة العلماء بالثغور في عدة مدن أهمها: طرسوس الواقعة في أقصى الغرب على الحدود مع الروم والتي "نسب إليها جماعة من العلماء يفوت حصرهم"[٦] والمصيصة الواقعة شرق طرسوس وأذنة الواقعة فيما بينهما.

فمن العلماء النازلين **بطرسوس:** المحدث شعيب بن رُزيق الفلسطيني، أبو شيبة (ت بعد ١٧٠هـ/ ٧٨٧م)، وكان مسكنه بثغر طرسوس[٧]. وإسحاق بن إبراهيم الحنيني المدني (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، نزيل طرسوس[٨]. وحجاج بن إبراهيم الأزرق البغدادي، نزيل مصر ونزيل طرسوس (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وكان إماماً ثقة صاحب سنة[٩]. وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٠
(٢) المسعودي، مروج ج٢، ص٥٦ـــ ٥٧، ٥٩، الذهبي، سير اعلام النبلاء ج٩، ص ٢٣٦، الحميري، الروض ص ٥٩٣
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٠٢٠
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٣٠٨
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٥، ص ٤٠٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٢٣٣
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٩
(٧) ابن عساكر، تاريخ ج٢٣، ص ١٠٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٤٠٨
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٢٧١
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٥٥١

وهو بغدادي من أبناء أهل خراسان(١)، فقيه ومحدث وأديب ونحوي، وصاحب المصنّفات الكثيرة في القراءات والتفسير والفقه واللّغة والشّعر، ونزل بالثغور فأقام بطرسوس مدة ثمانية عشر سنة وولي قضاءها(٢)، وقد ترك عدة مؤلفات عدد النديم منها عشرين عنواناً(٣). وأحمد بن محمد "شبّويه" بن ثابت بن عثمان، أبو الحسن الخزاعيّ المروزيّ (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م) وهو حافظ رحال، وكان قد سكن طرسوس وبقي فيها حتى وفاته(٤). ومخلد بن خالد الشعيري العسقلاني، نزيل طرسوس (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) من رواة الحديث(٥). وحمزة بن سعيد المروزي، نزيل طرسوس (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)(٦). ومحمد بن إسماعيل بن أبي سمينة، أبو عبد الله الهاشمي البصري المحدث الغازي (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، روى الحديث وكان من شجعان الناس، وصف بأنه ثقة غزّاء، توفي وهو متوجه إلى طرسوس(٧). والمحدث مسلم بن أبي مسلم عبد الرحمن البغدادي، نزيل طرسوس (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)(٨). وإسحاق بن إبراهيم بن صالح العقيلي، نزيل طرسوس (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)(٩). وإبراهيم بن الحارث الأنصاري، أبو إسحاق العُبادي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، من ولد عبادة بن الصامت وهو بغدادي نزل طرسوس مرابطاً، راو للحديث(١٠). وعبد الله بن محمد بن يحيى، أبو محمد الطرسوسي، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) الملقب بالضعيف لكونه كان ضعيفاً في بدنه، شيخ صالح ثقة(١١). والمحدث الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن سلام بن ناصح أبو القاسم الطرسوسي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، وهو بغدادي نزل طرسوس وسكنها(١٢). والمحدث عمران بن موسى الطرسوسي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)(١٣).

---

(١) ابن قتيبة، المعارف ص ٥٤٩، ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢١٩٨
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٨٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٤، ص٦٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٤ــ ٦٥٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٣) النديم، الفهرست ج١، ق ١، ص ٢١٦، وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٦١
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٥١١ــ ٥١٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٧
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٣٩
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٨١٥
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٦٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٦٩٣
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٤٠
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٧٩٢
(١٠) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٧٦
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١٦١
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٣٠، ١١٦٩
(١٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٣، ص ٥٢٤، الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١٩١

ونزل بطرسوس أيضاً الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، قال ابنه عبد الله: "خرج أبي إلى طرسوس ماشياً"[١]. والمحدث الربيع بن نافع أبو توبة الحلبي، نزيل طرسوس (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، وكان صاحب علم يرتحل إليه[٢]، ونزلها أيضاً ابنه محمد بن توبة أبو بكر الطرسوسي الزاهد (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[٣]. والمحدث حامد بن يحيى بن هانئ، أبو عبد الله البلخي، نزيل طرسوس (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)[٤]. ومحمد بن مسعود بن يوسف، أبو جعفر ابن العجمي (ت بعد ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) نزيل طرسوس وشيخها في زمانه، وهو عالم بالحديث[٥]. وموسى بن سعيد أبو بكر الطرسوسي (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وهو من المحدثين[٦]. والمحدث محمد بن يزيد أبو بكر الطرسوسي المستملي (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)[٧]. وزهير بن محمد بن قُمَيز بن شعبة، أبو محمد المروزي (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)، وهو محدث وأحد الثقات انتقل في آخر عمره من بغداد إلى طرسوس فرابط بها إلى أن مات[٨]. والمحدث موسى بن سعيد بن النعمان بن بسام، أبو بكر الطرسوسي المعروف بالدنداني (ت بعد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)[٩]. والمحدث أبو الطيب محمد بن أحمد البغدادي وكان مقيماً بطرسوس سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م[١٠]. والمحدث علي بن زيد، أبو الحسن الفرائضي الطرسوسي (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)[١١]. وعبد الرحمن بن مرزوق بن عوف، أبو عوف (ت بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) وهو شيخ طرسوسي محدث[١٢]. والحافظ المحدث أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سالم الطرسوسي (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) وهو بغدادي المولد سكن طرسوس وأقام بها إلى أن مات[١٣]؛ وصف بأنه إمام الحديث في وقته، ورحل في طلبه وطوف وصنف[١٤]. والمحدث

(١) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٢٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٣١١
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج١٨، ص ٨٠ ــ ٨٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٥٨٨، ج٥، ص ٩٨٥، ١١٤٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٦٥٤
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٦٨
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١١٠٩، ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)، غاية النهاية في طبقات القراء، (تحقيق) ج. برجستراسر، ٢ج، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م، ج١، ص ٢٠٢ وأرخ وفاته سنة ٢٤٦هـ، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: ابن الجزري، غاية النهاية.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٤٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٢، ص ٢٤٩
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٢١٨
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٢١١
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٨٦
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٤٤٠
(١٠) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٣
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٣٧٣
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٥٧٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٢، ص ٥٣٢
(١٣) ابن عساكر، تاريخ ج٥١، ص ٢٣٩ وما بعدها، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٨٠، ج٤، ص ٢٩، ابن الجزري، غاية النهاية ج٢، ص ٤٨
(١٤) السمعاني، الأنساب ج٣، ص ١٣٧، ج٩، ص ٦٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٥٩٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٩١

محمد بن عيسى بن عبد الكريم الطرسوسي (ت بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)[١]. والحافظ المحدث محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسي التميمي السعدي (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) وهو من المشهورين بالرحلة في طلب العلم والحديث[٢].

ونزل بطرسوس وغيرها من الثغور الحافظ محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، وهو أحد الأئمة الأعلام، خرج في طلب الحديث فارتحل إلى كثير من المدن والأمصار، والتقى عدداً من المحدثين والرواة بالثغور، وزار دمشق ثم منها إلى أنطاكية وارتحل منها إلى طرسوس[٣]، وكان في المصيصة ابنه عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) مؤلف كتاب الجرح والتعديل[٤]، وهذا يؤشر على كثرة ما في طرسوس وأنطاكية من المحدثين في القرن الثالث الهجري، لأن ابن أبي حاتم كان يتتبع الرواة والمحدثين في الحواضر العلمية المزدهرة والناشطة لإدراجهم في كتابه، بما يدلل على مكانة الجند ومدنه.

ومن علماء طرسوس أيضاً المحدث عمران بن موسى الطرسوسي أبو موسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) وصف بأنه صدوق[٥]. والمحدث سماك بن عبد الصمد أبو القاسم الأنصاري الدمشقي (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وكانت وفاته بطرسوس[٦]. وعبد الله بن أحمد بن سوادة، أبو طالب البغدادي، نزيل طرسوس (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وهو محدث صدوق توفي بطرسوس[٧]. والحسن بن أحمد بن حبيب أبو علي الكرماني (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٤م) نزيل طرسوس، محدث مات بطرسوس[٨]. وإبراهيم بن يونس بن محمد البغدادي ويعرف بحرمي (ت ق٣هـ/ ٩م) نزيل طرسوس، محدث صدوق[٩]، وعمرو بن أسلم الطرسوسي العابد (ق ٣هـ/ ٩م) وهو من أهل طرسوس[١٠]. والمحدث يحيى بن طالب، أبو زكريا الأنطاكي، ويقال: الطرسوسي الأكاف (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م)[١١]. والمحدث

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٦٢١
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٦٢١
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٥٩٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٢٥٥
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج٣٥، ص ٣٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٢٤
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٥٨٢
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٥٥
(٧)ابن عساكر، تاريخ ج٢٧، ص ٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٦٣
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٢٨
(٩) المزي، تهذيب الكمال ج٢، ص ٢٥٦، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب ص ١٢١
(١٠) ابن عساكر، تاريخ ج٤٥، ص ٤٠٥ ــ ٤٠٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٢٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ١٦٠
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٠٠

القاسم بن محمد الكرماني (ق ٤هـ/ ١٠م) نزيل طرسوس[١]. والمحدث عبد الله بن جابر بن عبد الله أبو محمد الطرسوسي البزاز (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[٢]. والحافظ حامد بن أحمد بن محمد المروزي ويعرف بالزيدي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، من الحفاظ الرحالين في الحديث والكتّابين للحديث الجوالين، سكن طرسوس[٣]. والفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن أبي أحمد بن القاص الطبري (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، الذي حدث بمسجد طرسوس حتى وفاته بها، وترك مصنفات عديدة[٤]، ومحمد بن عبد الله بن جبلة بن الرواد المصري البغدادي الطرسوسي (ت بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، وهو محدث أخذ الحديث عن كثير من العلماء وحدث به[٥]، وسهل بن إسماعيل بن سهل الطرسوسي الجوهري القاضي المعروف بسهلان (ت بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) محدث سمع بدمشق[٦].

وقريباً من طرسوس تواجد العلماء بكثرة في **المصيصة** وكفربيا فكلتاهما كان بها جماعة من أهل العلم[٧]، لكن النسبة لم تقع لهم إلا على المصيصة، وكان منهم: عتبة الغلام بن أبان البصري العابد (ت بعد ١٧٠هـ/ ٧٨٧م)، جاء إلى المصيصة بنية الجهاد والغزو، وخرج لغزو الروم فكان أول من استشهد في تلك الغزوة[٨]. وعمر بن المغيرة أبو حفص البصري (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م) نزيل المصيصة ووفاته به، وكان أحد الفقهاء بالثغر، و لقب بمفتي المساكين[٩]. ونزل بالمصيصة شيخ الثغور الإمام أبو إسحاق الفزاري، وهو إبراهيم بن محمد الكوفي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م)[١٠]، محدث روى عن خلق كثير من صغار التابعين، وروى عنه الأوزاعي والثوري وهما من شيوخه، وسكن المصيصة مرابطاً في سبيل الله، وحدَّث بدمشق والثغور، وصف بأنه رجل ثقة صالح صاحب سنة، كثير الحديث[١١]، وكان من أثره في الثغور أنه "أدب أهل الثغر وعلمهم السنة"[١٢]،

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٣١٠
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج٢٧، ص ٢٣٤، وفيه: البزار، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٦٥، ج ٧، ص ٣٨٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٣٠٧
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ١٢، ص ٦
(٤) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٦٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ٢٩٤، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٦، ص ٢٢٧
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج٥٣، ص ٣٣٣
(٦) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ٧٣، ص ٣
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٣
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٤٥٢، أورده الذهبي في الطبقة السابعة عشرة فقدّرت وفاته بعد بعد ١٧٠هـ.
(٩) ابن عساكر، تاريخ ج٤٥، ص ٣٤٠ ــ ٣٤٢، الذهبي، المصدر نفسه ج٤، ص ٥٧٢، ٦٩٩
(١٠) ابن قتيبة، المعارف ص ٥١٤، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، صفة الصفوة، (تحقيق) محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٣، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٤، ص ٢٦٠، وسيشار له فيما بعد: ابن الجوزي، صفة الصفوة
(١١) العجلي، تاريخ الثقات ص ٥٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٨٨، ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٨ ــ ٧٩٩
(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٠

وكان طلاب الحديث يقصدونه في الثغور، يقول الفضيل بن عياض: "اشتقت إلى المصيصة، ما بي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق الفزاري"[١]، ولما قدم عبد الله بن المبارك إلى المصيصة بادر إلى زيارة أبي إسحاق الفزاري[٢]، وكان يجالسه[٣]، وكذلك الزاهد إبراهيم بن أدهم الذي كان يتردد إلى منزل أبي إسحاق الفزاري بالمصيصة[٤]. وفي أثناء محاربة الرشيد للروم ووجوده في الثغور استشار شيخي الثغور الشامية الفزاري والإمام مخلد بن الحسين المهلبي (ت ١٩١هـ/ ٨٠٧م) في أمر غزو حصن هرقلة من أرض الروم[٥]، وبقي الفزاري مقيماً بالمصيصة حتى وفاته بها[٦]. أما الإمام مخلد بن الحسين فيوصف بأنه أحد أوعية العلم، وكانت وفاته بالمصيصة[٧]. وقد تضمنت مرويات الكثير من محدثي جند قنسرين والثغور الأخذ عن هذين العلمين.

وسكن ثغر المصيصة أيضاً المحدث أشعث بن شعبة أبو أحمد المصيصي (ت بعد ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، وهو معاصر لابن المبارك[٨]. وأبي الحسن شاكر بن عبد الله المصيصي (ت ق ٢هـ/ ٨م)، وهو من الغزاة المذكورين والمحدثين المشهورين، وإليه ينسب حصن شاكر قرب طرسوس[٩]. والمحدث إسماعيل بن إبراهيم المصيصي وهو معاصر لابن المبارك[١٠]. وسعيد بن المغيرة أبو عثمان المصيصي الصيَّاد (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) وكان صالحاً فاضلاً، وكان يقرأ كتاب (السير) لشيخه الفزاري على أهل المصيصة فيغلقون متاجرهم وقت الدرس لحضور مجلسه[١١]. وعبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة بن مظعون أبو محمد القدامي المصيصي (ت بعد ٢٠٠هـ/ ٨١٦م)[١٢]. وحجاج بن محمد أبو محمد المصيصي الأعور (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، ترمذي الأصل، سكن بغداد ثم ارتحل إلى المصيصة ونزلها، وهو محدث أثنى عليه ابن حنبل ووثقه علماء الرجال، وكانت

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٥٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٠
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠١
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢٥، ج٣٢، ص ٤١٧
(٤) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج٧، ص ٣٩٠، ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٣٢٠
(٥) المسعودي، مروج ج٢، ص٥٦ ــ ٥٧، ٥٩، الحميري، الروض ص ٥٩٣
(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٨٨، ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٠
(٧) العجلي، تاريخ الثقات ص ٤٢٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٨٩، الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ١٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٢٧، ١٢٠٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ٢٣٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ١٣٦
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٩، ١٠٧٤
(٩) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٦
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٩٩
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٢٤
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٢

وفاته ببغداد التي قدمها في حاجة له فتوفي فيها(١). ومحمد بن كثير بن أبي عطاء المصيصي الصنعاني (صنعاء دمشق)، أبو يوسف (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ونسبه بعضهم لمصيصة دمشق(٢)، وعند ابن سعد أنه نشأ بالشام ونزل ثغر المصيصة(٣). وكانت وفاته في طريقه إلى مصر فتوفي قبل أن يصلها(٤). والمحدث محمد بن عُيينة الفزاري المصيصي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، صهر أبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) وروى عنه وعن ابن المبارك(٥). ومحمد بن أسعد التغلبي، أبو سعيد المكي ثم المصيصي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)(٦). وخلف بن تميم بن أبي عتاب مالك أبو عبد الرحمن الكوفي، نزيل المصيصة (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) وهو محدث ثقة صدوق، وأحد النساك والمجاهدين، صحب إبراهيم بن أدهم(٧)، ونزل المصيصة وطاف بالشام(٨) وكان عالماً راو للحديث توفي بالمصيصة في خلافة المأمون، وقيل توفي بدمشق(٩).

وسكن بالمصيصة أيضاً مسلم بن عبد الرحمن الجرمي (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وهو أحد أبطال الإسلام الذين يضرب به المثل في الفروسية والإقدام، سمع من مخلد بن الحسين بالمصيصة(١٠)، ونقل عنه ابن خرداذبة بعضاً من أحوال مملكة الروم(١١). والمحدث يحيى بن محمد بن سابق الكوفي، ويُعرف بعصا ابن إدريس (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)(١٢). وعبد الله بن محمد بن الربيع، أبو عبد الرحمن العائذي الكرماني ثم الكوفي نزيل المصيصة (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) وهو ثقة صدوق مأمون(١٣). وعبد الكبير بن المعافى بن عمران الأزدي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، وكان رجلاً فاضلاً، حدَّث وكتب الناس عنه، وخرج من الموصل إلى أذنة والمصيصة تاركاً للدنيا ونازعاً عنها، يتكسب ببيع البقل وما شاكله(١٤)، وبقي بالمصيصة حتى وفاته بها(١٥)، ومنصور بن هارون (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م) وكان عالماً فقيهاً توفي بالمصيصة(١٦)، وإبراهيم بن مهدي المصيصي (ت

---

(١) العجلي، تاريخ الثقات ص ١٠٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٦
(٢) الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٠٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٤٩
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٨٩
(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ٢٠١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٦
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٤٨
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٤٣٢
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٨
(٨) ابن عساكر، تاريخ ج١٧، ص ٣
(٩) ابن عساكر، المصدر نفسه ج١٧، ص ١٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٨
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٧٠٣
(١١) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٠٥
(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٧٢٨
(١٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٠٩
(١٤) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٨٢
(١٥) الأزدي، المصدر نفسه ص ٤٢٣
(١٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩٢

٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) محدث ثقة[١]. وأبو زكريا الطحان (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) وكان من علماء المصيصة وبها توفي[٢]، وسنيد بن داود المصيصي، أبو علي المحتسب (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤١م)، محدث وله تفسير كبير[٣]. ومصعب بن سعيد الحراني المصيصي، أبو خيثمة المكفوف (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٤]. والمحدث هارون بن عباد الأزدي المصيصي ثم الأنطاكي (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٥]. وعبد الملك بن حبيب، أبو مروان المصيصي البزاز (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٦]. وأحمد بن جناب بن المغيرة، أبو الوليد المصيصي (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، قيل: إنه بغدادي الأصل، وصف بأنه صدوق[٧]. وداود بن معاذ أبو سليمان العتكي البصري، نزيل المصيصة (ت بعد ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م) وهو أحد رواة الحديث[٨]. والمحدث عبد الله بن سعد بن إبراهيم، أبو القاسم الزهري العوفي البغدادي (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) وهو محدث ثقة مات بالمصيصة[٩]. ومحمد بن داود بن صبيح (وقيل: ابن سفيان)، أبو جعفر المصيصي (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[١٠]. والمحدث إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[١١]، وسفيان بن محمد المصيصي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، وهو محدث[١٢]. والحسن بن إسماعيل بن سليمان بن مجالد، أبو سعيد الكلبي المجالدي المصيصي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، من رواة الحديث[١٣]. وأحمد بن ناصح أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) نزيل الثغر، راو للحدي[١٤]. وإبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق البغدادي (ت نحو ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، وهو صاحب حديث طبري الأصل[١٥]، وحدث ببغداد والمصيصة، وانتقل إلى الثغور فسكن عين زربة ومات بها مرابطاً[١٦].

---

(١) السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٢٩٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٢٠، ج٥، ص ٥٢٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٥٥٦
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩٢
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٦٨، ج٥، ص ٥٠٠، ٥٨٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٦٢٧
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٤١
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٩٤٩
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٨٧٨
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٧، ٥٠٤ ــ ٥٠٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٢٥
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٨٢٠
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٨٤٩
(١٠) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٢٢٣، ١٢٢٤
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٨٠
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١٤٦
(١٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١١١٢
(١٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٧٢
(١٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٧٧
(١٦) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٤٠٧ ــ ٤١٠

كما نزل بالمصيصة المحدث المشهور محمد بن سليمان بن حبيب، أبو جعفر الأسدي البغدادي الملقب بـــ "لُوَيْن" (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، ويعدُّ أسند أهل زمانه، وكان غضب على أولاده فتحول من المصيصة إلى أذنة فتوفي بها[١]. وإبراهيم بن الحسن بن الهيثم المصيصي، المعروف بالمِقْسَمي (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وهو محدث ثقة[٢]. ومحمد بن قدامة بن أعين، أبو عبد الله المصيصي، مولى بني هاشم (ت نحو ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)[٣]. ومحمد بن آدم بن سليمان الجُهَني المصيصي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) روى عن ابن المبارك، وعُمِّر دهراً، وكان يرتحل إليه، وكانت وفاته بالمصيصة[٤]. وسعيد بن رحمة بن نعيم المصيصي، أبو عثمان (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) راوي كتاب الجهاد عن ابن المبارك[٥]. وأحمد بن محمد بن أبي رجاء المصيصي، أبو جعفر (ت بعد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) محدث[٦]. وعبد الله بن محمد بن تميم، أبو حميد المصيصي، مولى بني هاشم (ت بعد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) محدث ثقة[٧]، روى عن أبي عمران المصيصي الأنطاكي (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[٨]. والمحدث محمد بن أحمد بن رِزْقان، أبو بكر المصيصي (ت ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م)[٩]. والهيثم بن خالد المصيصي (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) محدث وهو من موالى بني أمية[١٠]. والمحدث محمد بن عبدة أبو بكر المصيصي (ت بعد ٢٨٨هـ)[١١]. وعبد الله بن الحسين المصيصي (ت ق ٣هـ/ ٩م)[١٢]. ومحمد بن سليمان المصيصي (ت ق ٣هـ/ ٩م)[١٣]. والمحدث محمد بن قدامة المصيصي (ت ق ٣هـ/ ٩م)[١٤] وإبراهيم بن سيار أبو إسحاق البغدادي الصوفي (ت ق ٣هـ/ ٩م) بغدادي سكن المصيصة، كان قدمها سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م[١٥]. ومحمد بن حاتم بن نعيم المروزي المصيصي (ت

(١) الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٢٦، السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٢٩٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٢٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٥٠٠
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٠
(٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ١٢٤٣
(٤) المسعودي، مروج ج٥، ص٧٩، وأرخ وفاته سنة ٢٤٩هـ، الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٣٢، السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٣٠١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٣، ١٢٠٩
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٠
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٢٧٦
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٣٥٤
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٧٠٧
(٩) ابن ماكولا، الإكمال ج٤، ص ١٨٤، ابن عساكر، تاريخ ج ٥١، ص ٤٠، الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٣٩١، ٥٩٢، وفيه: ابن زرقان.
(١٠) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٢٢٦، ٨٤٤
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٨١٣
(١٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٣٣٥، ولعله ذاته الذي لقبه ابن عساكر بالبزاز، انظر: تاريخ دمشق ٢٧، ص ٤٠٢
(١٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٢٦٥
(١٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٤، ص ١١٦٩
(١٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٤٢٢ ــ ٤٢٣

نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، محدث ثقة من صغار شيوخ النسائي، وهو غير الملقب بحبي[١]. والمحدث محمد بن سفيان بن موسى المصيصي، أبو يوسف الصفار (ت بعد ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)[٢]. والمحدث محمد بن إبراهيم بن البطال اليماني، نزيل المصيصة (ت بعد ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، وهو من أهل صعدة باليمن[٣]. ويبدو أنه اليمني الوحيد الذي نزل الثغور، والمحدث محمد بن أحمد بن أبي مهزول، أبو الحسن المصيصي المُعَدَّل (ت بعد ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)[٤]. والمحدث محمد بن أحمد بن عبد الله بن صفوة، أبو الحسن المصيصي (ت بعد ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م)[٥].

وكانت أنطاكية من حواضر الجند العلمية المشهورة بكثرة العلماء والمحدثين فيها، كان منهم: يعقوب بن كعب الأنطاكي[٦]. ومحمد بن غالب بن سعيد الأنطاكي[٧]. ومحمد بن أبي الخصيب الأنطاكي (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) وهو محدث صدوق[٨]. ونصر بن عاصم الأنطاكي (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) محدث رحل في طلب العلم[٩]، ومحبوب بن موسى الأنطاكي، أبو صالح الفراء (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، وهو معاصر لعبد الله بن المبارك والتقاه وروى عنه وعن أبي إسحاق الفزاري[١٠]. والمحدث محمد بن عبد الرحمن بن حكيم بن سهم الأنطاكي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[١١]، والمحدث سهل بن صالح أبو سعيد الأنطاكي البزار (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)[١٢]. وعباس بن عبد الله بن العباس بن السندي، أبو الحارث الأسدي الأنطاكي (ت بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، وهو محدث رحل في طلب العلم[١٣]. والمحدث الفضل بن حماد الأنطاكي (ت بعد ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)[١٤]. ومحمد بن أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي أبو الوليد (ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م) وهو محدث مات بأنطاكية بعد قدومه من مكة حاجاً[١٥]. ومحمد بن أبي النعمان الأنطاكي (ت بعد ٢٨٠هـ/

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩١٣، ج٦، ص ١٠٢٠
(٢) السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٣٠١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٧، ص ٣٩٥
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٥١، ص ٢٤٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٥٧
(٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٦٠٩
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٧٤٩
(٦) العجلي، تاريخ الثقات ص ٤٨٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٧٤، ١٢٥٣
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٢٦
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٤٣٥
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٩٤٧
(١٠) الذهبي، المصدر نفسه ج٤، ص ٨٨٦، ج ٥، ص ٥٠٤، ٦٩٩
(١١) السمعاني، الأنساب ج١، ص ٣٧٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٣٣
(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٥
(١٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٣٤٩، ص ٥٥٨
(١٤) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٥٨٦
(١٥) السمعاني، الأنساب ج١، ص٣٧١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص٥٩٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٣١١

٨٩٣م) محدث روى عنه الطبراني[١]. والمحدث محمد بن إدريس أبو بكر الأنطاكي (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[٢]. والفقيه المحدث أحمد بن محمد بن أبي موسى، أبو بكر الأنطاكي (ت بعد ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) حدث بمصر والشام[٣]، وذكر ابن عساكر ما يفيد توليه القضاء[٤]. والمحدث الفضل بن محمد بن عبد الله بن الحارث الباهلي، أبو العباس الأنطاكي العطار الأحدب (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م)[٥]. والحافظ وصيف بن عبد الله، أبو علي الرومي الأنطاكي الأشروسني (ت بعد ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، عني بالحديث ورحل فيه[٦]. ومحمد بن أحمد بن يحيى بن صفوان الأنطاكي (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، وهو محدث وكان إمام الجامع بأنطاكية[٧]، والحافظ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب بن زوزان، أبو بكر الأنطاكي (ت بعد ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م)، محدث وله رحلة في الحديث، كتب بالشام والعراق ومصر[٨]. وأبو عبيد الله محمد بن محمد بن صفوان الإمام بأنطاكية، وعمر بن علي بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن عبيد بن زهير، أبو حفص العتكي الأنطاكي (ت بعد ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م) الخطيب والمحدث صاحب "كتاب المقبول"[٩].

ونسب لبلدة عم بين حلب وأنطاكية جماعة من أهل العلم والحديث: منهم بشر بن علي العمي الأنطاكي روى عن عبد الله بن نصر الأنطاكي وروى عنه الطبراني[١٠]. والطبراني ولد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م وتوفي ٣٦٠هـ/ ٩٧١م وإذا افترضنا أن الطبراني أخذ العلم عنه في سن الشباب فيكون الطبراني التقاه بعد سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. ونسب لبلدة بوقا (بين حلب وأنطاكية) أبو يعقوب إسحاق عبد الله الجزري البوقي[١١]. وأبو سليمان داود بن أحمد البوقي (ت ق ٣هـ/ ٩م) سكن أنطاكية وسمع أبا عبد الرحمن معمر بن مخلد السروجي المتوفي بملطية (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م)[١٢].

وفيما بين طرسوس والمصيصة، تبرز مدينة أذنة ــ لكن بدرجة أقل ــ كمكان لنزول العلماء،

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٢٦
(٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٧٩٨
(٣) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٦٩٢
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج ٥، ص ٤٥٧
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٢١
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ج ٧، ص ٤٠٠
(٧) السمعاني، الأنساب ج١، ص ٣٧٣
(٨) ابن عساكر، تاريخ ج٥١، ص ٢١١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٦٧٢
(٩) ابن عساكر، تاريخ ج٤٥، ص ٣٠٠، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠
(١٠) ياقوت، المصدر نفسه ج٤، ص ١٥٧
(١١) الطرسوسي، سير الثغور ٦٣، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص٥١٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٦٥٧
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٥١٠

فخرج منها جماعة من أهل العلم، وسكنها آخرون(١). وكان جماعة من العلماء انتقلوا إليها للمرابطة بها طلباً للأجر والثواب(٢)؛ فممن نزلها أو نسب إليها: إسحاق بن عيسى بن نجيح بن الطباع، أبو يعقوب (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، وهو محدث بغدادي ثقة صدوق سكن أذنة، وتوفي فيها(٣)، وأرخ الصولي وابن الأزهر وفاته في سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م(٤). والمحدث رضوان بن إسحاق أبو زفر القرشي الشامي (ق ٣هـ/ ٩م)، من أهل دمشق سكن أذنة، وجالس ابن الطباع بأذنة(٥). وزُفر بن عبد الله البصري، نزيل أذنة (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، سمع منه أبو حاتم الرزاي(٦). وصالح بن عبيد الله، مولى بني هاشم (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، نزل الثغر بمدينة أذنة، (٧). وعياش بن الوليد ابن الأزرق (ت بعد ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) وهو محدث بصري نزل أذنة(٨). وإسحاق بن الجراح الأذني (ت بعد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) وهو محدث صدوق(٩). وطالب بن قرة الأذني (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٤م)، وتوفي بأذنة(١٠). ويحيى بن عبد الباقي بن يحيى الثغري أبو القاسم الأذني (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، محدث ثقة مشهور، روى عنه الطبراني(١١)، وابن أخيه عدي بن أحمد بن عبد الباقي بن يحيى أبو عمير الأذني (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)(١٢) وهو شيخ الثغور الشامية، حدث عن عمه أبي القاسم يحيى بن عبد الباقي الأذني(١٣)، ويبدو أن أبا عمير كان بحلب إذ يذكر ابن عساكر من تلامذته بحلب المحدث أبو بكر الرسعني(١٤). وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن داود الكتاني الأذني (ت ق ٣هـ/ ٩م)(١٥)، والمحدث أبو محمد مضاء بن عبد الباقي الأزدي الأذني (ت ق ٣هـ/ ٩م)(١٦)، والمحدث أبو المجاهد محمد بن يونس بن خالد الأذني (لعله من أهل ق ٣هـ/ ٩م)(١٧).

---

(١) ياقوت، المصدر نفسه ج١، ص ١٣٣
(٢) السمعاني، الأنساب ج١، ص ١٤٦
(٣) المسعودي، مروج ج٤، ص٣٣٩، الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٠٤، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٧٥، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب ص ١٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٧٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ١٠٨
(٤) الصولي، الأوراق (قطعة منه) ص ٤٠٧، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٢٩
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج١٨، ص ١٥٢
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣١٤
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٠٩
(٨) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٨٩٩
(٩) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٢٩٥
(١٠) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٩٥٨
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ١٠٦٥
(١٢) المسعودي، مروج ج٢، ص٤٤، ٥٦
(١٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٠، ص ٥٦، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣
(١٤) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٧
(١٥) السمعاني، الأنساب ج١، ص ١٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣
(١٦) السمعاني، الأنساب ج١، ص ١٤٧
(١٧) السمعاني، المصدر نفسه ج١، ص ١٤٧

وإضافة إلى هذه الحواضر العلمية الناشطة في الثغور ترد إشارات لخروج علماء من بعض الثغور الأخرى، فخرج من ملطية جماعة من المحدثين والرواة[١]؛ وقيل أن أغلب من خرج من محدثيها كانوا ضعفاء[٢]، منهم: المحدث ضرار بن عمر (ت بعد ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وهو من أهل ملطية[٣]، وتمَّام بن نجيح الأسدي (ق ٢هـ/ ٨م) مولده بملطية وسكن حلب[٤]. وزيد بن علي بن أبي خداش الأسدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) روى عن المعافى بن عمران (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م) الذي يقول فيه: "ليس من باب خير إلا ولزيد فيه حظ"، وكانت وفاته بملطية[٥]. والمحدث فضيل بن محمد بن فضيل، أبو يحيى الملطي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) إمام جامع ملطية[٦]. وأبو العطاف غياث بن أحمد بن عقبة التميمي إمام مسجد جامع ملطية، وهو محدث يروي عن شيخه المتقدم فضيل الملطي[٧]، وسليمان بن أحمد بن يحيى بن سليمان بن أبي صلابة أبو أيوب الملطي الحافظ (ق ٤هـ/ ١٠م)[٨].

أما مدينة الحدث الثغرية فنزل بها الحافظ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو الكوفي الحافظ (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٣م)، وهو شيخ الإسلام وأحد الأئمة الأعلام، محدث ثقة ثبت مأمون، قدم من الكوفة ونزل الثغر بمدينة الحدث مرابطاً في سبيل الله، وكان سنةً في الغزو وسنة في الحج[٩]، وعاش في مدينة الحدث حتى وفاته، وبقي ولده بها بعده[١٠]، وعمر بن زرارة الحدثي (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[١١].

وينسب إلى حصن منصور الواقع جنوب زبطرة أبو عمر عبد الجبار بن نعيم بن إسماعيل الحصنى (نحو ق ٣هـ/ ٩م)[١٢]، والقاضي القاسم بن عبد الله بن محمد بن خليد الحصني، وهو محدث وتولى القضاء بحصن منصور[١٣].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢
(٢) السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٤٢٢
(٣) السمعاني، المصدر نفسه ج١٢، ص ٤٢٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٠
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ٤٥ ــ ٤٩، السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٤٢٢، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب ص ١٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ٨٢٥
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٦٣
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٩٢
(٧) السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٤٢٤
(٨) السمعاني، المصدر نفسه ج١٢، ص ٤٢٣، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣
(٩) العجلي، تاريخ الثقات ص ٣٨٠، ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٨٨، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١، ابن عساكر، تاريخ ج ٤٨، ص ٢٥ ــ ٤٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٣٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٤٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ١٢٧، وذكره أيضاً في وفيات سنة ١٨٨هـ
(١٠) السمعاني، الأنساب ج٧، ص ٧٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٩
(١١) السمعاني، الأنساب ج٤، ص٨٩، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص٢٢٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص٤٠٧
(١٢) السمعاني، الأنساب ج٤، ص ١٧٧، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٦
(١٣) السمعاني، الأنساب ج٤، ص ١٧٧

وخرج من مدينة قورس من الثغور الشامي جماعة من الرواة[١]، فينسب إليها أبو العباس أحمد بن محمد بن إسحاق القُورُسيّ (كان حياً ٣١٣هـ/ ٩٢٥م) وحدث بدمشق سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م[٢].

وينسب إلى مدينة بغراس من الثغور الشامية أبو عثمان سعيد بن حرب البغراسي (ق ٤ هـ/ ١٠م)، وكان حافظاً[٣]. وينسب إلى بياس الواقعة شمال بغراس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن دينار الشيرازي ثم البياسي (ق ٣هـ/ ٩م)[٤].

وتقدم في الفصل الأول تعداد من تولى القضاء في مدن الجند الداخلية والثغرية، وكانت لهؤلاء مساهمة علمية واضحة، وتظهر مراجعة تراجمهم أن جميعهم من العلماء والفقهاء والمحدثين، فقاضي حلب حفص بن عمر (ت بعد ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، محدث لكنه ضعيف عند أهل الجرح والتعديل[٥]، وقاضي طرسوس موسى بن داود الضبي، أبو عبد الله الطرسوسي الخُلقاني (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) محدث ثقة زاهد، وله تصانيف كثيرة[٦]. وبشر بن المنذر قاضي المصيصة، وهو محدث عاصر وجود الزاهد إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ/ ٧٧٨م) في المصيصة والتقاه[٧]. وقاضي حلب ونزيلها عبيد بن جناد الكلابيّ الرّقّيّ (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) محدث[٨]، وقاضي المصيصة الفقيه عبد الجبار بن سعد بن سليمان المُساحقي المدني (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤١م)[٩]، والقاضي أحمد بن خالد أبو جعفر البغدادي الخلال (ت نحو ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) الذي تولى قضاء الثغر، وهو محد[١٠]. وقاضي المصيصة علي بن محمد بن علي بن أبي الضياء (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) محدث ثقة[١١]، والقاضي عمر بن الحسن بن نصر أبو حفيص الحلبي (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م) محدث وثقه الدارقطني[١٢]، وقاضي المصيصة أحمد بن حماد بن سفيان، أبو عبد الرحمن الكوفي الفقيه (ت

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٦٣
(٢) السمعاني، الأنساب ج١٠، ص ٥١٠،، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤١٢
(٣) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٢٧١، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٦٧
(٤) السمعاني، الأنساب ج٢، ص ٣٨١، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٥١٧
(٥) الذهبي، المصدر نفسه ج٤، ص ٨٣٧، ج٥، ص ٥٩
(٦) الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٠٦، السمعاني، الأنساب ج٥، ص ١٨٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٢٣، ج٥، ص ٤٦٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ١٣٦
(٧) ابن عساكر، تاريخ ج ١٠، ص ٢٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٩٧
(٨) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٠٤ ــ ٤٠٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٦، ٧٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٢٧
(٩) الزبيري، نسب قريش ص ٤٢٨، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ١٦٩، السمعاني، الأنساب ج١٢، ص ٢٣٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦١٣
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٩٨
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ١٢٩
(١٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٣، ص ٥٥٩، الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ١٠٧

٢٨٨هـ/٩٠٠م) محدث صالح الحديث[١]. وقاضي شمشاط الحسن بن محمد بن يحيى، أبو أحمد العقيلي (ت بعد ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) محدث[٢]. وقاضي الثغور الشامية الحسين بن الحسين، ابن الصابوني الأنطاكي (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) محدث ثقة[٣].

ونتيجة لاختلال أمر الثغور الشامية والجزرية وضعف الدولة في نهايات القرن الثالث الهجري فقد بدأ يظهر بوضوح قلة في أسماء العلماء المنسوبين للثغور أو النازلين فيها، خصوصاً منذ الطبقة ٢٩ حسب تصنيف الطبقات لدى مؤلفي كتب التراجم، ويبدو أنهم انتقلوا من الثغور ونزلوا بمدن ثغرية أخرى من أقاليم الدولة الإسلامية، كالرملة وسواحل الشام وثغور مصر بدمياط وتنيس وإخميم، فكثر أسماء النازلين بها، بل تحول إليها كثير من المحدثين والعلماء المقيمين بثغور الشام، ثم بعد ذلك يبدو الاتجاه نحو الأندلس في نزول إشبيلية وطليطلة وألبيرة وقرطبة، خصوصاً في الفترة الممتدة من ٣٠٠هـ/ ٩١٣م حتى ٣٥٠هـ/ ٩٦١م. ويبدو أن تغير الأحوال العلمية في الثغر بدأ منذ نهايات العصر العباسي الأول، فعندما زار ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) الثغور قال: "رأيت العلم بها يموت"[٤].

ومن الإشارات التي تذكر انتقال العلماء من الثغور يرد أن المحدث محمد بن عيسى بن تميم المصيصي، نزيل إخميم (ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، وهو محدث متهم بالكذب انتقل من المصيصة ونزل إخميم[٥]. والمحدث الثقة أحمد بن الصقر بن ثوبان، أبو سعيد الطرسوسي ثم البصري (ت بعد ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، مستملي الإمام محمد بن بشار المعروف ببُندار، رحل إلى العراق وحدث ببغداد[٦]. ونزل ببغداد المحدث الثقة الصالح محمد بن هارون بن مُجَمِّع أبو الحسن المصيصي (ت بعد ٣٠١هـ/ ٩١٤م)، وكان قبل ذلك نزيلاً بالمصيصة[٧]. وانتقل المحدث الحسين بن محمد أبو عبد الله المصيصي الصوفي الطيَّان إلى أصبهان في سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م[٨]. وارتحل المحدث الحسين بن الحسن بن أحمد أبو عبد الله الكرماني الطرسوسي إلى دمشق قادماً من طرسوس سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م[٩]. ونزل بصيدا من سواحل الشام المحدث أحمد بن محمد أبو بكر الكوفي الكندي المصيصي

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٦٧١
(٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٣٢٢
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج١٤، ص ٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٣٥٣
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٣١١
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ١٠٤١
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢٧
(٧) ابن عساكر، تاريخ ج٧٣، ص ٢٤٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٩٨
(٨) ابن عساكر، تاريخ ج ١٤، ص ٣٥
(٩) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ١٤، ص ٥٠

ثم الصيداوي (ت ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م)[١]. وانتقل إلى دمشق وحدث بها أيضاً الحافظ أحمد بن القاسم بن عبيد الله بن مهدي أبو الفرج البغدادي ابن الخشاب (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م)، وكان قبل انتقاله يسكن بطرسوس[٢]. وهذا يؤشر على انتقال الطرسوسيين إلى خارج الثغور.

وإضافة لما تقدم، فقد كان بعض العلماء والفقهاء والمحدثين يرافقون الصوائف والشواتي طلباً للجهاد في سبيل الله، وفي سفرهم هذا يكون التبادل العلمي فيما بينهم وبين العلماء الذين يصادفونهم في طريقهم للغزو، فيحصل التلاقي وتتم المباحثة مع طبقة الفقهاء والعلماء الذين اختاروا المقام في الثغور، فقد كان الإمام الحافظ عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون المزني البصري (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، الذي وصف بأنه لم يكن بالعراق أعلم منه بالسنة، كان يغزو الروم؛ يخرج إلى الشام على ناقة، فإذا وصلها ركب الخيل، وكان له مراس في المبارزة[٣]. وكان بصحبة صائفة سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م محدثان عراقيان هما: المحدث الكوفي مندل العنزي، ومعتمر بن سليمان البصري[٤]. ولا بد أن أولئك العلماء كانوا يحظون بمعاملة رفيعة وتقدير من قادة الصوائف والحملات، فيخصونهم بالعناية والاحترام.

وثمة ملاحظة تقتضي النظر، وهي أن جند قنسرين برغم كثرة العلماء والمحدثين فيه ــ مما مر ذكره وما سيأتي ــ إلا أننا نجد الإمام المحدث الرحالة أبا يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) قد حرص على تتبع العلماء وزيارتهم في أجناد الشام باستثناء جند قنسرين، فقد ارتحل إلى الشام في أواخر سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م وسمع في ذات السنة من أبي مسهر (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) قبل وفاته بسنة، وفي سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م سمع بالشام من آدم ابن أبي إياس ومن أبي اليمان الحكم بن نافع الحمصي ويحيى بن صالح الوحاظي وأخذ عن مشايخ فلسطين ودمشق وحمص[٥]، فكان لافتاً للنظر عدم زيارته لجند قنسرين مع ارتحاله للشام ثلاث مرات وحرصه على زيارة العلماء الثقات ورغبته في التدوين والأخذ عنهم.

ونجد في المقابل أن بعض المحدثين من أهل جند قنسرين قد آثر الخروج منه والنزول بحواضر علمية أخرى، ويظهر هذا بعد منتصف القرن الثالث الهجري، مثل إبراهيم بن محمد الزهري الحلبي (ت بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، نزيل البصرة[٦]. ومحمود بن محمد بن أبي المضاء، أبو

---

(١) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ٥، ص ١٨٣
(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ٥، ص ١٧٠ ــ ١٧٢
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠١ ــ ١٠٣
(٤) قدامة، الخراج ص ٣١٠
(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ٢٠١، ٢٠٤
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٢

حفص الحلبي (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، وهو محدث ثقة حدث ببغداد ومات بحلب[١]. وإسحاق بن محمد بن أحمد القاضي أبو يعقوب الحلبي (ت بعد ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، وهو محدث قدم إلى بغداد[٢]. والمحدث الثقة محمد بن عامر الأنطاكي ويقال: المصيصي أبو عمر (ت بعد ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) نزيل الرملة[٣]. والحسين بن السميدع بن أبي بكر البجلي الأنطاكي (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) وهو محدث ثقة قدم بغداد[٤]. ومحمد بن علي بن حمزة بن أبي هريرة الأنطاكي، أبو بكر (ت بعد ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م) نزل بغداد وهو يروي عن أبي أمية الطرسوسي وطبقته، وروى عنه جماعة منهم الدارقطني[٥]. والمحدث الحسن بن حجاج بن غالب أبو علي الطبراني الزيات، كان مسكنه بأنطاكية، وقدم منها إلى دمشق سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م[٦].

ومن خلال كثرة المرتحلين إلى الجند، ومرور العلماء بمدنه أثناء الغزو أو في طريق الحج، وأيضاً رحلة بعض علماء الجند إلى أقاليم أخرى طلباً للحديث، نجد أن روايات الحديث تنوعت وتعددت مصادرها بسبب تنوع مشارب الأخذ والتلقي لديهم، ونجد في سند روايات الأحاديث أن الراوية الواحدة تجمع في ثناياها عدداً من العلماء لا يجمع بين اثنين منهم قطر واحد. كما أن أغلب القادمين للثغر يتوقفون في المدن التي في طريقهم سواء في العراق أو الشام، فيروون عن أعلامها وينقلون رواياتهم إلى الثغور، فأصبحت بهم حلقة موصلة للروايات.

وأخيراً فلم يكن علماء الجند بمنأى عما طال العلماء في محنة خلق القرآن التي أثارها المأمون وتابعه فيها الواثق، فتعرضوا للامتحان أسوة بغيرهم، ولم يرد في عهد المأمون من وقع قتله من علماء الجند لأجل ذلك، لكن يرد وقوع ذلك في عهد الواثق عندما أمر في سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م بامتحان أهل الثغور في القرآن ــ كما في بقية الأمصار ــ "فقالوا جميعاً بخلقه، إلا أربعة نفر؛ فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه"[٧]، وحُمل إليه شيخ من أهل أذنة فتمت مناظرته بحضرة الواثق ثم أطلقه[٨]، وفي ذات السنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م حدث فداء بين المسلمين والروم فطلب الواثق بامتحان الأسرى فمن قال بخلق القرآن فودي به وأعطي ديناران وإلا فيترك في يد الروم[٩].

---

(١) السمعاني، الأنساب ج٤، ص ٢١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٣٦
(٢) ابن عساكر، تاريخ ج ٨، ص ٢٧٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٤٢
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤٠٩
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج١٤، ص ٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٧٤٠
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٤٠، ج٧، ص ٤٨٣
(٦) ابن عساكر، تاريخ ج ١٣، ص ٥٢
(٧) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤١، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٥٥٧
(٨) ابن عساكر، تاريخ ج٧٣، ص ٣٢٨
(٩) الطبري، تاريخ ج٩، ص ١٤٢ ــ ١٤٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٣١٢

ب. علماء القراءات والتفسير وعلماء اللغة والنحو:

القراءات علم يختص بكلام الله المنزل، الذي حفظه الصحابة عن رسول صلى الله عليه وسلم، لكنهم رووه على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في الآداء والنطق، وظل هذا الاختلاف حتى بعد اعتماد النسخة العثمانية من القرآن الكريم، واشتهرت من هذه الطرق سبعة قراءات، كانت أصولاً لقراءته، ثم لما بدأ التدوين أصبحت القراءات علماً قائماً بذاته منفرداً عن غيره من علوم القرآن(١)، أما التفسير فقد احتيج إليه بعد أن كثر الداخلون في أمة الإسلام، وبعدت بهم السنين عن الصحابة الذين تلقوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومقاصد الآيات، فاحتاج الناس إلى مَن يفسر لهم ذلك إما نقلياً عن الصحابة والسلف أو من خلال اللغة والبلاغة(٢).

ولم يلتزم أهل الشام بالسير على قراءة واحدة للقرآن الكريم، إذ يذكر المقدسي أن "الغالب عليهم في القراءات حروف أبي عمرو بن العلاء البصري إلا بدمشق فإنه لا يؤم في الجامع إلا من يقرأ لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ/ ٧٣٦م) وهي شائعة فيهم مختارة عندهم"(٣)، ثم يذكر في موضع آخر أن قراءة أهل الشام ــ وليس دمشق فقط ــ هي لأبي عمران عبد الله بن عامر اليحصبي(٤). وقد كان ابن عامر وهو أحد القراء السبعة، قاضياً لدمشق والمسؤول عن بناء الجامع الأموي وأصبح إمامه(٥)، ثم إن رواة قراءته اثنين هما: هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) وعبد الله بن أحمد ابن ذكوان الدمشقي (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) وهما من علماء الشام وأئمة الإقراء بدمشق، فغلبت لذلك قراءة ابن عامر على بعض أجناد الشام.

ولم يتطرق أحد لقراءة أهل جند قنسرين أو الثغور، لكن الباحث يرى أن الغالب على قراءتهم هي قراءة الكسائي ثم رواية قالون وورش لقراءة نافع المدني، والداعي لهذا الرأي أن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٥م)، سابع القراء السبعة، قد تعلم عليه القرآن إثنان من مشاهير قراء الثغور، وهما: أبو عبيد القاسم بن سلام(٦) وأبو جعفر أحمد بن جبير الأنطاكي (ت ٢٥٨هـ/

---

(١) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ١٨٧، وانظر تفصيلات موسعة لدى: نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، (ترجمه عن الألمانية) جورج تامر، مؤسسة كونراد ــ أدناور، بيروت، ٢٠٠٤م. ص ٥٥٥ وما بعدها، وسيشار له فيما بعد: نولدكه، تاريخ القرآن.
(٢) ابن خلدون، المصدر نفسه ج٢، ص ١٨٩ ــ ١٩٢
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٠
(٤) المقدسي، المصدر نفسه ص ٣٩
(٥) النديم، الفهرست ج١، ق١، ص ٧٥، نولدكه، تاريخ القرآن ص ٦٠٠
(٦) النديم، المصدر نفسه ج١، ق١، ص ٢١٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٤٩١

٨٧٢م)[١]، مقرئ الشام[٢]، وكلاهما تولى الإقراء في الثغور وأنطاكية. وبالتالي فقد ساهما ـــ الاثنان ـــ في انتشار قراءته في الجند، ولهذا فالمقدسي بعد أن ذكر غلبة قراءة أبي عمرو البصري وابن عامر اليحصبي استدرك بالقول: "وقد فشت قراءة علي الكسائي في الإقليم"[٣].

أما قراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٦م) وراوياه هما: ورش وقالون، فربما انتقلت إلى أهل الجند من طريق محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسي التميمي السعدي (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) وهو محدث ارتحل في طلب الحديث إلى عدد من المدن وسمع قالون واسمه عيسى بن مينا المقرئ (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) بالمدينة، ثم نزل بطرسوس وسكنها[٤].

وقد ترددت أسماء عدد من القراء في جند قنسرين، أولهم: سعيد القارئ أبو عثمان (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م) وهو من أهل خراسان وسكن المصيصة وكان فقيهاً عالماً زاهداً[٥]، وكان أشهر القراء الإمام القاضي أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) الفقيه الأديب، وله مؤلفات في القراءات والفقه والتفسير والحديث واللغة والشّعر. وأفرد نولدكه مساحة واسعة من كتابه تاريخ القرآن[٦] لعلم القراءات والاختلافات ما بين القراءات السبع المعروفة، وعالج ـــ تاريخياً ـــ نشأة هذه القراءات وكيفية انتقالها إلى أقاليم الدولة شرقاً وغرباً، ويتضح من خلال عرضه هذا مقدار المساهمة العلمية التي تركها ابن سلام من خلال مؤلفاته. وقد صنف (كتاب القراءات)[٧]، وهو "كتاب جيد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله"[٨]، ووضع أقدم قائمة تضمنت القراء القدماء من صحابة النبي وتابعيهم[٩]، وهو صاحب نحوٍ وعربية[١٠]، وقد ساعده ذلك في علم القراءات فالقارئ يجب أن يمتلك ناصية اللغة والنحو ليتمكن من القراءة على الوجه السليم[١١]، وإضافة لمؤلفاته في علم القراءات فقد كانت لابن سلام جهود في علم التفسير، فألف كتاب (معاني القرآن) جمع فيه جهود من سبقه مثل قطرب والأخفش "وجاء فيه بالآثار وأسانيدها وتفاسير الصّحابة والتّابعين

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٢٨، ج٦، ص ٢٣
(٢) النديم، الفهرست ج١، ق١، ص ٧٧
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٠
(٤) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ١٦٤
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩١
(٦) نولدكه، تاريخ القرآن ص ٤٤٣ ـــ ٦٧٥
(٧) النديم، الفهرست ج١، ق١ ص ٩١، ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٠١
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٤٩٤
(٩) نولدكه، تاريخ القرآن ص ٥٩٤
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦
(١١) نولدكه، تاريخ القرآن ص ٥٦٢

والفقهاء"[١]. وألف أيضاً: (كتاب عدد آي القران الكريم)، و(كتاب الناسخ والمنسوخ)[٢]، و(كتاب فضائل القرآن)[٣]، و(كتاب غريب القرآن)[٤]، وله كتاب فقهي عنوانه (كتاب الأموال)، يوصف بأنه "من أحسن ما صنّف في الفقه وأجوده"[٥].

ويليه في المرتبة الإمام أحمد بن جبير الأنطاكي أبو جعفر المقرئ (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م) مقرئ ومحدث وإمام كبير، قرأ القرآن على الكسائي مثل سلفه ابن سلام، وعلى غيره، وأقرأ الناس إلى أن مات[٦]، وكان أغلب المقرئين في الجند ــ حسبما يأتي ــ قد تعلموا على يديه وقرأوا عليه، ومنهم: المقرئ حمدون المغربل الأنطاكي (ق٣هـ/ ٩م) وهو من أصحاب ابن جبير وقرأ عليه إبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي[٧]، والمقرئ عيسى بن محمد بن أبي ليلى الأنطاكي (ق ٣هـ/ ٩م)، أخذ القراءة عن ابن جبير وهو من كبار أصحابه[٨]، والمقرئ شهاب بن طالب بن شهاب الأنطاكي (ق٣هـ/ ٩م)، قرأ على ابن جبير[٩]، والمقرئ علي بن يوسف بن محمد أبو القاسم البصري (ق ٣هـ/ ٩م) نزيل أنطاكية، روى القراءة عن ابن جبير[١٠]. ومحمد بن العباس بن شعبة، أبو عبد الله الأنطاكي (ق٣هـ/ ٩م)، وهو إمام جامع أنطاكية، أخذ القراءة عن ابن جبير وهو من كبار أصحابه[١١]، ومحمد بن علان الأنطاكي (ق٣هـ/ ٩م) أخذ القراءة عن ابن جبير[١٢]، والمقرئ عبد الرزاق بن الحسن بن عبد الرزاق الأنطاكي الوراق (ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) روى الحروف عن أحمد بن جبير وقرأ عليه جماعة[١٣]. وأيضاً ابنه المقرئ إبراهيم بن عبد الرزاق أبو إسحاق الأزدي ويقال العجلي الأنطاكي الفقيه (ت ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) قرأ القرآن بدمشق على هارون بن موسى بن شريك الأخفش وقرأ على عثمان بن خرزاذ وغيرهما، وصنف كتاباً يشتمل على القراءات الثمان، وهو محدث راو للحديث النبوي الشريف، ومات بأنطاكية[١٤]. ومحمد بن مخلد الأنصاري الأنطاكي

(١) النديم، الفهرست ج١، ق١، ٢١٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦
(٢) النديم، الفهرست ج١، ق١ ص ٩٦، ٢١٦، ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٠١
(٣) النديم، الفهرست ج١، ق١ ص ٩٥، ٢١٦، ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٠١
(٤) النديم، الفهرست ج١، ق١ ص ٩١، ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٠١
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٦
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٢٨، ج٦، ص ٢٣، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ١٦
(٧) ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٢٦١
(٨) ابن الجزري، المصدر نفسه ج١، ص ٦١٤
(٩) ابن الجزري، المصدر نفسه ج١، ص ٣٢٩
(١٠) ابن الجزري، المصدر نفسه ج١، ص ٥٨٦
(١١) ابن الجزري، المصدر نفسه ج٢، ص ١٥٨
(١٢) ابن الجزري، المصدر نفسه ج٢، ص ١٩٧
(١٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٧٦، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٣٨٤
(١٤) ابن عساكر، تاريخ ج ٧، ص ٤٠ ــ ٤٢، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ١٦

(ت بعد ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، إمام ومقرئ[١]، والمقرئ عمر بن سعيد بن أحمد بن سعد بن سنان، أبو بكر الطائي المنبجي (ت بعد ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، قرأ على الوليد بن عتبة الأشجعي المقرئ الدمشقي (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، والأشجعي هو أحد القراء الثلاثة بدمشق الذين يحكمون القراءة الشامية العثمانية (أي قراءة ابن عامر) ويضبطونها، وقرأ عليه الحروف أيضاً فضل بن محمد الأنطاكي[٢]. وإضافة للإقراء فقد كان المنبجي محدثاً روى عنه الطبراني، ووصف بأنه أقام ٨٠ سنة غازياً مرابطاً في سبيل الله[٣]. والمقرئ المحدث حامد بن يحيى بن هانئ البلخي (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) نزيل طرسوس، وتقدم ذكره في المحدثين[٤]، وعبد الرحمن بن عبد الله أبو مسلم الطرسوسي الحداد إمام جامع طرسوس (ق ٣هـ/ ٩م) روى الحروف سماعاً عن حامد بن يحيى بن هانئ البلخي[٥]، والإمام الحسين بن إبراهيم بن عامر بن أبي عجرم، أبو عيسى الأنطاكي المقرئ (ت بعد ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، قرأ على أحمد بن جبير الأنطاكي المقرئ، وقرأ عليه عبد الله بن اليسع الأنطاكي وعلي بن الحسين الغضائري[٦]. والمقرئ موسى بن جرير، أبو عمران الرقي النحوي الضرير (ت نحو ٣١٦هـ/ ٩٢٨م) وكانت متقدماً في علم النحو والقراءات بالرقة، ثم قدم إلى حلب بعد سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، وقرأ عليه أبو القاسم عبد الله بن اليسع الأنطاكي[٧]. والمقرئ أحمد بن حفص الخشاب المصيصي (لعله من ق ٣هـ/ ٩م)، قرأ على السوسي وروى عنه القراءة أحمد بن يعقوب التائب الأنطاكي وإبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي[٨]، وأحمد بن يعقوب التائب المقرئ المحقق أبو الطيب الأنطاكي (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، له كتاب في القراءات السبع، وهو إمام وعالم ولغوي، ونعت بأنه كان إمام أهل الشام في زمانه في القراءة، وذكر التائب في كتابه أنه أدرك أحمد بن جبير وسنه نحو العشرين ولم يقرأ عليه[٩]. وجعفر بن سليمان أبو أحمد المشحلاتي الحلبي (ت بعد ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، سمع الحروف من أبي شعيب السوسي[١٠]. والمقرئ نظيف بن عبد الله أبو الحسن الحلبي (ت بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، من جلة المقرئين وكبارهم[١١]. والفقيه المقرئ علي بن محمد بن إسماعيل

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية ج٢، ص ٢٦١
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٦٠
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٥، ص ٦١، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٨٨
(٤) ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٢٠٢
(٥) ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٣٧٢
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٩٣٧، ج٧، ص ٣٨٥، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٢٣٧
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ١٦٧
(٨) ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٥١
(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٦٠٠، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ١٥١
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٦٠٣
(١١) الذهبي، المصدر نفسه ج٧، ص ٩١٦، ابن الجزري، غاية النهاية ج٢، ص ٣٤١

الأنطاكي (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) مولده بأنطاكية سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م ورحل إلى الأندلس وسكنها، وكان مقرئاً وفقيهاً وعالماً بالعربية والحساب[١].

ويلفت النظر أن أغلب المقرئين في جند قنسرين هم من أنطاكية أو ممن نزلوا فيها، بما يشي بالمكانة التي تبوأتها هذه المدينة في علم القراءات وروايته وتدريسه، وتتبعت دراسة حسين عطوان "القراءات القرآنية في بلاد الشام" بحثاً عن تفسير لهذه الظاهرة فلم أجد عنده ذكراً لمقرئي الجند سوى إشارة قصيرة للقاسم بن سلام![٢]، ولم أصل إلى تفسير هذه الملاحظة، إلا أن تكون مرتبطة بجهود شيخ الإقراء فيها الإمام أحمد بن جبير الأنطاكي (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م) الذي تعلم وقرأ عليه أغلب المقرئين في الجند.

ج. المتصوفة والزهاد والعباد

وهم ممن آثروا الانقطاع للعبادة والجهاد في سبيل الله وحماية الثغور، والإعراض عن الحياة الدنيا وملاذها من جاه ومال إلى التقشف والتنسك والعيش في ظروف خشنة صعبة، ولبس الملابس الخشنة كالصوف ـــ وبه سمي المتصوفة ـــ وأكل القليل المباح[٣].

وكان وجود الصوفية في مدن الجند الداخلية قليلاً ولم يظهر بوضوح قبل مطلع القرن الرابع الهجري، فكان منهم بحلب المتصوف والمحدث علي بن عبد الحميد الغضائري (ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، الذي نزل بحلب وإليه ينسب أقدم جوامعها (جامع الغضائري) الذي يرجع تاريخ تأسيسه لأيام فتح حلب. والغضائري هو أحد الأولياء الصالحين من أصحاب المتصوف السري السقطي (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، ويذكر بأنه حج ماشياً على قدميه أربعين حجة[٤]، والزاهد سعيد بن عبد العزيز بن مروان، أبو عثمان الحلبي (ت ٣١٨هـ/ ٩٣٠م) وهو محدث من جلة علماء الشام ومشايخهم الصالحين، صحب سرياً السقطي (٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، ونزل دمشق[٥]، كما تواجد الزهاد والمتصوفة في جبل اللكام[٦]؛ لكثرة ما فيه من الفواكه المباحة التي لا مالك لها فصارت مسكناً للعباد والزهاد يقتاتون منه[٧]، فكان الزهاد إضافة إلى الرهبان في أديرتهم يعمرون نواحيه، وقد وصف ابن بطلان

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٣، ص ١٥٤ ـــ ١٥٥، ابن الجزري، غاية النهاية ج١، ص ٥٦٤ ـــ ٥٦٥، المقري، نفح الطيب ج٣، ص ١٤٤

(٢) عطوان، القراءات القرآنية ص ٦٦، ودراسته تختص بالعصر الأموي وإن لم يتضمن العنوان ذلك.

(٣) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ٢٦١ ـــ ٢٦٢

(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٦٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ٢١٤

(٥) ابن عساكر، تاريخ ج٢١، ص١٩١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص٣٤٠، الصفدي، الوافي بالوفيات ج١٥، ص ٢٣٨

(٦) الآبي، نثر الدر ج٥، ص ٢٨١

(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٣٩

كثرة ما في جبل اللكام المطل على أنطاكية من "الزهاد والسياح وضرب النواقيس في الأسحار وألحان الصلوات ما يتصور الإنسان أنه في الجنة"[١]، وتواجد الرهبان والعباد في حصن صَرْفَد على الجبل الأسود من نواحي دربساك[٢].

أما في الثغور ــ خصوصاً الشامية ــ فقد شكلت كثرة وجودهم فيها ظاهرة مميزة له عن بقية أجناد الشام، لارتباطها بجهاد العدو؛ فقد رابَطَ الصالحون بالمصيصة منذ القدم[٣]. وأقام في حصن المثقب الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز قومٌ من ولد عبد شمس، "اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب وكان لهم ما يقوتهم من المباح"[٤]. وكانت طرسوس موطناً للصالحين والعباد والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين، وفيها يقوم سوق الجهاد، فقصدها الغزاة من سائر البلاد[٥]. وسكن بحصن أولاس في أقصى غرب الثغور على ساحل البحر قوم متعبّدون[٦] حتى سمي بحصن الزُّهَّاد[٧]، ووصفهم ابن حوقل بأن "فيهم خشونة في ذات الله"[٨]، أي لا يدارون أحداً أو يسايرونه إذا ما تعلق الأمر بحق من حقوق الله على العباد.

وإضافة للرغبة في الجهاد وملازمة العلماء بالثغور، فثمة دوافع أخرى تمثلت فيما ورد من أحاديث وروايات عن فضل بلاد الشام المباركة، وفضل الإقامة والرباط فيها[٩]، فمن حديث عن أبي الدرداء مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد"[١٠]. وقد بلغت الرغبة لدى العباد والزهاد للمقام في الثغور مبلغاً كبيراً، فقد نُقل عن الإمام أحمد بن حرب النيسابوري الزاهد (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) قوله: "المقام

(١) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٣٨
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٥
(٦) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٨
(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤
(٩) السيد، رضوان، المدرسة التاريخية الشامية وعلاقتها بالحديث والآثار في القرنين الثالث والرابع للهجرة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: بلاد الشام في العصر العباسي، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢م، ص ٦٦، وقد أفرد ابن عساكر عدة أبواب في تاريخه فيما ورد عن الشام من الملاحم في الزمن القديم وفضل مساجدها المقصودة بالزيارة ومن حل بها من الأنبياء والأولياء والصالحين. انظر: ابن عساكر، تاريخ ج٢، ص ٢١٠ــ، ٣٢٣ ــ ، ٤١٠ــ.
(١٠) ابن عساكر، المصدر نفسه ج١، ص ٢٨٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٥

بطرسوس في وقتنا هذا أحب إلي من الجوار بمكة"[١]. كما دفع الفقهاء والعلماء المقيمين بالثغور في اتجاه سكناها، وحثوا تلامذتهم على ارتياد الثغور، يقول أحد الصالحين[٢]:

قُلْ لمن أظهر التصوف في النـــ ـــاس وأمسى يُعَدُّ في الزُّهَّادِ

إلــــزَمِ الثَّــغْرَ والتــواضــعَ فـــيه ليــــــس بـــــغدادُ منــزلَ العُبَّادِ

ووجه عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) نصيحة للشباب ــ خاصة العزاب منهم ــ يحثهم فيها على التوجه إلى الثغور، وكان ابن المبارك ممن أقام بطرسوس زمناً، قال:

إنّي أشير على العُزّاب إن قبلوا بأن يكون لهـــم مثــوى بطرسُوس

الـــدار واسـعة بالأهل رافـقةٌ غيظ الـعدو وأجـر غيـر محسوس

قـوم إذا نابـــهم في الحـــرب نائبةٌ حلّوا الرباط فــلم يُلووا على كُوس[٣]

وجاء أيضاً رجل إلى عبد الله بن المبارك وقال له: أريد أن أسكن الثغر. قال: أُسكن أنطاكية، قال أريد أن أتقدم، قال ابن المبارك: أتريد أن تكون في الطلائع؟ فعليك بطرسوس[٤].

وعلى ذلك فقد أقام بالثغور كثير من الصلحاء والزهاد، منهم من طبقة الصوفية الأوائل الزاهد إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي (ت ١٦١هـ/ ٧٧٨م) وكان مولده ببلخ وانتقل إلى الشام فأقام بالثغور[٥]، في المصِّيصة بحصن ثابت[٦]، ثم انتقل عنها إلى طرسوس[٧]، وكان ابن أدهم ــ كغيره من الزهاد ــ يردد الغزو لبلاد الروم، وكان يفضل الغزو على قدميه فلا يركب فرساً[٨]، وتوفي في الثغور ودفن في حصن على ساحل البحر يسمى سوقين (كذا)[٩]. وأقام بالمصيصة الفقيه المحدث عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) الذي قدم طرسوس فأقام بها وبالمصيصة غازياً عدة سنين[١٠]، وهو وإن لم يظهر زهده وتصوفه إلا أنه لازم المتصوفة وجالسهم، ومات بهيت بعد

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٠٢

(٢) ابن الفقيه، البلدان ص ٣٦٠، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٦٤

(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٠٣، ولم ترد الأبيات في مجموع شعره المطبوع.

(٤) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٤

(٥) السلمي، محمد بن الحسين الأزدي (ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م)، طبقات الصوفية، (تحقيق) نور الدين شريبة، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٧، وسيشار له فيما بعد: السلمي، طبقات الصوفية، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٣١، ٣٢، وأرخ وفاته سنة ١٤٠هـ.

(٦) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٥

(٧) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٢٨٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٨٩، ٢٩٥

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٩٦

(٩) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٣٤٩

(١٠) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٩ ــ ٨٩٩

منصرَفه من طرسوس(١). وكان يرافقه في إقامته بطرسوس والثغور جماعة من تلامذته وأصحابه منهم: المعتمر بن سليمان التيمي (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) وعبد الله بن سنان الهروي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) وعبدة بن سليمان المروزي (ت نحو ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م) ورافقوه في غزو الروم(٢). وأقام بالمصيصة أيضاً الزاهد يوسف بن أسباط (ت ١٩٥هـ/ ٨١١م)(٣)، وكان مرابطاً بالثغور الشامية(٤)، وتحول للسكنى في قرية بين حلب وأنطاكية(٥).

ومن الصوفية الذين أقاموا بالثغور اليمان أبو معاوية الأسود، وهو من كبار الأولياء في القرن الثاني الهجري، وأحد أصحاب سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٨م)، غزا وأقام بالثغور في مدينة طرسوس حتى وفاته فدفن بها، وظل قبره يزار من قبل المقيمين وزوار الثغور(٦). وقد لازمه وأقام معه خادمه نصير بن الفرج، أبو حمزة الأسلمي الثغري (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) خادم الزاهد، وهو محدث وراو وثقه النسائي، وروى عنه أبو داود والنسائي وأبو زرعة وغيرهم(٧)، ويذكر الأزدي أحد الموصليين الذين آثروا المقام بالثغر وسماه: "هِدَان (من موالي بني عمرو بن مالك)، كان بالموصل وكان فاتكاً (أي خليعاً وشريراً) ثم نزع ومضى إلى طرسوس فتنسك ومات هناك"(٨)، ولم يذكر الأزدي زمن وفاته ولعله من أهل القرن الثاني الهجري.

وفي القرن الثالث الهجري تقابلنا أسماء العديد من الزهاد والمتصوفة المنقطعين بالثغور، منهم: مخلد بن الحسين الذي تقدم ذكره ضمن المحدثين(٩)، ومحمد بن يوسف بن معدان، أبو عبد الله الأصبهاني الزاهد (ت نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٦م)، ولقَّبه ابن المبارك بـــ (عروس الزهاد)، ورابط في المصيصة مدة، وكان يذهب للحج ويعود للثغر(١٠). وسعيد بن يزيد النباجي أبو عبد الله زاهد متعبد من أهل القرن الثاني الهجري(١١)، والحارث بن عطية البصري (ت ١٩٩هـ/ ٨١٥م) نزيل

---

(١) المسعودي، مروج ج٤، ص١٩٩
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٨٩
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٣، ٥٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٦ وفيه: وفاته سنة ١٩٩هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ١٦٩
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٢٥٥
(٥) العجلي، تاريخ الثقات ص ٤٨٥
(٦) الطرسوسي، سير الثغور ص ٤٣، ٥٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٢٦٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ٧٨، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٠٠
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٦٧
(٨) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٩٣
(٩) العجلي، تاريخ الثقات ص ٤٢٢، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ١٣٦
(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٩٦٨ ــ ٩٦٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ١٢٥
(١١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج١٠، ص ٤٠٢، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠

المصيصة، وكان من الزهاد المذكورين[١]. والزاهد العارف علي بن بكار أبو الحسن البصري (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) نزيل المصيصة والثغور، صحب إبراهيم بن أدهم مدة، وكان ابن بكار فارساً مجاهداً في سبيل الله، مرابطاً بالثغور[٢]. وأيضاً علي بن بكار بن هارون، أبو الحسن المصيصي (ت بعد ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) الملقب بالصغير تمييزاً له عن سلفه [٣].

وأقام بمرعش جماعة من أهل العلم والعبادة منهم المتصوف العابد حذيفة بن قتادة المرعشي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وهو أحد الأولياء الصالحين من أصحاب سفيان الثوري[٤]. وينسب لأنطاكية الزاهد عبد الله بن السري الأنطاكي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) كان من أهل المدائن[٥]. والزاهد خلف بن تميم بن أبي عتاب مالك أبو عبد الرحمن الدارمي البجلي الكوفي، نزيل المصيصة (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وهو عالم ومحدث وأحد النساك والمجاهدين، صحب إبراهيم بن أدهم[٦]، ونزل المصيصة وطاف بالشام[٧]، وكانت وفاته بالمصيصة في خلافة المأمون، وقيل توفي بدمشق[٨]. وأحمد بن عاصم الأنطاكي، أبو عبد الله الزاهد الواعظ (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، كتب العلم وروى الحديث، وسكن دمشق، وكان صاحب مواعظ وزهد[٩]. وعبد الكبير بن المعافى بن عمران الأزدي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، الذي سبق ذكره مع المحدثين، وكان قد خرج من الموصل إلى أذنة والمصيصة منقطعاً للعبادة[١٠] ومات في المصيصة[١١]، وجعفر بن إدريس الموصلي الزاهد (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م) وهو محدث وأحد الأمارين بالمعروف، استشهد في وقعة الروم بسميساط سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م[١٢]، وكان مقيماً بسميساط وهي من الثغور الجزرية وخرج منها جماعة من العلماء[١٣]. والوقعة المشار إليها كانت عند هجوم الروم على زبطرة والتي على أثرها قام المعتصم بغزو الروم

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٤٥

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩٠، وأرخ وفاته سنة ٢٠٨هـ، الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٣، ٥٥، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج٩، ص ٣١٧ ــ ٣٢٢، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٢٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ٥٨٤

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١١٨٤

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٣٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ٢٨٣

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٤٤

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٧، ص ٤٩١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٨

(٧) ابن عساكر، تاريخ ج١٧، ص ٣

(٨) ابن عساكر، المصدر نفسه ج١٧، ص ١٠

(٩) السلمي، طبقات الصوفية ص ١٣٧، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٥٠٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٤٨٧

(١٠) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٨٢

(١١) الأزدي، المصدر نفسه ص ٤٢٣

(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٥٤٩

(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٧

وفتح عمورية سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، وقد استشهد في هذه الوقعة أيضاً الزاهد محمد بن علي بن أبي خداش، أبو هاشم الأسدي الموصلي العابد (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م) الذي رحل في طلب العلم، وكان صالحاً زاهداً مجاهداً[١]. وكان بالمصيصة من الزهاد محمد بن حاتم بن يونس، أبو جعفر الجرجرائي ثم المصيصي العابد المعروف بـــ "حبِّي"، (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)[٢]. والإمام علي بن عثام بن علي أبو الحسن الكلابي العامري الكوفي، نزيل نيسابور (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م) وهو أديب وفقيه حافظ زاهد، كان مقيماً بنيسابور ثم خرج منها سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م فحج وذهب إلى طرسوس فسكنها حتى وفاته[٣]. وأبو يوسف الغُسُولي الزاهد، نزيل طرسوس (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، رأى إبراهيم بن أدهم ولقي كبار الصالحين، وتوفي بطرسوس[٤]. وعبد الله بن خبيق الأنطاكي الزاهد (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)، صاحب يوسف بن أسباط المرابط بالثغور، من زهاد الصوفية الورعين في جميع أحواله[٥]، وهو محدث وله كلام حسن في التصوف والمعاملة[٦]، والزاهد محمد بن إبراهيم، أبو حمزة البغدادي الصوفي (ت نحو ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) طاف في البلاد وأقام بطرسوس وقدم منها إلى بغداد فاجتمع عليه النساك[٧].

ونسب لأولاس الفيض بن الخضر بن أحمد، أبو الحارث الأولاسي الزاهد (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) وهو من مشايخ الطريق وأحد الأولياء والزهاد المشهورين، ونزل طرسوس ومات بها[٨]. وكان حصن أولاس هو آخر ما في يد المسلمين بعد طرسوس. وأقام بهذ الحصن أيضاً الزاهد إبراهيم بن سعد العلوي الحسني (ق ٣هـ/ ٩م) وهو أحد شيوخ الصوفية وزهادهم، انتقل من بغداد إلى الثغور فاستوطنها، حكى عنه أبو الحارث الأولاسي[٩]. وترجم له ابن عساكر ترجمة طويلة وأورد له عجائب وكرامات عديدة منها أنه كان يصلي على الماء بساحل البحر أو يمشي عليه فلا تغوص قدماه![١٠].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٨١
(٢) الذهبي، المصدر نفسه ج٥، ص ٦٦٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص ٤٥١
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٣٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٥٦٩
(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٧٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٦٥٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٠
(٥) الربعي، تاريخ مولد العلماء ص ٢٣٨، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج١٠، ص ١٦٨، السلمي، طبقات الصوفية ص ١٤١، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٨٠
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٢٥٥، ج٦، ص ١٠٢
(٧) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٤٦٣
(٨) ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٨١ــ ٢٨٢، ابن عساكر، تاريخ ج٤٩، ص ٢٤ ــ ٣١، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٥٩، وفيه بالمعجمة: "الأولاشي"، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ١٧١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٤١، ٦٤٦، ٩٩٨
(٩) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٤٠١ ــ ٤٠٣
(١٠) ابن عساكر، المصدر نفسه ج ٦، ص ٤٠١ ــ ٤٠٧

وممن أقام بطرسوس من زهاد القرن الثالث الهجري: داود بن محمد أبي صالح الخياط الكرجي (ق ٣هـ/ ٩م)(١)، وأبو أحمد الزاهد الذي روى بأذنة عن أبي أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي(٢). وبالمصيصة ابن بنت علي بن بكار المصيصي الزاهد ــ المتقدم الذكر ــ وحفيده هذا كان محدثاً حكى عن جده علي بن بكار وروى عنه محمد بن عيسى الطباع(٣).

وفي مطلع القرن الرابع الهجري لا يرد ذكر الزهاد ــ باستثناء واحد ــ تلازماً مع ما آل إليه أمر الثغور من الضعف وقلة عناية الولاة به، وآخر من بقي من الزهاد هو عباد بن عبد الله أبو الخير الأقطع التيناتي (ت نحو ٣٤١هـ/ ٩٥٢م) نسبة لحصن التينات قرب المصيصة، وقيل إن أصله من المغرب، وكان من أعيان الصالحين ويعتقد الناس بكراماته، ويبدو أنه هجر الثغور في أواخر القرن الثالث الهجري إذ يرد بأن ثغور الشام كانت محروسة في أيامه ــ ببركته ــ فلما غادرها وسكن جبل لبنان صحبة أبي عبد الله بن الجلاء اختل أمرها(٤)، وكان ابنه عيسى بن أبي الخير التيناتي أيضاً من الصالحين أخذ عن أبيه وحكى عنه الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي وأبو بكر أحمد بن موسى بن عمار القرشي الأنطاكي القاضي(٥).

ويلاحظ أن أغلب المتصوفة الذين مر ذكرهم ليسوا من العامة، بل كانوا من طبقة العلماء والمحدثين، وبالتالي فقد كانت لهم جهود علمية ومساهمة واضحة في تطور الحياة العلمية في الثغور، إنما وقع إفرادهم لتمييزهم عن بقية المحدثين الذين لم يتخذوا مسلك التصوف. ولا يقتصر عدد المتصوفة في الثغور على الأسماء التي تقدم ذكرها، بل يلحق بهم كثير ممن أغفلت المصادر ذكرهم لعدم شهرتهم أو لعدم روايتهم للحديث فلم تدون اسماؤهم في كتب الرجال(٦)، ويضاف إليهم أيضاً أعداد ــ أقدِّر أنها كثيرة ــ من المريدين والتلاميذ الذين يرافقون شيوخ الطرق والمتصوفة ويلازمونهم ويعملون على خدمتهم، يُذكر أنه لما قدم ابن المبارك من بغداد إلى المصيصة كان يرافقه جماعة من الصوفية(٧)، بما يدل على أن الزهاد والمتصوفة ومريديهم كانوا يشكلون شريحة كبيرة من سكان الثغور.

---

(١) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٩
(٢) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٩
(٣) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٧٠٨
(٤) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج١٠، ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨، السلمي، طبقات الصوفية ص ٣٧٠ ــ ٣٧٢، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٥، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٦٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٩١٧ ــ ٩١٩
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٧، ص ٢٩٦، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٦٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٩١٩
(٦) عدد ابن الجوزي جماعة من العباد والزهاد المقيمين بالثغور ممن جهلت أسمائهم ولم تعرف. انظر: صفة الصفوة ج٤، ص ٢٨٥ ــ ٢٩٢
(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٩٠

ولم يظهر بين أسماء المتصوفة والزهاد المقيمين بالثغور مَن هو من أصل شامي، بالرغم مما يقوله الإمام الحافظ أبو زرعة (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م): "لو كانت لي صحة بدنٍ على ما أريد كنت أتصدق بمالي كله، وأخرج إلى الثغر وآكل من المباحات وألزمها"(١). وهذا لا يعني خلو أجناد الشام ممن سلك مسلك التصوف، بل كان يقيم بالشام في القرن الثالث الهجري أحد أقطاب التصوف وهو أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)(٢).

وكتب أحد العلماء المقيمين بطرسوس واسمه القاسم بن أبي داوود الطرسوسي ــ وأصله من سجستان ــ أرجوزة عند ارتحاله عنها سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م يتشوق إليها ويذكر أوضاع المجاهدين فيها ونمط حياتهم وما هم عليه من علم وغزو، وخص الزهاد بجانب منها؛ فهم أناس يعيشون على البساطة ويقضون نهارهم صائمين، ويمضون الليل في العبادة والتهجد وقراءة القرآن، ويغزون الروم أملاً في الشهادة. وقد أورد أبو عمرو الطرسوسي الأرجوزة في كتابه سير الثغور(٣). وهي قريبة من الصورة التي رسمها عبد الله بن المبارك بقوله:

إذا ما الليلُ أظلمَ كابدوه ... فيُسفرُ عنهم وهم ركوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ(٤)

د. الأدباء والشعراء

يمكن ملاحظة العلاقة بين السياسة والأدب في حالة الشام، فعندما كانت دمشق عاصمة الدولة في عهد بني أمية، كانت الحركة الأدبية مزدهرة فيها، وكانت دمشق تزخر بالأدباء والشعراء والمتكسبين بأدبهم، وبانتقالها إلى العراق انتقل ذلك كله إلى بغداد، وظهرت بوادر الضعف في الحياة الأدبية والشعرية، ليس من ناحية المضمون والأغراض بل من ناحية الحضور والتواجد الذي استقطبته العاصمة الجديدة، ثم عادت قوية ثانية إلى الشام منذ الثلث الأول من القرن الرابع الهجري مع قيام دولة بني حمدان، فالكيان السياسي يجتذب إلى جانبه طبقة المثقفين من شعراء وأدباء ومن يجري مجراهم، سواء من أهل القلم العاملين في الدولة أو الشعراء المتكسبين من شعرهم. وهذا مؤدى ما استنبطه ابن خلدون قياساً على حال بني أمية وبني العباس وغيرهم من الدول، فباختيارهم للأنبار ثم بغداد عوضاً عن دمشق والشام "بعُد مكانُ كرسيهم عن مكان الكرسيّ الأوّل، فتَهْوي أفئدةُ الناس إليه من أجل الدولة والسلطان. فينتقلُ إليه العُمران ويَخِفُّ من مصر الكرسي الأول؛

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه ج٦، ص ٣٦٥
(٢) السلمي، طبقات الصوفية ص ١٧٦
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٧٠ ــ ٧١
(٤) ابن المبارك، ديوانه ص ٥٤

والحضارةُ إنما هي بوفور العُمران، فتنقصُ حَضارتُه وتمدُّنُه، وهو معنى اختلاله، وهذا كما وقعَ لبني العباس في العُدول عن دمشقَ إلى بغداد. وبالجُمْلة، فاتخاذ الدولة الكرسيَّ في مصر يُخِلّ بعُمران الكرسي الأول"[١].

وبالرغم من ذلك، فقد شهد جند قنسرين حركة أدبية يمكن تلمسها من خلال بعض النصوص والمقطوعات الشعرية والنثرية التي وصلتنا، كما أدى قرب جند قنسرين من الرقة ــ التي كانت بمثابة عاصمة ثانية لخلفاء بني العباس ــ إلى نشوء حركة تنقل بين الجند والرقة لمدح الخلفاء والأمراء الذين نزلوها أو أقاموا بها، وربطت بين أدباء وشعراء الجند صداقات وكيدة بنظرائهم المقيمين بالرقة تمثلت في مجالسهم ومراسلاتهم الأدبية[٢].

فمن الشعراء في جند قنسرين: الشاعر حجوة بن مدرك الغساني، أصله من الكوفة وسكن دمشق، وكان يتواجد بمنبج ويتردد عليها، وكانت له أشعار في فتنة أبي الهيذام (سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، وله رواية في الحديث؛ روى عن جماعة، وروى عنه آخرون عددهم ابن عساكر[٣]. كما كانت للشيخ المحدث مخلد بن الحسين (١٩١هـ/ ٨٠٧م) نزيل المصيصة عناية بنظم الشعر[٤].

وذكر الحميري شاعراً اسمه عُكاشة بن عبد الصمد العمي (ت بعد ٢٠٠هـ/ ٨١٦م) ونسبه إلى بلدة عم الواقعة بين حلب وأنطاكية[٥]، بينما نسبه الأصفهاني والسمعاني إلى قومه بني العم بالبصرة وليس لبلدة عم في جند قنسرين[٦]، وقول الأصفهاني هو الأظهر ومقدم على قول صاحب الروض المعطار، وعلى كلا الحالين فقد كان مقام الشاعر بالبصرة وبغداد، ولم يتصل بالشام.

ويرد ذكر شاعر حلبي اسمه ابن أبي موسى، كان في عهد البرامكة، أورد له الكرماني أربعة أبيات يمدح فيها عامل الشام للرشيد[٧].

وإضافة لمكانة الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) الفقهية والعلمية وقربه من الزهاد، فقد كانت له مساهمة أدبية من خلال مواعظه وحكمه وأشعاره الكثيرة التي وظفها للدعوة إلى الزهد في الدنيا والحث على ملازمة الثغور والجهاد في سبيل الله، وعاب على مَن تنسك ولزم

(١) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ٦٢ ــ ٦٣
(٢) الصنوبري، ديوانه ص ٢٢٦، ٣٢١، ٣٤٣، ٣٤٦
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ١٢، ص ٢٣٥
(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٦
(٥) الحميري، الروض ص ٤١٢
(٦) الأصفهاني، الأغاني ج٣، ص ١٨٠، السمعاني، الأنساب ج٩، ص ٣٧٩
(٧) الكرماني، أخبار البرامكة ص ١٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٧٠٦

مواضع أخرى غير الثغور حتى ولو كان بمكة، بل قدم الجهاد على العبادات[١]؛ فقد أرسل برسالة شعرية من طرسوس سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م إلى الفضيل بن عياض المجاور والمعتكف بمكة، منها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا — لعلمت أنك في العبادة تلعب
مَن كان يخضب جيده بدموعه — فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل — فخيولنا يوم الصبيحة تتعب[٢]

وأشعار ابن المبارك وحكمه ومواعظه كثيرة تحتفظ بها كتب الأدب والمواعظ، وتكشف عن حس أدبي بالغ عنده، وقد تقدم ذكر نماذج من شعره يدعو فيه الشبان للقدوم إلى الثغور.

ومثله الزاهد الواعظ أحمد بن عاصم الأنطاكي (ت بعد ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وكانت له عناية بنظم الشعر، وأورد له أبو نعيم الأصبهاني قصيدة طويلة من شعره[٣].

وكانت لنصر بن شَبَث (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) مساهمة شعرية، وتضمنت المصادر التي تعرضت لخبر ثورته بعض الأبيات الشعرية التي يحث فيها أصحابه على الجد[٤] إضافة إلى تلك الأبيات التي تبادلها مع طاهر بن الحسين الذي تصدى له، وهي أبيات تدل على ملكة شعرية متمكنة، مضامينها التحدي والاعتزاز بنفسه وقومه وتحديه للسلطة، وقد حاول طاهر بن الحسين ترهيبه عندما خاطبه معرفاً بمنزلته في الدولة وقال:

ملكت الناس قسراً واقدارا — وقتّلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو — إلى المأمون تبتدر ابتدارا

فأجابه نصر بن شَبَث:

أتيت بكذبة ونطقت زورا — ولم تحذر[٥] وقائعي الكبارا
وهيجت العَفَرْنى في عرين — وفقت الأسد قسراً واقتدارا

ثم أرسل له أبياتاً أخرى:

إذا ظلمت حكامنا وولاتنا — خصمناهم بالمرهفات الصوارم
سيوف تخال الموت حدّها — مشطبة تفري رؤوس الجماجم

---

(١) انظر للمزيد: ضيف، العصر العباسي الأول ص ٤٠٢ ــ ٤٠٦
(٢) ابن المبارك، ديوانه ص ٤١، ابن عساكر، تاريخ ج٣٢، ص ٤٤٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٣٦٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص ١٠٣
(٣) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ج٩، ص ٢٩٦ ــ ٢٩٧
(٤) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٤١
(٥) كذا في المطبوع ولعل الأوجه: تحضر

ويقول أيضاً معرفاً بنفسه:

إنّي غُـــلامٌ قد خـــرجتُ من مُضَر أضربُ بالسَّيف إذا الرُّمح انْكسر [١]

وكان أحد شركاء نصر وقادته الأشداء[٢] في ثورته شاعر أيضاً وهو عمرو بن عبد العزيز السُّلمي ولم يصل من شعره سوى مقطوعات تتعلق بثورته وخروجه على المأمون واكتفى ابن الجراح بالقول "صاحب: العصبية في فتنة محمد الأمين على مثل ما كان خرج عليه أبو الهيذام". أما المتبقي من أشعاره فتحمل نفس الروح التي حملتها أبيات نصر من الاعتزاز بنفسه وقومه "بني سليم" ونزعة التحدي والاستبسال في الثورة[٣].

ويبدو أن الشاعر عوف بن مُحلَّم الخزاعي أبو المنهال (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) ــ وهو من أهل حران ــ كان متواجداً بجند قنسرين طيلة ولاية طاهر بن الحسين وابنه عبد الله من بعده، أي نحو إحدى عشرة سنة (١٩٩ ــ ٢١٠هـ/ ٨١٥ ــ ٨٢٥م)، لأنه ظل ملازماً لطاهر بن الحسين ثلاثين سنة، ولازم ابنه عبد الله من بعده لا يفارقه[٤]، وله فيهما مدائح كثيرة منها ما قاله في عبد الله بن طاهر يمدحه لما قضى على نصر بن شبث:

شكراً لربِّك يوم الحصن نعمته فقد حماك بعزّ النَّصر والظَّفَرِ

فاعرف لسيفك يوم الحصن وقعتَه فإنَّه السيفُ لم يَترُك ولم يَذَرِ

جللت من فتح كيسوم ــ فداك أبي ــ مثواك في الحفر بين الوَحل والمطرِ[٥]

وإضافة لأشعاره فقد كان ابن محلم عالماً أديباً صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام العرب[٦].

وكان بعض أفراد بني صالح العباسيين المقيمين بجند قنسرين شعراء، منهم يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (ت نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٦م) وهو شاعرٌ مقلّ، ذكره المرزباني ضمن مَن ترجم لهم من الشعراء[٧]، وتقدم في الفصل الثاني خبر خروجه على المأمون، واعتمدت على أشعاره في معرفة أسباب ثورته والهدف من ورائها، وهي أبيات يهجو فيها الرشيد والمأمون[٨].

ومن شعراء جند قنسرين: محمد بن صالح بن بَيْهَس القيسي الكلابي (ت بعد ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، أحد وجوه قيس وشجعانهم وشعرائهم، وهو الذي تصدى لثورة السفياني أبي العميطر

(١) ابن أعثم، الفتوح ج٨، ص ٣١٢ ــ ٣١٤
(٢) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٤٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٥٩
(٣) ابن الجراح، من اسمه عمرو من الشعراء ص ١٢٩
(٤) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢١٣٧
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٩٧، والبيت الأول عند الشابشتي، الديارات ص ١٣٥
(٦) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢١٣٧
(٧) المرزباني، معجم الشعراء ص ٥٠٥
(٨) المرزباني، المصدر نفسه ص ٥٠٥

ووردت أبيات وقصائد عديدة من شعره في أثناء حربه لأبي العميطر وأصحابه يهجوهم فيها ويثني على المأمون(١).

وذكر الآمدي أحد شعراء بني نفيل من بني عمرو بن كلاب وهو بشر بن الهذيل بن زفر الكلابي (ق ٢هـ/ ٨م)، ولم يورد شيئاً من أشعاره(٢)، وكان مسكن قومه بالقرب من خساف وناحية بالس (مسكنة)(٣).

ومن مشاهير شعراء جند قنسرين الشاعر كلثوم بن عمرو العتابي القنسريني (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) من بني تغلب، وكان مسكنه بقنسرين(٤)، وصفه المسعودي بأنه: "كان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجَوْدَة الخط وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره"(٥). وكان أحسن الناس اعتداداً في رسائله وشعره(٦)، يلبس الصوف ويظهر الزهد ولم يتزوج(٧)، وله من الكتب: كتاب المنطق، وكتاب الآداب وكتاب فنون الحكم، وكتاب الخيل، وكتاب الألفاظ(٨)، وكانت بينه وبين تلميذه وراويته الشاعر منصور بن الزبرقان النمري (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م) علاقة صحبة فوصله النمري بالرشيد ثم جرت بينهما وحشة حتى تهاجيا وسعى كل منهم بالآخر(٩).

والشاعر محمد بن عبد الملك بن صالح بن علي أبو الحسن الهاشمي (كان حياً ٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، شاعر أديب مشهور(١٠)، كان من جلة قومه الذين مدحهم أبو تمام والبحتري(١١)، وكانت بينه وبينهما مخاطبات، وكان يسكن بقنسرين، وأورد المرزباني والصفدي نماذج من شعره(١٢).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ ج٥٣، ص ٢٥٧، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ٢٥٥ــ ٢٦٤
(٢) الآمدي، الحسن بن بشر أبو القاسم (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، (تحقيق) ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م. ص ٦٠
(٣) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٦٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٤٨
(٤) النديم، الفهرست ج١، ق ٢ ص ٣٧٦، السمعاني، الأنساب ج٩، ص ٢١٦، ج١٠، ص ٤٩٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٤، ص ١٢٢
(٥) المسعودي، مروج ج٤، ص٣١٠
(٦) النديم، الفهرست ج١، ق ٢ ص ٣٧٦
(٧) السمعاني، الأنساب ج١٠، ص ٤٩٧
(٨) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٤٤
(٩) السمعاني، الأنساب ج١٠، ص ٤٩٧، وانظر: مردم بك، خليل، شعراء الشام في القرن الثالث، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ع٧، مج ٥، ١٩٢٥، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٨
(١٠) المرزباني، معجم الشعراء ٤٢٤، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٨٢، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٤، ص ٣٥
(١١) ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٣٦
(١٢) المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٢٤، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٤، ص ٣٥ ــ ٣٦

ومن الشعراء المتوكلية: محمد بن علي بن إبراهيم بن صالح بن علي الهاشمي الملقب بالحُماحمي (كان حياً ٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، وهو شاعر كان ينزل حلب[(١)]، ولم يكن في بني هاشم من هو أشعر منه في الغزل بعد إبراهيم بن المهدي والعباس بن الحسن العلوي[(٢)].

وأقام بحلب الشاعر أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)، وهو شاعر أديب من أهل بغداد، وكان أحد شعراء المتوكل وجلسائه فغضب عليه ونفاه إلى خراسان[(٣)] فأقام فيها مدة ثم رحل منها إلى حلب وسكنها، وخرج منها يريد الغزو فقتلته الأعراب بنواحي حلب في خساف سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م[(٤)].

وينتسب إلى منبج أحد رموز الشعر العربي في العصر العباسي، وهو الشاعر البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المنبجي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، ولد بمنبج سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م[(٥)]، وقيل بقرية من قراها تدعى حردفنة[(٦)]، ونشأ بمنبج، وله بها أملاك[(٧)]. ثم سار إلى العراق وجالس الأدباء، وأخذ عن أبي تمام الطائي[(٨)]، وعاش البحتري ٨٠ سنة، وكان قد انتقل في آخر عمره إلى الشام فتوفي بمدينته منبج، وقيل بحلب[(٩)].

وذكر ابن زولاق أحد شعراء بالس دون أن يصرح باسمه، ولقبّه بالبالسي الضرير (ق ٣هـ/ ٩م)، وأورد له أربعة أبيات يمدح فيها أحمد بن طولون لنصرته للمعتمد ضد أخيه الموفق[(١٠)].

ومن الشعراء المنسوبين لأنطاكية الشاعر عاصم بن محمد الأنطاكي أبو المعتصم، توفي قبل سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م[(١١)]، وهو شاعر مكثر مطيل، أورد له المرزباني ستة أبيات فقط[(١٢)]، وجمع

---

(١) ابن الجراح، الورقة ص ١٢٥، المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٣٦، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٤، ص ١١٤، وأوردت هذه المصادر مقطوعات من شعره.
(٢) ابن الجراح، الورقة ص ١٢٥
(٣) الأصفهاني، الأغاني ج١٠، ص ١٦٣ ــ ١٦٤
(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه ج١٠، ص ١٧٢، ١٨٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣، ص ٣٥٦
(٥) النديم، الفهرست ج١، ق ٢، ص ٥٢٩، ياقوت، معجم الأدباء ج٦، ص ٢٧٩٦، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٤٨
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٤٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٢١
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦
(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٤٤ ــ ٨٤٥
(٩) ياقوت، معجم الأدباء ج٦، ص ٢٧٩٨، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٤٠، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٤٨٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٦، ص ٨٤٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص ٤٨٧
(١٠) ابن زولاق، سيرة أحمد بن طولون ص ٢١٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١٠، ص ٤٧٥١
(١١) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص٥٤٠
(١٢) المرزباني، معجم الشعراء ص ٢٧٣

شعره أحمد بن الحلاب[١]، ويبدو أنه لم يقم خارج أنطاكية حيث يذكر الأصفهاني أنه سمع شعراً منه بأنطاكية[٢].

وذكر ياقوت انتساب عدد من أهل الأدب لمدينة بزاعة الواقعة شمال شرق حلب، أغلبهم من المتأخرين، وذكر منهم شاعراً من تنوخ لم نهتد لتحديد زمنه، اسمه: أبو خليفة يحيى بن خليفة بن علي بن عيسى بن عامر بن أحمد بن المحسن بن المغيث التنوخي البزاعي يعرف بابن الفرس، وذكر أن له شعر جيد، وأورد له بيتين من شعره[٣].

وأبرز شعراء الجند في العصر العباسي الثاني الشاعر أحمد بن محمد بن الحسن، أبو بكر الضبي الحلبي الصنوبري (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)[٤]، وهو شاعر حلبي مشهور، وجعله النديم من أهل أنطاكية[٥]، وصفه ابن عساكر بأنه شاعر محسن أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار، وترجم له ترجمة طويلة تضمنت نماذج من أشعاره[٦]. وديوانه يقع في ثلاثة مجلدات وصلنا الجزء الأخير منه فقط، وذكر النديم أن الصولي قام بجمع شعره في مئتي ورقة[٧]، وليس من مقاصد البحث تتبع الأغراض الشعرية التي أوردها ومضامينها، إنما الغاية استكشاف الحياة العلمية من خلال المتبقي من شعره، واتخاذه كنموذج لفن الشعر في جند قنسرين. وقد اتجهت عناية الصنوبري إلى وصف الورود والأزهار والرياض والأنهار والمياه، حتى غلبت على أشعاره، وساهمت طبيعة الجند ومكانته الزراعية في تطور مواضيع الشعر عنده، ويبدو أنه أول من أدخل هذا الضرب بعد أن كان التغني بالمكان مختصاً بالصحراء وما فيها من صعوبة العيش وقساوة الطبيعة، ومع ذلك فلم يُغفل الصنوبري بقية الأغراض الشعرية الأخرى كالمديح والهجاء والرثاء والغزل والاستعتاب وحتى المجون، وهو شاعر مرهف الحس يتمثل هذا في رثائه لابنته ليلى في أكثر من قصيدة[٨]، ورثائه لأمه الذي يعتبر أقدم رثاء للأم في الشعر العربي[٩].

وينتسب لأنطاكية أحد الشعراء والأدباء، وهو القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن

---

(١) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص ٥٤٠
(٢) الأصفهاني، الأغاني ج١٤، ص ٤١
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٠٩
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٦٧٦
(٥) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص٥٤٠
(٦) ابن عساكر، تاريخ ج ٥، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٦
(٧) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص٥٤٠
(٨) الصنوبري، ديوانه ص ٩٣ ــ ٩٨، ١٢٩، ٢٢٨ ــ ٢٢٩، ٣٤١
(٩) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣٧٥

فَهْم التّنُوخي الأنطاكي (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م)، مولده بأنطاكية سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م[١]، وكان سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م صبياً يدرس في كتابها[٢]، وقدم بغداد في حداثته سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م[٣]، وقيل البصرة[٤]، وتولى القضاء في عدد من المدن: قضاء الأهواز وواسط والكوفة والثغور الشامية وعدة نواح، وينقل المحسن التنوخي (ابن المترجم له) عن أبيه قوله: "كان أول شيء قلدته القضاء بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري وذلك في شهور سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م"[٥]. فيكون توليه لقضاء الثغور بعد سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م بسنوات، كما يورد ابنه المحسن التنوخي حكاية عن أبيه يذكر فيها إقامته بجبل اللكام دون أن يحدد تاريخه[٦]. وكان في سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م مقيماً بالبصرة يعمل بريدياً في جملة البريديين[٧]. وقد تعددت معارفه فكان حافظاً للحديث[٨]؛ يحفظ أكثر من عشرين ألف حديث[٩]، عالماً بالفقه والفرائض والشروط وعلم الكلام والمنطق والهندسة وعلم النجوم والهيئة، وكانت له عناية كبيرة في الشعر قولاً وتأليفاً، فألف في علم العروض، وكان يحفظ من شعر الطائيَّيَن (البحتري وأبو تمام) أكثر من سبعمائة قصيدة[١٠]، وله ديوان شعر[١١]، وذكر المسعودي أن التنوخي نظم قصيدة عارض فيها مقصورة ابن دريد (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)[١٢].

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٨٤٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣، ص ٣٦٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٧٨٢، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢١، ص ٤٥٩

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٢، ص ٢٤٨

(٣) ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٨٧٢

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٧٨٢

(٥) ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٨٨٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣، ص ٣٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٧٨٢

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٢، ص ٣٤٩

(٧) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨ ــ ١٦٩

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٧٨٢

(٩) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٧، ص ٢٠٣

(١٠) التنوخي، المصدر نفسه ج٧، ص ٢٠٣، ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٨٧٣، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢١، ص ٤٦٠

(١١) جمع شعره هلال ناجي ونشره بعنوان: ديوان القاضي التنوخي الكبير، مجلة المورد، وزارة الثقافة، بغداد مج ١٣، ع١، ١٩٨٤م، ص ٣١ ــ ٧٤

(١٢) المسعودي، مروج ج٥، ص١٦٨ــ ١٦٩، ومقصورة ابن دريد قصيدة طويلة نظمها في مدح آل ميكال وطالعها:

أما تــرى رأســي حاكــى لــونه   طــرة صبــح، تحت أذيــال الدجــى

ونزل بحلب الشاعر المعروف بكُشاجم، وهو محمود بن الحسين بن السندي (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) وهو شاعر وأديب من أهل الرملة بفلسطين، وقد تنقل في عدة مدن فزار القدس ودمشق وبغداد ومصر ونزل بحلب فسكنها مدة، ويبدو أنه استطاب الإقامة بها، يقول فيها:

وما أمْتَـــعتْ جـــارها بلــــدةٌ كمـــا أمتعتْ حلـــبٌ جارَها(١)

ولا يُعرف تاريخ سكنى كشاجم بمدينة حلب، لكنه على وجه التأكيد قبل سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، وهي السنة التي توفي فيها الصنوبري، إذا كانا صديقين تجمع بينهما علاقة وثيقة تمثلت في أبيات قالها كل منهما بالآخر(٢)، ويبدو أن إقامته بحلب كانت في حدود سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م حيث يذكر في كتابه المصايد رواية تلقاها بحلب في تلك السنة(٣)، وربما استمرت إقامته فيها إلى زمن بني حمدان.

وإضافة لديوان شعره فقد ترك عدة مؤلفات منها: كتاب المصايد والمطارد، وكتاب أدب النديم، وكتاب الرسائل، وكتاب في البيزرة(٤)، وربما استفاد في كثير من مادة كتاب البيزرة مما شاهده بحلب ومن وسائل تربية البازي وتضريته التي كانت ناشطة في عدد من مدن جند قنسرين خصوصاً الثغرية منها.

وآخر من يرد ذكره من شعراء الجند الأمير الحارث بن سعيد بن حمدان أبو فراس الحمداني التغلبي الشاعر (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وهو فارس وشاعر وأديب بليغ كان يسكن مدينة منبج، وتنقل ببلاد الشام في دولة ابن عمه سيف الدولة(٥).

الأدب المنثور

تقدمت الإشارة إلى المنزلة العلمية التي كان عليها بعض ولاة الجند، ويشار من بينهم للأمير العباسي عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله الهاشمي (ت ١٩٦هـ/ ٨١٢م)، وهو أديب له بلاغة وفصاحة(٦)، كان "أفصح الناس وأخطبهم ولم يكن في عصره من يدانيه في البلاغة والخطابة"(٧)، ونعته الثعالبي بـــ "جبل قريش، ولسان بني العباس، ومَن به يضرب المثل في

---

(١) كشاجم، ديوانه ص ١٢٥
(٢) الصنوبري، ديوانه ص ٢٥٤، ٣٩٣، كشاجم، ديوانه ص ٣٦ ــ ٣٩، ١٣٦، ١٤٠ ــ ١٤١، ٢٠٨ ــ ٢١٠
(٣) كشاجم، محمود بن الحسين الكاتب (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، المصايد والمطارد، (تحقيق) محمد أسعد طلس، دار اليقظة، بغداد، ١٩٥٤م، ص ١٧
(٤) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص ٤٣٣
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ١١، ص ٤٢١، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٢، ص ٥٨ ــ ٦٤
(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٢١
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٩، ص ٢٢٢، الصفدي، الوافي بالوفيات ج١٩، ص ١٦٦

البلاغة"[١]، وكذلك طاهر بن الحسين وهو من الشعراء وأعيان الكتاب البلغاء وأيضاً أبناءه ومنهم عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٢]، وتظهر بلاغة طاهر بن الحسين في وصيته لابنه التي أجاد فيها قولاً ومضموناً، إذ كتب لابنه عبد الله كتاباً على سبيل الوصية والعهد لما ولاه المأمون جند قنسرين سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، ضمّنه كل ما يجب أن يتحلى به الوالي، بل الحاكم أياً كان، حتى "تنازعه الناس وكتبوه، وتدارسوه وشاع أمره"[٣]. وقال ابن خلدون عن كتاب طاهر بأنه: "أحسن ما كُتبَ في ذلك وأوعبه... وأحسن ما وقف عليه في هذه السياسة"[٤]. بينما تظهر بلاغة ابنه طاهر في مخاطباته ورسائله إلى نصر بن شبث. وكان كلاهما (طاهر وابنه عبد الله) قد توليا جند قنسرين، وكان لعبد الله "يدٌ في النثر والنظم"[٥].

وشكلت مقولات الزهاد والمتصوفة ومواعظهم مادة للتناقل بين الناس، فحفظوها ودونها، واستمدوا البركة منها، كما كانت بين المتصوفة مراسلات ومخاطبات، فقد كتب الزاهد يوسف بن أسباط (ت ١٩٥هـ/ ٨١١م) إلى نظيره حذيفة بن قتادة المرعشي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) رسالة يوصيه فيها بتقوى الله والحذر ممن أظهر النسك وهو يضمر غيره[٦].

وجمع الشاعر العتابي القنسريني (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) بين براعته في الشعر وبين الكتابة الإخوانية، وكانت قدرته في كتابة النثر لا تقل عن منزلته الشعرية[٧]، فقد كتب عدداً من الرسائل المنثورة التي أجاد فيها، ووُصفت بالبلاغة والجودة[٨]، وقد حفظ ياقوت قطعتين صغيرتين من رسائله، تدلان على إجادته فنون النثر وحسن الكتابة[٩].

ويعد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) من طبقة الفقهاء الأدباء، لما له من مصنفات في اللغة والنحو والأدب والشعر، ومن أهم كتبه الأدبية: (كتاب المصنّف الغريب) وهو أجلّ كتبه في اللّغة، احتذى في تصنيفه (كتاب الصفات) للنّضر بن شميل، وبدأ فيه بخلق الإنسان، ثم بخلق الفرس، ثمّ بالإبل، فذكر صنفاً بعد صنف. وهو كتاب كبير، وله أيضاً: (كتاب الأمثال)، جمع فيه

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب ص ٦٣٨
(٢) النديم، الفهرست ج ١، ق ٢ ص ٥٠٨ وذكر أن لكل منهما ديوان شعر، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ١٠٨
(٣) انظر نص الكتاب بطوله عند: ابن طيفور، بغداد ص ٢٤ ــ ٣٦، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٨٢ ــ ٥٩١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٦٤ ــ ٣٧٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣، ص ٨٥، ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج١، ص ٥٢١ ــ ٥٣٤
(٤) ابن خلدون، المصدر نفسه ج١، ص ٥٢٠، ٥٣٥
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٦٨٥
(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة ج٤، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ وأورد ابن الجوزي نص الكتاب.
(٧) ضيف، العصر العباسي الأول ص ٤٩٦، وفيه نماذج من رسائل العتابي الإخوانية.
(٨) النديم، الفهرست ج١، ق ٢ ص ٣٧٦
(٩) ياقوت، معجم الأدباء ج٥، ص ٢٢٤٥ ــ ٢٢٤٦، مردم بك، شعراء الشام في القرن الثالث، ص ٣٠٥

روايات من سبقه كالأصمعي وغيره، وقد احتج باللغة والنحو في مؤلفاته الفقهية[١]. وتحولت مؤلفاته التي صنفها عن الخيل والإبل والنبات إلى معاجم لغوية[٢].

وذكر أبو عمرو الطرسوسي أحد المحدثين ونسبه للأدب وهو أبو العباس الأديب الأنطاكي (ق٣هـ/ ٩م) روى عنه أبو القاسم يحيى بن عبد الباقي الأذني (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)[٣]. ولم نهتد لمعرفة حاله ومدى مساهمته الأدبية سوى ما لقبه به الطرسوسي.

ومن أدباء حلب الأخوان: الحسن والحسين ابنا علي بن عمر الحلبي العبسي المعروفان ببني كوجك (ق٤هـ/ ١٠م)، وكلاهما شاعر وأديب، وحدث الحسن عن علي بن عبد الحميد الغضائري المتوفي ٣١٣هـ/ ٩٢٥م[٤]، وربطت بين الحسين منهما علاقة صداقة مع الشاعر الصنوبري وجرت بينهما مراسلات شعرية[٥].

وأقام بحلب في مطلع القرن الرابع الهجري العلامة النحوي علي بن سليمان بن الفضل البغدادي أبو الحسن الأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ/ ٩٢٧م)، وهو عالم لغوي برع في العربية فكان من كبار النحوية، وله عدة مؤلفات منها: كتاب الأنواء، وكتاب التثنية والجمع، وكتاب الجراد[٦]، وقد سار الأخفش إلى مصر سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م فأقام فيها حتى سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م وخرج منها نحو حلب فاستوطنها[٧]، وفيها تعرف إلى الشاعرين الصنوبري وكشاجم وجمعت بينهم علاقة صحبة ومودة، ومدحه كلاهما بقصائد طويلة[٨].

وآخر من أعرض لهم هو الكاتب الأديب أبو الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، وهو من أهل شمشاط التي نسب إليها جماعة من أهل العلم، وكان شاعراً وله تصانيف في الأدب منها: كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، وكتاب الديرة، وكتاب أخبار أبي تمام وغيرها، وكانت له منزلة في عهد بني حمدان[٩].

هــ. المؤرخون:

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٦٥٤ ــ ٦٥٧
(٢) ضيف، العصر العباسي الأول ص ١٢٠.
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٦٠
(٤) ابن عساكر، تاريخ ج ١٣، ص٣٠٩ ــ ٣١٠
(٥) الصنوبري، ديوانه ص ١٥٨، ٣٥٤
(٦) النديم، الفهرست ج ١، ق ١، ص ٢٥٦
(٧) ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٧٧٣، الصفدي، الوافي بالوفيات ج٢١، ص ١٤٤
(٨) الصنوبري، ديوانه ص ٣١٤ ــ ٣١٧، ٣٤٤، كشاجم، ديوانه ص ٤٧ ــ ٥٠، وانظر: ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، "العصر العباسي الثاني"، ط١٢، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٥٢، وسيشار له فيما بعد: ضيف، العصر العباسي الثاني.
(٩) النديم، الفهرست ج ١، ق٢، ص ٤٧٦، ياقوت، معجم الأدباء ج٤، ص ١٩٠٧، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٣٦٢

وفي مجال الكتابة التاريخية فيحسب لعبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري نشأة المدرسة التاريخية الشامية من خلال الكتابة في المغازي والجهاد والسير، وعلى هذا التقليد ــ الذي أرسياه في التأريخ الجامع بين الفقه والسيرة ــ سار من تلاهم أمثال محمد بن عائذ الدمشقي (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) في مؤلفاته العديدة التي حفظ ابن عساكر نقولاً كثيرة منها في السير والمغازي والفتوح والصوائف(١).

كما كان بعض علماء وأدباء الجند مصدراً للرواية التاريخية، وقد أفاد المؤرخ المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) من كثير منهم، فالتقاهم وأخذ عنهم وشكلوا أهم موارده، فمنهم شيخ الثغور الشامية أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الآذني (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) أخذ عنه المسعودي كثيراً قبل سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م، ونعته بأنه من أهل العلم والتحصيل(٢)، وربما أخذ عنه المسعودي بحلب وليس في الثغور، إذ كان أبو عمير يتواجد بحلب(٣). وعن أبي عمير الأذني هذا نقل أبو عمر الطرسوسي صاحب كتاب سير الثغور(٤)، وأيضاً الفقيه أبو الحسن محمد بن علي ابن الغَنَوي الوراق الأنطاكي الذي التقاه المسعودي في أنطاكية، وروى عنه شعراً، وأخذ عنه بعض أخبار المعتضد بالله(٥). كما عدد المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب جماعة من المؤرخين ممن ألفوا كتباً في التاريخ والأخبار وذكر من بينهم مؤرخ ينتسب لأنطاكية اسمه أحمد بن محمد الخزاعي الخانقاني الأنطاكي(٦).

ولا يمكن إغفال الدور العلمي عند النصارى، ومساهمتهم في الحياة العلمية لجند قنسرين، وهم يشكلون نسبة كبيرة من سكانه ــ كما تبين في الفصل الثالث ــ، وكانت لديهم نهضة علمية واسعة في الكنائس والأديرة خصوصاً في مدرسة الرها ومدرسة نصيبين ومدرسة دير قنسرين(٧)، وبالرغم من وقوع هذا الدير في الجزيرة شرقي الفرات إلا أن قربه من منبج يجعل انتقال العلوم بينهما في

---

(١) السيد، المدرسة التاريخية ص ٨١
(٢) المسعودي، مروج ج٢، ص٤٤، ٥٦، المسعودي، التنبيه ص ١٩٣، وص ١٩٤
(٣) ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ٧
(٤) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٢، ٥١، ٦٠
(٥) المسعودي، مروج ج٥، ص١٧٢، ١٨٠، ١٩٧
(٦) المسعودي، المصدر نفسه ج١، ص ١٣
(٧) برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ١٩ــ ٢٠، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية ص ٢٣٦، حبي، يوسف، أصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري، هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج٧، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م)، ص ١٨، الطوري، بشير متي توما، مدرسة الرها، هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج٦، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م)، ص ٢٦٣ ــ ٢٨٣، عطية، جورج، الأثر السرياني في الحياة الفكرية في بلاد الشام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العهد البيزنطي"، الندوة الأولى (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، عمان، ١٩٨٦م، ص ١٦٥ ــ ١٧١، وسيشار له فيما بعد: عطية، الأثر السرياني.

متناول متعلمي طرفي الفرات، خصوصاً وأن عملية التنقل كانت ميسرة وسهلة عبر جسر منبج، وكان دير قنسرين قبل ذلك يسمى دير أفتونيا نسبة إلى مؤسسه يوحنا بن أفتونيا الذي أنشأه في حدود سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م، ومنذ ذلك الوقت وهو يؤدي دوراً كبيراً في الحركة التعليمية للنصارى خصوصاً في تدريس التعاليم الدينية والأسفار، وأصبح مركز إشعاع للثقافة اليونانية والسريانية(١)، ويذكر ديونيسيوس التلمحري أن بهذا الدير كانت تدرس اللغة اليونانية على يد مفسر الكتب سابوخت تلميذ الراهب ساويرا الأنطاكي (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)(٢)، ويتم فيه قراءة الكتب اليونانية والسريانية. وقد تعلم في هذا الدير عدد من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد أساقفة وقديسين(٣)، وكان يحتوي في أيام ازدهاره على ٣٧٠ راهباً(٤).

أما في مجال تدوين التاريخ فقد كانت للنصارى ــ خصوصاً السريان منهم ــ شهرة سابقة على التدوين التاريخي عند العرب، غير أن ما وصلنا من نتاجهم كان قليلاً وأغلبه لم يُترجم بعد، فظهر بذلك تقدم العرب عليهم لكثرة ما وصل من مؤلفاتهم في مقابل قلة ما وصل ــ وما نشر ــ من تراث السريان، ومع هذا فمن أهم مصنفاتهم التاريخية: "كتاب في التاريخ" لمؤلف سرياني مجهول من دير زوقنين (كان حياً ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)؛ وقد تضمن القسم المتبقي منه أحداثاً تاريخية وقعت في الجزيرة وبلاد الشام تتصل بأواخر الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية، ويليه كتاب البطريرك ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، وهو كسابقه يحتوى على معلومات تاريخية مفصلة لذات المنطقة مع تواريخ الكنيسة وأحداثها، وقف فيها عند السنوات الأخيرة الثلاث قبل وفاته، وشكلت مادته الأساس الذي اعتمد عليه البطريرك المؤرخ مارميخائيل السرياني (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م) في حوليته التاريخية، وغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، ويضاف لذلك المؤلفات المختصة بالتاريخ المحلي للسريان وتراجم رجالهم وقديسيهم ورسلهم وأساقفتهم وعبادهم ونساكهم(٥).

---

(١) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٨، برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ٢٠، ٢٥٠
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٣٦٤، ساكا، كنيستي السريانية ص ٨٦
(٣) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠٩، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٨ نقلاً عن ديونيسيوس
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠٩ (هامش المحقق رقم ٥)، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٦٤، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٢٩، برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ٥١٣
(٥) انظر رصداً ببعض إنتاج السريان في مجال التاريخ عند: برصوم، اللؤلؤ المنثور ص ١٢٦ ــ ١٥، وأيضاً في: حبي، يوسف، التواريخ السريانية، هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج٦، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م)، ص ٢٩ ــ ٩٢، ودراسة: Brok, Sebastian, Syriac Historical Writing "A survey of the main cources" في هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج٥، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٩م)، ص ٢٩٧ ــ ٣٢٦

ويذكر المسعودي أن لأحد أتباع مارون واسمه قيس الماروني "كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي"، ولم يتمكن المسعودي من الإطلاع على هذا الكتاب، وذكر أيضاً تأليف جماعة من نصارى الملكية والنسطورية واليعقوبية لكتب كثيرة في تواريخ من تقدمهم(١).

وكان للسريان تراث علمي كبير ومتنوع، يشمل العلوم الدينية المسيحية كتفاسير الكتاب المقدس وشروحه، وكانت لهم جهود كبيرة في ترجمة التفاسير اليونانية إلى السريانية، كما شمل هذا التراث الأدعية والابتهالات والصلوات(٢)، وعلوم اللغة السريانية من صرف ونحو وخطابة وشعر، والعلوم المنطقية والفلسفية وبقية المعارف والعلوم الإنسانية(٣).

وبواسطة علماء السريان المسيحيين، اتصل العرب بالثقافة اليونانية، فكان السريان ــ من خلال الأديرة والكنائس ــ قد نشطوا منذ القرن الرابع الميلادي في ترجمة الآثار اليونانية، نقلوها من اللغة اليونانية إلى السريانية، ثم منها إلى العربية، وبلغ أوج نشاطهم في العصر العباسي الأول عندما اتجهت عناية الخلفاء إلى الاطلاع على الثقافات الأخرى، فكان السريان واسطة النقل لها(٤)، وعبر قناتهم نقلت الثقافة البيزنطية إلى المسلمين منذ العهد الأموي(٥)، هذا فضلاً عن الاستعانة بهم في بعض وظائف الدولة الإدارية التي يتقنون أعمالها، فيذكر المقدسي أن "أكثر الأطباء والكتبة بالشام نصارى"(٦).

ولخص القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي تاريخ دخول العلوم عند العرب، وذكر أن العرب في صدر الإسلام لم تعن بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها إلا صناعة الطب فإنها كانت موجودة عندهم لحاجة الناس إليها. ثم بقيام دولة بني العباس أصبحت لهم عناية في طلب العلوم الأخرى وكان أول من عني منهم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور. فكان "مع براعته في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم"(٧)، فراسل ملك الروم طالباً كتب العلوم مترجمة

---

(١) المسعودي، التنبيه ص ١٥٣
(٢) ساكا، كنيستي السريانية ص ٦١، حبي، أصالة السريانية ص ٣
(٣) ساكا، المرجع نفسه ص ٧٦
(٤) ضيف، العصر العباسي الأول ص ١٠٩ ــ ١١٠، حبي، أصالة السريانية ص ١٥ــ ١٦
(٥) سالم، عبد الرحمن أحمد، الاتصال الثقافي بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية في عصر المأمون (١٩٨ ــ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ــ ٨٣٣م)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ١٨، ١٩٩٥م، ص ١٦٧، عطية، تاريخ المسيحية ص ٣٣٢
(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٣
(٧) صاعد، القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م)، طبقات الأمم، (تحقيق) حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٦٣ ــ ٦٤، ونقله عنه ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٥ ــ ١٣٦، سالم، الاتصال الثقافي ص ١٦٩

فبعث إليه ببعضها منها كتاب أوقليدس[١]، وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأخرى إلى العربية[٢].

ولما آلت الخلافة إلى المأمون، "المُولَع بعلوم الأوائل وتحقيقها"[٣]، تمم ما بدأ به جده المنصور، "وكانت له رغبة في العلم بما كان ينتحله"[٤]، وأقبل على طلب العلم في مواضعه وأوفد الرسل إلى ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة وعلوم اليونانيين وانتساخها باللغة العربية، فبعثوا إليه ما توفر منها عندهم[٥]، كما استخرج المأمون كتب الفلاسفة اليونان من جزيرة قبرس[٦]. وكان قسطا بن لوقا البعلبكي (كان حياً سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)، الفيلسوف النصراني، قد دخل إلى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد إلى الشام واستدعي إلى بغداد ليترجم الكتب وكانت له تصانيف مختصرة بارعة[٧]. وهيأ المأمون أمهر التراجمة وكلفهم بترجمتها[٨]، فترجمت له على غاية ما أمكن. ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها وكان يجالس الحكماء ويناظرهم ويلتذ بمذاكرتهم[٩]

ويُحسب للمأمون أنشاء بيت الحكمة ببغداد، ويرى سعيد الديوه جي أن تاريخ تأسيسه يعود لأيام المنصور وأن الخلفاء من بعده تعهّدوه بالعناية والزيادة حتى بلغ الغاية في عهد المأمون[١٠]، بينما يرجع الجبوري وجود بيت الحكمة كمؤسسة بحثية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان[١١]، وأياً كان تاريخ وجود هذه المؤسسة فقد كان في عهد المأمون مركز إشعاع وحركة علمية دائبة في أكثر من فن أو مجال، وضم عدداً من الباحثين من أقاليم الدولة كلها، وكان من ضمن العاملين في هذه الدار

---

(١) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ٢٩٢
(٢) المسعودي، مروج ج٥، ص ٢١١، وعدد المسعودي عدداً من العناوين التي ترجمت له، وانظر أيضاً: الجبوري، يحيى، خزائن الكتب والمكتبات في الحضارة الإسلامية، ضمن كتاب بحوث مهداه للأستاذ الدكتور سيد مقبول أحمد، (تحرير) فاروق عمر فوزي، هند غسان أبو الشعر، جامعة آل البيت، المفرق (الأردن)، ١٩٩٩م، ص ٤٧٤
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٥، ص ١٦٢
(٤) ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ٢٩٢
(٥) ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٩، وانظر أيضاً: العش، تاريخ عصر الخلافة ص ٢٣٧، سالم، الاتصال الثقافي ص ١٨١
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٣٥٤
(٧) ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٩
(٨) عدد النَّديم أسماء النقلة والمترجمين من اللغات إلى اللسان العربي في زمن المأمون وغيره. الفِهْرست ج ٢، ق١ ص ١٤٤ ــ ١٥٣، وانظر: صاعد، طبقات الأمم ص ٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٢٧٣
(٩) صاعد، طبقات ص ٦٤، ٦٩، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٥ ــ ١٣٦، ابن خلدون، العبر (المقدمة) ج٢، ص ٢٩٢، حاجي خليفة: كشف الظنون (مقدمة الكتاب) ج١، ص ٣٤
(١٠) الديوه جي، سعيد: بيت الحكمة، ط٢، مؤسسة دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٧٢م، ص ٣١
(١١) الجبوري، خزائن الكتب ص ٤٦٩

والد الشاعر الحلبي الصنوبري واشترك في مناظرة مع آخرين بين يدي المأمون فأعجب به وأثنى عليه[١].

ولم يكن جند قنسرين بعيداً عن هذه الحركة العلمية الفاعلة، فالكتب اليونانية التي نشط الطلب عليها تمر من خلاله، وربما وقع ترجمتها في مُدنه الرئيسية كحلب وأنطاكية، وبتوفر الكتب المترجمة اطّلع العرب على مؤلفات بُقْراط وجالينوس وأرسطو وإقليدس وبَطّلميُوس، و"عكفوا على دراستها وتهذيبها، ومخالفة ما وجدوا وجهاً لمخالفته، وقبول ما ثبت عندهم بعد التّمحيص، وألّفوا في ذلك كتبهم التي فاقت من تقدّمهم"[٢].

وكان لقرب حران من قنسرين أثر في استيراد الأفكار والمؤلفات، وحران مدينة الصابئة، واشتهرت في العصر العباسي بكثرة ما فيها من فلاسفة وعلماء، وكان من أشهرهم ثابت بن قرة الحراني وأولاده وأحفاده وكذلك البتاني وغيرهما، وكانت لهؤلاء مساهمة كبيرة في حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية. وقد برز من علماء الجند ممن لهم اهتمام بعلم الهندسة يعقوب بن محمد الحاسب أبو يوسف المصيصي وذكر له النديم ثمانية كتب منها: كتاب الجبر والمقابلة وكتاب الوصايا[٣]. وذكر أيضاً من المهندسين والمؤلفين في علم الفلك والهندسة والحساب أبو الحسن علي المصيصي وله "كتاب القرانات"[٤].

---

(١) ضيف، العصر العباسي الثاني ص ٣٤٧
(٢) ابن خلّدون، العبر (المُقدمة) ج٢، ص ٢٩٢، ٤٧١
(٣) النديم، الفهرست ج٢، ق ١، ص ٢٥٤، وانظر عن مدرسة حران ودورها العلمي: عطية، الأثر السرياني ص ١٥٣
(٤) النديم، الفهرست ج٢، ق ١، ص ٢٤٦

ثانياً: المظاهر العمرانية في جند قنسرين

مدخل:

لم يستحدث المسلمون عند فتح بلاد الشام أي مدينة جديدة فيه، بعكس ما مصروه واستحدثوه في أقاليم أخرى من الدولة[١] كالكوفة والبصرة في العراق والفسطاط بمصر والقيروان بإفريقية (تونس). واستدعت الظروف المناخية العرب الفاتحين إلى نزول المدن والسكنى في بيوت محكمة البناء تقيهم غزارة الأمطار وبرودة الشتاء وحر الصيف، بعكس الوضع الذي لاقاه المقاتلة في فتح العراق، حيث قلة الأمطار وإمكانية السكنى في أخصاص القصب أو بيوت الطين[٢]، أو حتى في الخيام البسيطة التي يسهل حملها ونقلها. وعليه فقد تحتم على فاتحي الشام مشاركة سكانه الأصليين في منازلهم فكانت سكنى الفاتحين ومن تلاهم في بيوت جلا عنها أهلها، وفي بعض الروايات ما يفيد باشتمال عقود الصلح المبرمة مع أهالي المدن المفتوحة على مقاسمة نصف منازلهم وكنائسهم مثل صلح أبي عبيدة لأهل حلب ومعرة مصرين[٣]، وصالح بعضهم على الجزية والجلاء فجلا بعضهم وأقام الآخرون على الأمان كصلح أهل أنطاكية[٤] وأهل قورس[٥] ومنبج ودلوك ورعبان وبالس وقاصرين[٦]. وجرى مثل ذلك في عدة مدن من أجناد الشام. وإضافة إلى المقاسمة فقد تضمنت شروط الصلح "أن للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم وأسواقها"[٧].

ويبدو أن الروم الهاربين من المدن المفتوحة كانوا يشكلون أعداداً كبيرة، بمعنى أن ما خلفوه من منازل كان كبيراً يسمح باستيعاب أعداد المقاتلة، نستدل على هذا من رواية البلاذري في فتح دمشق من أن "بشراً كثيراً من أهلها لحق بهرقل وهو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون"[٨]. على أن مطاردة قوات الفتح لفلول الرومان لم تسمح للمسلمين بالاستقرار بشكل دائم في هذه المدن، فكانوا في حركة دائبة وتنقل مستمر، فكانت منازل الروم التي هرب عنها أهلها أو تلك التي تمت

---

(١) ناجي، عبد الجبار، نظرة في الأحوال الحضرية لبلاد الشام في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م، ص ١٥٠، وسيشار له فيما بعد: ناجي، نظرة في الأحوال الحضرية. Shahid, The Jund System, p ٤٧

(٢) العلي، صالح أحمد، امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٢، ج٣ و٤، المجمع العلمي العراقي، بغداد، تشرين الأول ١٩٨١م، ص ٧

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٥٢، ١٥٤

(٤) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٥٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٤، العاني، إدارة بلاد الشام ص ٦٧

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، قدامة، الخراج ص ٣٠٥

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٥٥، قدامة، الخراج ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥

(٧) ابن عساكر، تاريخ ج٢، ص ١٨٠ ــ ١٨٢، العاني، إدارة بلاد الشام ص ٦٧

(٨) البلاذري، فتوح ص ١٢٩

مشاركة أهلها فيها عبارة عن منازل مؤقتة للعرب الفاتحين، ثم جرى استيطانهم للجند وسكناهم فيه تدريجياً وفي فترات لاحقة على مرحلة الفتح الأولى.

وأدى اتخاذ بني أمية للشام مقراً لهم وبه عاصمة الدولة، إلى زيادة أعداد سكانه وكثرة القادمين إليه، بما تجتذبه العاصمة من كافة الأقاليم، فساهم ذلك في عمرانه وتوسع مدنه طيلة حكم بني أمية الذي دام على مدى نحو قرن من الزمان.

وينطلق البحث في الأحوال العمرانية خلال العصر العباسي من الرأي الذي تردد في بعض الدراسات الحديثة[١] ومفاده أن عمران بلاد الشام عامة تراجع بمجيء العباسيين وأنهم دمروا مبانيها وقصورها فانحط عمرانها، وسوف يتم مناقشة هذه المقولة على حالة جند قنسرين من خلال مسربين:

١. بيان الحالة العمرانية التي كان عليها الجند في زمن بني أمية لنتمكن من ملاحظة الأثر الذي تركه العباسيون عليها.
٢. الجهود العمرانية التي أحدثها العباسيون، وبيان ما نسب إليهم من تدمير آثار بني أمية العمرانية.

أولاً: الحالة العمرانية التي كان عليها جند قنسرين في العهد الأموي:

اتجهت جهود بني أمية العمرانية في اتخاذ القصور في عددٍ من أجناد بلاد الشام: جند دمشق والأردن وفلسطين، يشيد اليعقوبي بجهود معاوية العمرانية وأنه "أول من بنى وشيد البناء، وسخر الناس في بنائه، ولم يسخر أحد قبله"[٢]. وكانت المدينة الوحيدة التي ينسب لبني أمية تمصيرها هي الرملة التي بناها سليمان بن عبد الملك بن مروان (ت ٩٩هـ/ ٧١٨م) لما كان والياً على جند فلسطين في خلافة أخيه الوليد فمصرها، ولم تكن قبله مبنية[٣]، إضافة إلى قصورهم الصحراوية المتخذة للصيد والنزهة مثل قصر عمره في بادية الشام والموقر والمشتى وعمرة وغيرها[٤].

---

(١) كرد علي، خطط الشام ج٥، ص ٢٨٠، ٢٨٢، سوفاجيه، جان، دمشق الشام "لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، (ترجمة) فؤاد افرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م. ص ٢٧، ٣٢، البيطار، أمينة، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام (١٣٢ ــ ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ ــ ٩٦٨م)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٤١٥، زاك، دوروتيه، دمشق "تطور وبنيان مدينة مشرقية إسلامية"، (ترجمه عن الألمانية) قاسم طوير، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٣٤، الريحاوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية "خصائصها وآثارها في سورية"، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م. ص ٤١، طلاس، المعجم الجغرافي ج١، ص ٦٩

(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٦٢

(٣) ابن الفقيه، مختصر البلدان ص ١٠٢، البلاذري، فتوح ص ١٤٩، المسعودي، التنبيه ص ٣٥٩، بهنسي، عفيف، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م، ص ١٢٣

(٤) انظر عن عمارة القصور الأموية الصحراوية: بهنسي، الفن العربي الإسلامي ص ٩٣ وما بعدها، الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٢١ وما بعدها، طوقان، فواز أحمد، الحائر في العمارة الأموية الإسلامية، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام بعنوان "تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر"، (تحرير) عبد الكريم غرايبة وآخرين، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م، ص ٦٩ ــ ١٣٨

أما في جند قنسرين، فقد حظيت بعض مدنه بسكنى الخلفاء والأمراء من بني أمية واتخاذ القصور فيها، فابتنى الخليفة سليمان بن عبد الملك قصراً في حاضر حلب فنسب الحاضر له (الحاضر السليماني)[١]، لكن أكثر منازلهم وقصورهم كانت في المدن البرية الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من الجند هروباً من الأوبئة والطواعين التي كانت تكثر في المدن الداخلية كدمشق وحمص، فابتنى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ/ ٧٢٠م) قصراً بخناصرة، وكان كثيراً ما ينزله[٢]، واتخذ هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) الرصافة منزلاً[٣]، وسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الناعورة وبنى له فيها قصراً سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م لما كان والياً على حلب في خلافة أخيه الوليد[٤]، وغلب اسم القصر عليها فأصبحت تسمى بقصر مسلمة.

واتجهت عناية بعض خلفاء بني أمية إلى إنشاء بعض الحصون في الثغور لحماية الواجهة الشمالية من الدولة الإسلامية، ومن أقدم الأعمال العمرانية في هذا الجانب قيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان بإعمار مدينة مرعش وإسكان جماعة من الجنود فيها، ثم تولى تحصينها العباس بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٣٠هـ/ ٧٤٩م) ونقل إليها الناس، وبنى فيها مسجداً جامعاً، وأثناء محاربة مروان الثاني لأهل حمص تعرّضت لاعتداء الروم، فأعاد مروان بناءها وإعمارها[٥]. ويبدو أن من جملة ما بناه مروان فيها هو سور القلعة الذي سمي بالسور المرواني[٦].

وتم في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م بناء حصن في الموضع الذي أقيمت عليه فيما بعد مدينة المصيصة، بناه على يد ابنه عبد الله[٧]، وكان يسمى حصن ثابت[٨]، وتم شحنه بالمقاتلة في السنة التي تلتها (٨٥هـ/ ٧٠٤م)، وحُولت كنيستها إلى مخزن للطعام (هري). وكانت

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩١، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٥٨

(٢) المسعودي، مروج ج٤، ص٢٤، ابن عساكر، تاريخ ج ٨، ص ٤٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٥، ٤٤٩، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٥، ٥٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٠، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٤٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ١٨، ٥٩

(٣) ابن خياط، تاريخ ص ٣٥٦، ابن قتيبة، المعارف ص ٣٦٥، البلاذري، فتوح ص ١٨٤، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧، قدامة، الخراج ص ٣١٥، المسعودي، مروج ج٤، ص٤٣، الآبي، نثر الدر ج٣، ص ٦٥، ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ١٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٤٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٤٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦٣، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٦٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٨

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٣٩، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٨

(٥) البلاذري، فتوح ١٩٢، قدامة، الخراج ص ٣١٩، ابن عساكر، تاريخ ج١٩، ص ٢٤٧، الحميري، الروض ٥٤١

(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٠٧

(٧) البلاذري، فتوح ص ١٦٩

(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٠٧، وتسميته بهذا الاسم نسبة لثابت بن نصر، ولعل تسميته كانت في وقت متأخر إذ لا يعقل أن ينسب لثابت هذا في سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م وهو المتوفى بالمصيصة سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م

بعوث المقاتلة تطلع عليها من أنطاكية في كل عام فتشتوا بها ثم تنصرف، ويتراوح عددهم بين ١٥٠٠ ــ ٢٠٠٠ رجل[١]. وهذا يدلل على أن بناءه في عهد بني أمية كان بسيطاً ومتواضعاً بالقدر الذي يخدم الحامية التي تحفظه.

وبنى الخليفة الوليد بن عبد الملك (حكم ٨٦ ــ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ــ ٧١٥م) إلى الغرب من أنطاكية حصناً على ساحل البحر يعرف بحصن سلوقية (السويدية)[٢].

وبالرغم من قيام الخليفة عمر بن عبد العزيز (حكم ٩٩ ــ ١٠١هـ / ٧١٨ــ ٧٢٠م) ببناء ملطية، وإسكان أهل طرندة فيها سنة ١٠٠هـ/ ٧١٩م[٣] إلا إنه أظهر رغبة في عدم اتخاذ الحصون في الثغور، إذ أراد هدم حصن ثابت وهدم الحصون التي بينها وبين أنطاكية، خوفاً من محاصرة الروم لأهلها، فأعلمه الناس أنها بنيت لتكون حاجزاً لأنطاكية عن الروم، فإذا هدمت كانت طريق العدو سالكة إليها فتراجع عن هدمها، وقيل: إنما توفي قبل أن يتم ذلك[٤].

وكانت لهشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥– ١٢٥هـ/ ٧٢٤– ٧٤٣م) جهود أشاد بها المسعودي في تقوية الثغور[٥]، تمثلت في إقامة عدد من الحصون الصغيرة أو المسالح التي تحتوي على عدد قليل من الرجال ربما لا يزيد عددهم عن ٥٠ رجل، فبنى حصن المثقب وحصن قطرغاس وحصن مورة. وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء، ورتب فيه ٤٠ رجلاً وجماعة من الجراجمة، وأقام ببغراس مسلحة في ٥٠ رجلاً، وابتنى لها حصناً، وبنى حصن بوقا من عمل أنطاكية[٦].

وفي عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (حكم ١٢٧ ــ ١٣٢هـ/ ٧٤٥ ــ ٧٥٠م) تم بناء

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٨ــ ٣٠٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٧٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص١٦٣، وانظر أيضاً: الحياري، حياة الناس في مدن الثغور ص ٨٦

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٥٣

(٣) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٨٩، قدامة، الخراج ص ٣١٨ــ ٣١٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٤، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٣٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج١، ص ٢٤٢، النويري، نهاية الأرب ج٢١، ص ٣٦٣، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٤٨، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣، ١٦٣.

(٤) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٨ــ ٣٠٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٧٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣، الحياري، مصطفى علي، طرسوس: مدينة الثغور الشامية "دراسة في عمران مدن الثغور"، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، مج٨، ع١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، حزيران ١٩٨١م، ص ٩٥

(٥) المسعودي، مروج ج٤، ص٤١

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٨ــ ٣٠٩، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣، شعيرة، محمد عبد الهادي، من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، (ضمن كتاب دراسات في الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م. ص ٢٤

حصن منصور[١]. وحصن الخصوص في شرقي جيحان، وبنى عليه حائط له باب من الخشب وعمل له خندقاً[٢].

وأغلب هذه الحصون التي أقيمت في العهد الأموي تقع في الثغور الجزرية، ولهذا يقول المسعودي "إن الثغور الجزرية أموية والثغور الشامية عباسية"[٣]. ويرى الباحث أنها ــ باستثناء مرعش التي جرى إعمارها ثلاث مرات في العصر الأموي ــ لم تتعد إقامة مسالح (قواعد عسكرية حدودية) وليس تأسيساً للمدن الثغرية كما آل إليها وضعها فيما بعد، ولهذا يشير أبو عمرو الطرسوسي ــ نقلاً عن بعضهم ــ أنه لم يكن في الثغور من المدن والحصون سوى حصن ثابت بن نصر، وأنه هو الوحيد المشهور قبل بناء الثغور واستحداثها، وأن المهدي لما غزا لم تكن هناك طرسوس ولا أذنة ولا عين زربة سوى حصن ثابت[٤].

وعليه فإن عدد الحصون المذكورة لا يعكس بالضرورة جهوداً عمرانية حقيقية في العصر الأموي، والرقم المذكور لعدد الرجال في حصنين من الحصون التي أنشأها هشام بن عبد الملك (حصن مورة ومسلحة بغراس) يكشف أن بقية الحصون كانت على هذا النحو من الصغر (تستوعب نحو ٥٠ رجلاً)، فهي "مخافر" حدودية يرابط فيها رجال مهمتهم المراقبة والاستطلاع. ولا يمكن مقارنتها بجهود العباسيين في إنشاء المدن وتعميرها حتى بلغت واحدة منها وهي طرسوس مساحة كبيرة من التوسع والعمران وكانت تتألف في سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م من ألفي سكة تشتمل على ٣٤ ألف دار[٥].

وفيما عدا هذه الحصون لا يرد ذكر جهود عمرانية لهم في الجند، بل يلفت النظر أن منطقة دابق التي اتخذوها موضعاً ــ عوضاً عن الجابية ــ لتجمع الجيوش المتجهة لغزو بلاد الروم وبها يقبضون عطاءهم[٦] لم يتم تأسيس أي منشئات عمرانية فيها، وبقيت قرية صغيرة طيلة القرون التالية[٧].

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩٦، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن عساكر، تاريخ ج١١، ص ٢٤٥، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٦٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٩، الحميري، الروض ص ٢٠٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٥

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٨، الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٣٧٥، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣

(٣) المسعودي، التنبيه ص ١٨٩

(٤) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٥

(٥) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٩

(٦) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٠٩، ابن أعثم، الفتوح ج٧، ص ١٧٠، المسعودي، مروج ج٤، ص٥، الإسكندري، الأمكنة ج١، ص ٤٨٠، ابن عساكر، تاريخ ج ٦، ص ١٤٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤١٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٧، ٥٩٠، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٥، ٥٨، الحميري، الروض ص ٢٣١، ويبعد مرج دابق نحو ٤٠كم إلى الشمال من مدينة حلب، انظر: طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ١٩٧

(٧) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤١٦

ثانياً: الجهود العمرانية التي أحدثها العباسيون، وما نسب إليهم من تدمير آثار بني أمية العمرانية

أشارت بعض المصادر المبكرة إلى تعرض آثار الأمويين إلى التدمير على يد العباسيين لما دال لهم الأمر، وأنهم عمدوا لنقض كل ما قدروا عليه من مباني الأمويين وقصورهم، ولم يُخف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٧٠م) المجاهرة بهذا في عز دولتهم، لأن "من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم، وأن يميتوا ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون... كما هدم أصحابنا ــ أي العباسيين ــ بناء مدن الشام"[١]. ويذكر الزوقنيني أن الجيش العباسي الذي اكتسح بلاد الشام بعد هزيمة مروان عمد إلى تدمير المدن وتخريبها، وأن والي الشام والجزيرة عبد الله بن علي أمر بنقض أسوار جميع المدن في سورية، وجمع لهذه الغاية أعداداً كبيرة من الحدادين والمهنيين والعمال، فحطموها وأحرقوا كل أبوابها، ثم أخذوا النحاس والحديد الذي فيها[٢].

وكلام الجاحظ والزوقنيني ــ على أهميته ــ مغلف بالتعميم، الأول قعَّد نظرية في تخلص كل دولة من آثار سلفها مدللاً على كلامه بدولة بني العباس، وخص الثاني أسوار المدن بتعرضها للنقض والتدمير، وبالتالي لم يوضح كلا النصين صراحة مواضع التدمير ولا كيفيتها، والإشارات المحددة عن الأماكن التي طالها التدمير قليلة، فيرد أن أبا العباس السفاح أمر عبد الله بن علي بتخريب القصر الذي ابتناه سليمان بن عبد الملك بظاهر حلب في الحاضر المنسوب إليه "حاضر حلب"، وهو قصر "كان سليمان قد تأنق في بنائه وزخرفته"[٣]. ويذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك، بالإشارة إلى أن بعض المساجد لم تسلم من التدمير حتى لا تبقى مخلدة لآثار بني أمية، فيذكر ابن الشحنة ــ بصيغة التمريض: "يقال" ــ إن بني العباس هدموا جامع حلب "ونقضوا ما كان فيه من الرخام والآلات ونقلوه إلى جامع الأنبار لما نقضوا آثار بني أمية من بلاد الشام وعفوها"[٤]. بينما يشير المسعودي إلى التدمير خارج نطاق بلاد الشام والذي طال القنى والبرك التي أقامها هشام بن عبد الملك بطريق مكة لخدمة الحجاج، "فأتى عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية"[٥].

ويبدو أن قصة التدمير كان مبالغاً فيها، وإذا سلمنا بتدمير بعض قصور بني أمية ودورهم فلا يمكن تقبل وقوعها على المساجد ومرافق خدمة الحجاج، وغالب الظن أنها اتهامات أشيعت وانتشرت بصيغتها الأسطورية، تماماً كما أشيع عن قتل كل من ينتسب لبني أمية، فأظهرت إحدى

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ/ ٨٧٠م)، كتاب الحيوان، (تحقيق) عبد السلام محمد هارون، ٧ مج، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦م. ج١، ص ٧٣

(٢) الزوقنيني، تاريخ ص ١٠٦

(٣) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩١، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٥٩

(٤) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٦٢

(٥) المسعودي، مروج ج٤، ص٤١

الدراسات مقدار المبالغة التي حصلت تجاه ذلك، وأن "تأثير تلك الظروف على الوجود الأموي كان محدوداً"[١]، ومن السهل إثبات خطأ التعميم في هذا الموضوع مع بقاء الكثير من المنشآت والمرافق التي شيدها الأمويون في كثير من مدن بلاد الشام وضياعه، من أبنية وقناطر وقنوات مائية[٢]. وكمثال على ذلك يرد أن المأمون عند زيارته دمشق سنة ٢١٥هـ/ ٩٣٠م طاف بقصور بني أمية وتتبع آثارهم فيها، ودخل من جملتها قصراً مفروشاً كله بالرخام الأخضر وفيه بركة ماء يدخل إليها الماء وفيها سمك، وفي القصر بستان محاط بأربع سروات، فأعجب المأمون واستحسنه[٣]. وقد بقيت آثارهم شاهدة لعدة قرون وجرى استخدام بعضها كمدارس في العهد السلجوقي والدولة الأيوبية مثل المدرسة النورية الكبرى بدمشق التي كانت في الأصل داراً لمعاوية ثم أصبحت لهشام بن عبد الملك[٤]، والخانقاه السُميساطية التي كانت تقع عند الباب الشمالي من دمشق فهي في الأصل دار عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبي الأصبغ الأموي (ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م) وانتقلت لابنه عمر بن عبد العزيز حسبما هو مكتوب على عتبة الدار وبقيت عامرة حتى زمن النعيمي (ق ١٠هـ/ ١٦م)[٥].

كما يظهر أن عملية التخريب التي تعرضت لها بعض المنشآت الأموية كانت محصورة في فترة زمنية محدودة من صدر دولة بني العباس وخصوصاً في عهد السفاح أثناء ولاية علي بن عبد الله على الشام والجزيرة؛ فأدرك بعدها قادة بني العباس أن الإبقاء عليها بل والارتقاء بها أسلم ليحصل لهم القبول والتأييد في نفوس أهل الشام[٦].

وقد ناقش خريسات الرأي القائل بتراجع عمران الشام في العصر العباسي قياساً على حالة دمشق[٧] وناقشه حمارنة اعتماداً على حالة مدن وقرى جنوب بلاد الشام مستنداً إلى نتائج الحفريات الأثارية[٨]، فأظهرت كلا الدراستان عكس ذلك تماماً، وأن البناء والعمران استمر على وتيرته

---

(١) انظر: عقلة، الأمويون في العصر العباسي ص ١٦١

(٢) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢٤

(٣) طيفور، بغداد ص ١٩٥، الأصفهاني، الأغاني ج١١، ص ٢٣٨، الصابئ، محمد بن هلال أبو الحسن غرس النعمة (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٦

(٤) النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، ٢ج، دار الكتب العلملية، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٦٦

(٥) النعيمي، المصدر نفسه ج٢، ص ١١٩

(٦) عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٢٤

(٧) خريسات، محمد عبد القادر، التوسع العمراني في مدينة دمشق حتى أواخر الحكم الفاطمي لبلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م، ص ٤٠٤ وما بعدها، وسيشار له فيما بعد: خريسات، التوسع العمراني، وانظر أيضاً: ناجي: نظرة في الأحوال الحضرية ص ١٥٢

(٨) حمارنة، صالح، الناس والأرض "دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى"، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١م، ص ١٤٩ وما بعدها.

الطبيعية"[١]، بل إن العالم الأثري ويتكومب الذي أجرى العديد من الحفريات الأثرية ببلاد الشام ومنها مواقع في شمال الشام، خلص إلى نفي هذه المقولة جملة حسبما أظهرته طبقات البناء فيها، ووصف هذه المقولة بأنها خرافة (myth) تبناها بعض المؤرخين[٢].

وتمثلت جهود بني العباس العمرانية في جند قنسرين في جانبين: الإعمار في مدن الجند الداخلية، وإنشاء المدن الثغرية وإعمارها أو تحصينها

الإعمار في مدن الجند الداخلية:

لم تمتد يد خلفاء بني العباس لإعمار أو إنشاء أو استحداث أية مدينة داخلية (ليست ثغرية) في جند قنسرين، لكن الأثر العباسي في الناحية العمرانية لهذه المدن يظهر من خلال أعمال بعض الولاة والأمراء في ابتناء الدور والقصور، خصوصاً أمراء البيت العباسي الذين تولوا إمارته وسكنوا العديد من مدنه، واستمر أعقابهم وأبناؤهم وذريتهم في بعض نواحيه.

أما ما نُسب للرشيد من تشييد مدينة على الفرات، فهي ليست من جند قنسرين، وموضعها قرب الرقة من ناحية الجزيرة، كان قد بناها سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٦م بعد رجوعه من غزو الروم، وسماها "هرقلة" باسم جارية تزوجها من سبي الروم وتنتمي لعائلة هرقل[٣]، وعند المسعودي أنها ابنه أحد البطارقة[٤]، ويشير ديونيسيوس أن الأمين بعد الرشيد أوقف بناء المدينة "وأمر العمال بالعدول عما باشر أبوه"[٥]، وهذا يخالف ما توصلت له البحوث الأثارية التي أجرتها البعثة الألمانية سنة ١٩٠٧م، وكشفت عن حصن محاط بسور دائري مكتمل الإنشاء[٦]، ثم إن استمرار البناء في مدينة صغيرة مدة أربع سنوات أمر غير متقبل إلا أن يكون الأمين أوقف إنشاء مرافق أخرى كجر مياه إليها من نهر الفرات أو نحو ذلك.

أما أعمال الولاة العمرانية في المدن الداخلية فقد وردت إفادات عن بعض قصورهم ودورهم، مثل قيام صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بابتناء قصر بطياس خارج حلب بالقرب من النيرب،

---

(١) خريسات، التوسع العمراني ص ٣٩٨

(٢) Whitcomb, Archaeological p ٤١

(٣) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٧

(٤) المسعودي، مروج ج٢، ص٥٨

(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٩

(٦) انظر تفصيلات الكشف الأثري ومصورات بقاياه عند: طوير، قاسم، هرقلة هارون الرشيد في الرقة أو "بغداد المنصور المصغرة"، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م، ص ٤٩٨ ــ ٥١٩

وكان أكثر مقامه به، وفيه ولد أغلب أبنائه، وأقاموا في دورهم وقصورهم هذه(١)، وقد ذكر البحتري والصنوبري وغيرهما قصر بطياس في أشعارهم(٢). ويذكر ابن العديم أن القصر في زمنه خراب لم يبق منه سوى الآثار(٣). ويرد أيضاً من أسماء أولاده المقيمين بحلب علي ويعقوب وسليمان وداود وإبراهيم وعبد الله، وكل واحد من هؤلاء أصبح بطناً بحلب أهل مدر لا وبر(٤)، بمعنى اتخاذهم للبيوت والدور، وسكن الفضل بن صالح بموضع عقبة بني المنذر في حلب(٥)، وأقام إسماعيل بن صالح بحلب حتى وفاته واستمر أولاده في سكناها من بعده(٦)، وكانت لإسماعيل ضيعة بأرتاح(٧)، وسكن بحلب أيضاً عيسى بن صالح وأوقف بها وقوفاً على ولده وذريته، وبقي أولاده وأعقابهم فيها حتى القرن السابع الهجري(٨)، وابتنى علي بن عبد الملك بن صالح قصراً آخر بحلب(٩)، ويبدو أن قصور بني صالح ببطياس كانت على قدر كبير من الفخامة والتأنق، بحيث هُيأت للخليفة المهدي لتكون منزلاً له عند زيارته للشام سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م فنزلها(١٠). وقد شاهد المهلبي ــ أثناء زيارته الشام بعد منتصف القرن الرابع الهجري ــ آثار بني صالح بحلب وخططهم فيها، قال: "وتأثلت لهم بها نعمة ضخمة، وملكوا بها نفيس الأملاك، وكان منهم من لحقت بقيتهم بنو القَلَنْدَر فإنني شاهدت لهم نعماً ضخمة، ورأيت لهم منازل في نهاية السرو. وكان بها أيضاً قوم من العرب يعرفون ببني سنان، كانت لهم نعمة ضخمة، وسكنها أحمد بن كيغلغ وبنى بها داراً معروفة إلى الآن"(١١)، فالمهلبي يشير إلى أسر قطنت حلب واتخذت بها مبان تدل على ثرائهم ويسارهم، إضافة إلى ذكره دار أحمد بن كيغلغ والذي استمر أولاده وأعقابه في سكنى حلب، إذ يذكر الصنوبري في قصيدة يمدح بها العباس بن أحمد بن كيغلغ ما يشي بأن مسكنه ببطياس(١٢). وابتنى محمد بن عبد الملك بن صالح (ق ٣هـ/ ٩م) بظاهر مدينة حلب داراً له قرب نهر قويق، ويبدو أنه أول من بدأ العمارة في هذا الموضع، حيث كان من قبل عبارة عن ربض فابتنى فيه الدور، ولم يتمها فأكملها بعده سيما

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٦٨، ٦٩، ٥٢٨، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٤٨، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٥٩، عباس، تاريخ بلاد الشام ص ١٣١

(٢) البحتري، ديوانه ج١، ص ٢١٤، ج٢، ص ٨٥٢، ٩٣٢، ٩٨٠، ١١٣٥،١١٣٨، الصنوبري، ديوانه ص ٥٤

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٢٩

(٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٥٢٩

(٥) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ٦٩

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٠٨

(٧) ابن عساكر، تاريخ ج ٨، ص ٤١٣

(٨) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٢٩

(٩) ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٤٥٠

(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٠، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٠

(١١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، ونقله ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٩

(١٢) الصنوبري، ديوانه ص ١٤٣

الموضع، حيث كان من قبل عبارة عن ربض فابتنى فيه الدور، ولم يتمها فأكملها بعده سيما الطويل والي الجند في عهد المعتمد[١].

وفضل بعض أبناء البيت العباسي ممن تولى جند قنسرين السكنى قريباً من الفرات، فابتنى عبد الملك بن صالح عدة قصور ومنازل له ولأبنائه في مدينة منبج، واستمر عمران أولاده لهذه القصور وسكناها من بعده[٢]، وكان الرشيد قد زار مدينة منبج وأعجب بجمال أبنيتها وحسنها[٣]، ولفت نظره قصر عبد الملك المشيّد فيها والمحاط ببستان مليء بالأشجار والثمار، ويبدو أن قصر عبد الملك هذا كان على مستوى لا يقل تأنقاً عن قصور الخلفاء ببغداد بالرغم مما أجاب به الرشيد ــ تواضعاً ــ لما سأله عن كيفة بناء القصر، فقال عبد الملك: "دون منازلك وفوق منازل الناس"[٤].

وكانت مدينة بالس جنوب منبج في يد سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس أقطعه إياها السفاح وصارت من بعده لابنه محمد بن سليمان ثم أخذت منه وأقطعت للمأمون فصارت لولده من بعده[٥]. وربما اتخذوا فيها منازل وقصور وتعهّدوها بالعمارة والبناء.

ويبدو أن الولاة لم يقتصروا على اتخاذ مدينة واحدة للسكنى في ذات الوقت، فأبناء صالح بن علي الذين ابتنوا القصور بحلب وشيدوها، كانت لهم ولمواليهم منازل أخرى بأنطاكية[٦]، ويرد من بينهم ذكر منازل الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح وولده[٧]. كما كانت لأبي سليم فرج الخادم التركي الذي تولى إعمار عدد من مدن الثغور في عهدي الرشيد والأمين، دارٌ مشهورة بأنطاكية[٨].

وأظهر والي جند قنسرين سيما الطويل (ت ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م) عناية في اتخاذ القصور وبنائها، فعند ولايته على الجند، ابتنى بظاهر مدينة حلب داراً حسنة، وكان موضعها عند باب أنطاكية، وعمل لها بستاناً بقي عامراً حتى زمن ابن العديم (ق ٧هـ) ويعرف ببستان الدار، ونسبة لهذه الدار

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٥ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٣٢، ج٣، ص ٢٥، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٣ ــ ٨٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٢، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٣ ــ ٦٤، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٥٩ ــ ٦٠

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٣٨، ابن حزم، جمهرة أنساب ص ٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ نقلاً عن اليعقوبي، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٣٠، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٦٥، ج٥، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٧٩٠

(٣) المسعودي، مروج ج٤، ص٢٧١، ابن الأزهر، كتاب الأحداث ص ٤٣٥، الآبي، نثر الدر ج١، ص ٤٤٦، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٩، ابن العديم، زبدة الحلب ١ج، ص ٧١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ١٠٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥١، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٢٨

(٤) المسعودي، مروج ج٤، ص٢٧١

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٥٦، قدامة، الخراج ص ٣٠٥

(٦) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٣٠

(٨) قدامة، الخراج ص ٣١٠

سميت المحلة (الحي): ربض الدارين، وكانت إحدى الدارين هي دار سيما، والأخرى بناها قبله محمد بن عبد الملك بن صالح فعرفت المحلة بالدارين لذلك، وأحدى الدارين تعرف بالسليمانية على حافة نهر قويق[١]. ويظهر من وصف ابن الطيب السرخسي للموضع أنه على مستوى كبير من السعة والجمال، فنهر قويق يمر بين هاتين الدارين، وعليه قنطرة (جسر) توصل بين ضفتيه، وقام سيما الطويل بترميم ما كان تهدم من قصر محمد بن عبد الملك، وجعل عليه باب حديد أخذه من قصر لبعض الهاشميين بحلب يسمى قصر البنات[٢].

ويرد من بين أعمال الولاة العمرانية ذكر دار كوره بحلب، وهي منسوبة لوالي الثغور وجند قنسرين في عهد المعتضد الحسن بن علي المعروف بـــ "كوره" الخراساني، وبرغم قصر المدة التي بقي فيها والياً[٣]، إلا أن داره كانت مشهورة بحلب، وكان موضعها في داخل باب الجنان، أي قريباً من البساتين، وذكر ابن العديم أن الدار خربت في زمنه (القرن السابع الهجري) ولم يبق لها أثر[٤].

ومن دور الولاة المشهورة بحلب دار ذكا، وتنسب لوالي جند قنسرين في عهد المكتفي أبا الحسن ذكا بن عبد الله الأعور، وبقي والياً على الجند لمدة طويلة (٢٩٤هـ ــ ٣٠٢هـ/ ٩٠٧ ــ ٩١٤م)، وكانت إلى جانبها دار حاجبه فيروز، وأصبحت دار ذكا في القرن السابع الهجري تعرف بدار الزكاة، أما دار فيروز فانهدمت وصارت تلا يعرف بتل فيروز[٥]، أما وزيره وكاتبه أبا الحسن محمد بن عمر بن يحيى النفري فقد بقيت داره قائمة وجرى استخدامها في العهد الزنكي كمقر لأشهر مدارس المدينة وهي المدرسة النورية نسبة لنور الدين زنكي [٦]. وفي قصيدة للصنوبري يمدح فيها أحد الكتاب واسمه علي بن سهل بن روح الكاتب يذكر أن مسكنه ببانقوسا (جبل قليل الارتفاع شرقي حلب)، ويلمح إلى أصوات نواقيس الكنائس قرب داره[٧].

ومن خلال ما قدمه ابن العديم عن قصر الأمير ذكا نستدل على أن اتخاذ البيوت لم يقتصر على الولاة بل يلحق ذلك بكل من يعمل تحت يده من حجاب وكتبة وموظفين وموالي، وأن هؤلاء يتخذون قصوراً لا تقل قيمة وفراهة عن قصر الأمير بحيث استمرت عامرة ــ كدار النفري ــ نحو ثلاثة قرون وربما أكثر.

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٣ ــ ٨٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ٦٣ ــ ٦٤
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٥ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٣٢، ج٣، ص ٢٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٥٩ ــ ٦٠
(٣) ولاه المعتضد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وعزله المكتفي سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٣
(٥) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٧، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٧
(٦) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٨ــ ٩٩
(٧) الصنوبري، ديوانه ص ١٤٨

كما سكن بحلب سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م أحد قادة الإخشيد هو أبو المظفر مساور بن محمد الرومي، وهو صاحب الدار المعروفة بدار ابن الرومي بالزجاجين بحلب، وتعرف أيضاً بدار ابن مستفاد، وتقع شرقي المدرسة العمادية[١].

إعمار المدن الثغرية:

بمقدار الحرص الذي أبداه خلفاء بني العباس لإقامة الجهاد وإرسال الصوائف بشكل مستمر، حرصوا على تعمير المدن في الثغور وتحصينها، رغبة في حماية الواجهة الشمالية من بلاد الشام وتخليداً لمساهمتهم في الجهاد في سبيل الله، واتجهت عنايتهم إلى اتخاذ الحصون والقلاع بينهم وبين الروم، فسميت بعض المدن بأسمائهم كالمحمدية، والمهدية، والهارونية، وكانت جهودهم العمرانية تراكمية، كل خليفة يسعى لترك أثر يخلد حكمه، ولأجل هذا وقع الاختلاف في نسبة كل من مدن الثغور للخليفة الذي شيدها.

وتظهر أول أعمالهم في الثغور منذ عهد **المنصور** الذي تابع مدن السواحل وحصونها، وعمّرها وحصنها، وبنى ما احتاج إلى البناء منها، وفعل ذلك بمدن الثغور[٢]. وأول أعمال المنصور كان إعادة إعمار مدينة ملطية التي تعرضت للتدمير من قبل الروم سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م مستغلين انشغال الدولة في محاربة المبيضة في الشام والجزيرة، فنصبوا عليها المجانيق، وأخرجوا أهلها منها ثم دمروها[٣]، ثم يرد خبر مهاجمة الروم لها في سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م[٤]، ولعله ذات الاعتداء الأول لكن المصادر كررت ذكره في هذه السنة لاقترانه بعملية البناء. فقرر أبو جعفر المنصور إعادة بنائها وتحصينها وكتب في سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م لعبد الوهاب بن إبراهيم الإمام[٥]، وقيل: لصالح بن علي[٦] يأمره بذلك، وكان مع أحدهما الحسن بن قحطبة مع بعوث من أهل خراسان والجزيرة والشام قدر عددهم بنحو ٧٠ ألف رجل، وتم جمع الفعلة والصناع من كل بلد فشرعوا في إعادة البناء، وكان

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ١٠٤ ــ ١٠٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٨٦

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٧

(٣) البلاذري، فتوح ١٨٨، قدامة، الخراج ٣١٨، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٨، البسوي، المعرفة والتاريخ ج١، ص ١٢٠ الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧١، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٣٤، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢

(٥) الزوقنيني، تاريخ ١١٨ ، ابن خياط، تاريخ ص ٤١٨، البلاذري، فتوح ١٩١، قدامة، الخراج ٣١٨، اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧١، ابن عساكر، تاريخ ج٣٧، ص ٣٠٠، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ١٢١، الحميري، الروض ٥٤٥، لسترنج، بلدان الخلافة ١٥٢

(٦) اليعقوبي، البلدان ص ٢٣٨، ٣٦٢، الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٧، ٥٠٠، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٢٥، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٦، ٤٨٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢

الحسن بن قحطبة ربما حمل الحجر حتى يناوله البنَّاء[١]، فتم لهم ذلك في مدة ستة أشهر[٢]، وقيل سنة[٣]، ونقل المنصور إليها الناس والمقاتلة وأبناء القبائل وأسكنهم فيها[٤]، وكان عددهم أربعة آلاف رجل[٥]، وتعهدها بالرعاية حتى أصبحت أكثر عمراناً[٦].

ويذكر الطبري أن البناء جرى على ما هدمته الروم من المدينة، وعند ابن الأثير: من سور المدينة[٧]، ويفهم من كلامهما أن الترميم كان جزئياً ومحدوداً، لكن المنشآت التي أوردها كل من البلاذري وقدامة تشير إلى بناء كامل للمدينة، فقد أحيطت بسور واحد محكم[٨]، ولعل هذا السور ــ إن لم يكن مستحدثاً ــ هو ذات السور القديم فجرى ترميمه وتحصينه، كما بني فيها مسجداً، وبنيت مساكن للجند الذين تم إنزالهم فيها فكان لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل، والعرافة فرقة عليها عريف وتتكون من عشرة رجال إلى خمسة عشر رجلاً[٩]. ولما كان عدد المقاتلة الذين جرى إسكانهم فيها هو أربعة آلاف رجل، والعرافة الواحدة تستوعب ــ بالمتوسط ــ نحو ١٢ رجلاً لكل واحدة، فيمكن تقدير عدد البيوت التي جرى بناؤها، من خلال قسمة عددهم على الرقم ١٢ فيكون ناتج عدد العرافات ٣٣٣ عرافة، ولكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما فيكون عدد البيوت نحو ٦٦٦ بيتاً. كما بنيت ــ زيادة في التحصين ــ مرافق عسكرية أخرى قرب المدينة، منها مسلحة تبعد عنها ثلاثين ميلاً، ومسلحة أخرى على نهر قباقب الذي يرفد الفرات[١٠]، وتم بناء حصن قريب منها يسمى حصن قلوذية[١١].

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩١، قدامة، الخراج ص ٣١٨ ــ ٣١٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧١، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٦ نقلاً عن ديونيسيوس، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢١، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٩، ابن عساكر، تاريخ ج٣٧، ص ٣٠٠، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢١

(٣) ابن خياط، تاريخ ٤١٨، ونقل عنه ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص٤١٨، وابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٣

(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١١٨، ابن خياط، تاريخ ص ٤١٨، اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، قدامة، الخراج ص ٣١٩، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٤١٨، وابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٣

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٨، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(٦) الزوقنيني، تاريخ ص ١١٨

(٧) الطبري، تاريخ ج٧، ص٤٩٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٦، ٥٠٠، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢١

(٨) الزوقنيني، تاريخ ص ١١٨، ابن خياط، تاريخ ص ٤١٨، اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢، قدامة، الخراج ص ٣١٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٢٥، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٢، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(٩) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٨، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٩، الحميري، الروض ص ٥٤٥

(١١) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٩، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٨، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٢١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٨، الحميري، الروض ص ٥٤٥

وأمر أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م ببناء مدينة المصيصة(١)، وكانت قبل ذلك عبارة عن مسلحة يرابط فيها مجموعة من الجند يترصدون العدو لئلا يداهمهم(٢)؛ فكتب المنصور إلى صالح بن علي ببناء المصيصة، وهذا بدوره وجه جبريل بن يحيى الخراساني الذي رابط فيها حتى بناها وفرغ منها سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م وأنزلها الناس(٣)، وكان من جملة ما بُني فيها هو إحاطتها بسور واستحداث خندق فيها(٤)، وكانت مسورة قبل بناء المنصور لها، لكن سورها تشعث نتيجة الزلازل وأهلها قليل، فبنى السور وسماها المعمورة، وبنى بها مسجداً جامعاً، وفرض فيها لألف رجل، وأسكنها كثيراً من أهلها(٥).

أما كفر بيا، وهي مدينة بإزاء المصيصة على الضفة المقابلة من نهر جيحان، فأخبار عمارتها قليلة، ويبدو أن ما ذُكر عن عمران المصيصة ينطبق عليها، فهما كالمدينة الواحدة لا يفصل بينهما سوى النهر، وكانت المدينة محاطة بسور محكم، ولها أربعة أبواب، وتعرضت للخراب فجدد بناءها الرشيد، وقيل بل ابتدأ ببنائها المهدي ثم غيّر الرشيد بناءها وحصنها بخندق ثم أمر المأمون بعمل سور لها فمات قبل أن يتم إنجازه فأمر المعتصم بإتمامه(٦).

كما نُسب لعهد المنصور بناء مدينة أذنة في حدود سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م بأمر صالح بن علي، فعسكر بها أهل خراسان مع مسلمة بن يحيى البجلي فبنوها(٧). وتم بناء حصن إلى الغرب من المصيصة بقرب مدينة أذنة في سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م، على يد مسلمة بن يحيى المرسل من قبل عم المنصور صالح بن علي العباسي(٨)، ولعل البناء كان صغيراً وقليلاً بما يكفي لإقامة عدد محدود من الجند المرابطين في الواجهة الشمالية الغربية من الثغور، وسيأتي الكلام على جهود الرشيد في بناء هاتين المدينتين وتوسيعهما في خلافة والده المهدي.

وبدأ سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م بتشييد حصن شمشاط ولما ارتفع البناء مقدار قامة الإنسان تعرضت المنطقة لغارة رومية فهرب البناؤون والحدادون والعمال وتركوا كل أدوات البناء فأخذتها عساكر

---

(١) تاريخ خليفة ٤١٨، البلاذري، فتوح ص ١٧٠، اليعقوبي، البلدان ص ٢٣٨، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٧٩

(٢) اليعقوبي، البلدان ص ٢٣٨، ٣٦٢، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١

(٣) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٥٠٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٧٣، الحميري، الروض ص ٥٥٤

(٤) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٧٠، قدامة، الخراج ص ٣٠٨، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣

(٦) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٨، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣

(٧) قدامة، الخراج ص ٣٠٩، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣

(٨) ابن خياط، تاريخ ص ٤٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٨٦، الصفدي، تحفة ذوي الألباب ج١، ص ١٩٦

الروم وأحرقوا الباقي، وهدموا جميع البناء ورحلوا عنها، فعاد المسلمون وجلبوا البنائين والحدادين لبناء الحصن من جديد وتمكينه[١].

وأعيد في عهد المنصور أيضاً بناء مدينة مرعش التي لحقها الخراب والتدمير من قبل الروم في أواخر عهد بني أمية، فأعاد بناءها صالح بن علي وشحنت بالرجال[٢]. وكذلك أعيد بناء حصن زبطرة الذي خربه الروم عدة مرات[٣].

وتابع الخليفة **المهدي** مسيرة إعمار المدن الثغرية بعد وفاة والده المنصور، فاستتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد فى شحنها[٤]، ومنها مرعش التى زاد عدد المقاتلة فيها ومدهم بما يقويهم على المدافعة والقتال من مال وسلاح[٥]. وكان وزيره يعقوب بن داوود يدخل عليه ليلاً ويرفع له "النصائح في الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة"[٦].

وقد اتجهت عناية المهدي إلى إعمار مدينتين كان لهما ولمقاتلتهما دور كبير فيما بعد في مسيرة الغزو ومحاربة الروم، وهما الحدث وطرسوس فبنيت الحدث في عهده، وتلازم الفراغ من بنائها مع وفاته فسميت المهدية والمحمدية[٧]. أما طرسوس التي أمر بإعمارها فتوفي قبل أن يتم الشروع بها وبنيت في عهد ابنه الرشيد.

ويذكر البلاذري وقدامة أن الحسن بن قحطبة الطائي لما غزا الروم سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م نزل في طريق عودته بمرج طرسوس، ووجد طرسوس خراباً، فوصف للمهدي الحالة التي كانت عليها هي ومدينة الحدث فأمر المهدي ببنائهما وأن يتم البدء بمدينة الحدث فبنيت وأوصى ببناء طرسوس[٨]. ولعل وصف ابن قحطبة لمدينة الحدث كان بعد تعرضها للهجوم من الروم في سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م[٩] أو في التي تلتها ١٦٢هـ/ ٧٧٩م حيث هدموا خلاله سورها[١٠].

---

(١) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٣
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٩٣، قدامة، الخراج ص ٣١٩، الحميري، الروض ص ٥٤١
(٣) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، الحميري، الروض ص ٢٨٥، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٢
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٦٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٧
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٣، قدامة، الخراج ص ٣١٩
(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١١٩، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٧١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٨
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٧٣، قدامة، الخراج ص ٣١٠، ٣٢٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٥، ٢٤٠
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٩٣، ١٩٤
(١٠) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٨

ويذكر اليعقوبي أن بناء الحدث كان في سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م[١]، بينما انقسمت بقية المصادر بين سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م[٢] وسنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م[٣]، والتاريخ الأخير أقرب لأن يكون هو تاريخ الشروع ببنائها إذ توفي المهدي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م مع فراغهم منها، وسنة واحدة كافية لإنجاز الإعمار، وكان المهدي قد كتب إلى علي بن سليمان بن علي يأمره ببناء المدينة، فوجه علي المسيب بن زهير فبناها[٤]، وفرض المهدي فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان لسكناها، وأقطعهم المساكن فيها، وأعطى كل واحد منهم ٣٠٠ درهم، وفي رواية أوردها البلاذري أنه تم إسكانها أربعة آلاف رجل إضافة إلى ألفي رجل تم نقلهم من عدد من الثغور الجزرية الأخرى[٥].

وكان بناء المدينة باللبن، فلما حل الشتاء ونزل الثلج وكثرت الأمطار لم تصمد أمامه، فتشعثت وتصدعت وتثلم سورها، وهرب سكانها عند أول هجوم واجهوه من الروم[٦]، وبالرغم من ذلك فيذكر اليعقوبي أن بناء المهدي للحدث "كان فيه دفع للعدو وتسديد، وذلك أن الروم أغاروا على مرعش فسبوا وقتلوا خلقاً، فلما بنى المهدي الحدث عظم ارتفاق أهل الثغور به"[٧].

واختلف في اسم الخليفة الذي بنيت في عهده مدينة عين زربة، فهناك من أرجع زمن البناء للمهدي[٨]، ونسبها آخرون للرشيد[٩]، ورأى البعض أن الرشيد بناها في خلافة أبيه[١٠]. فبنيت بإتقان وتم تحصينها[١١]، ونقل الناس إلى سكناها من أهل خراسان وغيرهم وأقطعوا فيها المنازل[١٢]، وفي عهد المعتصم جرى نقل الزط الذين أفسدوا البطائح وتم إنزالهم فيها[١٣]. كما أعيد في عهد المهدي بناء حصن منصور، فرممه الرشيد في أيام أبيه المهدي وأحكمه وشحنه بالرجال[١٤].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٧
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٢، ١٣
(٣) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٥٣
(٤) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٩، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٢
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٤
(٦) البلاذري، المصدر نفسه ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠
(٧) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧٧
(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧، ١٧٣، الحميري، الروض ص ٤٢٢
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ص ٣١١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦١
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(١١) ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٧، ١٧٣، الحميري، الروض ٤٢٢
(١٢) البلاذري، فتوح ص ١٥٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٥٣، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٨
(١٣) البلاذري، فتوح ص ١٧٦، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٨
(١٤) البلاذري، فتوح ص ١٩٦، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٦٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٥

أما الخليفة **الهادي**، ولقصر مدة خلافته البالغة نحو سنة وشهرين فلم تكن له أية جهود عمرانية تذكر، وكانت مدينة الحدث التي فرغ من بنائها لأول تسلمه الخلافة قد تهدمت وتصدعت نتيجة الأمطار والثلوج إضافة إلى أن بناءها لم يكن مكيناً وهاجمتها جموع الروم فهرب سكانها وجهز الهادي بعثة لترميمها وتحصينها فمات قبل أن تخرج البعثة(١)؛ فبناها الرشيد وحصنها(٢).

ويتقدم **هارون الرشيد** خلفاء بني العباس كافة في عنايته بالثغور إعماراً وتحصيناً ومرابطة ومتابعة لشؤونها، فقد "اجتهد في إقامة الجهاد، وأنفق الأموال الوافرة في الثغور وأهلها، وكان يأتي حلب ويرتب أمور الغزو منها"(٣)؛ وهو الذي اعتاد قيادة الحملات والغزو منها منذ خلافة والده المهدي، كما خدمت حملاته العسكرية الجانب العمراني من خلال تقليلها من هجمات الروم، وبالتالي قلة تعرضها للتدمير والخراب. وقد وُصف الرشيد بأنه من "بنى الثغور، ومَدَّن المدن، وحَصَّن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة، وعمّر المصيصة ومرعش وعين زربة والحدث، وأحكم بناء الحرب، وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين، واتبعته عمّاله، وسلكوا طريقته"(٤).

وأول جهود الرشيد العمرانية كانت من نصيب طرسوس، التي غدت بعد ذلك "أجل مدينة من مدن الثغور وأكثرها أهلاً"(٥)، وكانت قبل ذلك في عهد والده المهدي ــ الذي أوصى بعمارتها ــ خراباً بالرغم من عدد المقاتلة الكبير الذين كانوا فيها حيث كان يسكنها ١٠٠ ألف رجل، فلما تسلم الخلافة شرع في بنائها. وكان المتولي لإعمارها بأمر الرشيد أبو سليم فرج بن سليم الخادم التركي(٦)، فجمع الرجال واستقدم من بغداد ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان، ومن أهل المصيصة ألف رجل ومن أهل أنطاكية ألف رجل أيضاً، فعسكروا عليها إلى أن استتم بناءها وتحصينها وبناء مسجدها(٧)، وتم إنزال الناس فيها وإسكانهم إياها(٨).

وكان موضع بناء المدينة في مرج أسفل الجبل الذي يقع إلى الغرب منها، ومنه تتجه الطريق

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣

(٢) قدامة، الخراج ص ٣٢٠

(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٧

(٤) المسعودي، مروج ج٥، ص٢١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٠٩

(٥) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٩٧

(٦) ابن خياط، تاريخ ص ٤٤٨، اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧، البلاذري، فتوح ص ١٧٣ ــ ١٧٤، قدامة، الخراج ص ٣١٠، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٣٤، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٦٢، المسعودي، التنبيه ص ١٨٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٠٨، ٢٠٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧ــ ١٧٨، ١٨٥، ٢٤٠

(٧) البلاذري، فتوح ص ١٧٣، قدامة، الخراج ص ٣١١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٥، ٢٤٠

(٨) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٢٣٤، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٠٨، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ٧٣

إلى أرض الروم، فبنيت على ضفاف نهر البردان بحيث يخترقها[١]، ومسحت المدينة فبلغت خططها أربعة آلاف خطة، كل خطة عشرون ذراعاً فى مثلها، وأقطع أهل طرسوس الخطط وسكنتها[٢].

لقد جاءت مدينة طرسوس في غاية العمارة والحصانة[٣]، وزعم الحميري بأنه "لم تبن مدينة أعظم غناء عن الإسلام ولا أشد نكاية على الكفرة، ولا أجمع للمجاهدين ولا أبعد صوتاً، ولا أجل مرأى، ولا أتقن بناء منها"[٤]. وقد تطور عمرانها في فترات لاحقة، إذ اتخذ أهل المدن الإسلامية في أقاليم الدولة كلها دوراً لهم فيها، ينزلون بها إذا ما قدموا لطرسوس، و"ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان إلى كرمان وفارس والجبال وخوزستان وسائر العراق والحجاز واليمن والشامات ومصر إلا وبها لأهلها دارٌ وأكثرُ؛ ينزلها أهلُها إذا وردوها"[٥].

كما تابع الرشيد عمران مدينة مرعش التي كان جده المنصور قد أعاد إعمارها، فأحدث الرشيد بعده سائر المدينة[٦]. وتابع أيضاً جهود إعادة إعمار حصن زبطرة الواقع قرب ملطية، والذي تعرض للتدمير على يد الروم أكثر من مرة، لكونه موضعاً حدودياً، فبناه الرشيد على يد محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي وشحنه بالرجال والمقاتلة[٧].

وبنى الرشيد مدينة جديدة بين مرعش وعين زربة وسماها باسمه الهارونية[٨] وذلك سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م[٩]، وقيل في خلافة أبيه[١٠]، واختار موقعها على قمة جبل[١١]، مما يدل على الحاجة إلى موضع للمراقبة في تلك المنطقة. ويبدو أنها مستحدثة بالكامل بمعنى أنه لم يكن لها أساس رومي، وبني عليها سورين وجعل لها أبواباً من الحديد، وشحنت بالمقاتلة ومن انتقل إليها من المطوعة[١٢]. وقد رآها ابن حوقل ووصفها بأنها في غاية العمارة[١٣].

---

(١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٨، أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩، الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧٣ ــ ١٧٤، قدامة، الخراج ص ٣١١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٥، ٢٤٠
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧، الإصطخري، مسالك ص ٦٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٤) الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، الحياري، حياة الناس في مدن الثغور ٨٧
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٠٧، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦١
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٣٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، الحميري، الروض ص ٢٨٥
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ص ٣١١، الإصطخري، مسالك ص ٦٣، مجهول، حدود العالم ص ١٧٥، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٥
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ص ٣١١، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(١١) مجهول، حدود العالم ص ١٧٥
(١٢) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨
(١٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٢

كما صرف الرشيد عنايته إلى تجديد وترميم بعض المدن والحصون التي بنيت من قبل، ومنها مدينة أذنة حتى بلغ الأمر بنسبة بنائها له[١] مع إغفال جهود من سبقه، ويذكر البلاذري وقدامة سيرتها العمرانية وأنها بنيت في عهد المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م أو في السنة التي تلتها، بناها جنود خراسان المعسكرون عليها بأمر صالح بن علي، ويذكران أيضاً أن الرشيد بنى في خلافة أبيه المهدي سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢ القصر الواقع عند جسر أذنة على سيحان، ثم في سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م أعاد أبو سليم فرج الخادم بأمر الأمين بناء المدينة بشكل محكم وحصنها وأسكنها رجالاً من أهل خراسان[٢] وكانت بها منازل ولاة الثغور[٣]. فبناؤها مرّ بجهود متراكمة منذ عهد المنصور، لكن غلب عليها نسبة البناء للرشيد وإتمامه للأمين.

وفي سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٦م ونتيجة لنقض نقفور الصلح، وجه الرشيد مسروراً الخادم وأمره بترميم الثغور والحصون والتوثق منها[٤]، وكانت جيوشه قد سيطرت على مدينتي طوانة وهرقلية[٥]، وعسكر الرشيد في الطوانة، ثم رحل عنها، وخلّف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منزل هنالك[٦]. كما استحدث في تلك الفترة حصن سيس (سيسية) الذي بناه أحد قادة هارون الرشيد[٧]، وبنى الرشيد الكنيسة السوداء فتم بناؤها وعمارتها وتحصينها[٨].

أما **المأمون** فلم يلتفت لأمر الثغور ولا للجهاد إلا في آخر أربع سنوات من حكمه، وكانت الصوائف قد توقفت مدة طويلة (نحو ٢٥ سنة) بالنظر إلى ظروف كلا الطرفين المسلمين والروم وانشغالهما بالشؤون والاضطرابات الداخلية، وعلى هذا فقد كانت عنايته بالإعمار قليلة ومحدودة.

فيرد أن المأمون أمر بترميم حصن زبطرة وتحصينه[٩]، دون أن تتوفر أية معلومات حول ما تم إنجازه. ويذكر اليعقوبي أن المأمون بنى مدينة كفر بيا[١٠]، وقد تقدمت الإشارة إلى أن تجديد عمارتها تم في زمن الرشيد أو على يد الرشيد في خلافة والده، وربما عنى اليعقوبي بناء السور

---

(١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، وعنه أبو الفداء، تقويم ص ٢٤٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١
(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٩ـــ ٣١٠، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٣٣
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧١
(٤) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣١٠
(٥) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٠
(٦) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٩٦
(٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧
(٨) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، قدامة، الخراج ص ٣١١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٢
(٩) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، الحميري، الروض ص ٢٨٥، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣
(١٠) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٢

الذي أمر به المأمون فمات قبل أن يتحقق ذلك[١].

أما أجل أعماله فهو بناء مدينة طوانة، التي كان والده الرشيد قد أمر ببناء منزل (وربما مسلحة) فيها، حيث وجه المأمون ابنه العباس في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م إلى أرض الروم وأمره أن ينزل في الطوانة وأن يشرع في بنائها[٢]، فحشد لها الرجال والصناع والبنائين[٣]، فبناها ميلاً في ميل[٤]، وجعل سورها ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب، وبنى على كل باب منها حصناً[٥]. ويبدو أن تخطيط المدينة كان واسعاً وكبيراً، يتضح هذا من الأموال الطائلة التي أنفقت في بنائها[٦]، ومن العدد الكبير الذي قرره المأمون لسكناها، إذ كتب إلى أخيه المعتصم: "أنه قد فرض على جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل، وفرض على أهل مصر فرضاً، وكتب إلى العباس بمَنْ فرض على قِنَّسرين والجزيرة، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألف رجل"، فأتاه الناس ونزلوها[٧].

واستفتح **المعتصم** عهده بعد وفاة أخيه المأمون بطرسوس سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م بالهدم عوض الإعمار، إذ أمر بهدم مدينة طوانة في ذات السنة التي بنيت فيها، فحمل المعتصم ما كان فيها من الآلات والسلاح وغير ذلك مما قدر على حمله، ونقل الرجال وصرف الناس الذين تم إسكانهم فيها إلى بلادهم، وتم هدم البناء وإحراق ما لم يقدروا على حمله، وعاد إلى بغداد[٨].

ولا يوجد مبرر لتصرف المعتصم سوى ما ذُكر من تشغيب الجند عليه عندما بويع المعتصم بالخلافة ومطالبتهم بالعباس ابن المأمون ليكون خليفة ونادوه باسم الخلافة[٩]، فأحضره المعتصم وأخذ بيعته، ولو افترضنا أن هؤلاء الجند الذين بايعوا العباس هم من الذين تم إسكانهم في طوانة،

([١]) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨

([٢]) ابن قتيبة، المعارف ص ٣٩١، الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٥، المسعودي، مروج ج٤، ص٣٣٩، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٨

([٣]) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٧

([٤]) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤١، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٧

([٥]) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٤١

([٦]) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٤٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ٢٩١ وفيه: بذر عليها خراج عامين من مال بيت المسلمين.

([٧])الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٣١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٢

([٨]) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٦٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٥، ابن عساكر، تاريخ ج ٧٣، ص ٢٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٣٩، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٣

([٩]) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٣٩

وأن المعتصم ارتأى أن يقطع دابرهم بهدم طوانة وتفريقهم إلى مواطنهم التي جاؤوا منها، لكن هذا الافتراض لا يرقى لأن يكون سبباً في هدم مدينة ثغرية حديثة البناء.

وفي عهد المعتصم تعرضت مدينة زبطرة إلى الخراب والتدمير بمهاجمة الروم لها سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، ونتيجة لهذا الهجوم غزا المعتصم عمورية غزوته المشهورة، وبعدها أمر ببناء زبطرة، وحصنها وشحنها، وكانت من الحصانة بحيث هاجمها الروم ولم يقدروا عليها(١). ويذكر قدامة أن المعتصم بنى مكان زبطرة وبالقرب منها حصوناً لتقوم مقامها وهي الحصون المعروفة بطبارجي، وحصن الحسينية، وحصن بني المؤمن، وحصن ابن رحوان(٢).

ويلاحظ مما تقدم أن عناية العباسيين انصرفت إلى عمران وتحصين الثغور وانحصر هذا تقريباً في العصر العباسي الأول، ولم تظهر لهم جهود عمرانية في المدن الداخلية طيلة المدة التي تتناولها الدراسة، بل إن أنطاكية ــ وإن أصبحت بمثابة مدينة داخلية بعد أن تقدمتها العديد من المدن الثغرية التي أقيمت في شمال غرب الثغور ــ لم تلق العناية عندما تعرضت للزلازل المدمرة ابتداءً من عام ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م حسبما يأتي ذكره.

أما خلال العصر العباسي الثاني فتكاد أعمال البناء والإعمار في المدن الثغرية تكون شبه متوقفة، بل إن أعمال العمران واتخاذ القصور حتى في العراق لا تكاد تذكر إذا ما استثنينا قصور المتوكل والمعتضد بالله(٣).

وترد إشارات عن بعض جهود الترميم في عهد **المتوكل**، كترميم حصن سيس (سيسية) الذي استحدثه أحد رجال الرشيد(٤)، وجلا عنه سكانه في حدود سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م، فجرى إعماره ثانية على يد علي بن يحيى الأرمني(٥)، ثم تعرض الحصن للتخريب من قبل الروم فعمره فارس بن بغا الصغير في خلافة المعتمد على الله سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م، وأنفق عليه من ماله لنذر كان عليه فتمت عمارته على يدي مكين الخادم(٦).

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩٥، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥، قدامة، الخراج ص ٣٢١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٧، الحميري، الروض ص ٢٨٥

(٢) قدامة، الخراج ص ١٨٦

(٣) انظر: حتاملة، عبد الكريم عبده، المنشآت العمرانية في العصر العباسي (٢٣٢ ــ ٥٢٩هـ/ ٨٤٧ ــ ١١٣٥م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٩، السنة ١٢، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٠٦ ــ ١١٣

(٤) البلاذري، فتوح ص ١٧٥، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧

(٥) البلاذري، فتوح ص ١٧٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٥

(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١

كما يشار لحصن الإسكندرونة (أو باب إسكندرونة) وهو حصن الصغير على ساحل البحر، بناه أحمد بن أبي دواد الأيادي في خلافة الواثق[١]. وانفرد ابن العديم بقوله إن الحصن من بناء زبيدة بنت جعفر بن المنصور (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، وإن ابن أبي دواد جدد بناءه[٢].

وإلى جانب أعمال الخلفاء واعتنائهم بالثغور نجد مساهمة واضحة من قبل بعض أمهات الخلفاء في عمارتها، فقد قامت أم الأمين زبيدة بنت جعفر المنصور ببناء دار للضيافة في بغراس على طريق الثغور[٣]، كما كانت لها جهود في إعمار مدينة الرصافة التي أصبحت إقطاعاً لها، فابتنت فيها قطيعة تنسب إليها، وزادت في عمارتها[٤]. وقد وصفت زبيدة بأنها من "أحسن الناس في أيام الرشيد فِعلاً لما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف"[٥].

وقامت قبيحة (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) أم الخليفة المعتز بإنشاء وتعمير دور (حُجَر) في طرسوس خاصة بتعليم الشبان الذين يتدربون على القتال، وكل حجرة تتكون من بيتين ومرافقهما، وتتسع هذه الدور لسكنى ١٥٠ غلاماً مع قائدهم الذي يتولى تدريبهم، وجعلتها وقفاً عليهم، وهذه الدور أشبه بكلية عسكرية يتعلم فيها الغلمان فن الحرب والقتال، وفيها خزانة للسلاح، يتم استعراض أسلحتها في أيام العيد وعند قدوم الرسل من بلاد الروم، كما تحتوي الخزانة على المعدات اللازمة للغزو كالدروع الحصينة التي تحمي الفارس وفرسه، والجواشن (لباس يحمي الصدر) والخوذ المنيعة، وفيها أيضاً أنواع عديدة من الأسلحة فيحمل كل غلام منهم ما يجيد استخدامه منها[٦]، وصفة هذه الدور أنها عبارة عن بيوت وإصطبلات ومخازن وعلالي (بيوت علوية)، أما الحوانيت التابعة لهذه الدور فهي موقوفة على سبعة خيول مربوطة بسروجها للغزو في سبيل الله[٧].

وكذلك ما قامت به أم المقتدر واسمها شغب (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) فقد كانت لها أعمال جليلة في عمارة الكثير من المواضع، خاصة ما يتصل بخدمة الحجاج والمقيمين بالثغور[٨]، فأنشأت في طرسوس داراً كبيرة للصناعة، تهتم بتحصين المدينة وإصلاح سلاح المقاتلة، وأوقفت عليها أوقافاً عديدة منها أراض ثغرية وأخرى بأعمال أنطاكية وحلب مقدار ما يرتفع منها ١٠٠ ألف دينار[٩].

---

(١) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣، وعنه أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٥
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢٠
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، مجهول، حدود العالم ص ١٧٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٨٤، قدامة، الخراج ص ٣١٥
(٥) المسعودي، مروج ج٥، ص٢١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٠٩
(٦) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨
(٧) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٣٩
(٨) مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ق ٣، ص ٢٦٣
(٩) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٨

وإضافة للجهود العمرانية التي تقدم ذكرها، فثمة أمر آخر ساهم في تطور عمران المدن الثغرية خصوصاً طرسوس وهو اتخاذها مقاماً لبعض ولاة الثغور والقضاة والشيوخ، فكانوا يبتنون بها الدور والبيوت الخاصة لهم ولمواليهم[١]، فابتنى راغب الموفقي مولى الموفق بن أبي أحمد المتوكل داراً له بطرسوس، وكان قد انتقل إلى الثغور بعد وفاة مولاه الموفق سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، وعمر دوراً له وإلى جانبها مساكن لمواليه، وكان إلى جانبه ١٠٠ غلام يقاتلون إلى جانبه، وكانت داره الصغرى تقع إلى الغرب من شارع البرامكة أحد شوارع المدينة، أما داره الكبرى فكان موضعها قريباً من أحد الأبواب، وكانت تشتمل على خدم وشيوخ من الفرسان. وفي المدينة أيضاً دور بني جهور وهي أسرة أكثر رجالها قضاة، وكانت دورهم ومنازلهم تقع في شارع ابن دينار[٢]. وفي شارع النهر تقع دار ابن القحطبي قرب نهر البردان، وفيها كان يسكن الشيخ الصوفي أبو القاسم بن القحطبي والشيخ أبو القاسم الأبار وكلاهما من الزهاد العباد في القرن الثالث الهجري[٣].

كما تولى بعض قادة الثغور من الغزاة بناء الحصون، مثل حصن ثابت بن نصر[٤]، وحصن عجيف نسبة للقائد عجيف بن عنبسة، وكان أحد قواد المأمون، وحصن شاكر نسبة لشاكر بن عبد الله أبي الحسن المصيصي[٥].

ويخلص الباحث إلى القول إنه ومن خلال مقارنة الحالة العمرانية بين العصرين الأموي والعباسي يظهر أن عناية بني العباس بعمران الثغور كانت أكبر وأوسع، وأنها نالت من الاهتمام والاعتناء أكثر مما أبداه بني أمية[٦].

المنشآت والمرافق العامة في جند قنسرين

لا تتوفر في المصادر معلومات كافية عن المباني الإدارية في جند قنسرين، فدار الإمارة كانت أولاً بقنسرين ثم انتقلت إلى حلب، ولا تقدم المصادر أية معلومات عن موضع الدار ومبناها وما تضمنت من مرافق ودواوين ولا عن التاريخ الذي نقلت فيه من قنسرين إلى حلب، ولا دواعي الانتقال، والنص شبه الموحد الذي تتناقله المصادر هو أن "قنسرين مدينة الجند غير أن الإمارة والأسواق ومجمع ناسها والعمارات انتقلت إلى حلب"[١]، وهي لا تشير أيضاً إلى المكان والموضع الذي اتخذت فيه دار الإمارة سواء في قنسرين أو حلب. ويرد ذكر دور إمارة في بعض مدن الثغور

([١]) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٤٤
([٢]) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٤٩، الحياري، طرسوس ص ١١٠
([٣]) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٠
([٤]) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٤
([٥]) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٥٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢١١
([٦]) الحياري، طرسوس ص ٩٧، ٩٩

كملطية التي دمرها الروم سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م وطال الخراب دار الإمارة فيها[٢].

وتقدمت الإشارة إلى الحديث عن الأسواق في مدن الجند عند استعراض الحياة التجارية، وسيتم فيما يلي تناول بعض المنشآت الدينية والمرافق العامة التي تأكد وجودها خلال فترة الدراسة.

١. المنشآت الدينية:

المساجد:

المسجد من أول المباني التي كان المسلمون يحرصون على إقامتها في كل البلاد التي يقع فتحها، ويكون موضعه في الوسط كالنواة ومن حوله تقوم سائر أبنية المدينة[٣]، أما في مدن بلاد الشام ــ وهي مدن قديمة لم يجر تخطيطها وتأسيسها من جديد كبعض الأمصار الأخرى ــ فكان يتخذ للمسجد مكانٌ في وسط المدينة، وغالباً ما تكون دار الإمارة بالقرب منه.

والمصادر التي تذكر أسماء المساجد ومواضعها تعود لفترات متأخرة زمنياً، ولا يمكن الركون إليها في إرجاعها إلى العصرين الأولين من دولة بني العباس، ويظهر من مسمياتها أنها مساجد تعود لفترات لاحقة على فترة الدراسة، وبالتالي يصعب تصور ما كانت عليه المساجد القديمة وأماكن إقامتها.

واتخذ المسلمون لأول فتح قنسرين مسجداً في المدينة[٤]، وينقل ياقوت عن بعضهم القول إن مدينة قنسرين كانت عامرة آهلة حتى سنة ٣٥١هـ/ ٩٦١م عندما غلبت الروم على مدينة حلب وخرّبتها وأحرقت مساجدها[٥]، بما يعني اشتمالها قبل الخراب على مساجد عديدة، ووصفت حلب بكثرة آثارها ومساجدها ومعابدها[٦]، فكان من مساجدها القديمة: مسجد الغضائري ويقع ناحية باب أنطاكية[٧]، وهو أول مسجد اختطه المسلمون بحلب عند فتحها[٨]، وسمي في القرن الثالث الهجري بهذا الاسم نسبة لأحد الأولياء المتصوفة النازلين بحلب وهو علي بن عبد الحميد الغضائري (ت

---

(١) الإصطخري، مسالك ص ٦٧، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٧، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨

(٢) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧

(٣) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م، ص ٢٣٤

(٤) الواقدي، فتوح ج ٢، ص ٣٥٧

(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٠٤

(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٠١

(٧) ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٣٦٨، وسيشار له فيما بعد: ناجي، دراسات في تاريخ المدن.

(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٦٠

٣١٣هـ/ ٩٢٥م)[١]. وشيد المسلمون في عهد سليمان بن عبد الملك الجامع الأموي الكبير (مسجد زكريا) سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م، داخل ساحة كنيسة كانت مبنية في الأصل على أنقاض معبد روماني قديم[٢]. ويصف الصنوبري ارتفاع مئذنته العالية وقبته المتناهية الجمال ومراقي منبره الجميلة[٣].

ومن مساجد حلب أيضاً مسجد غَوث وموقعه داخل باب العراق[٤]، وقيل إن غوثاً الذي نُسب إليه المسجد هو غوث بن سليمان بن زياد الحضرمي (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) قاضي مصر وكان قد قدم مع صالح بن علي بن عبد الله إلى حلب[٥]. وكان في بلدة سرمين مسجد جامع إضافة إلى مساجد كثيرة كانت مبنية بالحجر المنحوت بعمارة متقنة[٦]، ومسجد الرصافة[٧].

وأقيمت في المدن الثغرية المساجد، فيرد ذكر المسجد الجامع بأنطاكية[٨]، ومسجد قورس[٩]. كما بنيت المساجد في المصيصة منذ أن كانت مسلحة في العهد الأموي، حيث بنى فيها عمر بن عبد العزيز مسجداً بقي قائماً حتى خرب في زمن المعتصم وكان يسمى مسجد الحصن، فلما بناها المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م وسماها المعمورة، بنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها وجعله أكبر من مسجد عمر بخمس مرات، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر على جند قنسرين[١٠]، وفي مقابل المصيصة على الضفة الشرقية لنهر جيحان أقيم مسجد في مدينة كفر بيا في عهد الرشيد وتمت الزيادة في مسجدها في عهد المأمون[١١]، وتم بناء مسجد في ملطية عند بنائها سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م[١٢]، وربما تبعه إنشاء مساجد أخرى لتستوعب عدد السكان البالغ ٤ آلاف رجل الذين نزلوها لأول بنائها، ومن المتوقع أن العدد تزايد فيما بعد بما يقتضي زيادة في المساجد.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ٢١٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٦٠، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٧٩

(٢) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٦٢، يوسف، شريف، المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٢، ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص ٣٦٩

(٣) الصنوبري، ديوانه ص ٤٥٨

(٤) الهروي، الإشارات ص ٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤٦١

(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ٤٨، ص ٩٤ ــ ١٠٢، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٧٩

(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٥

(٧) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥١٢

(٨) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٧

(٩) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٤٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٤

(١٠) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ١٩٧، ٢٧١ البلاذري، فتوح ص ١٦٩، قدامة، الخراج ص ٣٠٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٧، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ١٧٩

(١١) البلاذري، فتوح ص ١٧١، قدامة، الخراج ص ٣٠٨، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣

(١٢) البلاذري، فتوح ص ١٩١، وقدامة، الخراج ص ٣١٨، الحميري، الروض ص ٥٤٥

وبنى المسلمون مسجداً جامعاً في مرعش[١]، واحتوت سميساط على عدة مساجد منها مسجدها الكبير[٢]. وكان في دربساك مسجد جامع ومنبر[٣].

أما المقابر والجبانات فيرد عند الصنوبري ذكر لجبانة حلب، ذكرها في ثنايا أشعاره التي رثى فيه ابنته ليلى، وحدد موضعها خارج باب قنسرين[٤]، وأنها تقع على مفترق ثلاث طرق، وأشار لمنظر القبور التي تعلوها الشواهد فتبدو للناظر كأنها خيام[٥]. وفي جبانة حلب مقام إبراهيم الخليل عليه السلام[٦].

الكنائس والأديرة:

تمثل الكنائس والأديرة نموذجاً معمارياً متميزاً في جند قنسرين، وأدى كثرة النصارى في الجند لوجود عدد كبير منها، فخلال القرن السادس الميلادي كان يوجد في شمال سوريا نحو ٨٠ منشأة رهبانية[٧]. ويلزم لاستيفاء البحث في عمارة الأديرة والكنائس في جند قنسرين دراسة وتمحيص نتائج الحفريات والمسوحات الأثرية التي أجريت في شمال سوريا وجنوب تركيا، وتحليل رسومات ومخططات الأبنية، وهو أمر لا تستوعبه الدراسة ويحتاج لبحث خاص مفرد، فعمر هذه المنشآت قديم جداً، إذ يعود بعضها للقرن الأول الميلادي، وقد تتبع عزيز سوريال عطية بعض الدراسات الأثرية لهذه المنطقة وخلص إلى أن كنائسها فاخرة لا مثيل لها من الناحية المعمارية بأسوارها نصف المهدمة وأبراجها وعقودها وأرضياتها المرصوفة بالحجر وأعمدتها وأحجارها المشذبة[٨].

والدير بيت يتعبد فيه الرهبان وغالباً ما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال، فإذا كان في المدينة فيكون كنيسة أو بيعة[٩]. ويذكر كوركيس عواد أن الأديرة جميعها محصنة بسور مكين شاهق يحميه من خطر الاعتداءات، ويشترط في كل دير صغيراً كان أو كبيراً أن يكون فيه على الأقل كنيسة واحدة يصلي فيها المقيمون في الدير، إضافة إلى صوامع (أماكن للتعبد) تستوعب ما فيه من رهبان، وكل دير يحتوى على مرافق ومبان أخرى كالمخازن وبيوت الطعام، وبعضها

---

(١) البلاذري، فتوح ١٩٣، قدامة، الخراج ٣١٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٣٦١، الحميري، الروض ٥٤١
(٢) مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥٣
(٣) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٩، أبو الفداء، تقويم ص ٢٦١
(٤) الصنوبري، ديوانه ص ٩٥، ٢٢٨، ٤٥٩
(٥) الصنوبري، المصدر نفسه ص ١٢٩
(٦) الهروي، الإشارات ص ٤
(٧) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٨٢، وانظر عن كنائس حلب في العهد البيزنطي: إدلبي، ناوفيطوس، كاتدرائية حلب البيزنطية، مجلة عاديات حلب، الكتاب الثالث، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٧٧م، ص ٨٨ وما بعدها
(٨) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧
(٩) ياقوت، الخزل والدأل ج١، ص ٥٤

يحتوى على دور ضيافة ينزلها الزوار أو المارون به[١]، وآبار وطواحين ومعامل لتقطير النبيذ واسطبلات ومزارع وبساتين، وكانت بعض الأديرة مراكز هامة للعلم والتعليم[٢].

ويرد ذكر الكنائس بشكل عارض في مؤلفات البلدانيين والمؤرخين المسلمين ونظرائهم السريان، أما الأديرة فقد استقصى خبرها ياقوت الحموي في كتبه، والشمشاطي في المتبقي من كتابه الديرة، وسقطت أديرة الشام من النسخة الوحيدة المتبقية من كتاب الديارات للشابشتي.

فمن كنائس الجند ترد الإشارة إلى كنيسة الخلقيدونيين (الروم) في حلب[٣]، وكنيستين في أعلى قلعة حلب، وفي البلد ست بيع[٤]. وكنيسة بمنبج استخدم في بنائها خشب العناب فجاءت من أبهى كنائس الجند[٥]، وفيها أيضاً كنيسة أخرى للموارنة بنيت في عهد الخليفة مروان بن محمد[٦].

وفي غرب الجند تبرز أنطاكية في كثرة كنائسها التي لا تحصى كثرة، منها كنيسة القسيان التي تعد من العجائب[٧]، وهي من أبهى الكنائس المبنية بالرخام[٨] وأعظمها بناءً وقدراً عند النصارى[٩]، وقد وصفها الطبيب ابن بطلان الذي زارها في حدود سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وأقام بأنطاكية عابداً زاهداً، وهو في وصفه لهذه الكنيسة يتحدث عن تحفة معمارية، فهي تقع في وسط أنطاكية، وكانت دار قُسيان الملك، وهو هيكل طوله مائة خطوة بعرض ثمانين، وعليه كنيسة على أعمدة (أساطين)، وفي دائر الهيكل أروقة يجلس فيها القضاة ومعلمو النحو واللغة، وعلى أحد أبواب الكنيسة فنجان (بنكان) الساعات يعمل ليلاً ونهاراً اثني عشر ساعة، وهو من عجائب الدنيا، وفي أعلاه خمس طبقات، توجد في الطبقة الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير جميلة تنزل منها المياه، وهناك كنائس كثيرة، كلها معمولة بالفص المذهب والزجاج الملوّن والبلاط المجزع[١٠].

وذكر المسعودي عدداً آخر من كنائس مدينة أنطاكية منها كنيسة بولس، وتعرف في إنطاكية بدير البراغيث وهي مما يلي باب فارس، وبها كنيسة أخرى تدعى أشمُونيت، يقام بها عيد عظيم

---

(١) الشابشتي، الديارات ص ٤٩
(٢) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٤
(٣) Theophanes, The Chronicle, p ٦٢٤، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ١١
(٤) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦
(٥) ابن رستة، الأعلاق ص ٨٣، ابن الفقيه، البلدان ص ١٨٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٨٧، ١٠٩، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢
(٦) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٠٣
(٧) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، ج٢، ص ٥١٧
(٨) ابن رستة، الأعلاق ص ٨٣، ابن الفقيه، البلدان ص ١٨٠، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧ ــ ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٨، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢
(٩) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥
(١٠) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، ج٢، ص ٥١٧

عند النصارى، وكنيسة بربارا، وكنيسة مريم وهي كنيسة مدورة تعد من عجائب العالم في التشييد والرفعة، وقد كان الوليد بن عبد الملك بن مروان (حكم ٨٦ ــ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ــ ٧١٥م) اقتلع من هذه الكنيسة عُمداً عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق حُملت في البحر إلى ساحل دمشق، وبرغم ما أخذ منها من أعمدة ورخام فقد بقيت الكنيسة قائمة حتى زمن المسعودي (القرن الرابع الهجري)[١]. ويزعم أهل الجند أن يحيى عليه السلام مدفون بإحدى كنائس أنطاكية[٢].

وترد إشارات لوجود الكنائس في الثغور، وهي التي أمر الرشيد بهدمها[١]، ولعل أمره لم ينفذ أو كان محصوراً بتلك التي استحدث منها، ويذكر ابن العبري وجود كنيسة بطرسوس تسمى الكنيسة الكبرى الجديدة، وتعرضت سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م لاعتداء من قبل أهالي المدينة[٢].

أما الأديرة فيتركز وجودها في المنطقة الممتدة بين حلب وأنطاكية وإلى الشمال منهما، وتكثر في جبل اللكام المطل على أنطاكية الديارات والصوامع[٣]. ويرد في أخبار الفتوح ذكر ديرين من نواحي قنسرين هما دير طايا ودير الفسيلة، وصالح أبو عبيدة أهل الديرين على أن يستضيفوا من مرّ بهم من المسلمين[٤].

ومن الأديرة التي بنواحي حلب دير مَرْقُس[٥]، ودير حَشْيان[٦]، ولعل اسمه تعرب فأصبح المسمى الآن بدير حسان، وهو يقع في نواحي بلدة حارم، وفيه آثار كنائس وأديرة تعود للعهد الروماني[٧]، ودير عَمَان وهو اسم سرياني معناه دير الجماعة[٨]، وانفرد ياقوت بذكر دير اسمه دير ابن عصرون موضعه بظاهر مدينة حلب[٩]، ودير مارْت مَرُوثا الواقع في سفح جبل جوشن المطل على حلب من غربيها، ويطل على نهر قويق، وهو دير صغير يعرف بدير البيعتين، لأن فيه مسكنين أحدهما للنساء والآخر للرجال[١٠]. ويقع في البساتين التي بظاهر حلب دير اسمه دير العذارى، وموضعه على نهر قويق وفيه أكثر بساتينها، ونبه ياقوت أن لا أثر للدير في زمنه[١١].

وفي شمال الجند يقع دير شيخ ويسمى أيضاً دير تل عزاز[١٢]، وهو في مكان نزه، طيب الهواء، عذب الماء[١٣]، ودير قزمان وهو دير حسن يقع إلى الشمال من حلب ما بين جبرين وتل خالد[١٤].

ومن الأديرة الواقعة إلى الغرب من حلب دير بلاض (بالضاد) وهو دير قديم مشهور مشرف على قرية عِمّ، فيه رهبان لهم مزارع[١٥]. ودير الرُمَّانين الواقع بين حلب وأنطاكية ويشرف على منطقة سرمدا في أحسن موضع وأنزهه[١٦]، وذكر ياقوت أنه يعرف أيضاً بدير السابان، وهو دير

---

(١) المسعودي، مروج ج٢، ص٣٣٩ ــ ٣٤٠
(٢) الحميري، الروض ص ٣٨

حسن كبير وكان خراباً في زمنه (أوائل القرن السابع الهجري) وآثاره باقية(١٧)، وهو المسمّى الآن دير ترمانين. ودير الفوعة نسبة لقرية الفوعة بنواحي إدلب(١٨).

أما ما يقع بنواحي أنطاكية من الأديرة فمن أشهرها دير سمعان المسمى باسم القديس سمعان العمودي (ت ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)(١٩)، ويوجد في جند قنسرين ثلاثة أديرة تحمل اسمه هي:

- **دير سمعان:** خارج أنطاكية، ويذكر ابن بطلان أنه "مثل نصف دار الخليفة، يُضاف فيها المجتازون"(٢٠)، ولعله أراد أن مساحة الدير تبلغ نصف قصر الخليفة العباسي ببغداد، وكان في زمنه أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله (حكم ٤٢٢ ــ ٤٦٧هـ/ ١٠٣١ ــ ١٠٧٥م) وحدد ياقوت موضعه قرب ساحل البحر الشامي(٢١). وقد كشفت المسوحات الأثرية وأعمال التنقيب عن بقايا كنائس وأديرة وبيوت سكنية وأسواق وأبراج ومعاصر، وترجع هذه المنشآت إلى القرنين الخامس والسادس الميلادي ولا زالت قائمة لا ينقصها سوى السقوف والأبواب(٢٢).
- **دير سمعان:** بنواحي حلب بين جبل بني عليم والجبل الأعلى(٢٣)، وهو دير حسن البناء يقصده الناس لحُسنه، وعليه حصن منيع(٢٤).

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٠٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٢٧
(٢) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٤
(٣) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٩
(٤) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، قدامة، الخراج ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥
(٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٣٦، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٢٠٧
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٠٥، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٣
(٧) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٣٩٤
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٢٤، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٣٥
(٩) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٣١
(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٣١، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٧٨، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٢
(١١) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٢٣، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٣٠
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥١٨، ياقوت، الخزل والدأل ج١، ص ٣٠٠
(١٣) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٩٧
(١٤) الشمشاطي، الديرة ص ٣٨٣
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٠١، ياقوت، الخزل والدأل ج١، ص ٢٩٢
(١٦) الشمشاطي، الديرة ص ٣٨٦
(١٧) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥١١، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٤٥، ٦٨
(١٨) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٨٠، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٤٣
(١٩) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٧٨، وانظر عن هذه الأديرة المنسوبة لسمعان: كرد علي، خطط الشام ج٦، ص ٣٠
(٢٠) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، ج٢، ص ٥١٧
(٢١) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٨٨
(٢٢) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٤٠٣
(٢٣) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥١٧، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٩٠
(٢٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٧

- **دير سمعان:** بقرب معرة النعمان حيث قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز[١]، ويعرف أيضاً بدير النقيرة[٢]. ولا زالت بقايا آثار الدير قائمة إلى اليوم، ومساحة الدير ٢٠٠م عرضاً في ٣٠٠م طولاً، وتحيط به الجدران المبنية من الحجارة الكلسية الضخمة من ثلاث جهات، واكتشفت أيضاً فسيفساء ملونة، ويسمى الآن دير الشرقي[٣].

ويتبع لأنطاكية دير يسمى دير أوسيبونا[٤]، كما يوجد إلى الشمال من أنطاكية دير كبير على جبل رأس الخنزير المطل على ساحل البحر الشامي[٥].

وفي جنوب شرقي الجند يذكر الشمشاطي وجود دير للنصارى في الرصافة[٦]، وهو دير قديم من بناء الروم بين مزارع وأنهار[٧]، وقد زاره ياقوت ونعته بأنه من عجائب الدنيا حسناً وعمارة وهو يقع في وسط البلدة، ورجّح أن الخليفة هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) بنى عنده مدينته وأن الدير كان موجوداً قبلها، وكان يشتمل على رهبان كثيرون ومعابد، وقد اجتاز به الخليفة المتوكل عند قدومه لدمشق ونزل فيه[٨]. وأيضاً دير في بلدة خناصرة يعرف بدير خناصرة[٩]، ويوجد على شاطئ الفرات من الناحية الغربية دير يعرف بدير القائم الأقصى[١٠]، ودير آخر على الشاطئ من ناحية جند قنسرين يعرف دير مَرْ ماعوث، ووصف ياقوت موضعه بأنه نزه، تحيط به البساتين، إلا أن العمارة حوله قليلة وفيه جماعة من الرهبان والنساك، ولهم حوله مزارع ومباقل[١١]. وأيضاً بقرية حافر الواقعة بين بالس وحلب دير منسوب لها باسم "دير حافر"[١٢]، وقريباً منه فيما بين بالس وحلب يوجد دير إسحق، ويسمى أيضاً دير الزبيب وهو بقرب الناعورة (قصر مسلمة)[١٣].

ومن أديرة الثغور يرد ذكر دير سليمان، ويقع بقرب مدينة دلوك مطل على مرج العين وهو

---

(١) المسعودي، مروج ج٤، ص١٦، العظيمي، تاريخ حلب ص ٩٩، ابن سعيد، بسط الأرض ص ٨٦، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٩٠
(٢) الهروي، الإشارات ص ٧، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٢٣١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٧، عند طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٤٠٦: دير العقيرة
(٣) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٤٠٥ ــ ٤٠٦
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١١
(٥) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٦
(٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٤
(٧) الحميري، الروض ص ٢٥٣
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥١٠، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٤٢
(٩) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٠٧، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٢٤
(١٠) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٤٦، الحميري، الروض ص ٢٥٠
(١١) ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٢١٢
(١٢) ياقوت، المصدر نفسه ج٢، ص ٥
(١٣) الشمشاطي، الديرة، ص ٣٨٣

غاية في النزاهة[١]، وشمالاً منه يقع دير مار يعقوب في مدينة كيسوم[٢]. وفي أقصى الشمال بقرب ملطية يوجد دير برصوما، وهو منسوب للأسقف برصوما (ت ٤٥٧م)[٣]، يقع على قمة جبل يشبه القلعة، وعنده متنزه وبساتين وفيه رهبان كثيرون[٤]، وكان ديراً معتبراً عند النصارى[٥].

ويوجد بقرب المصيصة في الثغور الشامية دير المحلى، وهو يقع على ساحل نهر جيحان، وصفه ياقوت بأنه دير حسن نزه، مشرف على رياض نضرة وأزهار وبساتين مثمرة يسقيها نهر جيحان، وأورد أبياتاً شعرية تذكره[٦].

ويلفت النظر أن ياقوت عند بسطه للأديرة يشير لاستقطاب أديرة الجزيرة والعراق للشعراء والمجان فيشربون ويتلذذون ولم يشر لشيء من هذا القبيل في أديرة الشام، وخصوصاً أديرة الجند، ويؤكده أيضاً أن الصنوبري وهو يكثر من مجالس اللهو والشرب يذكر تردده على دير زكى قرب الرقة ولم يرد في شعره ذكر شيء من هذا عن أديرة جند قنسرين، ويقول الصنوبري عن الأديرة الواقعة شرق الفرات:

طربتُ إلى شاطئ الفرات عشية   بكل فتى كالسيف أروعَ صنديد

تروقــك داراتٌ علــيه كأنـــــــها   خـــواتمُ حسنٍ في خدودِ مهاً غيد[٧]

٢. المرافق العامة:

الفنادق والخانات

الفندق هو الخان السبيل بلغة أهل الشام[٨]، الذي ينزله الناس مما يكون في الطرق والمدائن[٩]، وكانت مدينة قنسرين تشتمل على خان تنزله القوافل وهو آخر ما بقي عامراً فيها قبل خراب المدينة

---

(١) الأصفهاني، الأغاني ج٢٢، ص ١٢٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥١٦، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ٧٨، الحميري، الروض ص ٢٥٤، كرد علي، خطط الشام ج٦، ص ٣٠

(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١

(٣) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣١

(٤) ياقوت، الخزل والدأل ج١، ص ٢٨٧

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٥٣

(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٥٣٣، ياقوت، الخزل والدأل ج٢، ص ١٩١

(٧) الصنوبري، ديوانه ص ٤١٧

(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٧٧

(٩) لسان العرب وتاج العروس، مادة: فندق

قبل خراب المدينة على يد الروم في منتصف القرن الرابع الهجري[١]. وكان يوجد في بلدة تل السلطان جنوب مدينة قنسرين خان ومنزل للقوافل يسمى الفُنَيدق[٢]. ويشير ابن حوقل لكثرة ما في حلب من الفنادق[٣]، ويمكن اعتبار الدار التي استحدثتها زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) في بغراس على طريق الثغور أول فندق أو خان يقام على أرض الجند، وهي دار مخصصة للضيافة[٤]، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة، بحيث ينزل فيه كل مسافر يصل المدينة فيضيفه أهلها فيها[٥]، ولم يكن للمسلمين بالشام دار ضيافة غيرها[٦].

وذكر ياقوت موضعاً يسمى الفندق بالثغور قرب المصيصة[٧]، كما مر ابن الطيب السرخسي في رحلته مع المعتضد سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م على فندقين يقعان بين أذنة وطرسوس، هما: فندق بغا، والفندق الجديد[٨]، ولعل وصف أحد الفندقين بالجديد يدل على وجود فندق سابق عليه في نفس موضعه أو قريباً منه، كما يشير ابن حوقل إلى أن العديد من الفنادق والخانات كانت موجودة بطرسوس أوقفها أناس من خارج المدينة في سبيل الله[٩]. وقريباً من بياس يوجد فندق حسين، وموضعه في مرج حسين المنسوب إلى حسين بن سليم الأنطاكي، كانت له به وقعة مع العدو[١٠].

كما تولت الأديرة دور الاستضافة، خصوصاً مع كثرة ما يلحق بها من مرافق ومباني تستطيع من خلالها استيعاب أي عابر سبيل أو منقطع، وقد صالح أبو عبيدة أهل دير طايا ودير الفسيلة على أن يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين[١١]. ودير سمعان خارج أنطاكية وهو مثل نصف دار الخليفة، يُضاف فيها المجتازون، يقال إن دخله في السنة ٤٠٠ ألف دينار[١٢].

الحمامات

اشتهرت بلاد الشام ببناء الحمامات، وهي استمرار لفن عمارة تعود إلى حقب سابقة، بلغت أوج ازدهارها في العصر الروماني[١٣]، وواصل أهل الشام في العصور الإسلامية اعتنائهم باتخاذ الحمامات العامة التي يرتادونها ويقضون فيها أوقاتاً من الاستجمام والمتعة وتبادل الأحاديث؛ وكانت

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٠٤
(٢) ياقوت، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٢، ج٤، ص ٢٧٨
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧
(٤) ابن حوقل، المصدر نفسه ص ١٨٤، أبو الفداء، تقويم ص ٢٥٩
(٥) مجهول، حدود العالم ص ١٧٦
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥١
(٧) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٧٧
(٨) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٧٧، نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي.
(٩) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣ ــ ١٨٤
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٢١
(١١) البلاذري، فتوح ص ١٥٤، قدامة، الخراج ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥
(١٢) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، ج٢، ص ٥١٧
(١٣) بهنسي، الفن العربي الإسلامي ص ١٦

حمامات حلب ومدن شمال الشام على ذات التقسيم الثلاثي للحمامات الرومانية (ثلاث قاعات)، وليس فيها عادة الاختلاط بين الرجال والنساء إنما كان لكل منهما وقت معلوم(١).

ويشير ابن حوقل إلى وجود الحمامات بحلب(٢) دون أن يذكر أعدادها أو صفتها، ويبدو أنها تعددت مع توسع المدينة وكثرة ساكنيها، فيرد ذكر حمام إلى جانب دار كوره ــ التي تقدم ذكرها ــ والواقعة بحلب في داخل باب الجنان(٣)، وأيضاً وجود حمام مشهور آخر يدعى حمام النفري، وهو منسوب لمحمد بن عمر بن يحيى النفري كاتب ذكا الأعور والي حلب في عهد المكتفي(٤). كما يذكر الصنوبري حماماً بحلب ويصفه بأنه على درجة عالية من الطيب واللذاذة، بحيث تمنى أن يكون له وطناً(٥)، وفي المقابل يذكر حماماً آخر يذمه لقلة مائه وشدة البرد فيه(٦).

واشتهرت أنطاكية بحماماتها، فيذكر الطبيب ابن بطلان بأن ما فيها من حمامات لا يوجد مثله في مدينة من اللذاذة والطيبة فإن وقودها من الآس وماءها سيح(٧)، ولعله أراد اعتماد هذه الحمامات في توفير الماء على ما يدخل المدينة عبر القنوات السارحة القديمة التي تخترق شوارعها وأزقتها. ويبدو أن حمامات أنطاكية كان أغلبها من العمارة الرومانية القديمة التي اشتهرت بها المدينة، مثل حمامات كاليغولا وهادريان وأنطونان(٨).

وعلى سبعة أميال من منبج توجد حمة، عليها قبة تسمى المُدِير، وفيها حمام يقال له حمام الصوابي(٩). ويذكر أبو الفداء حماماً ببلدة الباب(١٠)، ولم يتهيأ للباحث الجزم بتاريخ وجوده وهل هو قديم أم أنه مستحدث في القرون اللاحقة على حقبة الدراسة.

واتخذت الحمامات أيضاً في مدن الثغور، ويشير ابن حوقل إلى حمامات طرسوس التي كانت من جملة المرافق التي أوقفها أصحابها بطرسوس على المرابطين بالثغور(١١).

الجسور والقناطر:

(١) الكواكبي، سعد زغلول، الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب، مجلة عاديات حلب، الكتاب الأول، (جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، ١٩٧٥م)، ص ١٧١

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٣، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٧٣

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٩٨ــ ٩٩

(٥) الصنوبري، ديوانه ص ٣٢٩

(٦) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣٨٢

(٧) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، ج٢، ص ٥١٧، والماء السيح: هو الماء الجاري على الأرض

(٨) بهنسي، الفن العربي الإسلامي ص ١٦

(٩) ابن الفقيه، البلدان ص ١٦٦

(١٠) أبو الفداء، تقويم ص ٢٦٧

(١١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣ ــ ١٨٤

وجد العباسيون ــ ومن قبلهم بنو أمية ــ أمامهم تراثاً معمارياً تركه الرومان يتمثل فيما شيدوه من جسور وقناطر. وكانت شبكة الطرق الرومية مخدومة بالجسور ومعابر تصريف المياه أو إقامة القناطر على الأنهار ومجاري السيول لسهولة العبور(١). فبنى المسلمين على منوالها، ورمموا وأصلحوا ما تهدم منها بفعل التخريب أو حوادث الطبيعة، وقد كان من شروط الصلح لأهالي بعض المدن المفتوحة في صدر الإسلام الالتزام بإصلاح الجسور والطرق(٢).

فمن هذه الجسور ما أقيم على نهر الفرات لتسهيل عملية التنقل بين جند قنسرين والجزيرة، منها جسر منبج، وسميت البلدة نسبة إلى الجسر قبل أن يتغير اسمها إلى "قلعة نجم"، ويورد البلاذري روايتين في تاريخ إقامته: الرواية الأولى تنسبه إلى معاوية في خلافة عثمان وأنه أنشأه لمرور الصوائف، والرواية الثانية تجعل له رسماً قديماً(٣)، ولعل نسبته للرومان أقرب، لوجود جسور رومانية على الفرات ودجلة(٤)، ولعل هذا أحد جسورهم فرممه وأصلحه معاوية. ونسب الزوقنيني بناء جسر على الفرات مقابل الرقة للخليفة هشام وأنه أنشأه في حدود سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م(٥).

---

(١) حجار، عبد الله، الطرق والجسور الرومانية في سورية، مجلة عاديات حلب، الكتابان الرابع والخامس، (جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٧٨ ــ ١٩٧٩م)، ص ٢٢٠

(٢) البلاذري، فتوح ص ١٧٩، ابن عساكر، تاريخ ج٢، ص ١٨٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٥٨، القاضي، وداد، مدخل إلى دراسة عهود الإسلامية زمن الفتوح، الصلح المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في صدر الإسلام"، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، إربد، جامعة اليرموك، ١٩٨٧م، ج٢، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٦٠

(٣) البلاذري، فتوح ص ١٥٥

(٤) حجار، الطرق والجسور الرومانية ص ٢٣١

(٥) الزوقنيني، تاريخ ص ٨٨

ويشير سترابون إلى وجود جسر إيوفراتوس (الفرات) على نهر الفرات عند بالس وهو جسر روماني قديم[١]. كما توجد قنطرة قديمة على نهر سنجة أحد روافد الفرات الذي يجري بين حصن منصور وكيسوم[٢]، ووصفت هذه القنطرة بأنها إحدى عجائب الدنيا، إذ يبلغ طولها من الضفة إلى الأخرى طاقاً واحداً (نحو مائتي خطوة)، وبنيت من الحجر المهندم المشذّب طول الحجر الواحد منه عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع[٣].

ولا زالت بعض الجسور الرومانية مستخدمة حتى الوقت الحاضر، كالجسر الموجود على نهر الصابون ويتكون من ست فتحات (قناطر) وجسر نهر عفرين قرب دير صوان وهو بثلاث فتحات وكلاهما مبلط بأحجار كبيرة لمرور العربات[٤].

ويوجد جسر روماني على نهر العاصي يسمى جسر أنطاكية قرب المدينة[٥]، بل إن سترابون يُرجع تسمية العاصي باسم أورونتيس (الأرنط) نسبة لمن عمل جسراً عليه[٦].

وتوجد قنطرة (جسر) قديمة على نهر قويق قرب حلب من ناحية باب أنطاكية (أحد أبواب حلب)[٧] وعندما بنى سيما الطويل داره قريباً منه على النهر قام بتجديد وإصلاح الجسر[٨].

وكان على نهر جيحان فيما بين مدينتي المصيصة وكفربيا جسر كبير قديم معقود بالحجارة[٩]. ولم يرد ترميمه في عهدي المنصور والمأمون الذين توليا إعمار هاتين المدينتين. وكانت على نهر سيحان قنطرة رومية قديمة تسمى قنطرة أذنة، أعاد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ترميمها وسميت جسر الوليد[١٠]، وتم إصلاح الجسر في العصر العباسي عدة مرات، فرممه الرشيد سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م في خلافة أبيه المهدي[١١]، ثم أعيد ترميمه في عهد المعتصم سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م[١٢].

---

(١) سترابون، جغرافية ص٤٠، جونز، مدن بلاد الشام ص ٣٩
(٢) ابن الفقيه، البلدان ص ٥١٧، المسعودي، التنبيه ص ٦٤، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢، الحميري، الروض ص ٣٢٥
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٦٥، الوطواط، مناهج الفكر ج١، ص ٤١٢
(٤) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ٤٠٨، وانظر وصفاً دقيقاً لهذين الجسرين عند: حجار، الطرق والجسور الرومانية ص ٢٣١ ــ ٢٣٣
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٥٣
(٦) سترابون، جغرافية ص ٤٢
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٥ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٣٢، ج٣، ص ٢٥، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٥٩ ــ ٦٠
(٨) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨٤، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٩٢
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٦
(١٠) البلاذري، فتوح ١٧٢، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١٤٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٥٩، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣، شعيرة، من تاريخ التحصينات العربية ص ٢٥
(١١) قدامة، الخراج ص ٣٠٩
(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٤٠، ج٤، ص ١٣٤، لسترنج، بلدان الخلافة ص ١٦٣

ويشير اليعقوبي لوجود قناطر معقودة على نهر البردان الذي يخترق مدينة طرسوس[١]، وحددها الحميري بقنطرتين عظيمتين وموضعهما داخل المدينة، إحداهما تعرف بباب الصفصاف، والأخرى تعرف بباب البحر[٢]. كما وجدت جسور وقناطر قديمة مخصصة لرفع الماء إلى المدن كما هو الحال في قناطر القنوات التي تزود مدينة قنسرين بالماء[٣] وكذلك قناطر دلوك[٤].

ولعل زيارات الخلفاء العباسيين المتكررة لجند قنسرين أثناء تشييعهم للصوائف أو مرورهم منها في طريق الغزو قد ساهم في تحسين البنى العمرانية، وفي مقدمتها إصلاح الطرق وإقامة الجسور والمعابر على المضائق الصعبة، فيجهد الولاة في تهيئة المنازل التي يحط بها ركاب الخليفة وتحسينه وتجميله، وإصلاح الطرق والمسالك الواقعة على خط سيره، وإلا فسيكونون عرضة للمساءلة والإغلاظ لهم في القول وربما العزل من الولاية، وقد عزل المهدي في سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م والي الجزيرة عبد الصمد بن علي لهذا السبب بالرغم من أنه عم أبيه المنصور، وكان السبب أن الخليفة المهدي خرج إلى الشام مشيعاً للصائفة التي أمَّر عليها ابنه هارون الرشيد "فلم يتلقَّه عبد الصمد ولا هيّأ له نُزُلاً، ولا أصلح له قناطر"، فعزله لأجل ذلك وحبسه[٥].

هندسة المياه:

لم تظهر لبني أمية جهود في مجال حفر الأنهار وإقامة القنوات في جند قنسرين، مثلما فعلوا في مواضع أخرى من الشام والعراق، كاحتفارهم الأنهار بدمشق مثل نهر يزيد وغيره[٦]، وينفرد من بينهم الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢١هـ/ ٧٣٩م) الذي حفر نهراً لأهل بالس قريباً من بلدتهم يعرف بنهر مسلمة، وكان أهل بالس قد "سألوه أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر بيت المال فحفر لهم هذا النهر"[٧].

وكذا الحال في دولة بني العباس، إذ لم تظهر لهم جهود في تسيير المياه من الأنهار أو العيون للمدن وبساتينها، واستمر أسلوب الحصول على الماء لشرب الناس في المنازل أو للزراعة كما اعتادوا عليه من قبل إما من خلال الآبار والصهاريج القديمة المحفورة في المدن والقرى لتجميع مياه الأمطار، أو من خلال ما يصلهم من العيون والأنهار عبر قنوات رومانية قديمة.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧
(٢) الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢
(٤) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣
(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٦٠
(٦) ابن عساكر، تاريخ ج٢، ص ٣٦٩ ــ ٣٨٩، ج ١٥، ص ١٣٢
(٧) البلاذري، فتوح ص ١٥٥، قدامة، الخراج ص ٣٠٥

فكان شرب أهل قنسرين من نهر قويق الذي يمر بجانب المدينة، إضافة إلى وجود قناة تنقل لهم الماء من بركة عين المباركة بقرب حلب فيصل بواسطتها الماء إلى مدينة قنسرين، وكانت هذه القناة قد مُدت بين حلب وقنسرين، وهي تظهر في أسفل الجبل عند الوضيحي، ثم جعلت تحت الأرض إلى أن تنتهي إلى قرية القناطر من قرى قنسرين، وهناك يتم رفع الماء بواسطة القناطر التي عقدت لهذه الغاية إلى أن ينتهى إلى مكان مرتفع، ثم تعود القناة للاختفاء تحت الأرض حتى تصل مدينة قنسرين، فكانت المياه تصل المدينة من خلال هذه القناة(١).

وكذلك كان شرب أهل حلب من مياه نهر قويق، حيث تصلهم مياهه وتدخل إلى المدينة من خلال "قناة تجري في الشوارع والأسواق والديار، ومنه يشرب أهل المدينة وبه يتصرفون"(٢).

أما القرى المحيطة بمدينة قنسرين فكان شربهم من ماء الأمطار يجمعونه في آبار وصهاريج كبيرة(٣)، ويفعل مثلهم أيضاً أهل الرصافة، الذين لا ماء لهم إلا من مصنع (خزان) كبير في داخل سور المدينة يشربون منه(٤).

واستفاد أهل أنطاكية من هندسة الرومان التي أحدثوها في المدينة، فتجري المياه فيها عبر قنوات مائية قديمة تخترق أسواقها ودورها وقصورها وطرقها وسككها وتصل إلى المسجد الجامع(٥)، كما استغلت المياه المنحدرة من جبل أنطاكية في إدارة معاصر الزيتون(٦).

وتكثر في منبج القنوات التي توصل الماء لشرب السكان(٧)، وهي قنوات رومية قديمة يسيح الماء فيها على وجه الأرض، كما اتخذ أهل منبج في دورهم آباراً لجمع المياه وكان أكثر شربهم منها(٨).

وكانت المياه تصل إلى دلوك عبر قناة قديمة مبنية على قناطر يصعد الماء عليها إلى القلعة(٩).

ولوقوع أغلب المدن الثغرية على الأنهار فقد أجرى سكانها مياه الأنهار إلى مدنهم عبر القنوات التي كانت معدة منذ زمن عمرانها الأول، وربما رمموا ما تهدم منها وأزالوا ما عاق الماء عن الوصول إلى مدنهم، فمياه الأنهار المنحدرة من الفرات تزود مدينة ملطية من خلال القنوات المائية

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢
(٢) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٩
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٢
(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٣
(٥) الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(٦) ابن بطلان، الرحلة ص ٨٦
(٧) أبو الفداء، تقويم ص ٢٧١
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٢٠٦
(٩) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣

القديمة التي تدخل البلد وتجري في دوره وسككه[١].

البيمارستانات

البيمارستانات هي الدور المخصصة لعلاج المرضى، وأول من اتخذ البيمارستان بالشام هو الوليد بن عبد الملك[٢]، ثم كثر إنشاء الدور المخصصة للعناية بالمرضى (البيمارستانات) في العصر العباسي وبدأ إقامتها منذ عهد أبي جعفر المنصور الذي حث على إنشائها[٣].

ويتكرر في عدد من الدراسات الإشارة إلى وجود البيمارستانات في جند قنسرين وعموم بلاد الشام خلال العصر العباسي[٤]، لكنها لا تعضد هذا القول بأي مستند علمي يؤكده، فتبقى في نطاق الافتراض والتعميم، ولكن الأمر المؤكد هو وجود الأطباء[٥] أو ممن لهم اعتناء بمداواة المرضى ومعالجتهم، وكان أكثر هؤلاء الأطباء بالشام نصارى[٦]، لكن الأمر الذي يبقى طي التخمين هو هل كانوا يعملون تحت مظلة مؤسسة طبية أم لا؟.

ويرد في بعض مصادر ما بعد القرن الخامس الهجري الإشارة لوجود البيمارستانات في بعض مدن جند قنسرين، فقد شاهد الطبيب ابن بطلان أثناء زيارته لحلب في حدود سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م بيمارستاناً صغيراً في داخل البلد[٧]، كما يذكر بيمارستاناً آخر في أنطاكية يقع تحت إشراف البطريرك الذي يراعي المرضى فيه بنفسه، ويقوم بإدخال المجذمين (مرضى الجذام) الحمام في كل سنة ويغسل شعورهم بيده[٨]. ويبدو أن هذا الأخير من مرافق إحدى كنائس أنطاكية وليس من البيمارستانات العامة. وفيما عدا هاتين الدارين لا يرد ذكر شيء يمكن إرجاعه للزمن الذي يقع ضمن نطاق الدراسة.

خصائص المدينة في جند قنسرين:

---

(١) أبو الفداء، تقويم ص ٣٨٥

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ج١، ص ٤٣١

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٢، ص ٣١٤، البابا، مؤنس أنيس عبد الله، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (١ ــ ٦٥٦هـ/ ٦٢٢ ــ ١٢٥٨م)، رسالة ماجستير بإشراف رياض مصطفى أحمد شاهين، الجامعة الإسلامية، غزة (فلسطين)، ٢٠٠٩م، ص ١٧

(٤) بوخه، أدلوف، تطور الطب في حلب عبر العصور، مجلة عاديات حلب، الكتاب الأول، (جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، ١٩٧٥م)، ص ١٢٧، دويدري، أنور، البيمارستانات في حلب، مجلة عاديات حلب، الكتاب الأول، (جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، ١٩٧٥م)، ص ١٣٣

(٥) اعتمد الباحث في هذا الطرح على قصيدتين للصنوبري يخاطب في إحداهما طبيباً وفي الأخرى يهجوا طبيباً آخر. انظر: ديوانه ص ١٥٣، ١٨٣

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٣

(٧) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦

(٨) ابن بطلان، المصدر نفسه، ص ٧٨، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧

تقدم المصادر معلومات وأوصاف عمومية عن عمران مدن جند قنسرين، ولا تفصل الكلام على طرق البناء وأنماطه، وهي في الغالب مصادر متأخرة يصعب معها القطع بالحالة العمرانية خلال العصر العباسي الأول والثاني، ويبقى الأمر مرهوناً بما تكشفه التنقيبات والبحوث الأثرية.

لقد ساهم وجود منازل مبنية من الإرث الروماني، إضافة إلى توفر مواد البناء من الحجر والكلس، في كثرة العمران في جند قنسرين، خصوصاً مع برودة المنطقة وصعوبة معايشة أحوالها باتخاذ بيوت الشعر، فاستحالت القبائل ــ بمرور الزمن ــ من أهل وبر إلى أهل مدر، خصوصاً في الجهة الغربية من الجند، بينما بقيت بعض القبائل القاطنة في طرف البر بنواحي منبج وبالس وخناصرة على المدر، حسبما تقدم في الفصل الثالث.

ولا تكاد مدينة من مدن الجند أو الثغور جرى استحداثها أو إعمارها إلا وكانت في الأصل مدينة قديمة، أو على الأقل كان في موضعها أساس بناء رومي، يستثنى من هذا بعض المدن التي يجهل موقعها الآن مثل مدينة الهارونية الثغرية، وهو أمر له ما يبرره؛ فعملية استحداث مدينة جديدة في موضع بكر يحتاج إلى وقت أطول وإلى جهود أكبر في البناء والتنظيم ومد قنوات الماء، أما إعادة بناء الموضع المهدم ذو النواة القديمة فيوفر عليهم جهداً كبيراً في قطع الأحجار وتشذيبها وتهذيبها، ويسرع أيضاً في عملية البناء، ويقلل من التكلفة المالية.

فغالبية مدن الجند خلال حقبة الدراسة هي مدن أزلية (أي قديمة) وبعضها يعود إلى حقب زمنية ممتدة كالحقبة الآشورية، لكن المصادر العربية غالباً ما تُرجع بناءها للعصر الروماني استناداً لما عاينوه من بقايا الآثار الرومانية فيها من قلاع وأسوار وشوارع، وهي آثار بقيت شاهدة على تاريخها القديم في العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما، ولا ينتقص كون هذه المباني من إرث روماني من جهود الأمويين والعباسيين الذين عملوا ــ بتفاوت ــ على عمران المدن وتحصينها واستحداث مرافق تلائم متطلبات الحكم والإدارة، دون أن يغيروا تنظيمها ومخططها القديم، لكنهم أضافوا إليها وحدات عمرانية مختلفة[١].

وبالعودة إلى الأوصاف العامة التي وصفت بها بعض مدن الجند فيشير ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م) إلى أن مدينة قنسرين كانت صغيرة المساحة وأنها من أضيق تلك النواحي بناءً[٢]، لكن ياقوت يذكر خلاف ذلك ويقول بأن المدينة كانت عامرة آهلة حتى سنة ٣٥١هـ/ ٩٦١م أو ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م عندما هاجمها الروم ودمروها وأحرقوا مساجدها فلم تعمر بعد ذلك[٣]. وأرجع ابن العديم

---

(١) ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص ٣٥٩
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٨
(٣) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٠٤

خراب المدينة إلى فترة لاحقة وحددها بغلبة السلاجقة على البلد بعد ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م[١]، أما حلب فوصفت بأنها "مدينة جليلة العمارة، حسنة المنازل"[٢]. ووصف ناصر خسرو حلب بأنها مدينة عامرة، وأبنيتها متلاصقة، ووصف أسواق المعرة بأنها وافرة العمران[٣]، ووصفت المعرة في القرن السادس الهجري بأنها كثيرة المباني والأسواق[٤]، وفي القرن السابع الهجري وصفت بأنها أبنية حسنة بالحجر[٥]. وكذلك أنطاكية ذات "مبان زاهرة"[٦]، وسرمين مبنية من الحجر المنحوت بعمارة فاخرة[٧]، وبالس مشهورة بعمارتها[٨]، ومنبج مدينة حسنة البناء[٩].

والصفة الغالبة على أسلوب البناء هو استخدام الحجر في اتخاذ أهل الجند للمنازل، وهو يشكل مادة البناء الرئيسية، والبكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) بعد أن عدد مدن قنسرين وبعض مدن الشام الأخرى قال: "وهذه البلاد كلها بنيانها بحجارة وسقوفها حجارة والأبواب التي تردف على بيوتها ودورها وطاقاتها كلها حجارة"[١٠]. فكانت بيوت حلب مبنية من الحجارة البيضاء[١١] وكذا سورها[١٢]، ومدينة جندارس (جنديرس حالياً) كانت عجيبة البناء وهي مبنية بالحجارة والأعمدة[١٣]، وأبنية أنطاكية كلها بالحجر[١٤]، ودلوك مبنية بالحجارة وحولها أبنية حسنة منقوشة في الحجر[١٥].

أما سقوف المنازل فيعقد عليها باستخدام خشب السرو المسمى "الشُربين"، وهو شجر يكثر في الجند خصوصاً في نواحي بانقوسا قرب حلب[١٦]، ويذكر ديونيسيوس استخدام القرميد في سقوف الأبنية والبيوت في حران والرها وسروج وحصن كيفا، وهي مواضع من الجزيرة قريبة من جند قنسرين، وربما أن بعض البيوت الجند قد سقفت على غرار بيوت هذه المدن[١٧]. ويستخدم أهل

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٧٣
(٢) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، ٨٦
(٣) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٥٥
(٤) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٥٢
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٢٧
(٦) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٩
(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٦
(٩) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٠٥
(١٠) البكري، المسالك ج١، ص ٤٦٠، وانظر: شعيرة، من تاريخ التحصينات العربية ص ٢٩
(١١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦
(١٢) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥
(١٣) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٦
(١٤) المهلبي، المصدر نفسه ص ٦٥، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٩٢
(١٥) اليعقوبي، البلدان ص ٣٦٣
(١٦) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٤١٥
(١٧) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥

الجند في تطيين أسطح بيوتهم تراباً أبيض يجلبونه من جبال بيض تسمى الحوَّارة، وهو أقل صلابة من بقية أنواع التراب المتوفرة لديهم، كما يستخدمونه في عملية طلاء وتبييض السقوف(١).

أما قصور وبيوت الأمراء والولاة وكبار القوم، فيبدو أنها على مستوى عالٍ من الإتقان والجمال، فهي ذات ارتفاع عال(٢)، وتتخذ مواضع نزهة خارج أبواب المدن، وتكون في الغالب قريبة من ضفاف الأنهار، ابتعاداً عن بيوت العامة وانفراداً بمساحات أكبر، كما يلحق بها بساتين وحدائق، وربما كانت القصور في وسط البساتين، فقد كانت لوالي الجند سيما الطويل عناية في اتخاذ القصور وابتنائها، وابتنى بظاهر مدينة حلب داراً حسنة، وكان موضعها عند باب أنطاكية، ووضع عليها باب حديد، أخذه من قصر يسمى قصر البنات لبعض الهاشميين بحلب(٣) وعمل للدار بستاناً بقي عامراً حتى زمن ابن العديم (القرن السابع الهجري) ويعرف ببستان الدار، وكان محمد بن عبد الملك بن صالح قد ابتنى قبله قصراً في هذا الربض المشرف على نهر قويق خارج حلب(٤)، وهو عامر بالحدائق والبساتين(٥).

ويبدو أن اتخاذ الحدائق والتي يشار لها عادة باسم البساتين كان سمة عامة للقصور والبيوت ذات المستوى العالي من التأنق، وقد رسم الصنوبري التفاصيل الدقيقة لأحد قصور العباسيين بموضع يسمى فارث في نواحي حلب، فهو يحتوي إضافة إلى الأزهار والورود على أنواع من النعام والطيور ذات الأصوات المختلفة، كما تشتمل حديقته على دولاب (ناعورة) لرفع الماء يصدر أصواتاً مختلفة، وفي الحديقة حيث مكان جلوس الضيوف بين الورود توجد بركة كبيرة وعميقة مليئة بالماء(٦)، ويصف بركة قصر آخر بأنها تستمد ماءها من سواقٍ ترفدها(٧)، وفي بركة ثالثة لم يحدد موضعها يذكر أن في وسطها فوَّارة (نافورة) تقذف الماء(٨)، وأكد وجود هذه المرافق وهذه الأوصاف بقصيدة أخرى يصف فيها ذات القصر أيضاً(٩)، ويصف بستان منزله العامر بالورود والأزهار وأنواع الطيور(١٠)، بما يشي بحالته المادية التي سمحت له باتخاذ هكذا منزل.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٨٤
(٢) الصنوبري، ديوانه ص ٣١١
(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٦٥ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٤٣٢، ج٣، ص ٢٥، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص٩٢، ابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٥٩ ــ ٦٠
(٤) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص٨٣ ــ ٨٤، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦٣ ــ ٦٤
(٥) الصنوبري، ديوانه ص ٣٥٩، ٤٠٦
(٦) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧، ٣١٣، ٣٨٧، ٤٠٢، ٤٣٠
(٧) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣١١
(٨) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣٨٧
(٩) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٢٨١
(١٠) الصنوبري، المصدر نفسه ص ٣٠٣، ٤٤٧

ويشير ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) إلى بقايا قصور بني صالح بن علي العباسي ببطياس خارج حلب، وكانت في زمنه خراباً، واللافت قوله: "ويجد الناس في موضعه شيئاً من الفسيفساء وكسور الرخام"[١]، وهي تشي بأن بقايا الفسيفساء والرخام إما إنها منقولة من مبانٍ رومانية قديمة، أو أنهم أقاموا القصور على أنقاض مبان رومانية قديمة، وتفيد إشارته إلى مستوى الفراهة في قصورهم المزينة بالأرضيات والواجهات الفسيفسائية والقائمة على الأعمدة الرخامية.

تحصينات المدن الثغرية:

اتخذت المدن التي بنيت في الثغور الطابع العسكري من حيث السور والأبراج والخنادق والفصيل والأبواب، وهي ضرورة اقتضتها طبيعة موقعها الحدودي في مواجهة الروم وبكونها جزءاً من الصراع بين المسلمين والروم من خلال تعرضها للغارات والهجمات الرومية المتكررة، بما يقتضي جعلها على قدر من الحصانة والمنعة.

وبالرغم من أن غالبية مدن الثغور ــ إن لم تكن جميعها ــ هي ذات أساس روماني، جرى إعادة بناءها، وأنه لم يكن لمن تولى الإعمار أو إعادة البناء يد في تحديد واختيار الموضع، إلا أن الملاحظة الجامعة لها هي وقوعها على الأنهار، وأيضاً وقوع كل منها ــ في الغالب ــ إلى الغرب من الأنهر، فمدينة أذنة تقع غرب نهر سيحان، ومدينة المصيصة وعين زربة وسيس كلها تقع غرب نهر جيحان، وطرسوس يقسمها نهر البردان، ولعل اختيار جهة الغرب من الأنهار يعطي حرية في الحركة والنفير نحو الغرب فلا يكون الماء عائقاً أمام التوجه غرباً لصد أي هجوم رومي قادم.

الأسوار: كان اتخاذ الأسوار من أهم خصائص المدن بشكل عام، وكانت المدن الرومية القديمة مسورة لحمايتها من خطر الأعداء. وأحاط بمدينة قنسرين سور يحمي سائر المدينة، ولها قلعة، وكان لحاضر قنسرين المسمى حاضر طيء قلعة وسور[٢]، ويذكر الشريف الإدريسي والحميري أن قنسرين كانت مسورة بسور حصين، وأنه هدم في أيام مقتل الحسين بن علي بأمر يزيد بن معاوية وأن أثاراً من السور بقيت لعهديهما[٣].

وأحيطت مدينة حلب بسور حصين من الحجارة[٤]، وهو من بناء الروم[٥]، وكانت قلعتها مسورة لكنه سور متهدم غير حصين حتى منتصف القرن الرابع الهجري[١]، ومثلها أنطاكية التي أحاط بها

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٥٢٩
(٢) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٧ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي
(٣) الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٨، الحميري، الروض ص ٤٧٤
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٧، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، ٨٦، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٦، ابن بطوطة، الرحلة ج١، ص ٢٧٤
(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥١، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٥٩

سور قديم حصين من الحجر والصخر(٢)، ولمعرة مصرين سور قديم مبني بالحجر(٣)، وسرمين كان عليها سور من الحجر(٤)، وكان على الرصافة سور من الحجر(٥)، وعلى مدينة منبج سور قديم(٦)، ومدينة بالس مسورة(٧)، وكان لمعرة النعمان سور من الحجارة(٨)، وسور على حصن برزية(٩).

واتخذت على المدن المبنية بالثغور أسوار ضخمة تقيها من هجمات الروم، فكانت المصيصة محاطة بسور منيع(١٠)، ويذكر ابن الأثير أنها كانت مسورة من قبل لكن سورها تصدع بفعل الزلازل فبناه المنصور(١١). وفي مقابلها على الناحية الأخرى من نهر جيحان مدينة كفر بيا وعليها سور محكم(١٢)، وإلى الغرب منهما تقع أذنة وهي مسورة أيضاً(١٣). وأحيطت مدينة طرسوس في أقصى الغرب بسورين من الحجارة(١٤)، وبين السورين فصيل وخندق والفصيل واسع ومرتفع وبني بإتقان(١٥)، والفصيل عبارة عن حائط قصير يحيط بالحصن، وهو أقل ارتفاعاً من سور المدينة أو القلعة(١٦)، وكانت مدينة عين زربة مسورة(١٧). والهارونية مسورة بسورين(١٨). ومثلها مرعش مسورة بسورين، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد(١٩). والحدث مسورة بسور(٢٠)، وكانت ملطية مسورة بسور قديم تعرض للتدمير بالمنجانيق عند مهاجمة الروم لها سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م(١)، فأعيد بناء السور(٢)، وكانت مدينة كيسوم محاطة بخمسة أسوار(٣).

---

(١) المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥٢

(٢) سترابون، جغرافية ص ٤١، ابن الفقيه ١٠٩، الإصطخري، مسالك ص ٦٢، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٧٩، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٦٥، ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، الإدريسي، نزهة ج٢، ص ٦٤٥

(٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٣٣

(٤) ابن العديم، المصدر نفسه ج١، ص ١٣٩

(٥) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١١٣

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٠ ــ ١٨١

(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٤

(٨) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩

(٩) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٠٢

(١٠) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥

(١١) ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٥٠٠

(١٢) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨

(١٣) الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٩، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ٢٧٣

(١٤) الإصطخري، مسالك ص ٦٤، ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧ نقلاً عن رحلة المعتضد لابن الطيب السرخسي، الحميري، الروض ص ٣٨٨

(١٥) الحميري، الروض ص ٣٨٨

(١٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة: فصل

(١٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣

(١٨) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨

(١٩) ياقوت، المصدر نفسه ج٥، ص ١٠٧

(٢٠) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٢٤٢، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠، الذهبي، تاريخ

الأبراج: ويرتبط بالأسوار نظام مراقبة للأعداء يعتمد على اتخاذ الأبراج، وهو أسلوب حماية قديم سار عليه المسلمون في بناء المدن خصوصاً الثغرية منها، فكانت مدينة حلب محاطة بعدد من الأبراج التي جددها المسلمون عقب الفتوح، ووثقوا تجديدهم لها بكتابة أسمائهم عليها(٤)، وأشار ابن شداد إلى تجديد هذه الأبراج في العهد العباسي من قبل بني صالح خصوصاً في ولاية صالح بن علي وولاية ابنه عبد الملك من بعده(٥). ثم والى المسلمون المحافظة عليها وأدخلوا عليها التحسينات والإصلاحات فيما تلاه من عصور(٦).

فكان سور قلعة حلب يشتمل على أبراج متدانية (ليست عالية)(٧)، وكذلك سور أنطاكية الذي يشتمل على ٣٦٠ برجاً(٨)، كل برج على ارتفاع ثلاث طبقات(٩)، واشتمل حصن برزية على أبراج للمراقبة(١٠)، وأقيم حول مدينة طرسوس ٨٧ برجاً(١١) مستديراً ومربعاً(١٢)، وبين كل برجين ٥٦ شرفة، عرض الشرفة ذراعان ونصف في ارتفاع مثل ذلك(١٣). وقدم أبو عمرو الطرسوسي وصفاً لتحصين مدينة طرسوس، لكن عدد الأبراج والشرفات لديه كان كبيراً، يقول إن المدينة مدت على سورين، في كل سور منها خمسة أبواب حديد، فأبواب السور المحيط بها مصنوعة من الحديد الملبّس، وأبواب السور المتصل بالخندق من الحديد المصمت. والسور الأول الذي يلي باب المدينة عليه شرفات عددها ٨ آلاف شرّافة، يعتليها ١٦ ألف رجل محارب يرمون بقوس واحد، وهذا يعني أن على كل شرافة منها يقف رجلان، وفي هذا السور من الأبراج ١٠٠ برج، منها ثلاثة أبراج لنوع معين من المجانيق سماه بالحرري، وعشرون برجاً للمجانيق الكبار، وعشرون برجاً

الإسلام ج٤، ص ٢٧٣

(١) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٧، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧، ٤٨٦

(٢) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١

(٣) مار ميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٥

(٤) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥١، وانظر أيضاً: بيج، بيرتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، (ترجمة إبراهيم خورشيد (وآخرين)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٨، الباشا، مدخل إلى الآثار ص ١٨٢

(٥) ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٥٩ ــ ٦٠

(٦) بيج، البرج ص ٢٠

(٧) ابن بطوطة، الرحلة ج١، ص ٢٧٤

(٨) ابن بطلان، الرحلة ص ٧٧، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٢٦٧، الحميري، الروض ص ٣٨

(٩) شعيرة، من تاريخ التحصينات العربية ص ١٦

(١٠) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٠٢

(١١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨

(١٢) الحميري، الروض ص ٣٨٨

(١٣) البلاذري، فتوح ص ١٧٣ــ ١٧٤، قدامة، الخراج ص ٣١٠ــ ٣١١، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٨٥، ٢٤٠

للعرادات، وبقية الأبراج مخصصة لرمي الرجال بالأقواس[١]. وقدّر الحياري أن الـــ ١٣ برجاً الزيادة التي ذكرها الطرسوسي ربما كانت من الزيادات اللاحقة الناتجة عن توسع المدينة[٢].

ولم يرد عن بقية مدن الثغور إشارة لوجود الأبراج فيها، ولما كانت الحصون الصغيرة لا تخلو منها فيمكن افتراض وجودها في كل المدن المحصنة بأسوار، فقد كان في حصن عجيف أحد حصون طرسوس عددٌ من الأبراج، منها برج الوصيفي وكان يرابط فيه ثمانية رجال برئيسهم وبرج المنشا ستة رجال، وبرج المقّطع خمسة عشر رجلاً، وبرج الجزيري سبعة رجال[٣].

الأبواب: وللمدن والحصون أبواب حديدية تمنع ــ في حال الإغلاق ــ من أن يخترقها العدو، وجرى اتخاذ الأبواب في غالب المدن الإسلامية شرقاً وغرباً[٤]، فكانت لحلب ثمانية أبواب هي: باب حمص، باب الرقة، باب قنسرين، باب اليهود، باب العراق، باب دار البطيخ، باب أنطاكية، باب الأربعين[٥]، ولمعرة النعمان سبعة أبواب[٦]، ولحصن برزية باب مشرف على البلدة[٧]، وحصنت مدينة طرسوس بخمسة أبواب[٨]، هي: باب الجهاد ومنه يخرج إلى المرج الذي يعسكر فيه أمراء المقاتلة، وباب الصفصاف، وبين هذين البابين مدخل النهر الأعظم، وعلى مدخله شباك حديد وثيق بالغ العظم، وباب الشام ومنه يدخل زقاق أذنة والمصيصة والشام، وباب البحر وعنده مخرج النهر ومصبه في البحر، وهناك أيضا شباك حديد مثل الذي عند مدخله، وباب قلمية، وباب آخر مغلق يعرف بالباب المسدود[٩]، ورأى الطرسوسي أثر عشرين باب آخر في مدينة طرسوس جرى أغلاقها[١٠]. وكان للمصيصة خمسة أبواب[١١]، ولكفر بيا أربعة أبواب[١٢]، ولأذنة ثمانية أبواب[١٣]، وأحكمت الهارونية بأبواب حديدية[١٤].

---

(١) الطرسوسي، سير الثغور ص ٣٦
(٢) الحياري، طرسوس ص ١٠٥
(٣) الطرسوسي، سير الثغور ص ٥٦
(٤) عثمان، المدينة الإسلامية ص ١٤٢
(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم ص١٥٥، ابن بطلان، الرحلة ص٧٦، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص٥٥، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٦٩ ــ ٧٦، وابن الشحنة، الدر المنتخب ص ٣٩ ــ ٤٧
(٦) البكري، المسالك ج١، ص ٤٥٩
(٧) طلاس، المعجم الجغرافي ج٥، ص ٢٠٢
(٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧، الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٩) الحميري، الروض ص ٣٨٨
(١٠) الطرسوسي، المصدر نفسه ص ٣٧، الحياري، طرسوس ص ١٠٧
(١١) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٤٥
(١٢) ياقوت، المصدر نفسه ج٤، ص ٤٦٨
(١٣) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٩
(١٤) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ٣٨٨

الخنادق: اشتملت بعض المدن ــ وربما جميعها ــ على خنادق يتم حفرها بين الفصيل والسور الخارجي، أو بين السورين إن لم يكن ثمة فصيل بينهما، وقد اتخذ مثل هذا النظام في تخطيط مدينة بغداد، حيث تم حفر خندق حول المدينة بعمق ستة أمتار واتساع مثل ذلك، وكان يملأ بالماء بواسطة قناة عند حدوث الخطر، واتبع هذا النظام الدفاعي في كثير من المدن الإسلامية(١). واشتملت قلعة حلب على خندق واسع يبلغ عرضه ٢٦ متراً(٢)، وكان الخندق المحفور في مدينة طرسوس واسعاً وموضعه بين السورين، خلف الفصيل وهو خندق عريض عميق مبني بالصخر من أعلاه إلى أسفله وأرضيته مفروشة كلها بالصخر(٣)، فيتم ملئه بمياه نهر البردان زيادة في التحصين(٤)، واستحدث الخندق في المصيصة سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م لما بناها المنصور، واستحدث المنصور كذلك خندقاً في ملطية(٥)، كما استحدث الرشيد في كفر بيا خندق زيادة في تحصينها(٦)، واحتوت أذنة على خندق(٧). واتخذ الخندق أيضاً في تحصين مرعش(٨) وكيسوم(٩).

ولم يقتصر وجود الخندق على المدن الثغرية، بل وجد أيضاً في مدن داخلية، ولعله من الإرث الروماني ولم يقع استحداثه فيما بعد، فقد كانت بزاعة الواقعة شمال شرق حلب تحتوي على حصن منيع وعليه خندق(١٠).

التدمير والتخريب لعمران مدن جند قنسرين:

تأثر عمران الجند بثلاثة أنواع من عمليات التدمير والتخريب: التدمير نتيجة الحروب والثورات والفتن، والتدمير المتعمد أو المقصود من جانب الولاة، والتدمير الناشئ عن الكوارث الطبيعية.

١. التدمير نتيجة الحروب والثورات والفتن

أكثر ما لحق الحياة من العمرانية من تدمير كان ناتجاً عن الهجوم الرومي المتكرر والذي كانوا يسعون من خلاله لإعادة التوازن والرد على صوائف وشواتي المسلمين، وكانت المحاولات الرومية ــ خصوصاً في العصر العباسي الأول ــ هجمات خاطفة تهدف لإيقاع أكبر قدر من النهب

(١) عثمان، المدينة الإسلامية ص ١٤٠
(٢) الباشا، مدخل إلى الآثار ص ١٨٢
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٨٧، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٧ الحميري، الروض ص ٣٨٨
(٤) الحياري، طرسوس ص ١٠٦
(٥) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٢٧١
(٦) ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٨
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٦٩
(٨) ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٠٧
(٩) مار ميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٥
(١٠) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٧٠، ابن شداد، الأعلاق ج١، ق١، ص ٢٩

والتخريب والأسر ثم المغادرة قبل رد المسلمين، ولهذا كانت أغلب المناطق التي تعرضت لاعتداءات مستمرة هي المناطق الثغرية، وخاصة الشمالية منها، فكانت ملطية أكثرها تعرضاً للغارات الرومية، وقد طرقها العدو مرات كثيرة لكن ما ذكرته المصادر من تدمير لعمرانها تمثل في سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م عندما نصب الروم عليها المنجانيق فهدموا المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة[١]. وتكرر ذكر مهاجمتهم لها في سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وأقاموا عليها المنجانيق وهدموا جزءاً من سورها[٢]. وهاجموها أيضاً سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م فخربوا البلد[٣]، وسنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م[٤]. ودخلوها سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م فأخربوها، وخرّبوا قرى كثيرة من قراها، وأقاموا فيها ١٦ يوماً[٥]، وفي سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م استطاعوا السيطرة عليها وهدموا سورها وقصورها، وقال أحد الشعراء:

فلأبكين على ملطية كلما ... أبصرت سيفاً أو سمعت صهيلا
هدم الدمستق سورها وقصورها ... فسمعت فيها للنساء عويلا[٦]

وتليها مدينة مرعش في كثرة تعرضها لغارات الروم فغزاها الروم سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م[٧]، وسنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م[٨]، وخرج عليها في سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م مليح الأرمني فعاث في بلدها وأسر جماعة ممن حولها وعاد[٩]، وهاجمتها جيوش الروم سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م[١٠].

وإلى الشمال من مرعش تعرضت مدينة الحدث لهجمات الروم، ففي سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م هدموا سورها[١١]. وينفرد ابن العبري بالقول إن المدينة بعد أن بناها المهدي وفرغ منها في السنة التي توفي فيها (سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) تعرضت سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م إلى إغارة الروم فأخربوها وقوضوا أسوارها ودمروها بشكل كامل[١٢]، بينما تشير بقية المصادر إلى تعرضها للأمطار والثلوج فلم

---

(١) ابن خياط، تاريخ ص ٤١٠، الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٤٧
(٢) الطبري، تاريخ ج٧، ص ٤٩٧، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٢٤٣ ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ٤٨٦، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤١٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٨
(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥ ــ ٥٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٧٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٢٤، ٤٢٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٨٩، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٧ ــ ٥٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣١، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٩ ــ ١٤٠
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤
(٥) مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٠، ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ١٦٠، ١٦٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٢١٠
(٦) همام التنوخي، تاريخه ص ٩٩، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٩٣
(٧) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤
(٨) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٨، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٥، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٧
(٩) ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٥
(١٠) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥١
(١١) ابن خياط، تاريخ ص ٤٣٦، الطبري، تاريخ ج٨، ص ١٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٥٨
(١٢) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ١٣

تصمد أبنيتها المشيدة باللبن فانهارت[١]، وتعرضت للهجوم أيضاً مع مرعش سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م[٢]، وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٤ م فدخلها الروم ونهبوا وسبوا وأحرقوا[٣].

وتعرض حصن شمشاط للتدمير سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م بعد أن هاجم الروم البنائين والعمال الذين كانوا يعكفون على تشييده فهربوا ودخل الروم وسلبوا كل شيء وأحرقوا الباقي، وهدموا جميع البناء ورحلوا إلى بلادهم، فاجتمع المسلمون ثانية لبناء الحصن[٤]. وفي سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م هاجم الروم زبطرة فخربوا البلد وأحرقوها[٥]. وأغاروا في سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م على قورس وعجز أهلها عن مدافعتهم فدخلوا المدينة وأحرقوا مسجدها واستاقوا من بقي من أهلها[٦]. ويذكر ابن العديم أن سبب تسمية الكنيسة السوداء بالمحترقة هو إحراق الروم لها[٧].

ولعل أكثر تخريب طال الثغور كان في مطلع القرن الرابع الهجري عندما عجزت الدولة عن مدافعة الروم، فهاجموا طرسوس في حدود سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م[٨]، ودخلت جيوشهم في سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م إلى سميساط ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس[٩]، وفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م وصلوا قريباً من حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا[١٠]، "وكانت على نهر جيحان من القرى والضياع الكثيرة الماشية والكراع، ما لم يبق منهم نافخ نار"[١١]. ويقول البحتري في وصف المنطقة الشمالية من حلب:

أقــام كــلُّ مُلِثٍّ الــوَدْق، رَجَّاسِ ... علــى ديارٍ بعُــلْوِ الشــام أدراسِ[١٢]

وبعيداً عن هجمات الروم، فقد ساهمت الحروب الداخلية في جند قنسرين والفتن واشتعال نار العصبية التي تثور بين الحين والآخر، في التأثير سلباً على الحياة العمرانية في الجند، إما بانشغال الناس عن مزاولة البناء أو بتعرض الدور والمنشآت للحريق والتدمير، وقد وقعت شواهد من هذا

---

(١) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤
(٣) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١١٦، العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٧٤، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٣٣
(٤) الزوقنيني، تاريخ ص ١٤٣
(٥) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٥ ــ ٥٦، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٧٩، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤٢٤، ٤٢٦، مجهول، العيون والحدائق ج٣، ص ٣٨٩، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٧ ــ ٥٨، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣١، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٣٩ ــ ١٤٠
(٦) الطبري، تاريخ ج١٠، ص ١٢٩، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٥٤٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٥٤
(٧) ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ١٧٣
(٨) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥١
(٩). مجهول، العيون والحدائق ج٤، ق١، ص ٢٣٢، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٥٣
(١٠) ابن الأثير، الكامل ج٨، ص ٣٩٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧، ص ٤٣٤
(١١) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٨٣
(١٢) البحتري، ديوانه ج٢، ص ١١٤٧، ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ٣٣١، والملث: هو المطر الذي يدوم أياماً.

في فترة الفتنة بين الأمين والمأمون، منها ما تعرض له أهل حلب من جيرانهم التنوخيين المقيمين بحاضر حلب، فتم صد التنوخيين وطردهم من حلب ومن الحاضر أيضاً، وجرى أيضاً تدمير وتخريب حاضرهم "حتى ألصق بالأرض"، وكان يضم قبل تدميره عشرين ألف رجل[١].

وتقدم في الفصل الثاني تعداد الثورات التي حدثت أثناء الفتنة، لكن المصادر ــ إذ تسرد أخبارها ــ لا تفصح عن مدى الأضرار التي أحدثتها، ومن النتف التي وردت ــ وإن كان نطاقها بالجزيرة ــ ما قيل عن تحالف جمع بين عمرو بن عبد العزيز السّلمي ونصر بن شبث، وأنهما أحرقا بالنار الطريق الواصل بين الرقة والرافقة، وأحرقا ديراً للنصارى يسمى دير العمود[٢]، وعاثا بالجزيرة حرقاً وتدميراً، ثم محاصرتهما لحران وحرق القرى والكنائس والأديرة[٣]، ويرد في تلك الأثناء أيضاً احتراق كنيسة ضخمة من نواحي قنسرين زارها عثمان بن ثُمَامة العبسيّ المتغلب على قنسرين ونواحيها، فقصده النصارى للسماح لهم بإعادة إعمارها فأذن لهم بذلك وطلب من أعوانه المساعدة في ترميم الكنائس والأديرة وإعادة بناء من تهدم منها[٤].

ويرد في بعض روايات محاربة عبد الله بن طاهر لنصر ابن شبث تعرض سور بالس للتخريب نتيجة قذفه بالحجارة من قبل جيش ابن طاهر، فحدثت فيه ثغرة[٥]. وعندما تحصن ابن شبث بكيسوم في آخر أيام ثورته، هاجمه ابن طاهر ورمى كيسوم بحجارة ضخمة، أدت إلى فتح أبواب المدينة[٦].

٢. التدمير المتعمد:

ويقصد به ذلك التخريب الذي يتم بعلم الخلفاء والولاة أو بأوامرهم، وقد طال بعض المنشآت الخاصة بالنصارى وبعض الحصون وأسوار القلاع حتى لا يتخذها الخارجون على الدولة مكاناً يمتنعون فيه عليها.

وفيما يتعلق بالأذى الذي لحق ببعض منشآت النصارى ترد إشارات قليلة عن ذلك، منها تعرض بعض الكنائس إلى التدمير أثناء تتبع المهدي للزنادقة خاصة المانوية والتي اتهم بعض النصارى

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، البلاذري، فتوح ص ١٥١ ــ ١٥٢، قدامة، الخراج ص ٣٠٣، ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٢٠٦
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص
(٣) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣١٣، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤٦، ٤٥١، ابن العبري ٢٠ــ ٢١
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١١
(٥) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٣، ص ١٤، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٤
(٦) مار ميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٥، ابن العبري، أخبار الزمان ص ٢٥

باعتناق معتقداتهم، ويذكر ديونيسيوس أن المهدي أرسل المحتسب ليهدم الكنائس التي شيدت في عهد الإسلام، فتم هدم عدة كنائس منها كنيسة الخلقيدونيين في حلب[١].

ويذكر ديونيسيوس قيام الشخص المكلف ببناء مدينة الحدث من قبل الرشيد بتدمير بعض الكنائس لاستخدام حجارتها في بناء المدينة، وهذا ــ إن حدث ــ يسهل عملية البناء بوجود أحجار مقطوعة مشذبة، فهدمت الكنائس الواقعة غربي نهر سنجة واستعملت حجارتها لبناء السور، كما هدمت كنيسة كيسوم الكبرى وهياكلها الخمسة عشر، وتم نقل حجارتها على ألفي عجلة إلى الحدث[٢].

كما أمر الرشيد في سنة ١٩١هـ/ ٨٠٧م من جملة إجراءات قررها بحق النصارى هدم الكنائس الموجودة في الثغور[٣]، وامتد الهدم ليشمل بعض الكنائس في قرى أنطاكية إضافة إلى هدم كنيسة قديمة بالقدس[٤].

وأظهرت سنوات الفتنة بين الأمين والمأمون أن بعض المدن المحصنة بالقلاع والأسوار كانت تمثل معاقل للمتمردين والمتوثبين بالدولة والخارجين عليها، فاعتصموا بها، وأرسلت حملات عسكرية لوأدها وتسببت بإحداث التدمير في الحصون والقلاع، وبعد أن نجحت الدولة في إنهاء هذه الثورات عمدت إلى تدمير بعض الحصون حتى لا يستخدمها عصاة آخرون فيتحصنون بها، وقد وقع مثل ذلك منذ صدر دولة بني العباس، عندما امتنع منصور بن جعونة العامري ــ وكان أحد قادة عبد الله بن علي ــ على قوات أبي مسلم، وتحصن بالرها فلم يستسلم له إلا على الأمان، فلما وقع في يد المنصور سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م أمر بهدم سور الرها وسائر أسوار مدن الجزيرة[٥].

ووقع مثل ذلك في أعقاب ثورة نصر بن شبث، فبعد أن أعطاه عبد الله بن طاهر الأمان واستسلم له، تم تخريب حصن كيسوم وتهديمه[٦]، وجرى تخريب حصون أخرى غيره حتى لا تكون

---

(١) Theophanes, The Chronicle, p٦٢٤، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥، ابن العبري، تاريخ الزمان ١١
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٥
(٣) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٢٤، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٢٠٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٤، ص ١٠٢٧
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٣٧ ــ ٤٣٨
(٥) ابن عساكر، تاريخ ج ١١، ص ٢٤٥
(٦) يذكر الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٠١، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٣٦٦، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ١٧، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٣٩٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٦٥، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٥، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ١٩١، الذهبي، العبر ج١، ص ٢٨٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ١٩، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٦١٨، ابن العماد، شذرات الذهب ج٣، ص ٤٦

ملجأ للخارجين على الدولة، مثل حصن حُناك بمعرة النعمان[١]، وهي قلعة أثرية قديمة تعود للحقبة اليونانية[٢]، وحصن الكفر وغيرهما من الحصون، وجرى هدم سور مدينة معرة النعمان[٣].

وعقد المعتضد النية على هدم سور أنطاكية بعد خروج وصيف الخادم وهروبه إلى الثغور سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، فبعد أن قبض عليه وجه الصناع لهدم السور، فاجتمع إليه أهل البلد والتمسوا عدوله عن هذا القرار، فقال: "قد كثرت علينا الحوادث في هذه الثغور واعتصام كل مخالف بحصن منها، وقد سبق مني القول أن لا أدع حصناً إلا هدمته"، ولم يزالوا يناقشونه حتى اقتنع بكلامهم على أن يبر بيمينه ويهدم جزءاً من السور، فهدمه وأعادوا بناءه بعد رحيله عنهم[٤].

ومن مظاهر التدمير المتعمد ما سبق ذكره من إقدام المعتصم على هدم مدينة طوانة في ذات السنة التي بناها فيها أخوه المأمون، فهدمت مبانيها وأحرقت[٥]، دون أن تتضح دواعي مثل هذا التصرف.

ويُضاف لما تقدم، ما يُحدثه الأهالي في المدن التي تُهجر نتيجة الصراعات أو الزلازل، أو في المباني القديمة التي تخلو من السكان، فينقلون أبوابها وأعمدتها وحجارتها المشذبة لاستخدامها في بناء منازلهم، وهذا مؤدى كلام ابن الشحنة من أن بعض الحجارة التي بنيت منها القناطر والمباني بأنها "حجارة هرقلية" أي رومية[٦]. وقد تعرضت مدينة قنسرين وقلعتها للتدمير والتخريب منذ القرن الرابع الهجري، ونقل الناس حجارتها لعمارة منازلهم، وخصوصاً ما نقله أهل حلب، ونُقل أيضاً من حجارتها لتجديد جسر قريب منها، "فتداعت أقطارها، وأمحت أثارها، ولم يبق منها غير قرية قنسرين يسكنها الفلاحون والأكرة"[٧].

وقدم القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصن المعري (من أهل ق ٤هـ/ ١٠م) وصفاً لما حل ببعض المواضع الأثرية القديمة، عندما اجتاز بموضع يسمى "سِياث" قرب معرة النعمان، اجتاز بها والناس ينقضون بنيانها ليعمرون به موضعا آخر، فقال:

مررت برسم في سياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ٣٠٩، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٥٥، الجندي، تاريخ معرة النعمان ج٢، ص ١٣٥، كرد علي، خطط الشام ج٥، ص ٢٩٤

(٢) طلاس، المعجم الجغرافي ج٣، ص ١٥٨

(٣) مجهول، تاريخ حلب [الورقة ٢]، ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٤ ــ ٧٥

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة ج٢، ص ٢٤٨ ــ ٢٥١

(٥) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٦٦٧، الأزدي، تاريخ الموصل ص ٤١٥، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ٤٣٩، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٤٦، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٢٥٣

(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٥٧، ٦٨

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٧٣

تناولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائلِ
أتتلفها شلت يمينك خلها لمعتبر أو زائر أو مسائلِ
منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم أر أحلى من حديث المنازلِ(١)

٣. أثر الكوارث الطبيعية على العمران:

تعرضت بعض مدن الجند إلى بعض الكوارث الطبيعية كالفيضانات والسيول والزلازل القوية التي طرقتها في سنوات معينة، فدمرت الأبنية وقتلت أعداداً من الناس.

السيول والفيضانات:

تركت شدة الأمطار وتوالي سقوطها في بعض المدن الشمالية من الجند أثراً على عمارته، وتسببت بتدمير الأبنية وسقوط بعض الأسوار، خصوصاً تلك المدن الواقعة في أرض منبسطة محاطة بالجبال والأودية، ففي سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م تعرضت زبطرة لفيضان نهرها الذي يرفد نهر القباقب، إذ داهمها سيل جارف خلال الليل والناس نيام وارتفعت المياه فوق السور الذي انهار أمام قوة ذلك السيل وغطت المياه الشوارع والبيوت وغرق نحو ثلاثة آلاف نفس داخل البيوت ثم انهار السور من الجهة المقابلة وانسابت المياه فسقط العديد من البيوت والأبنية(٢). وأدى وقوعها في أرض مستوية محاطة بالجبال(٣) إلى تأثر مبانيها بأضرار بالغة.

ويشير ديونيسيوس إلى حادثة مشابهة في سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م، لكنه لم يحدد المناطق التي تعرضت للتدمير ويبدو أنها شملت مناطق واسعة من شمال الشام والجزيرة، ففي هذه السنة كثرت السيول وجرفت معها حجارة ضخمة، وتحولت البقاع إلى بحيرات، وفي بعض المناطق سقطت البيوت على الناس وأغرقتهم، ووصل الفيضان إلى الرقة تاركاً وراءه دماراً وخراباً، وأعقب ذلك في حزيران من السنة حدوث رعد هائل في قاليقلا بأرمينية فسقطت ثمانية أبراج من سورها وعدة بيوت، ومات نحو مئتي إنسان، وظل الناس مشردين في العراء مدة شهرين خوفاً من مداهمة السيول لهم(٤). ويلفت النظر أن تكون هذه الفيضانات في مطلع الصيف (شهر حزيران).

ولعل سكان جند قنسرين اعتادوا الاحتياط لخطر الفيضانات عند اتخاذهم الدور والمنازل، فيستخدمون الحجارة الكبيرة في أبنيتهم، بينما فشلت تجربة إدخال اللبن في البناء كما وقع عند بناء الحدث باللبن فسقطت مبانيها عند أول موسم شتاء(٥)، ولعل تجربتهم حكمتهم أن لا يسكنوا مجاري

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٩٢
(٢) قدامة، الخراج ص ١١٥، ١٨٦، مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٥٣، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٢٩
(٣) أبو الفداء، تقويم ص ٢٣٤
(٤) مارميخائيل، تاريخ ج٣، ص ٧٥
(٥) البلاذري، فتوح ص ١٩٤، قدامة، الخراج ص ٣٢٠، مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٢٤، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٢٤٠

السيول والأودية أو البناء في المواضع المنخفضة، أما المواضع المنبسطة فربما احتاطوا لها برفع مستوى البناء، ومن الأمثلة على ذلك ما لاحظه ناصر خسرو عند زيارته معرة النعمان سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م من أن مسجدها الجامع مبني على مرتفع وسط المدينة بحيث يصعدون إليه من أي جانب بثلاث عشرة درجة(١)، وكذلك أقيمت قلعة حلب ــ وإن كانت قلعة قديمة ــ على ربوة مرتفعة(٢). وإضافة لاختيار مواضع البناء فقد اتخذ الأهالي وسائل تقيهم مداهمة الأمطار كعمل القنوات لتصريف المياه وإقامة الجدران حول المنازل.

الزلازل:

وهي من أكثر الظواهر الطبيعية تأثيراً في عمران جند قنسرين، وتسببت في تدمير العديد من المباني والمنشآت، وردمت عيوناً للماء وأظهرت أخرى، وسوف يتم استعراض الزلازل والهزات الأرضية على أزمنتها والتي تعرضت لها المنطقة خلال فترة الدراسة.

فقد ذكر ثيوفانس حدوث زلزال عظيم في فلسطين وسوريا، وحدد تاريخ وقوعه في اليوم التاسع من شهر آذار (٣) سنة ٧٥٥م، ويقابل ٢١ رمضان ١٣٧هـ(٣)، وذكر الزوقنيني زلزالاً أرخه في شهر آذار سنة ٧٥٦م ويقابل رمضان ١٣٨هـ، ولعله ذات الزلزال الذي ذكره ثيوفانس لاتفاقهما على ذات الشهر وربما كان الاختلاف بينهما ناتجاً عن تحويل التاريخ اليوناني إلى الميلادي فوقع الخطأ، ويشير الزوقنيني إلى حدوث هزة أرضية عنيفة في منطقة الجزيرة لم يحدد تاريخها غير أنها كانت في أول خلافة المنصور، فدمرت ثلاث قرى، وتهدمت بلاد أخرى على أثر هذه الهزة الأرضية هذه(٤). وربما امتد نطاق الزلزال ليشمل تأثيره مدن الثغور، إذ كان من دواعي إعمار المنصور لمدينة المصيصة سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٧م تصدع حائطها بفعل الزلازل(٥).

وأورد ثيوفانس خبر وقوع زلزال في يوم ٩ فبراير سنة ٧٨٩م/ ٩ رمضان ١٧٢هـ ووصفه بأنه زلزال مروع بحيث لم يجرؤ أحد على النوم داخل بيته فأقيمت الخيم لأجل السكنى(٦)، ويبدو أن تأثير هذا الزلزال كان محصوراً فقط في بلاد الروم لأن المصادر العربية والسريانية أغفلت ذكره.

وفي سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م تعرضت المصيصة لزلزال كبير فانهدم بعض سورها(١). ويقول ديونيسيوس: "حدثت هزة كبرى في مومفسطيا (المصيصة) فسقط سورها وتصدعت معظم دورها

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٥٥

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٥٥، المهلبي، الكتاب العزيزي ص ٨٤، التطيلي، رحلة ص ٢٨٠، ابن العديم، بغية الطلب ج١، ص ٥١، ٥٨

(٣) Theophanes, The Chronicle, p ٥٩٤

(٤) الزوقنيني، تاريخ، ص ١١٤

(٥) قدامة، الخراج ص ٣٠٨، ياقوت، معجم البلدان ج٥، ص ١٥٩

(٦)Theophanes, The Chronicle, p ٦٣٩

وثلاث قرى من المنطقة، وانقطع جريان نهر جيحان الذي يمر بالقرب منها مدة ست ساعات وصارت السفن على اليابسة"[٢].

وتعرض جند قنسرين ومنطقة شمال الجزيرة إلى زلزال كبير في شهر آب سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م، ويصف ديونيسيوس كشاهد عيان قوته الهائلة بحيث اهتزت الجبال وردمت الينابيع في قرية اغورسا (جنوب شرق تركيا الآن) بمنطقة كلوديا، وانهار أحد الجبال وانحدر إلى نهر الفرات فتوقف جريانه طيلة النهار، كما ردم ينبوع في طمعين (كذا) في حين ظهرت مياه كبريتية في عدة مناطق[٣]. وتعرضت ذات المنطقة إلى زلزال آخر في حزيران سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م، وكانت أكثر الأماكن تضرراً هي مدينة أرضروم (شمال شرق تركيا) وسقط من سورها ثمانية عشر برجاً ومات نحو مائتي نسمة [٤].

وفي سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م وقعت الزلازل بأنطاكية المشهورة بكثرة تعرضها للزلازل وعظمها[٥]، ودامت أربعين يوماً فتهدمت المدينة[٦]. وبعدها بنحو عشر سنوات (٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) تعرضت الشام إلى زلزال ضرب دمشق ودمر كثيراً من منازلها، وسقطت فيها شرفات الجامع، وتصدع حائط المحراب، وسقطت منارته، واستمر الزلزال ثلاث ساعات، ومات الكثير من السكان تحت الردم، وامتد تأثيره إلى أنطاكية فهدمها، ومات من أهلها عشرون ألفاً[٧].

وفي سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م أصيبت مناطق واسعة من آسيا بزلازل امتد نطاقها بشكل ملفت، فقد ضرب فارس وخراسان ونيسابور والري وأصفهان واليمن[٨] والشام والثغور و"استقل جبل بأهله إلى جبل آخر وهلك كل مَن بالوادي"[٩]، و"تقلعت جبال من أصولها، ونبع الماء من تحتها"[١٠].

وبعد هذا الزلزال الواسع النطاق تعرضت بلاد الشام بأجمعها إلى زلزال مدمر آخر حدث في شهر شوال سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وكان تركيزه في جند قنسرين فزلزلت بالس وطرسوس والمصيصة وأذنة وأنطاكية، كما ضرب سواحل الشام والرقة وحران ورأس عين والرها وحمص

---

(١) الطبري، تاريخ ج٨، ص ٣٠٢، ابن الأثير، الكامل ج٦، ص ١٨٩، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٦
(٢) مارميخائيل، تاريخ ج٢، ص ٤٤١
(٣) مارميخائيل، المصدر نفسه ج٢، ص ٤٥٤
(٤) ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٣٤
(٥) المسعودي، التنبيه ص ٤٩
(٦) العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٦
(٧) ابن الجوزي، المنتظم ج١١، ص ١٨٩ ــ ١٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٧٤٤ ــ ٧٤٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٢، ص ٣٣، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٧
(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢٠٧، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨١، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٨
(٩) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٥٨
(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص ٨١، أبو الفداء، اليواقيت والضرب ص ٦١

ودمشق واللاذقية[١]، وكانت آثاره مدمرة، ففي أنطاكية تسبب الزلزال بقتل عدد كبير من سكانها، وسقط منها ١٥٠٠ دار وسقط من سورها أكثر من ٩٠ برجاً وهرب أهلها إلى الصحارى والبوادي تاركين منازلهم، وسقطت كتل من جبل الأقرع في البحر[٢]، واختفي من قربها أحد الأنهار وغار في الأرض[٣]، وذكر اليعقوبي استمرار الهزات مدة شهور[٤]، وحددها العظيمي بأربعة أشهر[٥].

أما بالس على الفرات فتهدمت هي وغيرها من المدن، وأُخربت القلاع والمدن والقناطر[٦]، وسقطت في معرة النعمان كنيسة حناك الكبرى وغيرها من الكنائس[٧]، ودمرت اللاذقية ولم يبق منها منزل إلا وطاله الدمار، ولم ينجُ من أهلها إلا اليسير[٨]، وهلك أكثرهم تحت الردم[٩]، وجنوباً منها على الساحل تعرضت مدينة جبلة وأهلها لذات الدمار "فذهبت بأهلها"[١٠]. وأمر المتوكل بثلاثة آلاف ألف درهم لكل من دمر منزله في الزلزال[١١].

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨١م وقوع زلزال عظيم بالشام ومصر وبلاد الجزيرة وإفريقية والأندلس، وسبقته هدّة عظيمة قوية[١٢]، ولم يعضد ما قاله أي من المصادر سوى ما ورد عند الطبري من وقوع زلزلة هائلة في الجانب الغربي من دجيل "وقى الله شرها وصرف مكروهها"[١٣].

الخاتمة والنتائج

(١) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٧، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٨

(٢) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٧، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٣، وفي كتابه أخبار الزمان ص ٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٧، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٨

(٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٧، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٩

(٤) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٤٦

(٥) العظيمي، تاريخ حلب ص ٢٥٨

(٦) ابن الجوزي، المنتظم ج١١، ص ٣٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٧، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٨

(٧) زكرياء، جولة أثرية ص ١٨٩

(٨) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٧، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٠، العجلوني، تحريك السلسلة ص ٧٩

(٩) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٤٦، ابن العبري، تاريخ مختصر ص ١٤٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٨

(١٠) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٣٤٦، الطبري، تاريخ ج٩، ص ٢١٣، ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٨٧، ابن العبري، تاريخ الزمان ص ٤٠

(١١) ابن الجوزي، المنتظم ج١١، ص ٣٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥، ص ٩٨٨

(١٢) ابن الأثير، الكامل ج٧، ص ٣٦١

(١٣) الطبري، تاريخ ج٩، ص ٥٧٨

حاولت الدراسة كتابة تاريخ هذه المنطقة من بلاد الشام التي عرفت باسم جند قنسرين خلال مدة قرنين من الزمان، فرسمت حدود الجند وعددت المدن والقرى التي تتبع له، وأظهرت الأوضاع التي مر بها طيلة تلك المدة في كافة النواحي: الإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمرانية، ومن خلال ذلك تم استخلاص النتائج التالية:

أولاً: من أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أنها استطاعت رسم الحدود لجند قنسرين خلال العصر العباسي، من خلال استنطاق كتب الجغرافيين وروايات المؤرخين، بعد أن كانت حدوده متداخلة مع جند حمص في الجنوب ومع بلاد الروم في ناحية الشمال، كما استطاعت رسم الحدود بين الجند والثغور وتحديد مواضع الثغور الجزرية والشامية. وظهر من خلال التحديد الدقيق أن جند قنسرين هو أكبر أجناد الشام مساحة.

ثانياً: فيما يتعلق بالصراع الإسلامي خلال العصر العباسي فقد بدا للباحث عدم جدية الصراع من جانب بني العباس فالمصادر تذكر خروج حملات عسكرية شبه منتظمة لكن نتائجها ليست كما تضفيه عليها من انتصارات وفتوحات، ولم يحصل أن زاد العباسيون على الحدود التي ورثوها عن الأمويين شيئاً.

ثالثاً: أظهرت الدراسة تقدم الجند في النواحي الاقتصادية من خلال كثرة مزروعاته وتنوع محاصيله، بما انعكس على صناعته وتنوعها خصوصاً الصناعات النسيجية.

رابعاً: كشفت الدراسة عن الأهمية التي لقيها جند قنسرين من سلطة الخلافة العباسية بعكس بقية الأجناد، وذلك لموقعه المواجه للروم، فكان ممراً لهم لإقامة الجهاد فضلاً عن رغبة بعضهم الإقامة فيه، فنال ــ نتيجة لذلك ــ العناية من الخلفاء في عملية العمران والبناء والتحصين.

خامساً: أظهرت الدراسة مكانة الثغور في كافة النواحي الحضارية: الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والعلمية، ففي الناحية الاقتصادية أظهرت الدراسة اعتماد الكثير من سكان الجزيرة وأهل جند قنسرين في رزقهم من خلال مشاركتهم في الصوائف والشواتي، وأيضاً الحركة التجارية الداخلية التي كانت تنشط وقت الإعداد للصوائف والشواتي، وفي الجانب الاجتماعي بدا أن التكوين السكاني للجند بشكل عام ــ والثغور بشكل خاص ــ هو تكوين متنوع ومختلف وفيه فئات دينية

وعرقية متعددة، ورأى الباحث أن هذا التمازج والتنوع هو الذي حال دون حصول فتن وثورات مقارنة بغيره من الأجناد، نتيجة عدم التجانس بين السكان. أما الجانب السياسي فكان أكثره منصباً لمقارعة الروم ولم تظهر له مشاركة فاعلة في الأحداث التي شهدتها الخلافة سوى حقبة النزاع بين الأمين والمأمون.

سادساً: وفي الجانب العلمي والأدبي ظهر مقدار المكانة التي احتلها الجند من خلال وجود عدد من الشعراء والأدباء، وهم ــ وإن كان عددهم لا يقارن بالعلماء والأدباء المقيمين في بعض الأجناد الأخرى كجند دمشق مثلاً ــ إلا أن جند قنسرين امتاز عليها جميعاً بطبقة الفقهاء والمحدثين الذين لازموا الثغور، وعدد المتصوفة والزهاد ممن أقام فيه والذين آثروا ملازمة الحدود طلباً للجهاد، ورغبة في العزلة، ورصدت الدراسة عدداً من الزهاد والعباد والمتصوفة الذين انقطعوا في الثغور، وتشكلت بهم حركة علمية أثرت مساهمة الجند في هذا الجانب.

سابعاً: وفي الجانب العمراني فقد خلصت الدراسة إلى أن الثغور كانت من أكثر مناطق بلاد الشام ــ وربما الدولة الإسلامية عامة ــ التي نالت العناية والاهتمام من قبل خلفاء بني العباس في جانب العمران والبناء، فشيدت فيه الحصون والبروج وأقيمت على الأنهر القناطر والجسور التي سهلت عبور الجنود والمقاتلة ومرورهم نحو بلاد الروم. كما أظهرت الدراسة خطأ من زعم بأن عمران بلاد الشام بشكل عام، وعمران جند قنسرين على وجه الخصوص، تراجع بعد مجيء العباسيين، بل إن إعمار الثغور لم يحدث سوى في عهد بني العباس بعد أن كانت في عصر بني أمية عبارة عن مسالح صغيرة في المناطق الحدودية، فتم إعمارها وإنزال أعداد كبيرة من السكان فيها فأصبحت مع مرور الوقت مدناً كبيرة.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية المخطوطة:

- ابن أخي حزام، محمد بن يعقوب بن إسحاق الحنظلي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، **الخيل والبيطرة**، مخطوط في مكتبة تشستربيتي ــ دبلن (إيرلندا)، برقم ٣٨٨٩.
- الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **كتاب الأقاليم**، مخطوط نشره بالتصوير ج. هـ. مولر (J. H. Moller)، غوتنجن، ١٨٣٩م.
- مجهول، **كتاب في تاريخ حلب** (قطعة منه)، نسخة مخطوطة كتبها حاجي عبد الله بن حاجي محمد الصديقي سنة ١١٠٩هـ، محفوظة في جامعة الملك سعود برقم ٥٥٩٨.
- الوطواط، جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، **مناهج الفكر ومباهج العبر**، مخطوط محفوظ بمكتبة السليمانية ــ إستانبول برقم ٤١١٦ (مجموعة فاتح)، ٢ مج، نشره بالتصوير فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت بألمانيا، ١٩٩٠م.

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

- الآبي، منصور بن الحسين الوزير الكاتب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **نثر الدر**، (تحقيق) مجموعة من الباحثين، (٧مج)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ ــ ١٩٩٠م.
- ابن الأثير، علي بن محمد الجزريّ (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **الكامل في التَّاريخ**، ط٧، ١٣ج، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٥م.
- الإدريسيّ، الشريف محمّد بن محمّد (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الأزدي، محمد بن عبد الله البصري (ت نحو ١٦٥هـ/ ٧٨٢م)، **فتوح الشام**، (صححه) وليم ناسوليس الإيرلاندي، بتست مشن، كلكتا، ١٨٥٤م
- الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم، أبو زكرياء (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **تاريخ الموصل**، (تحقيق) علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م.
- ابن الأزهر، أبو جعفر محمد بن الأزهر (من أهل القرن ٤هـ/ ١٠م)، **كتاب الأحداث**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٦م)، **الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار**، (تحقيق) حمد الجاسر، ٢مج، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ودارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٤م.
- الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت نحو بعد ٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٧م.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، (تحقيق) جوتوالدت (Gotwald)، ليبسي، ١٨٤٤م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **كتاب الأغاني**، (تحقيق) إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، ٢٥مج، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، (تحقيق) نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي، أبو محمد (ت نحو ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، **كتاب الفتوح**، ٩ج، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدرأباد الدكن، الهند، (د.ت).
- الآمدي، الحسن بن بشر أبو القاسم (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، (تحقيق) ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- امرؤ القيس، حندج بن حجر (ت ٨٠ ق.هـ)، **ديوان امرؤ القيس**، (تحقيق) عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- البحتري، الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **ديوان البحتري**، (تحقيق وشرح) حسن كامل الصيرفي، ٥مج، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، **المعرفة والتاريخ**، (تحقيق) أكرم ضياء العمري، ٤ج، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ١٩٧٤م.
- بشار بن برد (ت ١٦٦هـ/ ٧٨٣م)، **ديوانه**، (تحقيق) محمد الطاهر بن عاشور، ٤ ج في ٢ مج، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ابن البطريق، البطريرك افتيشيوس المكنى "سعيد" (ت ٣٢٠هـ/ ٩٤٠م)، **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م.

- ابن بطلان، يوحنا المختار بن عبدون (ت نحو ٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م)، **رحلة ابن بطلان**، (تحقيق) شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٦م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتيّ (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة المسمّاة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، (تحقيق) عبد الهادي التازي، ٥ج الأكاديمية المغربية، الرباط، ١٩٩٧م.
- ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، **الأخبار الموفقيات**، (تحقيق) سامي مكي العاني، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
- ـــــــــــــــ، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، (تحقيق) محمود محمد شاكر، الجزء الأول، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨١م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **المسالك والممالك**، (تحقيق) أدريان فان ليوفن، أندري فيري، ٢ ج، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة، ١٩٩٢م.
- ـــــــــــــــ، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، (تحقيق) مصطفى السقا، ٢مج، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، ١٣مج، الجزء الأول (بتحقيق) محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربية ودار المعارف، مصر ١٩٥٩م، والأجزاء من ٢ ــ ١٣ (بتحقيق) سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ـــــــــــــــ، **فتوح البلدان**، (تحقيق) رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- البلوي، عبد الله بن محمد المديني (ت بعد ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م)، **سيرة أحمد بن طولون**، (تحقيق) محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).
- ابن البهلول، الحسن (ت بعد ٣٥١هـ/ ٩٦٣م)، **كتاب الدلائل** (تحقيق) يوسف حبي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٧م.
- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ٤ج في ٢مج، دار المدينة، بيروت (د.ت).

- الترمذي، الإمام محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **الجامع الكبير**، (تحقيق) بشار عواد معروف، ط٢، ٦مج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- التنوخي، القاضي علي بن محمد بن داود الأنطاكي (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م)، **ديوان القاضي التنوخي الكبير**، (تحقيق وجمع) هلال ناجي، مجلة المورد، وزارة الثقافة، بغداد مج ١٣، ع١، ١٩٨٤م، ص ٣١ ــ ٧٤.
- التنوخي، القاضي المحسن بن علي أبو علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، (تحقيق) عبود الشالجي، ٥مج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ــــــــــــــ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، (تحقيق) عبود الشالجي، ط٢، ٨مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، (تحقيق) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ/ ٨٧٠م)، **كتاب البخلاء**، (تحقيق) أحمد العوامري وعلي الجارم، ٢ج في ١مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- ــــــــــــــ، **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، (تحقيق) محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة ــ بيروت، ١٩٧٢م.
- ــــــــــــــ، **البيان والتبيين**، (تحقيق) عبد السلام محمد هارون، (٤ج في ٢مج)، ط٤، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ــــــــــــــ، **رسائل الجاحظ**، (تحقيق) عبد السلام محمد هارون، ٣ مج، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ــــــــــــــ، **كتاب الحيوان**، (تحقيق) عبد السلام محمد هارون، ٧ مج، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦م.
- ابن جُبَيْر، محمّد بن أحمد الأندلسي الكنانيّ (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير المسمّاة: "تذكرة بالإخبار عن اتّفاقات الأسفار"**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- ابن الجراح، علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **قائمة علي بن عيسى بن الجراح المالية (٣٠٦هـ/ ٩١٨ ــ ٩١٩م)**، (تحقيق) يوسف أحمد بني ياسين وعصام مصطفى عقلة، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار (عمان/ الأردن)، مج ٢، ع ٢، جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ/ حزيران ٢٠٠٨م، ص ٣١ ــ ٦١.
- ابن الجراح، محمد بن داود، أبو عبد الله (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م)، **من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام**، (تحقيق) محسن غياض عجيل ومصطفى عبد اللطيف جياووك، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ١٩٩٩م.
- ـــــــــــــــــ، **الورقة**، (تحقيق) عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، ط٣، دار المعارف، (د.ت).
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، (تحقيق) ج. برجستراسر، ٢ج، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م.
- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، **كتاب الوزراء والكتّاب**، (تحقيق) مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **صفة الصفوة**، (تحقيق) محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٣، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ـــــــــــــــــ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** (تحقيق) محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (مراجعة) نعيم زرزور، ١٩مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ــ ١٩٩٣م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، ٢ مج، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن حبان، محمد بن حبان التيمي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، **كتاب الثقات**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ــ الهند، ١٩٨٣م.

- ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، **كتاب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، وأسماء من قتل من الشعراء**، ضمن كتاب نوادر المخطوطات، (تحقيق) عبد السلام هارون، ٢مج، مكتبة الخانجي، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٤م.
- ـــــــــــــ، **مختلف القبائل ومؤتلفها**، (تحقيق) إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، **تقريب التهذيب**، (تحقيق) محمد عوامة، دار ابن حزم، دار الوراق، بيروت، ١٩٩٩م.
- الحراني، محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، **تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله والتابعين والفقهاء والمحدثين**، (تحقيق) إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٨م.
- ابن حزم، أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، (تحقيق) عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م.
- الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، **زهر الآداب وثمر الألباب** (تحقيق) محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، (٤ج في ٢ مج)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
- الحصني، محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، **ديوانه**، (تحقيق) إبراهيم صالح، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١٠م.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، (تحقيق) إحسان عباس وبكر عباس، ١٠ مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (من أهل القرن الثامن الهجري)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تحقيق) إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حَوْقل، محمّد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨ـــ ١٩٣٩م.
- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٦٩م)، **تاريخ مدينة السلام "تاريخ بغداد"**، (تحقيق) بشار عواد معروف، (١٧ج)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** (تحقيق) مجموعة من الباحثين بإشراف إبراهيم شبوح. ١٤مج، القيروان للنشر، تونس ٢٠٠٦ ـــ ٢٠١٢م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** (تحقيق) إحسان عباس، ٨مج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم،** (تحقيق) إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن خياط، خليفة العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، **تاريخ خليفة بن خياط،** ط٢، (تحقيق) أكرم ضياء العمري، دار القلم، ودار الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، **جمهرة اللغة،** ٤ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٣٤٥هـ.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، **الأخبار الطوال،** (تحقيق) عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
- ـــــــــــــــ، **كتاب النبات** (تحقيق) برنهارد لفين، فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٧٤م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** (تحقيق) بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ـــــــــــــــ، **سير أعلام النبلاء** (تحقيق) شعيب الأرناؤوط وآخرين، ٢٥مج، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م
- ـــــــــــــــ، **العبر في خبر مَن غبر،** (تحقيق) صلاح الدين المنجد وآخرين، ٥ج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٠ ـــ ١٩٦٦م.
- الراعي النميري، عُبيد بن حصين (ت ٩٧هـ/ ٧١٦م)، **ديوانه،** (تحقيق) نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٠م.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** (تحقيق) رياض عبد الحميد مراد، ٥ج، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الربعي، محمد بن عبد الله بن زبر أبو سليمان (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم،** (تحقيق) محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٠م.

- ابن رستة، أحمد بن عمر (نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣م.
- ابن الرقاع، عدي بن زيد العاملي (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م)، **ديوانه**، (تحقيق) نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
- الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، **نسب قريش** (تحقيق) ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** (تحقيق) سليم النعيمي، ٤ج، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م.
- الزهريّ، محمّد بن أبي بكر، أبو عبد الله (ت قبل ٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، **الجعرافية** (بالعين المهملة)، (تحقيق) محمد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨م.
- ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم المصري (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، **سيرة أحمد بن طولون**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ــــــــــــــــ، **سيرة خمارويه**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ــــــــــــــــ، **سيرة محمد بن طغج الإخشيد**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن سباهي زادة، محمد بن علي البروسوي (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨م.
- سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم الحلبي (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، (تحقيق) شوقي شعث وفالح البكور، (٢مج)، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦م.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، (تحقيق) عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط٢،١١مج، دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، **الطبقات الكبرى**، ٨ج، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد أبو الحسن المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **بسط الأرض في الطول والعرض**، (تحقيق) خوان فرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨م.

- السلمي، محمد بن الحسين الأزدي (ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م)، **طبقات الصوفية**، (تحقيق) نور الدين شريبة، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **الأنساب**، (باعتناء) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (١٣مج)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن (الهند)، ١٩٦٢م.
- سهراب (ت ق ٤هـ/ ١٠م)، **عجائب الأقاليم السَّبْعة إلى نهاية العمارة وكيف هيئة المُدن وإحاطة البحار بها وتشقّق أنهارها ومعرفة جبالها وجميع ما وراء خط الاستواء والطول والعرض بالمسطرة والحساب والعدد والبحث على جميع ما ذكر**، (تحقيق) هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا، ١٩٢٩م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، (تحقيق) محمد علي البار، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
- الشابشتي، علي بن محمد، أبو الحسن (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **الديارات**، (تحقيق) كوركيس عواد، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م.
- ابن الشحنة، محمد بن محمد الحلبي (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، (تحقيق) يوسف بن إليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م.
- ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، ج١، ق١ (تحقيق) يحيى عبَّارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ـــــــــــــــــ، ج١، ق ٢ (تحقيق) آن ماري إده، ومنشور في مجلة المعهد الفرنسي (Buletin d'etudes Orientales, Tomes ٣٢-٣٣, Annees ١٩٨٠ -١٩٨١, Damas ١٩٨٢)،
- الشريف الإدريسيّ، محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ/١١٦٥م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الشمشاطي، الحسن بن علي بن محمد (من أهل القرن ٤هـ/ ١٠م): **كتاب الديرة**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، **الملل والنحل** (تحقيق) محمد سيد كيلاني، ٢ج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م.

- شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، بغداد، مكتبة المثنى (د.ت).
- الصابئ، محمد بن هلال أبو الحسن غرس النعمة (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، **الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م
- صاعد، القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م)، **طبقات الأمم، (تحقيق)** حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب،** (تحقيق) إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، ٢ مج، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ــــــــــــــ، **الوافي بالوفيات،** (تحقيق) مجموعة من الباحثين، ٣١مج، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (سلسلة النشرات الإسلامية)، بيروت ١٩٦٢-٢٠٠٤م.
- الصنوبري، أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، **ديوانه،** (تحقيق) إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- الصولي، محمد بن يحيى، أبو بكر (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، **أخبار أبي تمام،** (تحقيق) خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، المكتب التجاري، بيروت (د.ت).
- ــــــــــــــ، **أخبار المقتدر بالله العباسي من كتاب الأوراق** (تحقيق) خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.
- ــــــــــــــ، **الأوراق "قسم أخبار الشعراء"،** (تحقيق) ج. هيورث دن، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤م.
- ــــــــــــــ، **الأوراق "قطعه منه"،** (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك،** (تحقيق) محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٠ج، دار المعارف، مصر ١٩٧٦م.
- ــــــــــــــ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)،** (تحقيق) محمود شاكر، ٢٤ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

- الطرسوسي، أبو عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي (ت ٤٠١هـ/ ١٠١١م)، **كتاب سير الثغور،** (تقديم ودراسة) شاكر مصطفى، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٨م.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،** دار صادر، بيروت، (د.ت)
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **كتاب بغداد،** (تحقيق) إحسان ذنون الثامري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ابن ظافر الأزدي، علي بن منصور (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، **أخبار الدول المنقطعة،** (تحقيق) عصام هزايمة وآخرين، ٢ج، مؤسسة حمادة ودار الكندي، إربد، ١٩٩٩م.
- ابن عبد البر القرطبي، يوسف النمري (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس** (تحقيق) محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
- ـــــــــــــ، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم،** مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد** (تحقيق) أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ٧مج، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ابن العبري، غريغوريوس جمال الدين بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول،** (ألفه باللغة العربية) دار المسيرة، بيروت، (د.ت).
- العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الشافعي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م)، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة،** (تحقيق) سفيان بن عايش بن محمد، دار ابن الجوزي، الأردن، ١٤٢٥هـ.
- العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، **تاريخ الثقات،** (تحقيق) عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب،** (تحقيق) سهيل زكار، (١٢ج)، دار الفكر، دمشق، (د.ت).
- ـــــــــــــ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب،** (تحقيق) سهيل زكار، ٢مج، دار الكتاب العربي، دمشق ــ القاهرة، ١٩٩٧م.

- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، **تاريخ مدينة دمشق**، (تحقيق) محب الدين عمر بن غرامة العمروي، ٨٠مج، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ ـــ ٢٠٠٠م.
- العظيمي، محمد بن علي الحلبي (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، **تاريخ حلب**، (تحقيق) إبراهيم زعرور، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٤م.
- العقيلي، محمد بن عمرو المكي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، **كتاب الضعفاء الكبير**، (تحقيق) عبد المعطي قلعجي، ٤ج، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (تحقيق) عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ١١مج، دار ابن كثير، دمشق ـــ بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، (تحقيق) قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن، ١٩٧٣م.
- أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ٧٨٦م)، **تقويم البلدان** (تحقيق) جوزيف توسن رينود، ماك كوكين ويسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ـــــــــــ، **المختصر في أخبار البشر**، ٢ج، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- ـــــــــــ، **اليواقيت والضرب في تاريخ حلب**، (تحقيق) محمد كمال، فالح البكور، دار القلم العربي، حلب، ١٩٨٩م.
- أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد (ت ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م)، **الديوان**، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهَمَذانيّ (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، **كتاب البلدان**، (تحقيق) يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **أدب الكاتب**، (تحقيق) محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ـــــــــــ، **عيون الأخبار**، (٤ج في ٢مج)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ـــــــــــ، **المعارف**، (تحقيق) ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، **الخراج وصناعة الكتابة**، (شرح وتحقيق) محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

- القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (تحقيق) محمد سيد كيلاني، ٢ج، دار التراث، القاهرة، (د.ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الكرماني، أبو جعفر عمر بن الأزرق (من القرن ٣هـ/ ٩م)، **أخبار البرامكة**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- كشاجم، محمود بن الحسين الكاتب (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، **ديوانه**، (تحقيق) مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ـــــــــــــــ، **المصايد والمطارد** (تحقيق) محمد أسعد طلس، دار اليقظة، بغداد، ١٩٥٤م.
- الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)، **نسب معد واليمن الكبير** (تحقيق) ناجي حسن، ٢ج في ١مج، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب المصري، أبو عمر (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، **ولاة مصر**، (تحقيق) حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن ماكولا، علي بن هبة الله، أبو نصر (ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب**، (تحقيق) عبد الرحمن المعلمي اليماني، ١٠ج، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٩٦٢م.
- الماوردي، أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، **ديوان الإمام عبد الله بن المبارك**، (جمع وتحقيق) مجاهد مصطفى بهجت، ط٣، دار الوفاء للطباعة، بغداد، ١٩٩٢م.

- المبرد، محمد بن يزيد النحوي، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، **الكامل في اللغة والأدب،** مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).
- ـــــــــــــــ، **الفاضل،** (تحقيق) عبد العزيز الميمني، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، **ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري، (تحقيق)** مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ٤ج في ٢مج، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- مجهول (ق ٣هـ ظناً)، **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، (تحقيق)** عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.
- مجهول (ق ٤ هـ، كتبه سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب،** (طبعة مزيدة ومنقحة)، (تحقيق) يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- مجهول، (ق ٥ هـ)، **ذكر بلاد الأندلس، (تحقيق)** لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغل آسين، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق،** ج٣، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت (مصورة بالأوفست عن طبعة ليدن، ١٨٦٩م).
- ـــــــــــــــ، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق،** ج٤، ق ١، (تحقيق) عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٢م.
- مجهول (ق ٧ هـ ظناً)، **غرائب الفنون وملح العيون،** دار صادر، بيروت، ٢٠١١م.
- المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **معجم الشعراء، (تحقيق)** ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **الأزمنة والأمكنة،** ٢مج، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).
- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** (تحقيق) بشار عواد معروف، ٣٥ مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠ـ ١٩٩٢م.

- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **التنبيه والإشراف** (باعتناء) م.ج دي غويه، بريل، ليدن، ١٨٩٣م.
- ـــــــــــــ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (تحقيق) بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، (مراجعة) شارل بلا، ٥ج، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥ ــ ١٩٧٩م.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (تحقيق)** سيد كسروي حسن، ٧مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المقدسيّ البشاريّ، محمد بن أحمد (ت نحو ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩م.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، (تحقيق)** جمال الدين الشيال ومحمد حلمي، ٣ج، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (من أهل ق ٤ هـ/ ١٠م)، **المنتخب من تاريخ المنبجي، (تحقيق)** عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، طرابلس (لبنان) ١٩٨٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥ مج، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- المهلبيّ، الحسن بن أحمد (ت بعد ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، **الكتاب العَزيزيّ أو: "المسالك والممالك"، (جمعه وعلّق عليه)** تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦م.
- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، **مجمع الأمثال**، (تحقيق) محمد محيي الدين عبد الحميد، (٢مج)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت ١٨ ق.هـ)، **ديوانه**، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩١١م.
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، **كتاب الفهرست**، (تحقيق) أيمن فؤاد سيد، ٤ ق في ٢مج، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.
- أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠مج، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٢م.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (تحقيق) مجموعة من المحققين، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م)، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، (تحقيق) جانين سورديل ـــ طومين، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٣م.
- همام التنوخي، همام بن الفضل بن جعفر بن علي (من أهل القرن ٥هـ/ ١١م تقديراً)، **تاريخ همام التنوخي**، (ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، لسان اليمن (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **صفة جزيرة العرب**، (تحقيق) محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٤م.
- ابن وادران، حسين بن محمد (كان حياً ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م)، **تاريخ العباسيين**، (تحقيق) منجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- الواقدي، محمد بن عمر السلمي، أبو عبد الله (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **فتوح الشام** (المنسوب له)، (تحقيق) صالح درادكة، (٢ج في مجلد)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد (الأردن)، ٢٠٠٧م.
- ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، "**تاريخ ابن الوردي**"، (تحقيق) أحمد رفعت البدراوي، (٢مج)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ــــــــــــــــ، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، بيروت، المكتبة الشعبية، ١٩٣٩م.
- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة**، (تحقيق) يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران، ٢ج، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م.
- ــــــــــــــــ، **معجم الأدباء (أو: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، (تحقيق) إحسان عباس، ٧مج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- ــــــــــــــــ، **معجم البلدان**، ٥مج، دار صادر، بيروت (د.ت).
- اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥م)، **كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
- ــــــــــــــــ، **تاريخ اليعقوبي**، (تحقيق) خليل المنصور. ط٢، (٢ج في مجلد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

ثالثاً: المصادر المعرّبة:

- الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، **تاريخ الأنطاكي**، "الملحق بتاريخ ابن البطريق"، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م.
- التطيلي، بنيامين بن يونه النباري الأندلسي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، **رحلة بنيامين التطيلي**، (تحقيق وترجمة عن العبرية) عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- **التلمود كتاب اليهود المقدس**، (ترجمة) أحمد إيبش، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦م.
- الزوقنيني، الراهب السرياني (كان حياً سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، **تاريخ الزوقنيني**، (ترجمه من السريانية) بطرس قاشا، المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- سترابون، (مؤرخ وجغرافي إغريقي ت ٢١م)، **جغرافية سترابون**، "**الكتاب السادس عشر في وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية**"، (ترجمه عن الإغريقية) محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي (ليبيا)، ٢٠٠٦م.
- ابن العبري، غريغوريوس جمال الدين بن الشماس هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **تاريخ الزمان**، (ترجمه عن السريانية) الأب إسحق أرملة، (تقديم) الأب جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
- مارميخائيل السرياني، مار ميخائيل "بطريرك أنطاكية" (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير**، ٣ج، (ترجمة) مار غريغوريوس صليبا شمعون، (تقديم) مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م.
- ناصر خسرو (كان حياً ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، **سفر نامة**، (ترجمة) يحيى الخشاب، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

رابعاً: المراجع العربية:

- الألوسي، عادل محي الدين (١٩٨٧م)، **الرأي العام في القرن الثالث الهجري (١٩٨ ــ ٢٩٥هـ/ ٨١٣ ــ ٩٠٧م)**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- أيوب، إبراهيم (١٩٨٩م)، **التاريخ العباسي "السياسي والحضاري"**، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
- الباشا، حسن (١٩٧٩م)، **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، القاهرة: دار النهضة العربية.
- برصوم، أغناطيوس أفرام الأول (١٩٧٦م)، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، ط ٣، بغداد: مطبوعات مجمع اللغة السريانية.

- بهنسي، عفيف (١٩٨٣م)، **الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه**، دمشق: دار الفكر.
- بيضون، إبراهيم (١٩٩٥م)، **تاريخ بلاد الشام "إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية**، بيروت: دار المنتخب العربي.
- البيطار، أمينة (١٩٨٠م)، **الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام (١٣٢ ـ ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ ـ ٩٦٨م)**، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- الجندي، محمد سليم (١٩٩٤م)، **تاريخ معرة النعمان**، (تحقيق) عمر رضا كحالة، ٣مج، ط٢، دمشق: وزارة الثقافة.
- حسين، فالح (١٩٧٨م)، **الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي**، (تقديم) عبد العزيز الدوري، عمان: الجامعة الأردنية.
- حمارنة، صالح (١٩٩١م)، **الناس والأرض "دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى**"، عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع.
- خريسات، محمد، والنابودة، حسن محمد (٢٠٠٣م)، **صاحب الخبر في الدولة الإسلامية**، العين، الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ.
- خريسات، محمد (٢٠٠٥م)، **العصبية القبلية في صدر الإسلام**، إربد (الأردن): مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية.
- الخضري بك، محمد (١٩٧٠م)، **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية**، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
- خماش، نجدت (١٩٨٧م)، **الشام في صدر الإسلام "من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية "دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية**"، دمشق: دار طلاس.
- الدبس، يوسف (١٩٠٥م)، **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل**، بيروت: المطبعة العمومية الكاثوليكية.
- الدوري، عبد العزيز (١٩٩٧م)، **العصر العباسي الأول "دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**"، ط٣، بيروت: دار الطليعة.
- دويدري، رجاء وحيد (١٩٨٢م)، **جغرافية سورية والوطن العربي، دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي**، دمشق: مطبعة طربين.
- الديوه جي، سعيد (١٩٧٢م)، **بيت الحكمة**، ط٢، الموصل: مؤسسة دار الكتب للطباعة.

- رفاعي، أحمد فريد (١٩٢٧م)، **عصر المأمون**، ط٢، ٣ج، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- الريحاوي، عبد القادر (١٩٧٩م)، **العمارة العربية الإسلامية "خصائصها وآثارها في سورية"**، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- الزركليّ، خير الدين (١٩٨٤م)، **الأعلام "قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"**، ٧مج، ط ٦. بيروت: دار العلم للملايين.
- زكرياء، أحمد وصفي (١٩٨٤م)، **جولة أثرية في بعض البلاد الشامية "وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الإسكندرونة إلى أبواب دمشق"**، ط٢، دمشق: دار الفكر.
- زيادة، نقولا (١٩٨٩م)، **شاميات، دراسات في الحضارة والتاريخ**، لندن: رياض الريس.
- ساكا، المطران إسحق (٢٠٠٧م)، **كنيستي السريانية**، ط٣، دمشق: (د.ن).
- ضيف، شوقي (٢٠٠٤م)، **تاريخ الأدب العربي**، **"العصر العباسي الأول"**، ط١٦، القاهرة: دار المعارف.
- ــــــــــــ (٢٠٠١م)، **تاريخ الأدب العربي**، **"العصر العباسي الثاني"**، ط١٢، القاهرة: دار المعارف.
- طلاس، العماد مصطفى (١٩٩٠ ــ ١٩٩٣م)، **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري**، ٥مج، دمشق: مركز الدراسات العسكرية.
- عباس، إحسان (١٩٩٢م)، **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٢٥٥هـ/ ٧٥٠ــ ٨٧٠م)**، عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.
- عبد السلام، عادل (١٩٩٠م)، **الأقاليم الجغرافية السورية**، دمشق: مطبعة الاتحاد.
- عبودي، هنري . س (١٩٨٨م)، **معجم الحضارات السامية**، طرابلس (لبنان): جروس برس.
- عثمان، محمد عبد الستار (١٩٨٨م)، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- العش، يوسف (١٩٨٢م)، **تاريخ عصر الخلافة** (مراجعة) محمد أبو الفرج العش، دمشق: دار الفكر.
- عطوان، حسين (١٩٨٢م)، **القراءات القرآنية في بلاد الشام**، بيروت: دار الجيل.

- عقلة، عصام مصطفى (٢٠٠٢م)، **الأمويون في العصر العباسي (١٣٢ ــ ٣٣٤هـ) "دراسة في مصير الأسرة الأموية بعد سقوط دولتها"**، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية.
- عمران، محمود سعيد (١٩٨١م)، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية "مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي"**، بيروت: دار النهضة العربية.
- فوزي، فاروق عمر (٢٠٠٣م)، **العباسيون الأوائل (١٣٢ ــ ٢٤٧هـ/ ٧٤٩ ــ ٨٦١م)**، ٢مج، عمان: دار مجدلاوي.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد (١٩٧٤م)، **عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ ــ ٩٣٢م) "دراسة في أحوال العراق الداخلية"**، بغداد: جامعة بغداد.
- كرد علي، محمد (١٩٢٥ ــ ١٩٢٨م)، **خطط الشام**، ٦ج، دمشق: المطبعة الحديثة.
- ـــــــــــــ (١٩١٣م)، **رسائل البلغاء**، القاهرة: دار الكتب العربية.
- لامنس، الأب هنري اليسوعي (١٩٨٢م)، **تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار**، ٢ج، ١مج، بيروت: دار الرائد اللبناني.
- محمد، نبيلة حسن (١٩٩٣م)، **تاريخ الدولة العباسية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- المعاضيدي، خاشع (١٩٦٨م)، **دولة بني عقيل في الموصل**، بغداد: مطبعة شفيق.
- موسى، علي حسن (٢٠٠٤م)، **السياحة في سورية** (د.م): (د.ن).
- الموصلي، سليمان صائغ (١٩٢٣م)، **تاريخ الموصل**، ٢مج، (د.م): المطبعة السلفية.
- ناجي، عبد الجبار (٢٠٠١م)، **دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- نصري، كامل، والكناني، خلدون، وعلي، خالد (١٩٣٤م)، **جغرافية سورية الشمالية**، دمشق: مطبعة الترقي.
- يوسف، شريف (١٩٨٠م)، **المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها**، بغداد: دار الجاحظ.

خامساً: المراجع المعربة:

- بيج، بيرتون (١٩٨١م)، **البرج في العمارة الإسلامية الحربية**، (ترجمة) إبراهيم خورشيد (وآخرون)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

- جونز، أ. هـ (١٩٨٧م)، **مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية**، (ترجمة) إحسان عباس، عمان: دار الشروق.
- حتي، فيليب (د.ت)، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، (ترجمة) جورج حداد وعبد الكريم رافق، (مراجعة) جبرائيل جبور، ط٣، ٢ج في مج، بيروت: دار الثقافة.
- زاك، دوروتيه (٢٠٠٥م)، **دمشق "تطور وبنيان مدينة مشرقية إسلامية"**، (ترجمه عن الألمانية) قاسم طوير، دمشق: المعهد الفرنسي للشرق الأدنى.
- سوفاجيه، جان (١٩٣٦م)، **دمشق الشام "لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر"**، (ترجمة) فؤاد افرام البستاني، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- عطية، عزيز سوريال (٢٠٠٥م)، **تاريخ المسيحية الشرقية**، (ترجمة) إسحاق عبيد، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- فييه، جان موريس (١٩٩٠م)، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، (ترجمة) حسني زينة، بيروت: دار المشرق.
- كلو، أندريه (٢٠٠٥م)، **هارون الرشيد ولعبة الأمم**، (ترجمة) صادق الموسوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- لسترنج، كي (د.ت)، **بلدان الخلافة الشرقية**، (ترجمة) بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- مهرين، مهرداد (٢٠٠٣م)، **فلسفة الشرق**، (ترجمة) محمود علاوي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- موستراس، س (٢٠٠٢م)، **المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية**، (ترجمة) عصام الشحادات، بيروت: دار ابن حزم.
- نولدكه، تيودور (٢٠٠٤م)، **تاريخ القرآن**، (ترجمه عن الألمانية) جورج تامر، بيروت: مؤسسة كونراد ــ أدناور.

سادساً: المقالات العربية والدوريات:

- إدلبي، ناوفيطوس (١٩٧٧م)، كاتدرائية حلب البيزنطية، **مجلة عاديات حلب**، الكتاب الثالث، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ص ٨٦ ــ ١١٣
- بدر، أحمد (١٩٩١م)، فقهاء الشام في العصر العباسي الأول وعلاقاتهم بالخلفاء العباسيين، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير)

محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص ٨٧ ــ ١٠٢.

- بوخه، أدلوف (١٩٧٥م)، تطور الطب في حلب عبر العصور، **مجلة عاديات حلب**، الكتاب الأول، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ص ١٢٦ ــ ١٢٨
- تدمري، عمر عبد السلام (١٩٨٧م)، الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق "لبنان"، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام**، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، إربد، جامعة اليرموك، ج٢، ص ٣٣٣ــ ٣٧٣
- الجبوري، يحيى (١٩٩٩م)، خزائن الكتب والمكتبات في الحضارة الإسلامية، **ضمن كتاب بحوث مهداه للأستاذ الدكتور سيد مقبول أحمد**، (تحرير) فاروق عمر فوزي، هند غسان أبو الشعر، جامعة آل البيت، المفرق (الأردن)، ص ٤٦٩ ــ ٥١٧
- حبي، يوسف (١٩٨٣م)، أصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري، **هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٧، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص ٣ــ ٣٢
- ــــــــــــــــ (١٩٨٢م)، التواريخ السريانية، **هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٦، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص ٢٩ ــ ٩٢
- حتاملة، عبد الكريم عبده (١٩٨٦م)، المنشآت العمرانية في العصر العباسي (٢٣٢ ــ ٥٢٩هـ/ ٨٤٧ ــ ١١٣٥م)، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد ٢٩، السنة ١٢، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ص ١٠٦ ــ ١١٣
- حجار، عبد الله (١٩٧٨ــ ١٩٧٩م)، الطرق والجسور الرومانية في سورية، **مجلة عاديات حلب**، الكتابان الرابع والخامس، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي، حلب، ص ٢١٩ــ ٢٣٩
- الحياري، مصطفى علي (١٩٩٧م)، توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، **(ضمن كتاب: في محراب المعرفة "دراسات مهداة إلى إحسان عباس")**، (تحرير) إبراهيم السعافين، دار صادر ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٤١٧ ــ ٤٣١
- ــــــــــــــــ (١٩٨٧م)، جند الأردن "ملاحظات حول حدوده الجغرافية"، **مجلة الأبحاث**، السنة ٣٥، بيروت، ص ٣ ــ ١٩
- ــــــــــــــــ (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، حياة الناس في مدن الثغور "مدينة طرسوس"، **مجلة دراسات تاريخية**، ع ٤، جامعة دمشق، ص ٨٥ ــ ٩٥

- ـــــــــــــــــــــ(١٩٨١م)، طرسوس: مدينة الثغور الشامية "دراسة في عمران مدن الثغور"، **مجلة دراسات** (العلوم الإنسانية)، مج٨، ع١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان.
- خريسات، محمد عبد القادر (١٩٩١م)، التوسع العمراني في مدينة دمشق حتى أواخر الحكم الفاطمي لبلاد الشام، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص ٣٩٠ ــ ٤٢٨
- ـــــــــــــــــــــ (١٩٨٧م)، دور العرب المتنصرة في الفتوحات، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في صدر الإسلام"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، إربد، جامعة اليرموك، ج٢، ص ١٣٥ ــ ١٦٤
- خطاب، محمود شيت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج ٣٦، ج١، بغداد، ص ٣ــ ٦١
- خماش، نجدة (١٩٨٧م)، الإدارة ونظام الضرائب في الشام في عصر الراشدين، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام**، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، عمان، مج٢، ص ٤١١ ــ ٤٥٥
- ـــــــــــــــــــــ (١٩٩٢م)، التنظيم الإداري في الشام (١٣٢ــ ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ــ ٩٦٨م)، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام: "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ص ١٠٣ ــ ١٢٩
- درادكة، صالح (١٩٩٢م)، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ص١٩١ــ ٢١٠
- الدوري، عبد العزيز (١٩٧٤م)، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر"**، (تحرير) عبد الكريم غرايبة وآخرين، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة للنشر، ص٢٥ ــ ٣٨
- دويدري، أنور (١٩٧٥م)، البيمارستانات في حلب، **مجلة عاديات حلب**، الكتاب الأول، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ص ١٢٩ ــ ١٥٤.
- زيادة، نقولا (١٩٩٢م)، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي (١٣٢ــ ٤٥١هـ/ ٧٥٠ــ ١٠٩٥م)، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام: "بلاد الشام في العصر**

العباسي"، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد العبادي، تاريخ بلاد الشام، عمان، ص ٢٨٣ـــ ٣٢٤

- ـــــــــــــ (١٩٨٦م)، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنون: "بلاد الشام في العهد البيزنطي"**، الندوة الأولى (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، عمان، ص٩٥ـــ ١٣٧
- زيود، محمد أحمد (١٩٩٢م)، النشاط التجاري والصناعي لبلاد الشام في القرنين الثالث والرابع للهجرة، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ص٢١١ ـــ ٢٤٨
- سالم، عبد الرحمن أحمد (١٩٩٥م)، الاتصال الثقافي بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية في عصر المأمون (١٩٨ ـــ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـــ ٨٣٣م)، **مجلة كلية دار العلوم**، جامعة القاهرة، ع ١٨، ص ١٦٣ ـــ ١٩٠
- السيد، رضوان (١٩٩٢م)، المدرسة التاريخية الشامية وعلاقتها بالحديث والآثار في القرنين الثالث والرابع للهجرة، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ص ٦٦ـــ ٨٦
- شعيرة، محمد عبد الهادي (١٩٧٩م)، من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، (ضمن **كتاب دراسات في الآثار الإسلامية**)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة.
- شيشن، رمضان (١٩٩٢م)، دور الأتراك في الشام قبل السلاجقة، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ص ٥٦١ ـــ ٥٦٩
- الطوري، بشير متي توما (١٩٨٢م)، مدرسة الرها، **هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٦، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص ٢٦٣ ـــ ٢٨٣
- طوقان، فواز أحمد (١٩٧٤م)، الحائر في العمارة الأموية الإسلامية، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام بعنوان "تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر"**، (تحرير) عبد الكريم غرايبة وآخرين، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة للنشر، عمان ص ٦٩ ـــ ١٣٨

- طوير، قاسم (١٩٩١م)، هرقلة هارون الرشيد في الرقة أو "بغداد المنصور المصغرة"، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص ٤٩٨ ــ ٥١٩.
- العش، محمد أبو الفرج (١٩٦٦م)، الزجاج السوري المموه بالمينا والذهب، **الحوليات الأثرية العربية السورية**، مج ١٦، ج١، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ص ٣٧ ــ ٥٦
- عطية، جورج (١٩٨٦م)، الأثر السرياني في الحياة الفكرية في بلاد الشام، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العهد البيزنطي"**، الندوة الأولى (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، عمان، ص ١٣٩ــ ١٧٨
- العلي، صالح أحمد (١٩٨١م)، امتداد العرب في صدر الإسلام، **مجلة المجمع العلمي العراقي** مج ٣٢، ج٣ و٤، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص ٣ ــ ٦٢
- فوزي، فاروق عمر (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، الجند الأموي والجيش العباسي، "دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي والعباسي"، **مجلة المورد**، مج ٨، ع ٤، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص ٢٣٤ ــ ٢٤٤
- القاضي، وداد (١٩٨٧م)، مدخل إلى دراسة عهود الصلح الإسلامية زمن الفتوح، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في صدر الإسلام"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت وإحسان عباس، عمان، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، ج٢، ص ١٩٣ ــ ٢٦٩
- الكواكبي، سعد زغلول (١٩٧٥م)، الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب، **مجلة عاديات حلب**، الكتاب الأول، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، ص ١٤٦ ــ ١٨١
- المحيسن، سلطان، وأكازاوا، تاكيرو (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، مكتشفات متميزة من عصور ما قبل التاريخ في منطقة عفرين بسورية، **مجلة أدوماتو**، العدد الخامس، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الرياض، ص ٧ ــ ٢٢
- مردم بك، خليل (١٩٢٥م)، شعراء الشام في القرن الثالث، **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، ع٧، مج٥، ص ٢٩٣ ــ ٣٠٨
- المشهداني، محمد جاسم (٢٠٠٩م)، حركة نصر بن شبث العقيلي، ضمن كتاب: "**بحوث ودراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكة**"، (تحرير) محمد خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، ص ٢٨٢ ــ ٢٩٣

- المعلوف، عيسى إسكندر (١٩٢٢م)، الآثار القديمة الشرقية، **مجلة مجمع اللغة العربية**، دمشق، مج ٢، ج١٠، ص ٣١٢ ــ ٣١٤
- ناجي، عبد الجبار (١٩٩١م)، نظرة في الأحوال الحضرية لبلاد الشام في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، **المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام بعنوان "بلاد الشام في العصر العباسي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، عمان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص ١٣٠ ــ ١٥٦
- النجار، رضوان (١٩٨٧م)، ديوان زفر بن الحارث الكلابي. **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة الحادية عشرة، العدد ٣٣، عمان، ص ٢١٥ ــ ٢٨٢
- هاشم، صلاح الدين (١٩٨٩م)، الصقالبة ببلاد الشام في زمن الأمويين "نظرة على الدراسات الإسلامية عن الدولة الأموية"، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان: "بلاد الشام في العهد الأموي"**، (تحرير) محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، عمان، ج١، ص ٢١٨ ــ ٢٥٢

سابعاً: المصادر الأجنبية:

- Le Syrien, Michel (١٩٦٣), **Chronique de Michel le Syrien** (١١٦٦- ١١٩٩**).** Edt. J. B. Chabot, ٤ Vol, Culture et Civilisation, Paris.
- Theophanes (١٩٩٧), **The Chronicle of Theophanes Confessor,** (translated and edt) Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford.

ثامنا: المراجع والمقالات الأجنبية:

- Bosworth, C. E (٢٠٠٢), “Al- Zutt”, **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, Vol: XI, p ٥٧٤
- Bosworth, C. E (١٩٩٣), “Nasr b. Shabath”, **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, , Vol: VII, p ١٠١٦
- Brok, Sebastian (١٩٧٩), Syriac Historical Writing "A survey of the main cources" في **هيئة اللغة السريانية بمجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٥، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ص ٢٩٧ ـ ٣٢٦
- Cobb, Paul (٢٠٠٢), “Zawakil”, **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, Vol: XI, p ٤٦٣ - ٤٦٤
- Davies, C. Collin (١٩٦٥), “Djund”, **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, Vol II, p.p ٦٠١- ٦٠٢

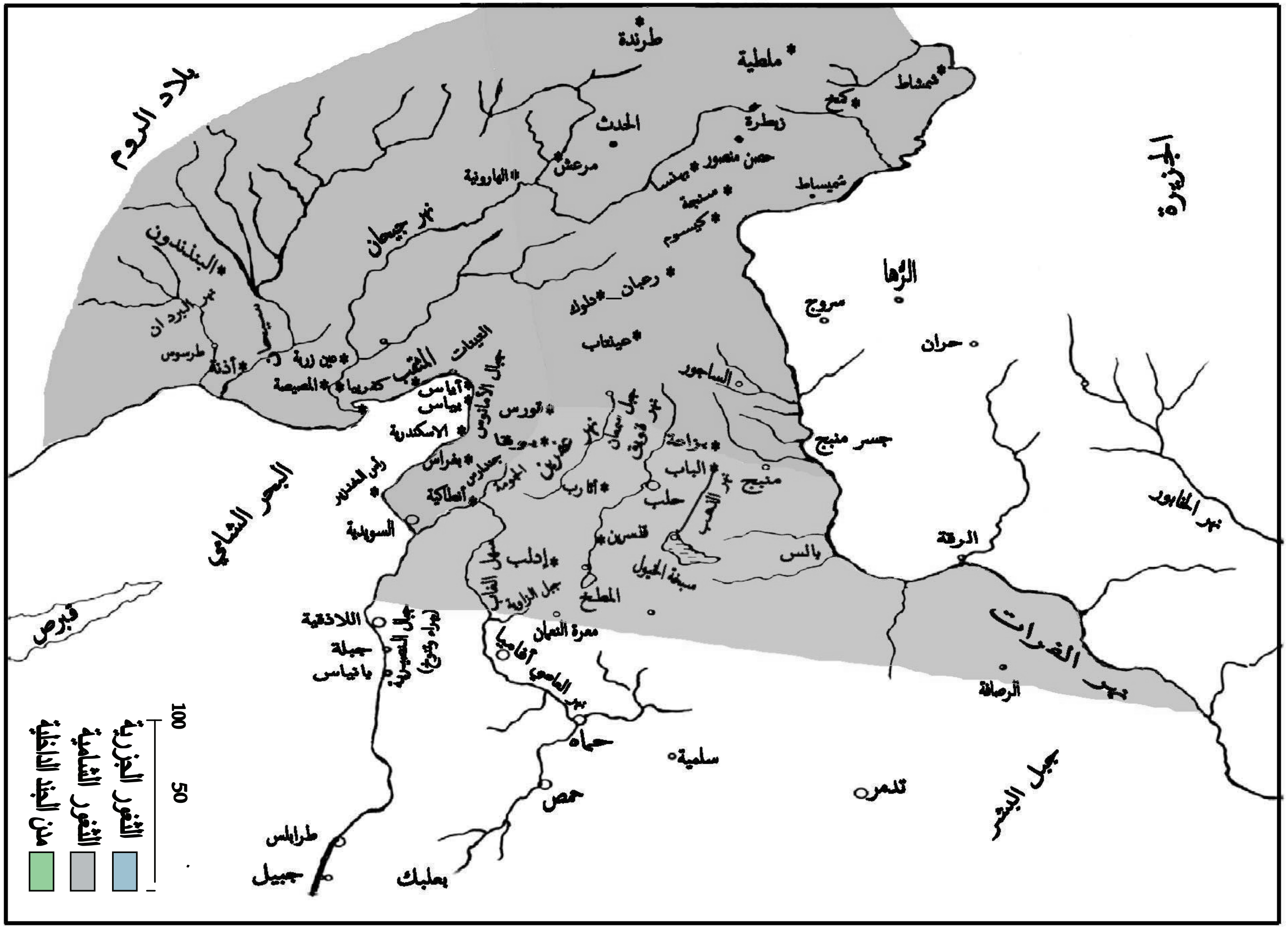
- Elisseeff. N (١٩٨٦), "Kinnasrin", **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, Vol: V, p.p ١٢٤ - ١٢٥
- Le strange, Guy (١٨٩٠), **Palestine Under The Moslem**, Alexander Watt, London.
- Fawzi, Farouk Omar (٢٠٠٣), **Aspects From Abbasid history**, Amman.
- Lammens. H, Le Sofiani (١٩٢٣), Hero's national des Arabes Syriens, in **Bulletin dil institute Francaise d'archeologie Orientale**, Beyrouth,
- Shahid, Irfan (١٩٨٦), The Jund System in Bilad al-Sham, "in: **Proceedings of the Symposium on Bilad al-Sham During the Byzantine Period"**, edt by: Bakhit and Asfour, Amman, Pp ٤٥- ٧٥
- W. Madelung, "Karmati", **The Encyclopaedia of Islam**, (New Edition), Leiden, Brill, Vol III, Pp ٦٨٧- ٦٩٢
- Whitcomb, Donald (٢٠٠٦), Archaeological Evidence of Sedentarization: Bilad al-Sham in the Early Islamic Period. In**: Stefan Hauser, Die Sichtbarkeit von Nomaden und saisonaler Besiedlung in der Archaologie Multidisziplinare Annaherungen an ein methodisches Problem**, hall, pp ٢٧-٤٣

تاسعاً: المقالات الأجنبية المعربة:

- ستوردر، دانييل (٢٠٠٤م)، **قبل المدينة "مساهمة الثقافات النيوليتية في سورية"**، (بحث ضمن كتاب المدينة في سورية وأقاليمها، مجموعة مؤلفين بإشراف جان كلود دافيد (ترجمة) محمد الدبيات، دار الجند، دمشق.

عاشراً: الرسائل الجامعية:

- البابا، مؤنس عبد الله (٢٠٠٩م)، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (١ ــ ٦٥٦هـ /٦٢٢ــ١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الدعجة، مهند نايف (٢٠٠٧م)، **حمص منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.
- العاني، عبد اللطيف عبد الرزاق (١٩٦٨م)، **إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.



خريطة جند قنسرين في العصر العباسي

JUND (DISTRIC) QINNASRIN IN THE ABBASID ERA TILL THE RISE OF HAMADANI STATE (١٣٢ - ٣٣٣ A.H / ٧٤٩ – ٩٤٤ A.D)

By

Al Mahdi Eid Al Rawadieh

Supervisor

Dr. Mohammad Abdul Qader Khreisat, Prof.

ABSTRACT

The research studies district of Qninasrin, located on the north-western borders of the Islamic Empire, had a crucial role in the conflict with The Roman Empire over the first two centuries of the Abbasid Era (١٣٢-٣٣٣ A.H./٧٤٩- ٩٤٤ A.D).

The study aims to shed some light on various aspects that are related to Qinnasrin District, it tries to identify its geographic and administrative border, its main cities, its contributions to the political life at that period which witnessed several revolutions, and the role played by that district in the Islamic-byzantine conflict. It also discusses the social life in the region including the ethnic and religious groups, and the main tribes that had settled there. Moreover, the research highlights the economic structure in Qinnasrin in all its sectors: agricultural, Industrial, and commercial, and introduces the evolution of the cultural, scientific, and architectural aspects in the district.

To reach the previous goals, the author has tracked the historical narrations mentioned in many sources, collected all stories and data from its primary sources, analyzed and criticized them in order to get a holistic idea about the district at that period, and then tried to interpret some social and economic phenomena that occurred in the region.

The study has concluded to many findings, among them that it succeeded in identifying the geographic borders of Qinnasrin during the Abbasid Era specially in the northern part on the border with the Roman Empire, and pointing out the main contact

points with the Roma Empire in the islands and the Levant. Actually, non of previous studies was able to identify such points in the Levant Region, specially that the map shows Qinnasrin size as one of the largest districts in the Levant Region.

The Research pointed out the economic evolution in Qinnasrin through demonstrating the development in the agriculture where most fields were planted by trees and other crops. This helped in advancing and developing the industrial activities especially the textile ones.

Moreover, the study the great interest that Caliphs had shown to Qinnasrin comparing to the rest of the districts, this was attributed to its strategic position on the border with the Roman Empire. Such interest was obvious in the various cities on the borders which had witnessed noticeable growth and development in building construction and immunization activities that are necessary to host the soldiers. The cities had also very active scientific activities due to the huge number of scholars, Sufis, and ascetics who settled in the district.